

محمّد حسنين هيكل

عن مؤر من الكتب

بين الصحافة والسياسة

قصة (ووثائق) معركة غربية فى الحرب الخفية!

دار الشروق



بين الصحافة والسياسة

قصة (ووثائق) معركة غربية في الحرب الخفية!

محمد حسنين هيكل بين الصحافة والسياسة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

© دار الشروق

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة

القاهرة: ٨ شارع سيدي بويه المصري - مدينة نصر
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ (٢٠٢) فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: e-mail: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٦٨٥٤
الترقيم الدولي: 4 - 0990 - 09 - 977 I.S.B.N.

محمّد حسنّين هيكل

بين الصحافة والسياسة

قصة (ووثائق) معركة غربية في الحرب الخفية!

دار الشروق

إهداء

إلى أولادى الثلاثة على وأحمد وحسن

وإلى عشرات الملايين غيرهم من شباب مصر وأمتها
العربية، وحتى لا يضيع منهم الغد لسبب لا ذنب لهم فيه
وهو أنهم لم يكونوا معنا بالأمس!

محمد حسنين هيكل

مقدمة

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾

(قرآن كريم)

هذه صفحات حاولت تأجيل كتابتها ونشرها على الرغم من دواع كثيرة سياسية وفكرية - وإنسانية أيضاً - كانت تقتضى التعجيل بالكتابة والنشر.

ولقد صبرت طويلاً، لكن السنين غلبتني على أمرى، فهي تجرى سراعاً، ولا بد - إذا كانت لهذه الصفحات قيمة - أن تصدر، بينما جميع الأطراف فى الموضوع - على قيد الحياة يملكون فرصة الرد إذا شاءوا، وبأى وسيلة يختارون.

وموضوع هذا الكتاب فى الحقيقة يتعرض لواحدة من أغرب القصص فى علاقة السياسة بالصحافة فى مصر على امتداد الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية وحتى الآن. وهى قصة أرادوا لها أن تنسى وأن ينزل عليها ستار حتى لا تظهر مقاصد أو تبين أغراضاً، مازالت تسعى بين الناس، وما زال أثرها محسوساً فى نبض كل يوم.

ولا أظننى فى حاجة - خلال هذه المقدمة - إلى التشديد على خطورة العلاقة بين السياسة والصحافة - والإعلام بصفة عامة - خصوصاً فى بلدان العالم الثالث.

والعلاقة بين السياسة والإعلام معقدة فى كل الدنيا، وهى فى دنيانا - دنيا العالم الثالث - أكثر تعقيداً. فالعلم الحديث فى معظم بلداننا منقول والتجديد مظاهر

مستعارة، لأن التغريب بالتقليد سهل والتجديد الأصيل مشقة. وهكذا فإنه حتى وسائل التنوير - يمكن أن تتحول فى أيدينا إلى أدوات تعقيم! كما أن وسائل وأدوات التطور والنمو والازدهار والأمن يمكن أن تصبح لها عندنا استعمالات تختلف عن الهدف الذى قصده هؤلاء الذين سخرُوا لصنعها ما توصلوا إليه من علوم وتكنولوجيا.

وعلى سبيل المثال فإن ما ينطبق على الإعلام - فى دنيا العالم الثالث - ينطبق أيضاً على السلاح.

والعالم العربى بالذات يشتري فى كل سنة من السلاح ما تبلغ قيمته ما بين خمسة وثلاثين إلى أربعين بليوناً من الدولارات (من ١٠ إلى ١٢ فى المائة من الناتج القومى). ولكن السلاح فى بلدان العلم والتجديد للدفاع عن النفس، وأما فى أيدينا فإن السلاح لقهر النفس.. للقمع الداخلى وليس لعدو خارجى، خصوصاً فى فترات تختلط فيها الأمور حتى أننا لا نستطيع أن نحدد: من هو العدو؟

وعندما تختلط الأمور فإن ما يضيع ليس هو العلم والتجديد فقط، وإنما يضيع الحلم الوطنى والقومى ولا يكون هناك بديل غير القمع والقهر.

وكنْتُ أقول دائماً - ولا أزال - أنه عندما يضيع الحلم فإن الأنظمة لا يعود أمامها غير طريق واحد بدايته قناة تليفزيون أو محطة إذاعة أو جريدة ونهايته دبابه أو مدفع أو طائرة!

إذا عجزت الأنظمة عن تطويع إرادة الناس بالكلام تولى السلاح مهمة إخضاعهم بالنار.!

وليس ضرورياً أن تكون قوى السيطرة داخلية - بل العكس - فالشواهد أمامنا كثيرة على أن نظم السيطرة قد أصبحت عالمية بل كونية فى زمان تلاشت فيه المسافات على الأرض وفى الفضاء، وفى نفس الوقت تركزت المصالح والمطامع والغايات!



ولقد حدث للسياسة فى مصر - وفى غيرها - ما نعرفه من مد وجزر ومن انطلاق وانحسار، وفى هذا كله كان الإعلام - وصحافة الكلمة فى وسطه - ساحة وطرفاً وأداة وفق طبائع الأمور التى تفرض - كما شرحت فى بعض فصول هذا الكتاب - أن تكون الصحافة فى أى بلد جزءاً من الحياة السياسية فيه.

ولهذا فإن متابعة ومراجعة ما جرى ويجرى فى عالم الصحافة متابعة ومراجعة لما جرى ويجرى فى عوالم السياسة.

وقلت إن القصة التى يتعرض لها هذا الكتاب من أغرب القصص، وهكذا فإن روايتها ذات يوم كانت لازمة وكانت ضرورية.

ولقد كان التوقيت هو السؤال الحائر الوحيد.

ثم قر قرارى على أن الموعد قد أزف لعدة عوامل، أولها - كما أسلفت - عامل الزمن والسنين التى تجرى سراعاً وأهمية أن يكون كل الأطراف على قيد الحياة ومن قبل أن ينزل صمت الأبدية، فلا يقول قائل: لماذا لم يتكلم وكان فى مقدوره الكلام؟ - أو يقول آخر: بعد فوات الأوان جاءوا يتكلمون؟

وعلى وجه اليقين فإننى أدعو بطول العمر والصحة للجميع، لكن القلوب ساعات دقاقة، وحساباتها بالثوان، وأجلها فى يد ليس لبشر عليها سلطان.

وهكذا فقد كان على أن أحزم أمرى على لحظة من اللحظات أحاول فيها وأقدم، وليكن ما يكون - عارفاً مسبقاً أنها مهمة دونها أهوال، فلدى الآخرين سلطة وليس فى يدي شىء، ولدى الآخرين منابر ضخمة كأنها الحصون وأنا فى الهواء الطلق أو فى العراء - وبالتالى فهى موازين غير متكافئة. وعلى أية حال ففى النهاية أ طعت نداءً داخلياً راح يهيب بى أنه «الآن وقت الكلام وإلا فلا كلام»!



لا بد أن أقول أيضاً أن المناخ العام فى مصر بدأت تظهر عليه أمارات صحوة.

فهناك أخيراً محاولة للبحث عن الحقيقة، وتساؤل عميق حتى العظام يحاول أن يستنطق الصخر نفسه على يجيب فيطفيئ ظمأً ويشبع جوعاً إلى الحق وأين مكانه؟ وكيف الوصول إليه؟ ومن أى سبيل؟

وربما كان التساؤل الأعمق فى حياة أجيال جديدة من شعب مصر وشعوب الأمة العربية هو التساؤل عن التجربة الثورية المصرية ودور جمال عبد الناصر وماذا جرى فعلاً وماذا كان؟

والواقع أن السؤال فى مصر قديم جديد، فكل تجربة للتحرر والتقدم فى مصر جرى تشويهها بعد محاولة ضربها وبعد «التعامل» مع أبطالها بأسلحة العصر السائد أيامها ووسائله.

وقد أقول - وهذا اجتهاد شخصى - إن أبطال مصر فى العصر الحديث ستة، ولا أظنهم أكثر بالمعايير المتعارف عليها للبطولة. «الإنسان» و«اللحظة» أمام صراع المقادير وعند نقط التحول الكبرى.

محمد على وجمال عبد الناصر - فى الصراع لطلب الاستقلال والتقدم.

عرابى ومصطفى كامل - فى الصراع من أجل التنبه واليقظة الوطنية.

الطهطاوى ومحمد عبده - فى الصراع لإعلاء سلطان العقل والفكر.

وكلهم.. كلهم على نحو أو آخر تعرضوا لحروب ضروس، وكان جمال عبد الناصر أكثرهم تعرضاً لعدة أسباب تظهر وتتجلى خصوصاً بالمقارنة مع نظيره السياسى (محمد على):

أولها - أن روابط الانتماء العضوى بالأرض كانت أقوى فى حالة جمال عبد الناصر، فإذا تمكنت الجذور فى الأعماق فمعنى هذا أن القطع أو الخلع يصبح عملياً تصدياً لواحدة من ظواهر الطبيعة ذاتها، وهذا صعب. ولهذا فإن السرعة واجبة والعنف فى عجلة من أمره.

وثانيها - أن حدود جمال عبد الناصر كانت أكبر من حدود محمد على. ففى

حين أن المشروع القومى لمحمد على لم يتجاوز مصر والشام ومحاولة بناء دولة
عصرية تقف على قدم المساواة مع دولة الخلافة فى استانبول وتشد أزرها - أو
ترث تركتها؟ - فإن المشروع القومى لجمال عبد الناصر كان يمتد من الخليج إلى
المحيط ثم تصل أصداؤه إلى آسيا وأفريقيا توقظ وتحرك.

وثالثها - أن المصالح التى واجهت جمال عبد الناصر كانت أقوى وأعتى . فلم تعد
مصر مجرد طريق الشرق وحلقة فى مواصلات إمبراطوريات، ولكنها أصبحت قلب
منطقة فى وسط القارات والمحيطات والبحار حساسة وهى فى الصميم من مواجهة
عالمية كبرى بين عملاقين فى القوة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً من قبل.

ورابعها - أن نفس هذه المنطقة لم تعد مجرد جغرافيا، ولكنها أيضاً أصبحت
موطن ثروات لم يحلم بها أحد، لا بديل لها حتى الآن إذا أريد لعجلات المجتمعات
الصناعية أن تدور، وإذا أريد لرخائها أن يزيد ويتضاعف وأن يتحمل التكاليف
آخرون!

وخامسها - أن محمد على كان فى أيامه الطرف المحلى الوحيد . وأما
جمال عبد الناصر فقد كانت أمامه أطراف محلية أخرى لديها ما تريد أن تحافظ
عليه مما تتقاسم غنائمه مع الساعين إلى السيطرة، وهكذا لم تكن المعركة ضده من
الخارج فقط ولكن من الداخل أيضاً.

وسادسها - أن تجربة جمال عبد الناصر جاءت فى مرحلة من التطور المصرى
والعربى حافلة بأسباب الفوران، والنموذج المقابل (الجاهز للنقل من الغرب) قوى .
والقوة لها قدرة إقناع كامنة، ثم إن مجموعات القيم المطروحة لها جاذبية باهرة
تقرض نفسها على الناس فلا تترك لهم فرصة كافية ليتدبروا ويدركوا أن هذه القيم
لم تجئ بمجرد التمنى، وإنما جاءت لأن تفاعلات اجتماعية واقتصادية طويلة
وعنيفة مهدت لها وفتحت الطريق أمامها.

وفى حين أن محمد على كان على الساحة وحده - فإن جمال عبد الناصر كان من
حواله كثيرون يحلمون - ولهم الحق - أن يجدوا فى مجتمعهم ما بلغته مجتمعات
السابقين.

وكان هؤلاء - بصرف النظر عن حسن نواياهم - عنصر ضغط على التجربة من داخلها وعند الجذور.

وسابعها - فإن تجربة جمال عبد الناصر تعرضت لظاهرة غريبة، وهى أن ورثتها كانوا هم أنفسهم أحد أسلحة محاولة اغتيالها. أصحابها هم الذين أساءوا إليها على نحو أو آخر. بعضهم أساء إلى وجهها الإنسانى الحضارى، وبعضهم الآخر حاول تصفية وجهها التحررى والتقدمى. وتاريخ التطور الإنسانى يعرف ثورات أكلت أبناءها (كالثورة الفرنسية)، وفى حالتنا فقد كان أبناء الثورة هم الذين أكلوها.

وثامنها - أخيراً - فإن وسائل الحرب على التجربة كانت شيئاً جديداً. بالغ الجودة فى كل ما عرفتة العصور من قبل. فوسائل الإعلام (الإذاعة والتليفزيون والصحف) جعلت رأى العام فى كل مدينة وقرية ونجع واحداً بين الحضور وإن لم يكن واحداً من المشتركين.

كان حضوره - وليس اشتراكه - هو المطلوب. كان المطلوب منه أن يتلقى وأن يتسلم شحنات السموم المغلفة بالسكر والمعبأة فى الصور والأصوات والألوان والظلال!

وهكذا فى حين أن الحملات ضد محمد على والطهطاوى وعرابى ومحمد عبده ومصطفى كامل وصلت إلى دوائر محدودة بحدود العصر، فإن الحدود المستباحة وصلت بالحملة على جمال عبد الناصر إلى كل مكان.



لا بد أن أعترف أيضاً أن هذا الكتاب لم يكن خطتى للعمل هذا العام - ١٩٨٤.

فى البداية حاولت أن أكتب لمجموعة الناشرين التى تملك حق نشر كتبى فى العالم كتاباً عن «ظهور وتراجع القوة العربية». وبدأت المحاولة فعلاً. ثم كنت أنا الذى تراجعته مؤقتاً عما اعتزمت. فقد وجدتني أصف عالماً عربياً كل أحواله تدعو للرثاء، ولم أشأ أن يكون ما أكتبه سهماً جديداً تتكسر به النصال على النصال.

وهكذا انتقلت إلى مشروعي الكبير، وهو تاريخ المنطقة من أعقاب الحرب العالمية الثانية - منتصف الأربعينات - إلى أعقاب حرب أكتوبر - منتصف السبعينات - وشخصية جمال عبد الناصر أمام هذه الخلفية الواسعة الهائلة. ولم أكن أحلم بموسوعة علمية، وإنما كنت أريد أن أحاول ما حاوله غيري من الصحفيين ممن أتاحت لهم الظروف فرصة أن يروا حقبا لها معنى ورجالا لهم أدوار - فراحوا يروون شهادتهم كما عاشوا الحوادث ورأوها تتوالى وتتعاقب.

لكنى وأنا أجرب هذه المحاولة لاحظت كثافة النيران الموجهة إلى جمال عبد الناصر وخطر لى أن أستكشف مصادر هذه النيران.

ووجدتني أمام سبب إضافي يحفزني على تناول موضوع هذا الكتاب.



ولقد يثير سياق هذا الكتاب سؤالاً: هل القصة التي ركزت عليها معظم فصوله هي الوحيدة من نوعها والفريدة في بابها؟

وأرد على هذا السؤال بأن هناك قصا كثيرة أخرى وبعضها يستحق العودة إليه ذات يوم! لكن قصة هذا الكتاب تختلف عن غيرها من عدة زوايا:

أولاً: لأن بقاياها ما زالت معنا تجر أذيالها - حتى هذه الساعة.

وثانياً: لأنها تحولت بتطورات الحوادث إلى ما يشبه «قصة كاملة» تتابعتم أماننا كل فصولها.

وثالثاً: فهي «قصة كاملة» ليس فقط من ناحية ظهور كل فصولها، وإنما أيضاً من ناحية ظهور كل أبطالها وأطرافها على مستوى التأثير المحلي والتأثير الإقليمي والتأثير الخارجي - وبالتالي فهي قصة «نموذج» في الحرب الخفية.

ورابعاً: لأن القصة جاهزة للتوثيق... ليس فقط بالأدلة والقرائن ولكن بما هو أشد وأقوى.

وخامساً: لأن هذه القصة بالذات كانت مصدر الوحي الرئيسى لكثير وكثير جداً
ثار على الساحة المصرية فى السنوات العشرة الأخيرة من غبار ورمال وحجارة
ملأت الأجواء وحجبت الرؤية.

وسادساً: وهذا سبب مباشر - فقد شأنت لى الظروف أن أكون متابعاً لمعظم
فصولها.. وكنت قريباً من خشبة المسرح الذى دارت عليه وقائعها من الناحيتين:
مقاعد المتفرجين أمام الخشبة، والكواليس وراءها. وهكذا لم أكن مجرد مشاهد وإنما
كنت شاهداً.



ولقد ترددت بين أسلوبين فى تناول الموضوع.
هل أكتبه على شكل دراسة أم أكتبه على شكل تجربة ذاتية.
لكنى وجدت أن الدراسة سوف تقتضىنى فى النهاية إصدار أحكام، وأنا أؤثر أن
أترك الأحكام للناس وللتاريخ.

ومن ناحية أخرى فقد كان شكل التجربة الذاتية ينطوى على كثير من المحاذير.
منها أن تبدو القصة - وقد كنت طرفاً رئيسياً فيها - قضية شخصية.
صراع حيتان هائجة فى البحر حولته بجراحها إلى بقعة حمراء من الدماء.
أو تسوية حسابات قديمة كان يجب أن تذهب إلى زوايا النسيان، لكن نوازع
النفس - والنفس بالسوء أمارة - أعادت بعثها مرة أخرى إلى الحياة.
وأقول - صادقاً - إن ذلك كله ومثله ليس صحيحاً.

لا هو صراع حيتان هائجة ولا هى تسوية حسابات قديمة، وإنما هى - كما قلت -
واحدة من أغرب القصص فى علاقة الصحافة بالسياسة فى مصر... ثم إنها
ما زالت مستمرة فى تأثيرها تتواصل كل صباح.

وربما كانت حساسيتى من الظنون - صراع الحيتان أو تسوية الحسابات - هى

التي جعلتني أحتكم للوثائق. فلا أظن أن كتاباً صدر باللغة العربية حوى هذا القدر من الوثائق الأصلية كما كتبها أصحابها وبخط أيديهم.

ولقد كان ذلك ضرورياً لسبب آخر وهو أن الكلام زاد حتى فقد مصداقيته. ابتذل الحرف وامتتهنت حرمة الكلمة. ولم يعد هناك من هو مستعد أن يسمع من غيره قولاً مرسلاً على عواهنه بغير دليل مهما كان القائل وأيا كان موقعه، فلقد ظهر أن الكبار الكبار يكذبون، ثم إن الكذب أصبح الصناعة الثقيلة الوحيدة في عصر الانفتاح الاستهلاكي.

ولعل مشكلتي مع بعض الناس أو مشكلة بعض الناس معي أنني لا أعتمد على الذاكرة لا أعطى مساحة الفراغات فيها بما ينسجه الخيال والتمنى. فأنا أعرف كم هي ضعيفة ذاكرة البشر أمام الأيام وأمام الأهواء، وهكذا فإنني كنت طول عمري أسجل وأكتب وأحتفظ بكل ورقة أشعر أن ملف التاريخ الذي عشته قد يحتاجها في يوم من الأيام!

ولعل هنا أتقدم بعرفان بالجميل عميق إلى كل هؤلاء الذين صانوا مجموعة أوراقى وحافظوا عليها بمزيج من الحرص والحب.

والى جانب الوثائق فلقد تحرزت في كل ما قلت: إذا كان لدى نص مسجل لحديث أسندت القول إلى صاحبه، إسناداً صريحاً، وإذا كان ما لدى مجملاً أوردت الحديث بغير إسناد صريح.



ولا بد أن أعترف أن تجربة هذا الكتاب كانت مرهقة.

فلقد آثرت أن أروى القصة كما عشتها، ومعنى ذلك أن الكتاب في جزء منه يمكن أن يبدو وكأنه تجربة ذاتية، وليس في هذا بأس ما دام الموضوع عاماً ووقائعه جزء من التاريخ، ثم إن الدخول إليه هو من باب الشهود وليس من باب القضاة.

لكن البأس يجيء من عدة جوانب أخرى.

جانب منها - مثلاً - أن العودة لكتابة القصة كانت على نحو أو آخر استعادة
لنأخها وأجوائها بكل ما فى ذلك من عبء نفسى وعاطفى .

(ولم يكن من ذلك مهرب !)

وجانب منها - مثلاً - أن لا يتحول الكتاب إلى مرافعة أدافع فيه عن نفسى ضد
حملات شعواء اتهمت فيها بأننى أردت أن أكون الصحفى الأوحى فى مصر، وأننى
هدمت أهرام الجيزة لأنقل حجارتها وأقيم فوقها مبنى الأهرام !!

(لو كان حافز الدفاع عن النفس ضمن حوافزى كان عليه أن يحركنى منذ
سنوات على الأقل منذ عشر سنوات).

وجانب آخر منها - مثلاً - وخصوصاً أن أسلوب الكتابة هو أسلوب التجربة
الذاتية ومعايشة الموضوع يوماً إثر يوم - أن الانزلاق يمكن أن يجىء لا شعورياً،
فإذا حديث الموضوع يتحول إلى حديث عن الذات.

(لابد من الحذر .. ومع ذلك فليكن عذرى مقدماً إزاء أى خطأ: بأن البشر بشر).

وجانب أخير منها - مثلاً - هو محذور التبرير للنفس وادعاء الصواب فى كل
موقف.

(أدرت اهتمامى عن هذا الجانب سريعاً لأن سياق الكتاب كله يكشف - مع أشياء
أخرى - أننى كنت على خطأ فى جوانب متعددة من هذه القضية، وأن جمال
عبد الناصر كان هو الأصوب تقديراً والأدق حساً).



وفى بعض اللحظات فكرت أن أعطى ما عندى لغيرى ليكتب هو وأعفى أنا
نفسى من الحرج ومن العناء ومن المحذور!

ولقد كان ذلك ما فعله آخرون. تواروا خلف واجهات. وحرصوا غيرهم وابتعدوا
هم. وألفوا الكتب ووضعوا عليها أسماء مستعارة!

ولم أجد أن ذلك منهجاً مقبولاً بالنسبة لى رغم أن كثيرين تطوعوا بكرم للتصدي.

كان رأى أننى إذا قررت الكلام يوماً فلا بد أن يكون صوتى هو المسموع وقلمى هو الذى يكتب.

وقد أكون مخطئاً وقد أكون على حق - وهناك بالتأكيد من هم أكفأ وأقدر منى - ومع ذلك يظل اعتقادى أن الذين رأوا هم الذين يستطيعون أن يرووا خصوصاً إذا التزموا بصدق الرواية وألزمتهم الوثائق بصدق القصد.



ملاحظة أخرى أظن أن قارئ هذا الكتاب سوف يلحظها فى أجزاءه الأولى وهى ما قد يبدو له بطاءً فى إيقاع الحوادث، وذلك شىء لم يكن منه مفر - فقد كان ضرورياً تقديم أرضية وخلفية عامة للمسرح الذى جرت عليه الوقائع.

ومن ناحية أخرى فلقد أردت - والكتاب يتبع أسلوب التجربة الذاتية فى كتابته - أن تظهر وتتفتح مناظر القصة ومشاهدها أمام القارئ كما جرت أمامى، ثم أن تفصح الوقائع عن مكنوناتها وتفضى بأسرارها على النحو الذى وقعت به فعلاً أثناء متابعتى لها.

تجىء مسألة أخرى أراها أساسية - قبل نهاية هذه المقدمة - تلك هى أننى لا أريد أن تشط الظنون بأحد منهم إلى التعميم الجزافى فيتصور أن هذه هى كل قصة الصحافة والسياسة تروىها صفحات هذا الكتاب. وذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة، ثم إنه أبعد ما يكون عن هدفى.

إن الصحافة المصرية - والعربية - لعبت فى بلادنا أدواراً بالغة الأهمية والجلال، ولا يمكن لأحد أن يأخذ بقعة داكنة على صورة، ثم يتوهم أن هذه هى الصورة كلها.

إن هذه المسألة وضعتنى فى موقع الحرج حتى وأنا أحاول اختيار عنوان هذا الكتاب. ولقد ترددت كثيراً قبل أن أستقر على عنوانه العام «بين الصحافة والسياسة»، فلقد خشيت أن يؤدى هذا العنوان إلى تعميم لم أقصده. ولقد حاولت أن أجد له بدائل، وفى لحظة من اللحظات فكرت فى عنوان «الجانب الآخر من القمر»

إشارة إلى الجانب المظلم فى كتلة مضيئة، ثم عدلت عن هذا العنوان فقد أحسست أنه قد يكون قصصياً وأنا لست من مدرسة هؤلاء الذى يحولون السياسة إلى قصص، والقصص إلى سياسة، ثم إن مذهبى فى الكتابة ليس التعميم الذى يحتمل كل التأويلات عند اللزوم، ولكنه التحديد الذى يلزم صاحبه بمسئولية ما يكتب. خطأ ظهر أو صواباً. وفكرت مرة أخرى فى عنوان «مصادر النيران ضد جمال عبد الناصر»، لكنى أحسست أن هذا العنوان قد يعطى انطباعاً بأننى أخوض معركة للدفاع عنه، وليس ذلك مقصدى.

وأخيراً استقر رأى على العنوان الذى ظهر فعلاً على غلاف هذا الكتاب «بين الصحافة والسياسة»، واعتبرت أن كلمة «بين» تعطى الانطباع بعلاقة محددة وقصة محصورة بظروفها.



وبعد.. فلعل الوقت قد جاء لأبتعد عن هذه الوقفة - المقدمة - بين قارئ هذا الكتاب وبين صفحاته. وأن أترك الحكم له راجياً أن أجده معى عندما تثور الرياح على وتزأر العواصف.

وربما أضيف خاطراً واحداً فى النهاية.

ليس هدفى من هذا الكتاب أن يصبح واحداً من أكثر الكتب رواجاً، وإنما سوف أشعر أننى حققت رسالته كاملة إذا امتدت به يدى فوضعتة على رف من مكتبة التاريخ، وليبق عليها إلى ما شاء الله من السنين. المهم أن يوضع فى مكانه وأن يوضع فى أوانه. وحتى تجىء أجيال تحقق وتدقق وتقارن، ثم تعرف وتحكم ويفعل الله ما يشاء ويختار!

محمد حسنين هيكل

الجزء الأول

الأضواء والظلال

«إن رأى أى إنسان فى أى قضية لا يمكن أن يكون أفضل من نوع المعلومات التى تقدم إليه فى شأنها.

أعط أى إنسان معلومات صحيحة ثم اتركه وشأنه، سيظل معرضاً للخطأ فى رأيه ربما لبعض الوقت، ولكن فرصة الصواب سوف تظل فى يده إلى الأبد.

احجب المعلومات الصحيحة عن أى إنسان أو قدمها إليه مشوهة أو ناقصة أو محشوة بالدعاية والزيف - إذن فقد دمرت كل جهاز تفكيره - ونزلت به إلى ما دون مستوى الإنسان».

(آرثر سالزبورجر)

مؤسس جريدة نيويورك تيمس)

الفصل الأول بداية طريق

كانت مصر كلها فى حالة فوران.

وكانت حالة الفوران ترتفع أحياناً إلى درجة الغليان . ثم يهدأ البخار وتعود الفقاقيع إلى الظهور على سطح الحياة تنبئ بأن أشياء تجرى عند القاع وتتفاعل . أفكار وتيارات وقوى ومصالح تحتك ببعضها وتصطدم أحياناً . وتحدث من أثر ذلك شحنات تتراوح حركتها وطاققتها وتتفاوت بمقدار ما تتأثر بما يجرى على السطح من أفعال وردود أفعال .

تلك كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة .

كانت تلك الحرب قد ربطت مصر نهائياً بالعالم الخارجى بقواه وأفكاره :

● من ناحية أخرجتها من قوقعة العلاقة الثنائية بينها وبين بريطانيا : الاحتلال أو الحماية أو معاهدة سنة ١٩٣٦ .

● ومن ناحية أخرى أخرجتها أيضاً من ثلاثية الصراع على السلطة الداخلية فيما بين السفارة البريطانية (القوة الأجنبية الغالبة) ، والقصر الملكى (ووراءه أحزاب الأقلية) ، والرأى العام الوطنى الواسع المشاع بالدرجة الأولى لحزب سياسى واحد (الوفد) .

كانت الحرب قد غيرت كل موازين القوى العالمية والإقليمية المحيطة بمصر ، ونقلت الشرق الأوسط من حزن إمبراطوريتين لحقتهما الشيخوخة (بريطانيا

وفرنسا). ووضعته في قلب الاستراتيجيات العالمية، حيث دخلت إلى حلبة الصراع امبراطوريتان في عنفوان القوة بالموارد والعقائد (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي).

وكانت الحرب أيضاً قد جعلت من مصر ساحة من أهم ساحات القتال، وعلى أرضها دارت واحدة من أشهر معاركه وهي معركة العلمين. وتدفقت على الأرض المصرية جيوش كان دخولها كهبوب العواصف ودارت مواقع مشهورة ارتجت تحتها الأرض كأنما أصابها الزلزال، وسالت دماء كثيرة كأَنْهار من النار ذابت فيها كتل الحديد.

ولم تكن الجيوش الزاحفة والمعارك الدائرة وأنهار الدم الساخنة مجرد حركة وأصوات وألوان، وإنما كانت جميعاً رموزاً للصراع عالمي هائل ومهيب لا يكتفى بتسوية حسابات مرحلة من التاريخ مضت، وإنما يفتح الباب لمرحلة من التاريخ تجيء، مزدحمة على الآخر بمجموعات قيم جديدة ومبادئ واتجاهات ومواقف ومطالب كانت هي في الواقع دافع الحرب ووقودها.

وكان هناك شيء آخر يضاف إلى هذا كله، وهو الإحساس العام في الدنيا بأسرها بأن تلك الحرب التي خفتت أصدائها وخبت نيرانها وابتعدت أهوالها قد تكون آخر الحروب العالمية، لأن القنبلة الذرية التي تفجرت فوق هيروشيما صباح يوم ٦ أغسطس ١٩٤٥ قد غيرت كل شيء.

كانت مصر إذن في حالة فوران.

راحت تبحث عن مكانها في الدنيا الجديدة تتنازعها مطالب الاستقلال وأطياف الوحدة العربية وغوايات الأحلاف في عصر الدفاع المشترك، إلى جانب تصورات مثالية عن الأمم المتحدة ومبادئها ومواثيقها.

وفي نفس الوقت راحت مصر تبحث داخل نفسها، تفتش عن النظام الأكمل الذي يمكن أن تقيم عليه حياتها بعد أن اتضح لها - بشواهد كل يوم - أن النظام

الملكى شبه الإقطاعى - والطبقة المتوسطة من كبار ملاك الأرض تحته - لم يعد كافياً كأساس لسلطة الحكم فيها، وتواردت أمامها الصور والرؤى وهى تفتش وتقلب، وراودتها أحلام واسعة فى الديمقراطية والعدل الاجتماعى، وكانت تلك هى الفترة التى قرأت فيها مصر مشروع بيفردج الذى تقدمت به وزارة حزب العمال الاشتراكية فى بريطانيا بعد أن دفعتها إلى السلطة أصوات المقاتلين العائدين من ميادين القتال، وكانت هذه هى الفترة التى اطلعت فيها مصر لأول مرة بطريقة مفتوحة على المانيفستو الشيوعى الذى كتبه ماركس وانجلز تبشيراً بنظام اجتماعى مبرأ من الاستغلال، وكانت تلك هى الفترة التى شهدت فيها مصر نمو حركة الإخوان المسلمين تعبيراً عن إلحاح تاريخى طويل بأن البحث عن حل جديد لا يمكن أن يدور بعيداً عن ذلك الإطار الدينى الأصيل.



كان ذلك هو حال مصر فى تلك الفترة، وكان ينعكس على أحوال أهلها، وكان أكثر ظهوره على شبابها، ولم أكن بالطبع بعيداً عن المجموع.

وفى هذا المناخ العالمى والوطنى والإنسانى دخلت أخبار اليوم لأول مرة فى ربيع سنة ١٩٤٦.

لم أكن موجوداً حين أنشأها الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى نوفمبر سنة ١٩٤٤.

ولم أكن منتمياً إلى المدرسة الصحفية، التى ظهرت مع إنشائها.

كنت قادماً إليها من خلفية مغايرة وتجربة مختلفة، وكان قدومى إليها فى ظروف غريبة.

أما الخلفية فقد كانت تتمثل فى أننى قضيت فترة التكوين المهنى الأولى ١٩٤٢ - ١٩٤٤ فى جريدة «الإجيبشيان جازيت»، وكانت وقتها أكبر الصحف الأجنبية التى تصدر فى مصر عن شركة الإعلانات الشرقية التى تملكها أسرة «فينى». وكان

التحاقى للتدريب بها فرصة أتاحها لى ولثلاثة^(١) غيرى من الشباب الناشئ واحد من خيرة محرريها وهو «سكوت واطسون»، كنا بين الجالسين أمامه فى محاضرة عن «عناصر الخبر» وإذا به يتطرق من موضوع محاضرتة إلى ذكرياته أيام كان مراسلاً فى الحرب الأهلية الإسبانية، وكنا نستمع إليه فى انبهار وشبه خشوع، فلقد طاف بنا فيما يشبه الملحمة بين تضاريس ومعالم تلك الحرب التى انقسمت أوروبا بسببها بين الفاشية والديمقراطية. وحين ختم محاضرتة كانت دعوته لمن يريد منا أن يتدرب عملياً أن يلقيه فى اليوم التالى بمكتبه فى «الإجيشيان جازيت». وفى اليوم التالى وقبل أن يصل هو إلى مكتبه كنا نحن الأربعة قد سبقناه إليه ننتظر.

وهكذا وجدت نفسى فى جو الصحافة العملية لأول مرة أعمل بين رجلين كان لهما تأثير واضح على نشأتى الصحفية الأولى: «سكوت واطسون» نفسه، وكان إلى جانب كفاءته المهنية مثقفاً يسارياً صاغته تجربة الحرب الأهلية فى إسبانيا بكل عناصرها الفكرية والإنسانية العظيمة، ثم «هارولد إيرل» رئيس تحرير «الجازيت» وكان صحفياً كلاسيكياً قديراً يعمل فى نفس الوقت مراسلاً لجريدة المانشستر جارديان فى مصر.

ولقد بدأت مساعد مخبر صحفى فى قسم الحوادث وظللت فيه قرابة سنة حتى جاءنا، هارولد إيرل، باقتراح مثير.

دعانا إلى مكتبه يوماً - نحن الشبان الأربعة - يقول لنا إن هناك حرباً تجرى على أرض مصر، ومع ذلك فإن أحداً لم يصفها بعين مصرية ولم يكتبها بقلم مصرى. ثم سألنا هل فينا من هو مستعد للمخاطرة فى تجربة جديدة وعلى مسئوليته وحدها. وتحمست للتجربة، ولعلنى فى ذلك كنت متأثراً بإعجابى «بواطسون» وتجربته فى الحرب الأهلية الإسبانية.

(١) الأصدقاء ميخائيل فلتس وإكرام عبد المجيد ويوسف صباغ، وكان يوسف هو الوحيد الذى أكمل مشوار المهنة إلى آخره فزاملنى فى آخر ساعة، ثم أصبح معى مساعداً لمدير تحرير الأهرام فيما بعد.

وهكذا بعد شهر وجدتني في العلمين شاهداً مصرياً على الحرب العظمى الثانية، وأعترف أن تجربة العمل كمراسل حربي قد استهوتني.

ومن قبل، وأثناء عملي في قسم الحوادث بدت لي الجريمة وكأنها ذروة المأساة الإنسانية على مستوى الفرد. فعندما يعجز شخص عن حل تناقضاته مع الآخرين بالعقل فإنه يلجأ للعنف. وفي تجربتي الجديدة بدت لي الحرب وكأنها ذروة المأساة الإنسانية على مستوى الشعوب والأمم. فعندما يعجز مجتمع عن إدارة صراعاته بالعقل مع مجتمعات أخرى غيره. يكون التجاؤء إلى القوة.

وأحسست - بخيالي الشاب وقتها - أن الظروف أتاحت لي أن ألمس بأطراف أصابعي مأساة الإنسان والإنسانية وعند الذرى العالية لهذه المأساة.

وكان جو القاهرة في تلك الأيام معجزة من معجزات التاريخ لا تتكرر بسهولة. كان البحر الأبيض هو بؤرة الحرب، وأصبحت القاهرة بشكل ما عاصمة الحرب وعاصمة العالم. كانت كل عواصم الشمال الكبرى في أوروبا - لندن وباريس وروما وغيرها - مكشوفة لحريق القنابل أو مكبوتة بظلام الاحتلال. والقاهرة وحدها في مركز فريد. قريبة من بركان الحرب بدرجة كافية - وبعيدة في نفس الوقت عنه بدرجة كافية، وأصبحت ملتقى النخب من كل نوع: قادة الحرب في السياسة وفي ميادين القتال يعيدون بقراراتهم كتابة المقادير. صحفيون ومراسلون رفعتهم الكلمة إلى مصاف النجوم. كتاب ومفكرون وفنانون ولاجئون وثوار من كل جنس ومذهب واتجاه، يحلمون بعالم جديد بعد الحرب ويظنون أنهم يرونه في لحظة الخلق الأولى هناك عند الينابيع المقدسة التي طهرتها النار.

ولم أكن أعيش في هذا الجو فقط، ولكنني كنت أكله وأشربه، وأصحوبه وأنام. وكان النوم عزيزاً في تلك الأيام، فقد كنت أشعر شعوراً غامراً أن المقادير أتاحت لي أن أكون في وسط لحظة تاريخية لا تعوض. لم نكن نستطيع أن نذهب إلى العالم، وهذا هو العالم يجيء إلينا بحروفه وكلماته... بكتبه وأناشيده... بأفكاره وأحلامه وأوهامه أيضاً.

تلك كانت الخلفية المغايرة.

وفى أعقابها جاءت التجربة المختلفة. بدأت بمحض مصادفة وكانت نقطة تحول.



دخلت مكتب رئيس التحرير «هارولد إيرل» لشأن من شئون عملى، وكان عنده زائر قدمنى له: «الأستاذ محمد التابعى صاحب مجلة آخر ساعة ورئيس تحريرها»، وبدالى أن الأستاذ التابعى قد تابع بعض نشاطى أو أن «هارولد إيرل» قد حدثه عنه. وكان الأستاذ التابعى رقيقاً معى ومجاملأ.

وفى اليوم التالى اتصل بى يدعونى إلى لقاء معه. وذهبت.

وسألنى الأستاذ التابعى «كيف أرى مستقبلى؟».

وكان السؤال مفاجئاً، فلقد كنت أتصور أن عملى فى «الجازيت» يكفينى، ولكن الأستاذ التابعى كان له رأى مختلف:

«مهما فعلت فى الجازيت فإن المستقبل محصور وضيق فهى جريدة تصدر فى مصر بلغة أجنبية». ثم «إن توزيعها بعد الحرب سوف يتقلص بالطبيعة ويعود إلى بضعة ألوف بدلاً من عشرات ألوف».

ثم أضاف الأستاذ التابعى: «صحفى مصرى مجاله فى الصحافة المصرية باللغة العربية^(١) وبقرائه فيها... هذا هو المستقبل». ثم رفع سيجارته المنتصبة فى مبسمها الذهبى بين شفتيه، وراح ينظر إلى بعينه اللتين يختلط فيهما الرمادى

(١) لم أكن غريباً عن أجواء الصحافة العربية، فقد كنا فى تلك الأيام نذهب مع الأستاذ «فيليب حنين» رئيس قسم الشئون المحلية فى الإيجيشيان جازيت للغداء فى مطعم «البريزيانا» القريب من الجريدة. وكانت السيدة «روزاليوسف» الفنانة والصحافية الكبيرة تتردد على هذا المطعم. وقدمنا إليها الأستاذ فىليب حنين، ثم لقيناها أكثر من مرة، وكانت هذه السيدة ذات الشخصية القوية كريمة فى تشجيعها لصحفيين مبتدئين، ودعتنا إلى ملئتها مرات، ثم دعتنا إلى مجلتها، وهناك كان لقائى الأول مع الصحافة العربية.

والأخضر والأزرق، وقد تدلت نظارته على أنفه وامتد بصره إلى من فوق إطار النظارة.

وهكذا انتقلت من الجازيت إلى آخر ساعة.

ولم يكن الانتقال سهلاً.. ففى حين أن رئيسى الأول «هارولد إيرل» رأى أن «الجريمة» و«الحرب» هما مجال «التكوين» الأصلح والأمثل لصحفى، فإن رئيسى الثانى «محمد التابعى» كان يرى أن «المسرح» و«البرلمان» هما المجال الأنسب والأوفق.

ولبضعة أسابيع وجدت نفسى فى كواليس مسارح القاهرة بدلاً من ميادين القتال، ثم وجدت نفسى فى شرفة مجلس النواب بدلاً من محافظة القاهرة التى تصب فيها أخبار كل جريمة تحدث فى مصر.

وربما كان الأستاذ التابعى على حق على الأقل فيما يتعلق بمجلس النواب، فلقد أتاح لى مقعد آخر ساعة فى شرفة المجلس أن أقترّب من أجواء السياسة المصرية.

وكانت تجربة العمل مع الأستاذ التابعى ممتعة. وأشهد أنى تعلمت منه الكثير. ولقد وجدتني شديد الإعجاب بأسلوبه الحلو السلس. وفى البداية رحت أقلده.

وفى الحقيقة كانت تلك الفترة، مهنياً، فترة العثور على توازن معقول بين ثلاثة تأثيرات واضحة: عقلانية «هارولد إيرل» ورومانسية «سكوت واطسون» ثم حلاوة أسلوب «محمد التابعى».

كانت آخر ساعة فى ذلك الوقت مجلة وفدية، وفى أجوائها وجدت نفسى بحكم طبيعة المصادر المتاحة أقرب إلى الوفد، مع إحساس غالب بأن ذلك مجرد تأثير مناخ وليس نتيجة مؤكدة لاختيار وقرار.

وكان الوفد قد خرج من الحكم بإقالة ٨ أكتوبر ١٩٤٤ الشهيرة. وأصبحت

آخر ساعة فى المعارضة أمام حكومة ائتلاف أحزاب الأقلية التى شكلها الدكتور أحمد ماهر (باشا) - رئيس حزب السعديين - تحت جناح القصر.



وصدرت مجلة أخبار اليوم الأسبوعية بعد شهر واحد من إقالة النحاس. وكان صدورها ونجاحها حدثًا صحفيًا ضخمًا، وكذلك كان حدثًا سياسيًا. ولقد كان واضحًا أن النجاح الفورى الذى حققته مجلة أخبار اليوم يرجع إلى عاملين. أولهما سلسلة المقالات المثيرة التى راح الأستاذ مصطفى أمين لعدة شهور يكتبها تحت عنوان عام يقول «لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟». كانت مقالات حافلة بالأسرار والحكايات والقصص. ومشوقة إلى أكبر حد. والعامل الثانى، والفضل فيه للأستاذ على أمين، أن شكل أخبار اليوم وترتيبها بدا جديدًا أمام القارئ المصرى. ومع أنه كان استيحاء مباشرًا لشكل وترتيب جريدة «الصنداي إكسبريس» البريطانية إلا أن القارئ المصرى رحب به وارتاح له^(١).

وفى كل الأحوال فإن أخبار اليوم أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة إلى الوفد تلك مواقعه دكا عنيفًا صباح كل سبت.

كان الوفد فى موقف لا يحسد عليه: مطرود من الحكم بالإقالة.. ومحاصر تحت دك المدفعية الثقيلة بأخبار اليوم.

ويبدو لى أن هذا بعض ما حفز الأستاذ التابعى فى ذلك الوقت إلى محاولة أخيرة لتطویر آخر ساعة حتى تستطيع أن تقف مع الوفد فى وجه المدفعية الثقيلة

(١) كان تأثير «صحافة بيفربروك» أساسيًا على أخبار اليوم، ليس فى الشكل فقط ولكن فى المحتوى أيضًا، والعنصر البارز فيه ذلك المزيج من «التسلية الترفيحية» والإعلام الدعائى». (هذا الوصف لـ «صحافة بيفربروك» للصحفى البريطانى الكبير «هارولد إيفانز» رئيس تحرير «التيمس» السابق، وقد ورد فى كتابه الأخير «أوقات طيبة... أوقات سيئة».)

الجديدة. وربما كانت هناك أسباب أخرى منها أن التابعى كان يعتبر نفسه أستاذًا لمصطفى وعلى أمين، وربما شق عليه معنويًا أن يرى مجلة أسبوعية سياسية جديدة يصدرانها تسبق مجلته وتفوقها بكثير من نواح عدة.

ومع أنى كنت قد أصبحت سكرتير تحرير آخر ساعة، فإن عملية التطوير الجديدة تولاهما التابعى بنفسه، وظلت معظم بنودها فى رأسه ينفذها واحدًا بعد واحد. ولقد كانت لى - بغير تجاوز - آراء وملاحظات، لكن التابعى كان بعواطفه كلها مندفعًا إلى ما يراه. ومن سوء الحظ أن التجربة لم تنجح. وفوق ذلك فإن مصروفات آخر ساعة - بحكم وجوه الإنفاق على مشروع التطوير - زادت بأكثر من توقعات التابعى، إلى جانب أن الشحنة العاطفية التى دفعت محاولة التطوير كانت قد استنفدت نفسها. وهكذا قرر التابعى - ربما فى نوبة ملل أو نوبة يأس - أن الوقت قد حان ليرفع عن كاهله أعباء ملكية مجلته.

ودارت مفاوضات لم أعرف أمرها فى حينها، حتى دعانى التابعى ذات يوم فى بداية سنة ١٩٤٦ ليقول لى كل الأسرار مرة واحدة.

«لقد قرر أن يبيع آخر ساعة.. وقد اتفق على بيعها فعلاً.. والمشتري الجديد هو أخبار اليوم... الأستاذان مصطفى وعلى أمين».



كانت العلاقة بين الأستاذ التابعى وبينى قد أصبحت علاقة حميمة، وكنت فيما أظن أقرب تلاميذه إليه، ولعلى كنت آخرهم، وكان شديد التقدير لعملى، ثم إنه كان يعتبرنى «اكتشافًا» قام به هو شخصيًا. وكانت هذه العلاقة تسمح لى أن أتحدث إليه بغير حواجز. وأحسب أنه دهش لموقفى صباح ذلك اليوم الذى أفضى فيه إلى بكل الأسرار مرة واحدة. ربما كان يتوقع منى رأيًا مخالفًا لتصرفه أو عتابًا لأنه لم يطلعنى على ما فعل فى حينه. ولم يكن ذلك موقفى، فقد كنت أحس بأزمة الرجل نفسيًا وماديًا، وأدركت فى لحظة أنه لم يكن ليصل إلى هذا القرار إلا وقد ضاقت به السبل - على الأقل فى إطار ما رآه.

وقلت له ما معناه «إننى مع أسفى لانتقال ملكية آخر ساعة منه إلى غيره - إلا أننى أستطيع فهم دواعيه وما دام الاتفاق قد تم وانتهى أمره، فلا فائدة من اجترار الكلام، وإنما المهم أن يتم الانتقال بالطريقة اللائقة».

وكانت هناك مفاجآت أخرى.

قال لى الأستاذ التابعى فجأة:

«إنهم يريدون أن أعمل معهم.. أكتب مقالاً أسبوعياً فى أخبار اليوم».

ولم تكن هذه نهاية المفاجآت، فقد أضاف الأستاذ التابعى:

«وهم يطلبونك أيضاً.. لقد أصرروا عليك بالتحديد».

ولم أملك نفسى لحظتها من أن أسأله عن «نوع الاتفاق الذى عقده وما إذا كان من نوع عقود الإقطاع الروسى قبل الثورة، حينما كانت الأرض تباع بما عليها ومن عليها؟».

وما زلت نادماً على هذه الملاحظة حتى الآن، فقد أحسست أننى أخرجته، ولقد تغلب على الحرج بسرعة وقال: «إنهم لا يريدون من كل طاقم آخر ساعة إلا أربعة بالتحديد، هو (التابعى) وأنا، وصاروخان والدكتور سعيد عبده»^(١). وقلت له «إننى أريد أن أفكر فى المسألة كلها ثم نعود لاستئناف الحديث فيما بعد».

ولم تبق الأسرار أسراراً.

وفى مصر عادة ليس هناك سر، ومن باب أولى فى الصحافة المصرية.

وهكذا فإن ما سمعته همساً من الأستاذ التابعى فى الصباح ما لبث أن أصبح حديثاً شائعاً فى المساء.

وبدأ إيقاع الحركة يزيد.

(١) «صاروخان» رسام كاريكاتور شهير. والدكتور «سعيد عبده» طبيب هوى الكتابة، وكان أحسن من كتب الزجل السياسى فى مصر فى الثلاثينات والأربعينات.

اتصل بى مساء نفس اليوم الأستاذ إميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال ودعاني للقاءه، وإذا هو يعرض على رئاسة تحرير مجلة الاثنين، وكانت مجلة سياسية تصدر وقتها عن دار الهلال، وفيم سبق كان رئيس تحريرها هو الأستاذ مصطفى أمين، وفي عهده بلغت أوج انتشارها وبعد خروجه منها - نوفمبر ١٩٤٤ - تولاها غيره وتأثرت أحوالها.

وشكرت للأستاذ إميل زيدان عرضه وفضله راجياً منه أن يترك لى فرصة التفكير أياماً قليلة أعود إليه بعدها.

وفكرت وأطلت التفكير وأحسست أنني أقرب إلى قبول عرض الأستاذ إميل زيدان لأكثر من سبب. بينها أن صورة عقد شراء للأرض وما عليها ومن عليها، كانت تلوح أمامي بين الوقت والآخر. ومن ناحية ثانية فإن «مجلة الاثنين» بدت لى تحدياً مستقلاً، وأعترف أيضاً أن رئاسة تحريرها بدت فى ذلك الوقت إطراء لخيلاء الشاب فى. فها هى رئاسة تحرير مجلة سياسية من مجالات الدرجة الأولى تعرض على، وأنا لم أتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين.

كذلك دارت أفكارى، وعلى هذا النحو كادت تستقر عندما ذهبت إلى آخر ساعة مبكراً كالعادة صباح اليوم التالى. وحينما عرفت أن الأستاذ التابعى قد وصل واستقر فى مكتبه، قصدت إليه ورويت له تفاصيل لقاى مع الأستاذ إميل زيدان، ثم أظهرت له اتجاهى إلى قبول عرضه.

والحق أنني كنت أتصور أن الأستاذ التابعى سوف يوافقنى على رأى خصوصاً أنني فى سرى تخوفت للحظة أن يكون هو الذى عرض اسمى على الملك الجدد. لكنى وجدته يقول لى:

راجع نفسك.. إن مجالك سوف يكون أوسع وأرحب فى أخبار اليوم..

ثم أضاف بصوت مشحون بالتأثر والكبرياء معاً «أنه لا يريدنى أن أتركه وحده» وخصوصاً «أنهم» متمسكون بى.

ولم يتوقف سيل المفاجآت، فإن باب مكتب الأستاذ التابعى انفتح فجأة ودخل منه أحد الملاك الجدد: الأستاذ على أمين.

لم أكن قد لقيته من قبل، ولكنه أقبل علىّ فاتحاً ذراعيه يقبلنى على الخدين، ويقول لى إنه لا يهتئنى بانضمامى - إلى أخبار اليوم، ولكنه أيضاً يهنئ أخبار اليوم بانضمامى إليها.

ولم أكن أعرف بعد أننى انضممت إلى أى شىء، وربما لاحظ هو آثار الدهشة علىّ فقال على الفور، والحماسة ظاهرة فى صوته، إنه كان يتابع عملى وكان يتمنى، أن أعمل معه فى أخبار اليوم لكنه لم يشأ فيما مضى أن يحرم الأستاذ التابعى من جهودى، وها هى الظروف تتيح لنا كل الفرص مرة واحدة.

وتطوع الأستاذ التابعى ليحدثه عن عرض دار الهلال بأن أتولى رئاسة تحرير مجلة «الاثنين». وهز على أمين رأسه بشدة نفياً ورفضاً، وقال «مكانه الحقيقى معنا فى أخبار اليوم».

وأردت أن أخرج من المكتب لأترك المالك السابق والمالك اللاحق وحدهما يدبران أمورهما، وإذا الأستاذ التابعى والأستاذ على أمين يلحان أن أبقى معهما لمناقشة تفاصيل الانتقال، ولم أجد أن ذلك يربطنى بشىء فبقيت... وناقشت.

وذهبت إلى الغداء مع الأستاذ التابعى فى بيته... واستأنفنا الحديث بعد الظهر، ثم فى المساء وحتى آخر الليل، وأدركه النعاس قبل الفجر فدعانى إلى أن أستريح حتى الصباح فى غرفة نوم إضافية بجوار غرفته... وفعلت.

ولم أنم ولا استرحت.

الفصل الثانى

البحث عن المتاعب

باختصار..

وجدتني أعتذر للأستاذ إميل زيدان.

ووجدتني في دار أخبار اليوم محرراً فيها وسكرتيراً لتحرير آخر ساعة في نفس الوقت، وكانت يومها تشغل دوراً على السطح في عمارة تملكها إحدى شركات التأمين في شارع قصر النيل.

ثم تعرفت على الأستاذ مصطفى أمين، قدمني إليه توأمه على أمين.

وتعرفت بمحررى أخبار اليوم. وجلست إلى مكتب في واحدة من حجراتها. ورحت أتأقلم مع عالمي الجديد، ولم تكن العملية سهلة، وإن كانت نتائجها سعيدة بالنسبة إلى وبالنسبة إلى كل الأطراف فيما أظن.

بالطبع كانت هناك فترة ملائمة، وأكاد أقول فترة احتكاك، لكنها مرت.

كان الجو العام في أخبار اليوم غير مستعد على الفور لقبول واستيعاب غرباء من الخارج. وكانت تلك مسألة أسابيع، ثم تحقق الاندماج. وللحق فإن الأستاذ كامل الشناوى كان صاحب الفضل الأكبر فيه. كنت أعرفه من قبل. جلست إلى جواره مرات في شرفة الصحافة في مجلس النواب واستهوتني شخصيته. شاعر وكاتب. محدث وراوي. فنان قلب نواميس الكون، فإذا النهار نوم وإذا الليل يقظة ومغامرات وحكايات لا أول لها ولا آخر.. ومع اختلاف شخصية كل منا وربما بسببه فقد انشد كل منا إلى الآخر. والتناقض أحياناً عنصر جذب. وكنت أتهمه

«بالبوهيمية» وهو يتهمنى «بالنظام»، وكنت أراه يهدر ثلاثة أرباع وقته، وكان يرى أن الحياة أجمل من أن تضيق فى العمل. وكان كامل على علاقة حب دائمة مع الحب نفسه، فقد كانت له حكاية غرام كل ليلة، وكانت كلها غراميات يائسة تلهمه قصائد حلوة، فإذا جاء الصباح وسطعت الشمس تبدد غرام الليل وبقيت منه القصيدة الحلوة نسمعها منه ونستعيد سماعها عندما تهدأ الأحوال، وتتيح لنا الظروف أن نسعى إلى غرفة مكتبه... ملتقى الجميع بدفئتها الذى يذوب فيه الصقيع.

وكان الأستاذ على أمين كتلة متحركة من الحيوية. وكان مع حجمه الضخم مازال يحتفظ بقلب الطفل الذى كان فيه ذات يوم وبطيئته. وأحياناً كانت تعتريه حماقة الطفل واندفاعه التلقائى، لكن الرجل فيه يعود بسرعة ليؤكد نفسه، فإذا هو مزاج صاف وروح أليفة. وكنت أحرار فى الطريقة التى ينفع فيها بسرعة ثم يهدأ فيها بسرعة. ومهما يكن فقد كانت تلك أحلى جوانب شخصيته.

وأعترف أن مشاعرى اتجهت إليه خالصة من أول لحظة، وكذلك أحسست بإقباله على من أول لحظة.

وكنت معجباً بتقسيم العمل بينه وبين توأمه الأستاذ مصطفى أمين. على أمين على وجه التأكيد هو «الموتور» الذى يجرى فيه الاحتراق الداخلى ويولد الطاقة والحركة. ومصطفى أمين هو السائق الجالس على عجلة القيادة فى الدار يوجهها على أى طريق يختار.

وبدألى مصطفى أمين رجلاً شديداً الذكاء فيما يقصد إليه، شديد النشاط مع بعض المبالغة فى الحركة، لطيف المعشر حين يريد. لكنه ليس بالضبط مثل توأمه كتاباً مفتوحاً تقرأ صفحاته فى يسر وسهولة. ولم أجد غرابة، فذلك بالطبع شأن مخبر صحفى كبير له اتصالاته الواسعة ومصادره المتشعبة وحساباته المعقدة.

ولقد وقعت بيننا فى شهور عملى الأولى فى أخبار اليوم احتكاكات سريعة، لكن العمل المشترك والصحية الدائمة أزاها كل شىء جانباً.

● ولقد اختلفت معه مرة فى الطريقة التى كانت أخبار اليوم تعالج بها قضية اغتيال أمين عثمان (باشا)، فقد كانت تصور حسين توفيق قاتل أمين عثمان على نحو مثير، وتغطى محاولة تهريبه^(١) من السجن بشكل يضيف على القتل والهرب نوعاً من البطولة تختلط فيه القيم. ولم يكن ذلك رأى فى الجريمة السياسية.

كان رأى وما يزال - من حسين توفيق إلى خالد الإسلامبولي - أن القيمة الحقيقية للجريمة السياسية هى أن يكون القاتل على استعداد لأن يدفع الثمن كاملاً ومن حياته قبل أى شىء آخر فى سبيل ما اعتقد هو أنه حق.

والإفان كل القيم تختل بما فى ذلك جوهر روح الفداء لدى القاتل نفسه.

● واختلفت معه مرة أخرى حول التغطية الإخبارية لمفاوضات صدقى - بيفن. وكان هو يتمنى نجاحها، ولم يكن ذلك منأى. وبسبب اختلاف مصادر أخبارى عن مصادر أخباره، فلقد بدا أن ما أحصل عليه من أخبار يتعارض مع ما يصل إليه هو.

وكانت معظم اتصالاتى ومصادرى فى وفد المفاوضات المصرى وقتها من الجبهة المعارضة لصدقى (باشا)، وبالتحديد مع على الشمسى (باشا). ولم يكن مصطفى يحب الشمسى (باشا)، وكانت المشاعر متبادلة وذات جذور بعيدة وعميقة.

● وتعددت الأمور بعض الشىء فيما أظن حينما كتب الأستاذ مصطفى أمين فى أخبار اليوم مقالاً عن مشروع معاهدة صدقى - بيفن عنوانه «نوقعها ونلعنها». وإذا «آخر ساعة» تصدر بعد ثلاثة أيام بافتتاحية عنوانها «إذا كنا سنلعنها فلماذا نوقعها؟».

(١) كان القصر الملكى هو الذى تولى تهريب حسين توفيق، وكان بعض رجال القصر ضالعين فى تحريضه على قتل أمين عثمان (باشا) (رويت ذلك تفصيلاً فى كتابى «خريف الغضب»).

وكانت تلك محصلة لعوامل كثيرة داخل أخبار اليوم وخارجها، وبشكل من الأشكال فإنها كانت انعكاساً لموازين الصراع فى الحياة السياسية المصرية، ونتيجة لتوترات حادة حوله لم تمكّن طرقاً من فرض إرادته.

ومهما يكن فإن اختلاف المواقف والاتجاهات أشاع ظلاً من القلق لبعض الوقت ثم انقشعت الغيوم، وكان الأستاذ على أمين هو تيار الريح المندفع الذى يحاول دائماً أن يعيد إلى السماء صفاءها.



وربما ساعد على انقشاع الغيوم أننى فى تلك الفترة قررت تغيير اتجاهى... بدت لى التغطية الإخبارية فى السياسة المحلية جهداً عقيماً وفكرت أن أعود إلى التحقيق الصحفى.

كان وباء الكوليرا قد تفشى فى مصر. وغادرت القاهرة مع الأستاذ محمد يوسف كبير مصور أخبار اليوم وذهبنا لنقيم فى منطقة ظهور الوباء بمحافظة الشرقية، وتقرر عزل المحافظة عن بقية مصر ونحن فيها. وكانت رسائلنا تصل كل أسبوع إلى أخبار اليوم تنقل إلى قرائها صورة شاملة إنسانية للحياة فى ظلال الموت... عدت مرة أخرى إلى الحياة مع الخطر كما كنت أفعل فى «الجازيت». كان الخطر هناك هو الحرب، والخطر الآن هو الوباء.

وأظن أن مجموعة التحقيقات التى كتبتها عن الكوليرا لفتت أنظار كثيرين فى مصر، فقد وجدت نفسى بعدها أفوز بجائزة فاروق الأول للصحافة العربية، وكانت جائزة لها شأنها فى ذلك الوقت خصوصاً بين الصحفيين الشبان.

وحاولت إقناع الأستاذ على أمين بأن يفتح أمامى باب التحقيق الصحفى خارج الحدود، وأشهد أنه تحمس، وأعتقد أنه لم تكن هناك دار صحفية أخرى فى مصر وقتها على استعداد للمجازفة، بمثل هذه الفرصة لأحد محرريها غير أخبار اليوم.

وهكذا وجدتنى باحثاً عن المتاعب فى كل مكان أغطى الحوادث الساخنة فى

الشرق الأوسط وحوله، من الحرب الأهلية فى اليونان وقد شملت كل البلقان، إلى حرب فلسطين من أولها لآخرها، إلى سلسلة الانقلابات العسكرية فى سوريا، إلى عمليات الاغتيال الكبرى فى المنطقة من اغتيال الملك عبد الله فى القدس إلى اغتيال رياض الصلح فى عمان إلى قتل حسنى الزعيم فى دمشق، ثم إلى ثورة مصدق فى إيران. ثم اتسعت المسافات، فإذا أنا أعطى المشاكل الملتهبة فى قلب أفريقيا، ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولى.

و حين استقر بى المقام فى القاهرة بعد خمس سنوات من التجوال، كنت قد حصلت على جائزة فاروق الأول للصحافة ثلاث مرات قررت بعدها أن لا أتقدم للجائزة وأتركها لغيرى. ثم اكتشفت - بعرفان شديد وتواضع أشد - أن كثيرين قد أصبحوا يهتمون بما أكتب، ثم إننى أصبحت على معرفة وثيقة بأحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها، وعلى صلة بجبلى من الصحفيين فى العالم الواسع، فقد جمعتنا معا ميادين القتال ومواقع الأحداث على طول المسافة الممتدة من شواطئ المحيط الهادئ إلى شواطئ الأطلنطى. وأهم من ذلك كله أن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمام على مصراعيها. وكان سياسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعات من الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسة والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الأخبار، وكان من حسن حظى أننى لم أقف على باب أحد ولم أسأل أحدا فى شىء أثناء مروره فى ردهة أو نزوله على سلم خروج. ولقد سبب لى ذلك حساسيات مع البعض. ومع الأسف لم أستطع إقناعهم أن الحياة مع الخطر، هى التى فتحت لى الأبواب وأعفتنى من الوقوف على الاعتاب.

وأ تذكر على سبيل المثال أنى حين عدت من فلسطين لأول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان «النار فوق الأرض المقدسة» - تلقيت دعوة من رئيس الوزراء فى ذلك الوقت محمود فهمى النقراشى (باشا) يطلبنى إلى مكتبه ليسألنى عما رأيت ويدقق فى سؤالى، ولم تكن مصر قد قررت دخول الحرب.

وعرض على الأستاذان مصطفى وعلى أمين رئاسة تحرير آخر ساعة وأضافا

إليها منصب مساعد رئيس تحرير أخبار اليوم، وقبلت راضياً وشاكراً. وأظن أن الأستاذ التابعى كان أكثرنا سعادة فقد دعانا جميعاً للعشاء ليلتها فى بيته ومعنا أم كلثوم.



كانت أجواء مصر ملأى بالنذر فى خريف سنة ١٩٥١ عندما استقر بى المقام فى مصر. وكانت لعبة شد الحبل على آخرها بين الملك والنحاس (باشا) بسبب مصير معاهدة سنة ١٩٣٦. وربما بالقصور الذاتى وجدتنى لا أكاد أجلس إلى مكتبى حتى أتركه باحثاً مرة أخرى عن المتاعب. هكذا ذهبت إلى منطقة القناة حيث اشتدت المقاومة ضد الانجليز بعد أن ألغى النحاس معاهدة سنة ١٩٣٦. ثم توقعت أن يحدث انفجار فى السودان إذا أقدم الإنجليز على ترحيل القوة المصرية المراقبة هناك بقيادة اللواء البشارى فطرت إلى الخرطوم ولم يحدث شىء، وراودنى الإحساس بأننى أخطأت التقدير وبأنه إذا كانت الحوادث سوف تتحرك فإن حركتها سوف تكون فى القاهرة وليس بعيداً عنها.... فعدت.

وصباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ اتصل بى الأستاذ أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى - مصر الفتاة سابقاً - يسألنى: ماذا أفعل فى مكتبى والشارع المصرى يفور ويغلى؟ ونزلت، فإذا الظروف تتيح لى متابعة حريق القاهرة من اللهب إلى الرماد، وإذا بين من ألقاهم وسط الدخان البكباشى جمال عبد الناصر الذى كنت قد التقيت به لأول مرة فى عراق المنشية أيام حرب فلسطين، ثم زارنى فى مكتبى أكثر من مرة فى أيام تصادف وجودى فيها بالقاهرة: مرة جاء يسألنى عن الانقلابات السورية وما الذى يجرى فيها، ومرة ليسألنى نسخة من كتاب صدر لى وقتها عن أزمة تأمين البترول فى إيران بعنوان «إيران فوق بركان». ويوم حريق القاهرة كان قد نزل مع غيره من الضباط إلى شوارع العاصمة المشتعلة بالنار بعد أن عجز البوليس عن السيطرة على الموقف، ومن ثم اقتضت الأمور نزول الجيش.

فى ذلك الوقت كان أقرب الأصدقاء إلى فكرى هو الدكتور محمود عزمى (من بقايا الرعيل الأول من كتاب مصر العظام) وكان بيته مع زوجته الروسية البيضاء مكاناً أذهب إليه كل ليلة لمناقشات تبدأ بمصر وتطوف بالدنيا كلها. وكان محمود عزمى مفكراً نافذ البصيرة ومثقفاً واسع المعرفة ولم يأخذ حظه فى مصر لأن القصر كان غاضباً عليه، كما أن الوفد كان يحسبه من أعدائه^(١). وكان أقرب الأصدقاء إلى سياسياً هو نجيب الهلالي (باشا)، وكنت متحمساً لشعاره «التطهير والتحرير» كمحاولة أخيرة قبل أن يجيء الطوفان وأتذكر - ويشهد زوج ابنته الدكتور محمود محفوظ وكان معنا - أن نجيب الهلالي (باشا) حين كلف بتشكيل الوزارة فى مارس ١٩٥٢ سألنى فيمن يصلحون معه لتولى المناصب الوزارية، وكانت تلك أول مرة أجد نفسى فيها وسط لعبة السياسة العليا فى مصر، وأتذكر أننى رشحت له من بين من رشحت اللواء محمد نجيب وزيراً للحربية. وذهب الهلالي باشا لمقابلة الملك فاروق، وعاد إلينا فى مكتبه وكنا فى انتظاره: الدكتور محمود محفوظ والأستاذ فريد زعلوك وأنا. وكان أول ما قاله لى: إن مرشحك لوزارة الحربية لم يلق قبولا من الملك الذى سألنى هل تعرفه؟ وقلت لا، وسألنى، وهل تضمنه؟ واحترت فقال لى: إذن أبحث عن غيره.



كانت أخبار اليوم هى محور حياتى كلها وتحولت العلاقة التى تربطنى بأصحابها إلى ما يشبه علاقة أخوة خصوصاً بالنسبة لعللى أمين الذى كنت شاهد زواجه الأول، ثم أصبح بدوره شاهد زواجى بعد ذلك سنة ١٩٥٥.

ومع ذلك فلقد ظلت هناك مناقشات ومحاورات وأحياناً خلافات رأى يدور معظمها حول ثلاثة محاور:

(١) بعد الثورة كان لى شرف تقديم الدكتور محمود عزمى إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وقد عينه الرئيس ممثلاً دائماً لمصر فى الأمم المتحدة، وفارق الحياة شهيداً على منبر مجلس الأمن حيث أصابته نوبة قلبية مفاجئة، بينما هو يناضل دفاعاً عن الحقوق المصرية.

● قرب أخبار اليوم من القصر بأكثر مما هو صحى وعداؤها الشديد للوفد بأكثر مما هو صحى أيضا.

● والمحور الثانى : مطالبتي الدائمة بأن تدار أخبار اليوم على قواعد مؤسسية تضمن سلامة العمل وتكفل الاستمرار.

● والمحور الثالث : إلحاحى المستمر على تغطية أكثر عمقاً للحوادث والتيارات لأن القارئ المصرى يتغير ويتطور، ولأن «حواديت» الثلاثينات والأربعينات لم تعد تصلح للخمسينات والستينات خصوصاً وقد أصبحت مصر جزءاً من عالم بأسره تهدده مخاطر عظيمة وتراوده آمال أعظم.

وكنا قد أقمنا مشروع دار أخبار اليوم الجديد، وكانت عملية الإنشاء قد أحدثت ارتباكات مالية ظاهرة وتقلصات إدارية واضحة للعيان.

ولم يؤثر شىء من هذا على صميم العلاقة، وأتذكر حينما سافر الأستاذان مصطفى وعلى أمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية معاً فى طائرة واحدة -أنهما كتباً إقراراً ووصية. ومع أن المخاطرة لم تكن قائمة إلى هذا الحد، وبدأت فى المسألة مسحة ميلودرامية لا تقتضيها طبائع الأمور - إلا أننى كنت الصديق الذى أؤتمن على الإقرار والوصية وعلى مسئولية تنفيذهما عند الضرورة، واحتفظت بهما فى مكتبى وبقياً فى أوراقى حتى اليوم.

كان نص الإقرار كما يلى: (١)

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إقرار

فى حالة وفاة على أمين ومصطفى أمين صاحبى دار أخبار اليوم وجميع صحفها وشركة التوزيع الخاصة بها يتألف مجلس إدارة لإدارة الدار من محمد

(١) الإقرار بخط الأستاذ مصطفى أمين وتوقيعه إلى جانب توقيع الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١).

التابعى وأحمد عنان وأم كلثوم إبراهيم وكامل الشناوى ومحمد حسنين هيكل
وجلال الدين الحمامصى وزكى عبد القادر وعبد العزيز عبد العليم وحسين فريد
وحافظ جلال، ولهم وحدهم حق إدارة الدار ورسم سياستها وتعيين محرريها
وعمالها وتحديد أجورهم ووضع سياسة المستقبل، وأن تخصص جميع أرباح
الدار لإنشاءات فى الدار نفسها أو مشروعات صحفية فيها، ولرفع مستوى العمال
والمحررين فى الدار. ولتحسين الصحف.

ويعتبر هذا إقرارا منا لمجلس الإدارة المذكور بانتقال الملكية إليه فى حالة الوفاة، ولا
حق لأحد من الورثة أو غيرهم فى التدخل أو ادعاء الملكية أو التصرف، وهذا الإقرار
هو هبة منا فى حالة وفاتنا. ونشهد الله على هذا الإقرار والله على ما نقول شهيد.

٣١ ديسمبر ١٩٥٣

(الإمضاء)

مصطفى أمين

على أمين

وكان نص الوصية بعدها كما يلى (١):

فى حالة عدم قبول الإقرار الأول الذى وقعناه

وصية

فى حالة وفاة مصطفى أمين وعلى أمين معا نوصى بثلاث ما نملك من مال
وعقار ودور ومطابع وصحف إلى عمال وموظفى الدار الحاليين ممثلين فى مجلس
إدارة مكون من محمد التابعى وأحمد عنان وأم كلثوم إبراهيم وكامل الشناوى
ومحمد حسنين هيكل وجلال الدين الحمامصى وزكى عبد القادر وعبد العزيز
عبد العليم وحافظ جلال وحسين فريد.

(١) الوصية بخط الأستاذ مصطفى أمين وتوقيعه إلى جانب توقيع الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى
فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢).

على أن تخصص جميع الأرباح لإنشاءات فى الدار نفسها ومشروعات صحفية
ولرفع مستوى العمال والمحربين فى الدار.

وهذا إقرار منا بذلك، والله على ما نقول شهيد.

وكل ما نريده أن تلتزم صحف الدار الخطة السياسية والتقاليد التى سارت عليها
منذ إنشائها.

٣١ ديسمبر ١٩٥٣

(الإمضاء)

مصطفى أمين

على أمين

أردت بهذا كله أن أرسم صورة عامة... مجرد لمسات ألوان وظلال تكشف البعد
والعمق فى العلاقة من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٢ وما بعدها - حين قامت ثورة
يوليو وراحت تؤكد سلطتها وسياستها.



كانت الشهور الأولى من سنة ١٩٥٢ فترة جيشان هائل تشير كل وقائعها إلى
أن عصرا بأكمله يعيش آخر أيامه.

الرصاص يدوى فى منطقة قناة السويس، ذلك الشريان الحيوى المصرى
المفتوح أمام حركة المواصلات البحرية العالمية، وقد وصل دوى الرصاص إلى
ذروته بالمعركة بين الجيش الانجليزى وكتيبة من البوليس المصرى، ولم تكن
معركة بل كانت مذبحة.

والقاهرة، القلب ذاته، تحترق بالنار التى اشتعلت فيها، وكان الحريق رد فعل
مباشر - عفوى أو مدبر - لتفاعل آثار المذبحة مع الشحنات المكبوتة فى العاصمة

التي زحفت إليها وتكدست فيها كل عوامل الانفجار الاجتماعى والاقتصادى والفكرى التي كانت تموج بها مصر.

والجماهير المصرية حائرة، أينما التفتت وجدت فسادا وتآكلاً وانهيئاً ليس هناك من يصده أو يرده. فالملك مشغول بولى عهد رزق به، والأحزاب كل منها فى واد وكلها لم تعد تمثل شيئاً أو تعبر عن شىء.

والجيش فى حالة قلق، والقلق يعكس نفسه فيما حدث وقتها فى انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، وقد تحولت الانتخابات بالفعل إلى معركة بين القصر وحركة سرية فى الجيش أطلقت على نفسها اسم «الضباط الأحرار»، وقد رشح الملك لمجلس إدارة النادى أحد رجاله، ورشح الضباط الأحرار أمامه منافساً فاز عليه، وصدر قرار ملكى بحل المجلس المنتخب وتعيين رجل الملك رئيساً للنادى، وإذا رجل الملك يتعرض لمحاولة لاغتياله.

والوزارات تقوم وتسقط بغیر سبب ظاهر، ففي ستة شهور من سنة ١٩٥٢ شهدت مصر وزارة النحاس تقال، ووزارة على ماهر بعدها ترغم على الاستقالة، ووزارة نجيب الهلالي الأولى تضطر للتخلى عن الحكم، ووزارة حسين سرى عاجزة عن الاستمرار، ثم وزارة خامسة برئاسة نجيب الهلالي تحاول تدارك العواقب.. رئيس وزارة جديد كل شهر تقريباً.

الفصل الثالث

الثورة وبعدها

كانت الأيام الخمسة السابقة على قيام صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أياما لا تنسى.

يوم ١٨ يوليو التقيت مصادفة^(١) «بالبكباشى جمال عبد الناصر» والصاغ «عبد الحكيم عامر» ودار بيننا نقاش ساخن حول ما يجرى فى البلاد ودور الجيش فيه، وتحمست أثناء المناقشة وقلت لجمال عبد الناصر ما معناه، «إن الجيش عاجز عن رد كرامته إزاء عدوان الملك عليه»، ورد جمال عبد الناصر بالتساؤل عما يمكن أن يفعله الجيش أو ليست أى حركة من جانبه يمكن أن تؤدى إلى تدخل بريطانى يعيد فيه الملك فاروق تمثيل دور الخديو توفيق ويعود فيه الجيش إلى مأساة عرابى؟ وتطوعت فقلت إن الإنجليز لن يتدخلوا لأنهم لا يملكون وسائل التدخل، وأحسست إن عبارتى رنّت جرساً فى رأس جمال عبد الناصر لأنه التفت إلىّ وسألنى عن الأسباب التى تدعونى إلى القول بذلك... كيف أستطيع أن أقطع على هذا النحو بأن الإنجليز لن يتدخلوا، ورحت أشرح وجهة نظرى.

إذا أرادوا التدخل ضد أى حدث يجرى فى القاهرة فليس أمامهم غير احتلال مصر كلها، وهم لا يملكون القوات الكافية لذلك، فمعلوماتى أن كل ما لديهم فى منطقة القناة هو فرقة واحدة وهى على وجه القطع لن تستطيع احتلال مصر.

(١) كنت فى زيارة للواء محمد نجيب فى بيته وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا، وبقيت بعدهما بضع دقائق - وعند خروجى وجدت الاثنين مرة أخرى وتواصل الحديث.

ثم إن ونستون تشرشل عاد إلى الحكم فى بريطانيا بعد وزارة للعمال رأسها آتلى، وهو يدرك أن رأى العام البريطانى يريد سلمًا ولا يريد حربًا وهو - أى تشرشل - موضع شك باستمرار كداعية حرب، وذلك يفرض قيودًا على حركته فى هذه الظروف.

ثم إن المناخ الإقليمى فى المنطقة لا يسمح لبريطانيا - وهى تواجه مشكلة فى إيران بسبب تأمين البترول - أن تخوض معركة مسلحة فى مصر، فذلك قد يؤدى بالمنطقة كلها إلى انفجار لا تحمد عواقبه.

ثم إننى كنت فى عشاء قبل أيام فى بيت اللواء «أحمد شوقى عبد الرحمن» - قائد المنطقة الشرقية - وكان بين الحضور البريجادير «جولبرن» - الملحق العسكرى البريطانى - ومنه عرفت أن السفير البريطانى - السير رالف ستيفنسون - فى أجازة وكذلك قائد القوات فى منطقة القناة، بل إنه هو نفسه يستعد للسفر إلى لندن، ومعنى ذلك أن شبكة الاتصالات بين لندن والقاهرة ليست مفتوحة تمامًا عند القمة.

وبدأ جمال عبد الناصر يسألنى بإلحاح فى تفاصيل ما قلت وشعرت أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفى وبين ضابط فى الجيش.

(وأعتقد أنه كان قد حزم أمره ورتب خطته على ما ينوى عمله وراح يدير فى رأسه كل الاحتمالات، وإذا صحفى من وسط المصادفات يثير أمامه علناً كل ما كان يدور فى أعماق تفكيره).

وسألنى هل نستطيع أن نواصل الحديث لأن الموضوع يهمه، واقتрحت عليه أن نذهب إلى مكتبى فى أخبار اليوم، وكان تعليقه على الفور: لا.. ليس فى أخبار اليوم.. لماذا لا نذهب إلى بيتك؟

ونذهبنا إلى بيتى... وتحدثنا طويلاً.. واتفقنا على اللقاء مرة أخرى.



وفى صباح اليوم التالى كنت فى سيارتى مسرعاً على الطريق الصحراوى إلى الإسكندرية، فقد اتصل بى الدكتور محمود محفوظ يقول لى إن الهلالى (باشا) يريدنى فى الإسكندرية لأن الملك عرض عليه رئاسة الوزارة من جديد. وحين وصلت إلى الإسكندرية وإلى بيت الهلالى (باشا) فى المندرة لم أجد غير الأستاذ فريد زعلوك والدكتور محمود محفوظ، وقيل لى إن الهلالى (باشا) فى بيت رئيس الديوان الملكى حافظ عفيفى (باشا)، ثم أبلغنا أن الاثنين قصدا معاً إلى قصر المنتزه حيث صدر التكليف الرسمى لنجيب الهلالى فعلاً بتشكيل الوزارة.

وحين عاد الهلالى (باشا) لم أكن سعيداً بما حدث وسألته: كيف قبلت؟

وقال لى أمام فريد زعلوك ومحمود محفوظ: لقد أخذت من الملك ضمانات كافية. ثم مد يده إلى جيب صدىرى بذلته البيضاء وأخرج ورقة قرأ لى منها ستة شروط بينها عدم تدخل غير المسئولين فى الحكم، ثم الوعد بعدم اعتراض عملية تطهير جهاز الدولة، إلى آخره.

وقلت للهلالى (باشا): ومن الذى يضمن هذه الضمانات؟

وقال لى ضاحكاً من شبابى وحماسى وقتها: «هل تريدنى أن أطلب من الملك أن يوقع لى على كمبيالة؟».

وكنت فى أعماقى أشعر أن شيئاً ما سوف يحدث فى القاهرة، ولم أكن أتمنى أن يحدث هذا الشئ فى مواجهة نجيب الهلالى.. ولم أقل شيئاً.

والتقيت ليلتها مع الأستاذين مصطفى وعلى أمين فى فندق سيسل بالإسكندرية وتبادلنا أخبار التشكيل الوزارى الجديد وكان على أن أملى تفاصيله. على سكرتير تحرير أخبار اليوم وقتها الأستاذ حسين فريد لى ينشر فى جريدة الأخبار التى كانت قد صدرت يومية قبل ذلك بشهور قليلة.

وفى الصباح الباكر على مائدة الإفطار قلت للاثنين إننى عائد إلى القاهرة على الفور. وفى حين راح على أمين يلح على أن أبقى فى الإسكندرية حتى تتم مراسم

تشكيل الوزارة لأن صلتى الوثيقة برئيس الوزراء الجديد تعطينا الفرصة لخطبات صحفية مثيرة - فإن الأستاذ مصطفى أمين أحس بغريزة المخبر الصحفي فيه أن هناك شيئاً وراء عودتى المسرعة إلى القاهرة، وهكذا راح يسألنى عما أتوقعه.

وكان موقف الجيش هو علامة الاستفهام المعلقة على الموقف السياسى كله، وكان مصطفى يخمن أننى منذ أيام حرب فلسطين أعرف الكثير مما يدور فى الجيش وأتابع عن كذب ما يجرى تحت السطح فيه.

والحقيقة أننى وجدت نفسى فى بؤرة هبوب العاصفة - وتلك حكاية أخرى.



باختصار مرة ثالثة.

فى الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو كنت فى مقر هيئة أركان حرب الجيش، وكان قد أصبح مقراً لقيادة حركة جديدة قامت بها مجموعة من الضباط الشبان للاستيلاء على السلطة فيه. وباستيلائهم على السلطة فيه فإنهم استولوا على السلطة فى الوطن كله.

بدءوا تحركهم فى منتصف الليل، وبعد ساعتين اثنتين كانوا قد حققوا ما أرادوه. وبعد دقائق كنت فى وسطهم.

ورأيت بعينى تاريخ مصر يتغير فى فجر يوم صيف.

ووسط حركة التاريخ نفسه وهى تجرى أمامى تذكرت مهنتى، فاتصلت بأخبار اليوم تليفونياً لأجد عامل التليفون يقول لى: إن مصطفى «بك» يبحث عنى من الإسكندرية فى كل مكان وهو الآن معه على التليفون يتحدث مع الأستاذ حسين فريد سكرتير التحرير، فهل أريد أن يوصلنى به؟ ولم ينتظر منى ردًا وسمعت صوت مصطفى أمين معى على الخط.

سألنى: «أين أنت؟» وقلت: «لا يهم الآن». وقال لى: «هل تعرف أن ضباطاً فى الجيش تحركوا من ثكناتهم ونزلوا إلى الشارع؟» وقلت: «إننى أعرف». وسألنى:

«كيف؟» وقلت ببساطة: «لأنى هنا فى مقر قيادتهم». وساد صمت على الناحية الأخرى من الخط، ثم تمالك مصطفى نفسه وراحت أسئلة كثيرة تتسابق على الأسلاك، وقلت إننى مع الأسف لا أستطيع ولا أملك أن أرد على سؤال منها. وسألنى عن رقم التليفون الذى أتكلم منه حتى يستطيع أن يتصل بى مباشرة لأن الظرف بالغ الخطورة، ثم أضاف أنه سيذهب به أيضاً إلى الهلالى (باشا) الذى يهمله فى هذه اللحظة أن يسمع منى.»

ولم يكن الموقف كله مما يسمح بأى خطوة طائشة. قلت لمصطفى أن ينتظر والتفت إلى عبد الحكيم عامر وكان فى الغرفة - التى كانت من قبل مكتبا لمساعد اللواء حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى (سابقاً) - وقلت لعبد الحكيم عامر: - الأستاذ مصطفى أمين معى على الخط. حولونى إليه من سنترال أخبار اليوم وهو يطلب رقم التليفون هنا.

وهاج عبد الحكيم عامر وقال لى: لا تعطه الرقم.

وفجأة تحرك جمال عبد الناصر واقترب منا وسمع ما يجرى بيننا وإذا هو يقول: لم لا؟... اعطه الرقم..»

ونظر إليه عبد الحكيم عامر منزعجاً وقال عبارة تمس الأستاذ مصطفى أمين، ولم يغير جمال عبد الناصر رأيه فعاد يكرر: أعطه الرقم..»

وأعطيت الرقم لمصطفى أمين.

والتفت بعدها إلى جمال عبد الناصر - كما التفت إليه عبد الحكيم عامر - ورد جمال عبد الناصر على تساؤلنا قائلاً:

- أتصور أنهم يريدون أن يعرفوا كيف نفكر نحن هنا... لكننا من خلال أسئلتهم سوف نعرف كيف يفكرون هم هناك..»

وأعترف أننى أعجبت بسرعة بديهية جمال عبد الناصر وقدرته على التصرف والحسم فى طرفه بصر أو ومضة زمان.



باختصار أيضاً حتى لا نبتعد عن الموضوع الرئيسى فى هذه الصفحات..

فى فجر ذلك اليوم وصباحه الباكر اتصل بى الأستاذ مصطفى أمين من الإسكندرية مرتين. ثم اتصل بى نجيب الهلالي (باشا) مرتين أيضاً تظل تفاصيل ما دار فيهما محفورة فى ذاكرتى - فضلاً عن أنها مسجلة بالنص فى أوراقى.

دق التليفون فى المرة الأولى ورفعت السماعة على صوت يتأكد من شخصيتى ثم يقول لى إن «دولة الباشا» معى على الخط. وجاءنى صوت الهلالي (باشا) العميق العريض كما أعرفه، وإن بدا هذه المرة مثقلاً بنبرة مهمومة تحسها الأذن - قال الهلالي (باشا):

- هيك... أنا أعرف أنك فى وضع صعب، وربما كنا نحملك أكثر مما تحتمل، ولكن بما أن الظروف قضت بأن تكون حيث أنت الآن فى هذه اللحظة فليس أمامنا ولا أمامك إلا أن نحمل مسئولياتنا. وأنا أكلّمك من أجل «البلد» وأرجو أن يكون ذلك واضحاً «للجماعة» عندك..».

واستطرد الهلالي (باشا) يسألنى.

- ماذا يريد «الجماعة» عندك. إننى أريد منك أن تسأل من تعتقد أنه يستطيع الرد منهم، ولن أسألك من هو؟».

ورجوته أن ينتظر على التليفون لحظة.

كان معى فى الغرفة الصاغ سعد توفيق ورجوته أن يدعو جمال عبد الناصر، وكنت قد لمحته قبل لحظات يمر فى الردهة أمامى. وذهب سعد وعاد ومعه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى إثره، ونقلت سؤال الهلالي (باشا) كما هو. ورد جمال عبد الناصر «قل له إذا أراد أن يعرف ماذا نريد فإنه يستطيع سماعه فى البيان الذى سيذاع بعد نصف ساعة من راديو القاهرة».

ونظرت فى ساعتى لا إرادياً وكانت الساعة السادسة وعشر دقائق بالضبط،

ورفعت سماعة التليفون التى كانت على المكتب ونقلت رد «الجماعة» على سؤال رئيس الوزراء.

ولم ييأس الهلالى (باشا)، بل أمسك بخيط الحوار الذى بدا واهياً من اللحظة الأولى لا يستطيع تحمل أى شد أو أى جذب، وقال:

- طبقاً للمعلومات الموجودة هناك فإن ما يطلبه «الجماعة» هو تغيير وتطهير قيادة الجيش. فهل تستطيع أن تنقل لهم إننى على استعداد للذهاب الآن إلى القصر واستصدار مرسوم من الملك بتعيين أى ضابط كبير يثقون فيه قائداً عاماً للقوات المسلحة ثم يكون له هو بالتشاور معهم بالطبع أن يجرى ما يرونه من تغييرات وتبديلات.. إن التغيير على هذا النحو سوف يتم فى إطار دستورى يجنب البلد مخاطر «الفرقة» التى ستحدثها إذاعة بيان من الراديو.

ونقلت سؤال الهلالى لجمال عبد الناصر وكان رده:

- قل له شكراً.. ولكن الفرقة مقصودة فى ذاتها أيضاً.

ويبدو أن الرد كان مفاجئاً لطبيعة الهلالى (باشا) كمحام وفقيه قانون، فقد سكت لحظة لم أسمع فيها من الناحية الأخرى إلا تعبيرات صوت يهملهم وكأنه يحاول استيعاب معنى ما سمع ومدلوله.

لكنه لم ييأس أيضاً.. تمالك نفسه ثم سألنى:

- هيك.. هل من تنقل إليه أسئلتى واحد من المسئولين فيهم يملك أن يتحدث عنهم؟

وقلت دون رجوع إلى أحد: نعم.

قال: هل هو اللواء نجيب؟ سمعنا أنه منهم؟

قلت: أرجوك إعفائى من الرد.

ويظهر أن هذه الأسئلة القصيرة كانت فترة لتمالك النفس ثم العودة مرة أخرى إلى الأسئلة الأوسع والأكثر تحديداً، فقد قال لى الهلالى (باشا):

- هل تستطيع أن تسألهم ماذا يريدون منى أن أفعل؟ ماذا يطلبون من الوزارة؟
هل يطلبون أن نستقيل؟

وكان السؤال مفاجئاً بالنسبة لجمال عبد الناصر، لكنه رد بسرعة: نعم... قل له
إننا نريد استقالة الوزارة.

وفتحت عيني على آخرهما فى دهشة، ثم وضعت كفى على بوق سماعة التليفون
لأقول لجمال عبد الناصر: «ولكنه رجل وطنى وأمين». وقال جمال عبد الناصر:
«ليس هذا هو المهم الآن... قل له أن يستقيل». ولم يكن هناك مفر، ومثقلاً بالأسف
نقلت للرجل: «نعم هم يريدون أن تستقيل الوزارة». وقال الهلالي (باشا) بسرعة:
«طيب.. طيب..».

وانتهت المكالمة الأولى.

ووقفت مع جمال عبد الناصر لحظات أستوضحه فى بعض ما دار، وكان فيما
قاله تلك اللحظات لمحات ملفتة للنظر فى قدرته على التصور والتصرف.

قال مثلاً: إن «الفرقة» التى يتخوف منها «صاحبك» سوف تكون إعلاناً بأن
شيئاً ما وقع فى مصر.

ثم قال: لم يكن موضوع تغيير الوزارة قد خطر ببالي، ولكن عندما اقترحه
صاحبك طلبته على الفور لأن حدوثه إشارة واضحة إلى أن قيام وسقوط الوزارة
فى مصر لم يعد فى يد الملك.

وبعد أن أذيع البيان جاءتنى مكالمة الهلالي (باشا) الثانية، ولم يكن مطلوباً منى
أن أقوم بدور الترجمة الفورية بينه وبين أحد. كان يريد إبلاغى رسالة واضحة
وقاطعة أنقلها إلى «الجماعة» وفق ما أراه: إنه سوف يذهب إلى القصر ويقدم
استقالة وزارته، وسوف ينصح الملك أن لا يقاوم وأن يتجنب تكرار مأساة سبقت
فى تاريخ مصر.. لكنه رأى من واجبه فى نفس الوقت أن يكون الطرف الآخر
- «الجماعة» - واعياً الظروف، وأن يتصرف بما لا يعطى مجالا لأحد ليشعل ناراً
تحرق الجميع.

وبالفعل ذهب نجيب الهلالي بعد ذلك فقدم استقالته وقدم معه نصيحته ورجاءه للملك بأن لا يسير فى الطريق الذى سلكه عمه توفيق من قبل فيقاوم حركة جيش مصر مستعيناً بجيش أجنبى . وعلى أية حال فإن الملك وإن تظاهر بالقبول أضمر شيئاً آخر، فقد جرب بالفعل أن يستنجد بالإنجليز ولم تكن هناك قوات برية كافية فى قواعد منطقة قناة السويس، كما أن المسافة الواسعة من ميناء «فاليوتا» فى مالطة إلى ميناء الإسكندرية فى مصر لم تكن فيها غير مدمرة بريطانية واحدة.

(فيما بعد وافق جمال عبد الناصر على اقتراح منى بزيارة الهلالي (باشا) فى بيته ليقول له إن طلب استقالته لم يكن إهانة موجهة إليه شخصياً، وإنما كان موضوعاً آخر أكبر من أى شخص . وكنت ثالثهما فى هذا اللقاء).

وتوالى الحوادث يلحق بعضها بعضاً حتى خرج الملك من ميناء الإسكندرية عصر يوم ٢٦ يوليو وانحدرت وراءه شمس النظام الملكى فى مصر إلى مغيب.



وتغيرت صورة كل شىء فى مصر بعدها.

السلطة والسياسة . حقائق القوة وموازينها . وكنا قد اتفقنا - الأستاذين مصطفى وعلى أمين وأنا - على اجتماع منظم فى أخبار اليوم نبحث فيه الأوضاع الجديدة ونقرر فيه خطوط سياسة صحف ومجلات الدار .

وفجأة، إذا بالسلطة الثورية الجديدة فى مصر تعتقل الأخوين مصطفى وعلى أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك .

وذهبت إلى لقاء جمال عبد الناصر فى مبنى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى بكوبرى القبة، وكان قد أصبح مقراً لمجلس «القيادة» كما عرف وقتها، أو مجلس قيادة الثورة كما عرف رسمياً فيما بعد .

والحقيقة أننى ذهبت محتجاً . قلت له :

- إن القبض على صاحبي أخبار اليوم فى هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل لا أعرفه. ثم إن الحرج يمتد منهما إلى الدار نفسها وكل من فيها.

وكان رد جمال عبد الناصر: «إنه ليس لى الحق أن أنظر إلى المسائل من زاوية شخصية على هذا النحو». ثم أضاف: «إن الناس كلهم يعلمون بالشكوك والظنون المحيطة بمواقفهما وارتباطاتهما، وعلى أية حال فإن اعتقالهما إجراء وقائى بعد معلومات وصلت تفيد أن الأستاذ مصطفى أمين أجرى اتصالات يوم قيام الثورة مع جهة أجنبية خارج مصر. وبما أن الظرف لا يحتمل أية مناورات فإنه أصدر أمر الاعتقال حتى تنجلي الحقائق».

وعدت فى المساء ومعى الأستاذ التابعى نرجو ونلح.

ثم عدت صباح اليوم التالى أشرح الضغوط التى أحسست بها فى دار أخبار اليوم بالأمس. ثم دخلت أمام جمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى شرح مفصل لعلاقة الصحافة فى مصر بالسياسة ومن ثم علاقتها بالسلطة واحتمالات التجاوز فى ظل الظروف الموضوعية السائدة.

وأخيراً تقرر الإفراج عن الأستاذين مصطفى وعلى أمين وأخذتهما معى، ومعنا الأستاذ محمد التابعى والأستاذ كامل الشناوى، وذهبنا إلى مجلس قيادة الثورة. وهناك قدمتهما لجمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس الثورة، وكان لقاءً يستحق المتابعة الدقيقة، فقد استجمع الأستاذ مصطفى أمين كل مواهبه ليدافع عن نفسه أمام السلطة الجديدة ويشرح مواقفه. ثم رحنا جميعاً نلح فى كلمة تصدر فى المجلس تبرئ أصحاب أخبار اليوم أو ترد إليهم شرفهم على حد التعبير الذى استعمله الأستاذ على أمين.



ومضت أسابيع قليلة ثم أتيح لى أن أرى نماذج من الطريقة التى حاول بها الأستاذ مصطفى أمين أن يثبت صدق ولائه للنظام الجديد.

ذات يوم فى مكتبه قال لى جمال عبد الناصر: إن صديقك مصطفى أمين رجل نشيط، والحقيقة أنه ضابط مخابرات من الدرجة الأولى.

وفتح درج مكتبه وأخرج مظروفاً ضخماً معنوناً باسم «البكباشى جمال عبدالناصر - خاص من مصطفى أمين»، ولم أكن بحاجة إلى قراءة هذه العبارة الأخيرة فقد لمحت خط مصطفى من أول نظرة.

وفتح جمال عبد الناصر المظروف وأخرج ما فيه من أوراق وناولها لى ورحلت أقرأ. تقارير ومعلومات وحكايات. مقابلات مع سياسيين من عصر ما قبل الثورة ودبلوماسيين وصحفيين أجانب ومصريين. ومعلومات مستفيضة عن مناورات واتصالات تجرى داخل دور الصحف وبقايا الأحزاب وحتى فى معسكر الثورة نفسه. وكله مكتوب بأسلوب مشوق جذاب.

وأعترف أننى لم أشعر بارتياح. وقال جمال عبد الناصر:

- «إننى أعرف أنه ينقل أخباراً من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا، وذلك ممكن ومفهوم، ولكن القضية المهمة هى لمن ولاؤه فى النهاية؟ لهذا أو لهنالك؟»^(١).

وكان على أن أدافع، ولم يقل جمال عبد الناصر شيئاً، ولكن عبد الحكيم عامر كان قاطعاً فى التعبير عن رفضه الاقتناع بشيء مما قلت.

وعندما عدت إلى أخبار اليوم قصدت مباشرة إلى مكتب الأستاذ على أمين وأغلقت الباب ورائى وصارحته بما حدث وعقبت عليه بقولى: «إننى أخشى من الانسياق فى تيار كتابة التقارير. فالموقف أولاً لا يحتمل شيئاً من هذا النوع، ثم إن تلك ليست مهمتنا كصحفيين وليس ذلك دورنا. وعلى أى حال فإذا كنا كوطنيين نشعر أننا عرفنا شيئاً يستحق أن يعرفه غيرنا فلا ينبغى أن يكون ذلك بأسلوب التقارير.

(١) بدالى جمال عبد الناصر هنا متأثراً بآراء الأستاذ أحمد أبو الفتوح والوفديين عمومًا فى الأستاذ مصطفى أمين. وفيما بعد - وكما سيرى القارئ - كان الأستاذ مصطفى أمين يتهم الأستاذ أحمد أبو الفتوح بأنه صاحب البلاغ الذى أدى بالثورة إلى اعتقاله وتوأمه بعد قيامها بأيام.

وأشهد أن الأستاذ على أمين وافقنى على وجهة نظرى واقترحت أن أتحدث فى الأمر مع الأستاذ مصطفى أمين بحضوره، وقصدنا معاً إلى مكتب مصطفى وهناك أعدت ما قلته فى مكتب على وأضفت إليه، إننى شعرت بحرج عندما قال لى جمال عبد الناصر فى وصف مصطفى أمين بأنه ضابط مخبرات من الطراز الأول.

(ولقد سمحت لنفسى فى هذا الحديث أن أذكر هذا الوصف، وفى هذا السياق الآن لأن الأستاذ مصطفى أمين كتب بعد ذلك أن جمال عبد الناصر قال له «إنه يصلح ليكون مديراً للمخابرات بدلاً من صلاح نصر».

وفى تلك الأيام كان الأستاذ مصطفى أمين يكتب سلسلة مقالاته الشهيرة التى جمعها فيما بعد فى كتاب بعنوان «قصة فاروق كاملة»، ونجحت المقالات صحفياً فقد كانت مادة مثيرة تتحدث عن الحياة الخاصة للملك ولأمه ولوصيفات القصر ولحكايات الفساد والغرام والغوانى إلى آخره.

ولم أكن شديد السعادة بهذه السلسلة من المقالات ومن الأستاذ مصطفى أمين. وكتبت فى آخر ساعة افتتاحية أرجو فيها الكل أن ينسوا قصص الملك فاروق وأن يكفوا عن ذكر عهده، وأن يلتفتوا إلى المستقبل فهو الأولى.

ثم شدنا جميعاً مجرى الحوادث.



بدت مشكلة العلاقات مع بريطانيا تفرض نفسها على الموقف.

كانت حكومة الوفد قد ألغت معاهدة سنة ١٩٣٦. وكانت هناك مفاوضات لترتيب علاقة أخرى تحل محلها. واقترح الأمريكيون والبريطانيون من ورائهم - يساندهم فى ذلك بعض العرب يتقدمهم السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق وقتها - تنظيمًا للدفاع عن الشرق الأوسط يحل محل المعاهدة، وكان المنطق هو أن عصر المعاهدات الثنائية قد انتهى، وأن عصر ترتيبات الأمن الجماعى قد بدأ. وكانت حكومة الوفد قد رفضت بالفعل - سنة ١٩٥١ - مشروعاً تقدمت به الولايات المتحدة

وبريطانيا وفرنسا وتركيا لإقامة حلف دفاعى باسم منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط.

والآن كان على النظام الجديد فى مصر أن يحدد موقفه. وكان موقف جمال عبدالناصر لا لبس فيه، ومؤداه أنه لا بديل غير الجلاء الكامل للقوات البريطانية عن كل أرض مصر، وأما موضوع ترتيبات الأمن الجماعى للدفاع عن الشرق الأوسط فإن مصر لا تستطيع أن تبحثها ولا حتى من حيث المبدأ إلا بعد إتمام الجلاء لأن مصر المستقلة وحدها هى التى تستطيع أن تحدد محاور أمنها ومصادر الخطر عليها.

وحاولت الولايات المتحدة - كما كانت تفعل فى السنوات الأخيرة من العصر الملكى - أن تقدم نفسها كوسيط مقبول بين حلفائها الاستعماريين القدامى ونظام الأمن الجماعى الجديد، فبدأت تقوم بدور نشيط فى الاتصالات والمبادرات. ولملح جمال عبد الناصر بسرعة احتمالات التناقض بين الموقف التقليدى البريطانى وبين الموقف الطارئ الأمريكى، وبدأ يرسم لاستغلاله والاستفادة منه.

وفى ذلك الوقت كان السفير الأمريكى فى مصر «جيفرسون كافرى» يحاول إبقاء خطوطه كلها مفتوحة فى مصر، وفى هذا الوقت أيضاً زار مصر «ويليام فوستر» مساعد وزير الدفاع الأمريكى وأقيمت له مأدبة عشاء فى السفارة الأمريكية حضرها بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم جمال عبدالناصر، وجرى الحديث عن احتمالات عقد صفقة سلاح بين مصر والولايات المتحدة، وأبدى فوستر قبوله للمبدأ بل وللتفاصيل - لدرجة أنه طلب قائمة بما تريده مصر من أسلحة.

وتقرر إيفاد بعثة عسكرية مصرية يرأسها قائد الجناح على صبرى إلى الولايات المتحدة.

ودخلت مكتبى ذات يوم فى تلك الفترة فإذا عليه خطاب من «جيفرسون كافرى» يوجه لى فيه دعوة لزيارة الولايات المتحدة، وكان من رأى جمال عبد الناصر أن

أذهب. على صبرى يبحث احتمالات الإمداد العسكرى، وأنا أحاول أن أستكشف ما يسبق ذلك ويليه من احتمالات سياسية.

وذهبت إلى الولايات المتحدة والتقيت بكثيرين بينهم الجنرال أيزنهاور مرشح الجمهوريين للرئاسة والذي فاز فعلاً بها وراح يستعد لدخول البيت الأبيض يوم ٢٠ يناير ١٩٥٣.

وعدت إلى مصر متشائماً من إمكانية حصول مصر على سلاح أمريكى، وأشهد أن جمال عبد الناصر - من موقعه الذى لم يبرحه فى القاهرة - كان قد وصل إلى نفس الاقتناع وقال لى «إننى قلت لبعض إخواننا هنا أننا لن نتسلم شحنات سلاح من أمريكا، والشحنة الأولى التى سوف نتسلمها سوف تكون على صبرى نفسه».

لكن ضرورات السياسة لم تكن لتقنع بمشاعر التفاؤل والتشاؤم.

وهكذا راحت السياسة المصرية تستعمل التناقض الأمريكى البريطانى، ومطامع الجديد فى إرث القديم - ورقة من أوراق اللعبة. وكان ذلك مقبولاً شرط أن تكون الخطوط واضحة والحدود مرسومة بطريقة لا ضباب فيها ولا غمام.

وشهدت تلك الفترة اتصالات مع الولايات المتحدة. وكان الأستاذ مصطفى أمين واحداً من العناصر النشيطة فى هذا المجال. وكنت ألاحظ أن جمال عبد الناصر لم يغير رأيه الذى أبداه منذ اللحظة الأولى، بل عاد يكرره فى أكثر من مناسبة: إن مصطفى ينقل من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا. لكن الولاء النهائى وهو القضية الحاسمة ظل فى رأس جمال عبد الناصر موضع تساؤل قائم طول الوقت وباستمرار.

والحق أن سلوك الأستاذ مصطفى أمين لم يكن ليعطى أى إنسان سبباً للشك. فقد كانت حماسته ظاهرة واندفاعه متصل وتقاريره المكتوبة مستفيضة ولها نفس الجاذبية والتشويق، وكانت مقالاته كلها وجرائده ومجلاته من أول سطر لآخر سطر فيها تأييداً خالصاً لا تظهر عليه أى تحفظات.

لم يكن لأحد أن يشكو منه أو يشك فيه صحفياً أو سياسياً إلا بإعمال سوء النية

مسبقًا والحكم على أساس مواقف جامدة لا تريد أن ترى ظواهر الأمور وتصر على أن بواطنها شيء آخر غير الظاهر، وكان من هؤلاء عدد لا يستهان به على قمة السلطة ومن حولها.

وتعرضت لمشاكل لا حدود لها بسبب هذا الحال، فقد راح كثيرون يدعون أنني - بصداقتي الوثيقة لجمال عبد الناصر - أحمى أخبار اليوم وأستتر على مصطفى أمين. بل ذهب البعض إلى ما هو أبعد ومؤداه أن ارتباطي إلى هذه الدرجة بأخبار اليوم لا يعنى غير أنني من نفس النوع وذات العين.



وحين فكرت الثورة فى إصدار جريدة تعبر عنها وهى جريدة الجمهورية طلب إلى جمال عبد الناصر أن أتولى الإشراف على إصدارها، واعتذرت وكانت وجهة نظري:

إننى متمسك بأخبار اليوم وعملى فيها وصداقتي مع أصحابها.

ثم إن الفارق بين الثورة والحكومة ضائع وفى النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وإنما عن الحكومة - وأنا لا أتصور نفسى فى جريدة حكومية.

وثالثًا فإن الثورة لا تحتاج جرائد تعبر عنها، لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء.

وأسباب أخرى فى نفس الاتجاه.

ولقد كان اعتذارى عن مشروع الجمهورية سببًا أضيف إلى دواعى الربط بينى وبين أصحاب أخبار اليوم، هذا فى الوقت الذى كنت أحاول فيه جاهدًا أن أعيد الإلحاح على بعض المسائل القديمة التى كنت أراها وأعيش داخلها وأولها ضرورة التحول فى نظام أخبار اليوم إلى إدارة مؤسسية وضرورة الاتجاه إلى تغطية بالعمق للأحداث والموضوعات مع كل تقديرى لعوامل الإثارة والخفة.

وفى سنة ١٩٥٥، وفى لقاء نادى الجزيرة مع على الشمسى (باشا) رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى ورئيس مجلس إدارة الأهرام وقتها، تلقيت عرضاً لرئاسة تحرير الأهرام. كان على الشمسى (باشا) قد أُلح علىّ للعمل فى الأهرام سنة ١٩٥١، وكان المنصب الذى عرضه علىّ وقتها هو منصب مساعد رئيس التحرير، واعتذرت. والآن سنة ١٩٥٥ كان على الشمسى (باشا) يعرض علىّ منصب رئيس التحرير واعتذرت مرة ثانية.

وفى ربيع سنة ١٩٥٦ عاد الشمسى (باشا) يلح علىّ ويبدى لإلحاحه أسباباً كثيرة، بينها أن الأهرام سوف يكون امتحاناً حقيقياً لما أستطيع عمله كصحفى. فهذه جريدة شاخت مع الأيام ولو استطعتُ تجديد شبابها وإعادة الحيوية إليها لأثبتَ نفسى مستقلاً. ومن ناحية أخرى فقد كان الشمسى (باشا) يرى أن الأهرام مؤسسة قومية ولا ينبغى تركها تموت بالشيخوخة أمام منافسة الصحف الشابة الجديدة. وهى تخسر أموالاً طائلة وقد يفكر أصحابها فى إغلاقها أو فى بيعها وهذه كارثة حتى على مستوى تاريخ الصحافة نفسه.

ولأسباب متعددة وقتها وجدتنى أسمع باهتمام إلى على الشمسى (باشا) ثم وجدتنى أذهب إلى صديق أثق فيه وهو شيخ المحامين الأستاذ مصطفى مرعى، وتحمس الأستاذ مصطفى مرعى وقال لى سأكون محاميك فى التعاقد مع أصحاب الأهرام. وبالفعل ذهبت معه لعدة لقاءات مع عضو مجلس الإدارة المنتدب للأهرام وقتها وهو الأستاذ ريمون شميل^(١). وتقدمت محادثاتنا إلى درجة كتابة عقد وقعنا عليه بالأحرف الأولى تسجيلاً للنوايا وتمهيداً لاتفاق نهائى.

ثم رجوت ترك الموضوع حيث هو حتى أتحدث فيه مع أصحاب أخبار اليوم.



(١) الأستاذ ريمون شميل ينتمى إلى واحدة من أشهر العائلات المسيحية اللبنانية التى جاءت إلى مصر فى نهاية القرن الماضى، وكان نقيباً لمحامى المحاكم المختلطة، وكان المستشار القانونى الدائم لأسرة «تقلا»، مالكة الأهرام.

كانت مشاعري نهبا لنواز ع شتى فى تلك الأيام من شهر مايو ١٩٥٦ .

بعقلى لم أكن بعيداً عن الاقتناع بكل الحجج التى ساقها لى على الشمسى (باشا) حين عرض على رئاسة تحرير الأهرام: التحدى المهنى ممثلاً فى مشكلة جريدة ذات ماض عريق ومستقبل محفوف بالشكوك إلا إذا حدث شىء يوقف تآكل الصدا - ثم تحقيق الذات فى مجال مستقل يمتحن فيه كل شىء من جديد .

إلى جانب ذلك فقد بدا لى أن ما كنت ألح عليه من نظم وأساليب وأهداف للعمل فى أخبار اليوم ليست أمامه فرصة حقيقية . فى كل مرة كنا نتناقش، ويبدو أننا وصلنا إلى اتفاق - لا يحدث شىء وتعود الأمور إلى سيرتها الأولى . وبدا لى أن شيئاً ما فى تركيب أخبار اليوم الداخلى يحول دون إعادة تنظيمها على قاعدة مؤسسية قابلة للبقاء والتطور والتجدد . ومهما يكن فقد كانت تلك مشكلة حالة ولم تكن مشكلة حادة . فقبل أى شىء وبعده كان مصطفى وعلى أمين هما أصحاب الدار بغير شريك، ثم إن الدار كانت ناجحة من الناحية الصحفية، وإن فإذا كان لأى واحد منا أن يتصور ويقترح - فإن رأى الأخير كان من حقهما .

كان ذلك كله بالعقل، وأما القلب فقد كان له حديث آخر .

كانت السنوات العشر التى قضيتها فى أخبار اليوم (١٩٤٦ - ١٩٥٦) سنوات خصبة وفيها وضعت الأساس لأى شىء يمكن أن أصل إليه مهنيًا، وفيها عرفنى الناس وقرءوا لى، وفيها وصلت بالفعل إلى مكان الرجل الثالث بعد صاحبها .

ثم إن علاقات إنسانية واصله إلى الأعماق ربطتنى بكثيرين من هؤلاء الذين جمعتنى وإياهم فرصة العمل فى أخبار اليوم، وخصوصاً بالأستاذ كامل الشناوى وبصاحبى أخبار اليوم الأستاذين مصطفى وعلى أمين، إلى جانب صداقات غالية أخرى مثل الأستاذ توفيق الحكيم، والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى، والأستاذ سلامة موسى، والأستاذ أحمد الصاوى محمد، والأستاذ بيرم التونسي، والأستاذ محمد يوسف، وجماعات أخرى من الشباب بدءوا يجدون مكانهم فى مكاتب الدار وعلى صفحاتها .

كيف أترك هذا كله وأخرج؟ كيف أترك بيتاً شاركت فى بنائه وألفت كل شىء فيه
ثم أذهب إلى بيت آخر غريب عتيق يكاد أن يتهاوى تحت وطأة الأيام والحوادث؟
ولعل ذلك كله اختلط بتهيب التجربة واستهوال أعبائها - فإذا أنا أواجه فترة من
الشكوك والهواجس ثقيلة.

وكان لابد فى النهاية أن أحزم أمرى.. وفعلت.



صباح يوم ٢١ مايو ١٩٥٦ قصدت من مكتبى إلى مكتب الأستاذ على أمين، ثم
رجوته أن يدعو الأستاذ مصطفى أمين للانضمام إلينا لأنى لدى شىء أريد أن
أقضى به إليهما معاً، وحين اكتمل عقدنا كنت أريد أن أفرغ من كل ما عندى مرة
واحدة حتى لا يكون هناك مجال للتلعثم أو التردد.

قلت بدون مقدمات: إن لديه عرضاً من الأهرام.....

وقبل أن أكمل عبارتى قام الأستاذ على أمين مهرولاً إلى باب الغرفة فأدار فيه
المفتاح وأخذ المفتاح ووضع فى جيبه وعاد يسألنى: ماذا أقول؟

وقلت وأنا حريص على أن لا تختلج نبرة فى صوتى، إن لدى عرضاً من الأهرام
وقد قبلته مبدئياً ووقعت مع الأستاذ ريمون شمبل مشروع عقد بالأحرف الأولى
وجئت أحصل على موافقتكما قبل توقيعه نهائياً.

أسبابى فى هذا أنها فرصة تحد مهنيًا... ثم إنها مجال مستقل لتحقيق الذات.

وحتى هذا اليوم لا أستطيع أن أعرف على وجه الدقة ماذا حدث بعد أن قلت ما
قلت لحظتها.

تحولت الغرفة فجأة إلى إعصار إنسانى. مشاعر وعواطف أفلتت من كل قيد.
اختلط فيها العتاب والحب والحزن.

وتنبهت لنفسى ولما حولى بعد ما يقرب من نصف الساعة، فإذا على أمين يبكى
ومصطفى أمين يبكى، وإذا دموعى أنا الآخر تسابق دموع الاثنين.

وبشكل ما انتهى المشهد العاصف بورقة كتبت فيها خطاب اعتذار إلى أصحاب
الأهرام أرجوهم فيه إعفائى من مشروع العقد الذى وقعنا عليه بالأحرف الأولى
«لأنى وجدت أن روابطى بأخبار اليوم أقوى من اعتبارات أخرى تصورتها أثناء
مناقشاتى معهم». ثم كتبت خطاباً آخر إلى الأستاذ ريمون شميل أعتذر له «عن
الوقت الذى أضعته عليه فى مناقشات مشروع العقد راجياً أن لا يؤثر ذلك على
تقدير متبادل ساد كل لقاءاتنا فى الأسابيع الأخيرة».

ثم جرى عناق حار وقبلات وبعدها فقط أخرج الأستاذ على أمين مفتاح باب
المكتب من جيبه وفتح الباب.

ولم تعط الأيام أحداً منافرة مراجعة ما جرى فى مكتب على أمين ذلك اليوم.
فقد داهمتنا أحداث السويس: معركة التأميم ثم معركة الحرب، ثم ذلك الانتصار
الكبير لحركة التحرر الوطنى والذى أصبحت به السويس نقطة تحول بارزة فى
التاريخ الإنسانى كله.

الفصل الرابع

الانتقال إلى الأهرام

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ كانت هناك قصص وحكايات فى دار أخبار اليوم لا أرى مناسباً أن أخوض فى تفاصيلها. ولم تكن هذه القصص والحكايات شيئاً طراً فجأة، فقد كانت أعراضه ظاهرة وإن راحت تزيد مع السنين. وكنت فيما سبق قد أثرت أمرها وأوضحت بما لا يقبل مجالاً للشك أن اختلاط الخاص والعام فى أى عمل من شأنه أن يؤثر على مساره. وراودتنى فى بعض المرات أحاسيس ندم على فرصة تخليت عنها تحت مؤثرات عاطفية ونفسية، لكنى كنت أدفع هذه الأحاسيس بعيداً عنى وأطردها إلى عوالم النسيان.

وفى يوم ٦ إبريل ١٩٥٧ كنت على موعد لفنجان شاي فى نادى الجزيرة مع على الشمسى (باشا)، ورحنا نتمشى ساعة الغروب فى أجراء النادى ومعنا صديق له. لم تكن معرفتى به وثيقة فى ذلك الوقت. وهو الدكتور على الجريتلى. أستاذ الاقتصاد الأشهر. وتشعب الحديث من السياسة إلى الصحافة وإذا نحن مرة أخرى نعود إلى قصة الأهرام، فقد راح على الشمسى (باشا) يروى لنا «كيف أنه ترك رئاسة مجلس إدارته للسيدة رينيه تقلا أرملة جبرائيل تقلا (باشا)، وكيف أن أسرة تقلا تواجه فى شأن جريدتها مشاكل معقدة. خسائر زادت على مليون ونصف المليون جنيه فى العشر سنوات الأخيرة، وتوزيع تدنى إلى حدود ٦٠ ألف نسخة. ولقد ورثت الأسرة مجموعة مصالح فى لبنان بينها نصيب أغلبية فى بنك صباغ. أسرة السيدة رينيه تقلا. ثم كيف أن الأسرة الآن تفكر جدياً فى بيع الأهرام».

وقال الدكتور الجريتلى إنه ليس من حق أحد أن يتصرف فى الأهرام كملكية خاصة؛ لأن الأهرام مؤسسة عريقة فى تاريخ مصر السياسى والصحفى، ثم أضاف: «إنه لابد للشمسى (باشا) أن يمارس كل نفوذه لكى يحول دون انتقال ملكية الأهرام إلى مالك جديد لا يعرف كيف يحافظ عليه».

وقال الشمسى (باشا) إنه جرب إقناع أسرة تقلا بأن الأمر يحتاج إلى تجربة أخيرة قبل أى قرار نهائى، وفى رأيه - كما قال لهم - إن الأهرام يحتاج إلى صحفى شاب يستطيع تجديد حيويته مع الحفاظ على تقاليده.

ورد الدكتور الجريتلى بأن تلك فكرة صائبة. وإذا الشمسى (باشا) يقاطعه قائلاً: «إنه عرض رئاسة تحرير الأهرام فعلاً على صحفى شاب ولكن هذا الشاب تردد فى اللحظة الأخيرة وأوقعه فى حرج كبير».

ودون أية حسابات، ولعله كان العقل الباطن يدفع الكامن فيه على السطح، وجدتني أقول للشمسى (باشا): «إننى سوف أريحه إلى أبعد حد. فى العام الماضى عرضوا على الأهرام واعتذرت، وفى هذا العام أنا الذى أعرض نفسى على الأهرام».

وتوقف الشمسى (باشا) عن المشى ودقق النظر عبر ظلال الغروب النازلة على الأرض الخضراء والأشجار الباسقة المستعدة لاستقبال الليل فى نادى الجزيرة. ثم قال لى: «وهل ترانى أصدقك بعد ما حدث فى العام الماضى؟».

وراح يروى ما جرى للدكتور الجريتلى الذى عبّر عن رأيه بوقار وتحفظ. قائلاً: «إن رئاسة تحرير الأهرام مطمح أى صحفى فى مصر، ومع أن الأهرام الآن فى أوضاع صعبة إلا أن ذلك يجب أن يكون حافزاً مضافاً وليس عقبة ما نعة».

وقلت للشمسى (باشا): «إننى لا أفهم جدوى لهذا «التأنيب» - إذا كنت أنا الذى أعرض نفسى الآن».

وقال الشمسى (باشا): «إن الماء يكذب الغطاس، وها هو بيت الأستاذ ريمون

شميل على طرف نادى الجزيرة البحرى فلنذهب إليه الآن ونتكلم». وذهبنا. هو وأنا - إلى بيت ريمون شميل على غير موعد، وكان الرجل جالساً فى صالون بيته إلى البيانو وأصابعه تجرى على المفاتيح بلحن كنسى لباخ.

وتظل محفورة فى ذاكرتى - ومسجلة فى أوراقى - دهشته لرؤيتنا. ولم جئنا نقوله له.

وقلت له: «إننى لا أريد مناقشات جديدة. تكفينى صورة من العقد القديم أوقعها باسمى كاملاً ونحدد موعد البدء، وتجىء أية تفاصيل أخرى فيما بعد».

وجرت اتصالات وحضر آخرون وانتهى المساء بتوقيع العقد ملزماً للطرفين، وأخذت نسختى منه وذهبت إلى بيت الأستاذ مصطفى مرعى أسأله رأيه وكان تعليقه أنه «خير ما فعلت».



وكانت ليلة بيضاء ناصعة البياض كثلوج الجبال، ليلة بلا نوم. فقد اتخذت قراراً مصيرياً فى حياتى. ووجدت أن أمامى مهمتين تسبقان غيرهما من المهام:

الأولى: أن أقول لجمال عبد الناصر ما فعلت.

والثانية: أن أقول الشئ نفسه لأصحاب أخبار اليوم.

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى كنت أمام جمال عبد الناصر فى غرفة مكتبه فى بيته بمنشية البكرى. ولم أدخل فى مقدمات، وإنما قلت على الفور: «إننى وقعت عقداً مع الأهرام».

وكان الأمر مفاجئاً له، وكان تعليقه الأول:

- «أليس غريباً أن تقبل العمل فى الأهرام وأصحابه أسرة تقلا بينما اعتذرت عن العمل فى الجمهورية وأنا صاحبها؟»^(١).

(١) كان امتياز جريدة الجمهورية حين صدورها باسم الرئيس جمال عبد الناصر.

وقلت له: «إن الأهرام له صاحب أستطيع أن أتعامل معه مهنيًا، وأما الجمهورية فلا يمكن أن يكون لديك الوقت لممارسة مسئوليات صاحبها، وبالتالي فهي بلا صاحب، وهذا يجعلها مهنيًا معضلة شبه مستحيلة».

وانتقل إلى نقطة أخرى، قال: «سوف تتعب مع هؤلاء الناس، ما أسمعه عنهم غير مشجع، ولا أظنهم يتركون لك الفرصة لتفعل ما تريد».

قلت: «الحكم بيني وبينهم هو العمل نفسه... هم يريدون نجاحًا لجريدهم وهو ما أريده أيضًا، الموقف كله يختلف إذا لاحت علامات نجاح».

وراح يفكر قليلاً ثم سألني:

هل هناك مشاكل في أخبار اليوم؟

وقلت على الفور:

مطلقاً، كل شيء هناك في مجراه العادي، لكنني أشعر أنني وصلت - مهنيًا - إلى آخر السلم فيما يمكن تحقيقه في أخبار اليوم. وفي الأهرام شيء مختلف، سلم جديد من بدايته والطريق طويل، وهو في كل الأحوال امتحان أشعر أنني متحمس لدخوله...

وكان كريماً ومشجعاً وقال: «الأمر لك كما تراه، فهو عملك ومستقبلك، وإن كنت لا أخفي إنني مشفق عليك من عناء تجربة جديدة مع اعتقادي أنك قادر على النجاح».

وانتقلنا إلى موضوع آخر.

وهكذا انتهت المهمة الأولى وبقيت الثانية.

واستقر رأيي على تأديتها كتابة وعن طريق خطاب أشرح فيه المسألة للأستاذين مصطفى وعلى أمين. فلم أكن أريد لهما ولا لنفسى تكرار ذلك المشهد المشحون في مكتب على أمين قبل عام واحد.

وهكذا تركت لهما خطاباً وسافرت إلى الإسكندرية دون أن أترك عنواني لأحد.
وحينما عدت إلى القاهرة بعد عشرة أيام كان النبأ قد تسرب وأصبح حديث
المحافل الصحفية. وأصبحنا جميعاً أمام أمر واقع يفرض نفسه على الكل.
والتقينا نحن الثلاثة فى مكتب الأستاذ على أمين، لكن المناخ كان مختلفاً، فقد كنا
ندرك أن ما حدث يصعب الرجوع عنه بصرف النظر عن مشاعرنا وروابط السنين
بيننا.

وفى البداية كان علينا أن نتأكد أمام أنفسنا قبل أى طرف آخر أنه لم تكن هناك
مشاكل بيننا تؤدى إلى الخروج، وكان هذا صحيحاً.
ثم كان علينا أن نبحث بعد ذلك فى كيفية إرساء تقليد جديد فى الصحافة
المصرية، وهو أن نحفظ بعلاقات الصداقة الوثيقة رغم اختلاف مواقع العمل.
واتفقنا على شيئين:

أولهما: أنه تحت أى ظرف لا ينبغي أن يبدو انتقالى إلى الأهرام انفصالاً فى نفس
الوقت عن أخبار اليوم، وهكذا فإنى سأحتفظ برئاسة تحرير آخر ساعة - إلى جانب
الأهرام - لمدة سنة، والله يعلم كم سبب لى هذا الأمر من مشاكل مع أصحاب الأهرام،
وكان لهم الحق.

والثانى: أن يكون هناك لقاء منظم بيننا كل أسبوع، لا يحتاج إلى دعوة أو تأكيد،
وهكذا أصبح موعدنا الغداء يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى بيت الأستاذ مصطفى
أمين، نلتقى ونتحدث ونتبادل الرأى فيما يعن لنا من أمور، واستمر غداء الثلاثاء
بغير انقطاع ثمان سنوات لم نخلف موعداً إلا لسفر أحدنا أو لعذر قاهر وقع على
غير انتظار.

ورغم أن هناك من حاولوا انتهاز الفرصة، خصوصاً مع بدء المنافسة بين الأهرام
والأخبار - إلا أن الأسابيع والشهور والأعوام مضت وكل شىء كما ينبغي أن يكون،
والحق أن غداء الثلاثاء أثبت فاعليته، فقد كان دوماً فرصة منظمة تزيل أية عوالق
وتحول دون أى تراكمات.

الفصل الخامس

تنظيم الصحافة ... وقصته

انقضت سنوات ١٩٥٧ و ١٩٥٨ و ١٩٥٩ وبدأت سنة ١٩٦٠. لم يكن هناك شىء إلا إشارات جمال عبد الناصر بين حين وآخر إلى أوضاع الصحافة المصرية. منذ أول يوم فى الثورة لم يكن راضياً عن الظروف المحيطة بملكية الصحافة فى مصر. كان يعتقد أن «آل زيدان» أصحاب دار الهلال، و «آل تقلا» أصحاب الأهرام، و «آل نمر» أصحاب المقطم - قد أدوا دورهم فى مرحلة معينة من تاريخ مصر، لكن مصر الآن أمام مرحلة جديدة لا يستطيعون مسايرتها، وكانت له تجربة مزعجة مع «آل أبو الفتوح» أصحاب المصرى. كما أن علامة استفهام ظلت أمامه طول الوقت على «آل أمين» أصحاب أخبار اليوم، ولم يكن جمال عبد الناصر فى أى وقت من الأوقات يفصل بين المالك وهوى صاحبه، وكان رأى أن هوى كل صاحب مال يرتبط بمصالحه، وغير ذلك غير جائز، وإذا جاز فهو مؤقت تفرضه ضرورات.

وكانت بيننا مناقشات طويلة امتدت من سنة ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦٠ حول ملكية الصحافة فى مصر، لم يكن راضياً عن الملكية الفردية أو العائلية للصحف، وكنت أرى غير رأى وأناقشه مطولاً ومفصلاً، وفى بعض الأحيان كنت أستطيع أن أفهمه، ولكنى لم أكن أتصور فى نفس الوقت أن تتحول الصحف من ملكية الأفراد أو العائلات إلى ملكية الدولة، فقد بدت لى تلك كارثة الكوارث، ولم يكن هناك حل وسط.

وأعتقد بأمانة أنني وقفت في الفترة ما بين سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٠ وحدي تقريباً في محاولة الدفاع عن «الواقع الراهن في الصحافة» حتى ولو أدى الأمر إلى بقاء ملكية الأفراد والعائلات، فقد بدا لي ذلك أهون الضررين وأخف الشرين. وكان للثورة وقائدها والتنظيم السياسي ورجاله رأي آخر.

ثم جاءت ظروف وتحولات.

دعاني جمال عبد الناصر إلى بيته، وجلسنا معاً لواحدة من أصعب مقابلاتنا. قال لي إنه مهما كانت آرائي في موضوع الصحافة فهو الآن واصل إلى اقتناع كامل بأنه لا يستطيع أن يترك الأمور كما هي.

واستدرك يقول: «لا تتصور أنني أريد أن أتخلص من أحد، لو أردت أن أتخلص من أحد فأنت تعرف أن لديّ من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لي بأن أقول له اذهب إلى بيتك، ثم إنك تري أن الكل يتسابق إلى التأييد أحياناً بأكثر مما أريد، لكن القضية أكبر من ذلك».

ثم قال: «أنت تعلم أن لديّ تحفظاتي ولديّ شكوكي حتى في الذين يتسابقون إلى التأييد، ومع ذلك فهذه التحفظات والشكوك لا أثر لها فيما اعتزمه الآن، كما قلت لك هناك قضية أهم».

ثم استطرد: «إننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة، وقد بدأت هذه التحولات بتأميم البنك الأهلي وبنك مصر^(١)، إذا كنا نريد حقاً تنفيذ خطة للتنمية، وإذا كنا نريد إجراء تحولات اجتماعية عميقة في مصر فلا بديل عن سيطرة المجتمع على وسائل المال والإنتاج، ولا أستطيع عقلاً ولا عدلاً أن أفرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم أترك لمجموعة من الأفراد أن يسيطروا على الإعلام. إنهم لا يسيطرون الآن عملياً لأن الثورة قوية وذلك مجرد خوف، وأنا لا أثق في خائف خصوصاً إذا تغيرت الظروف، ثم إن المرحلة الجديدة من التحول الاجتماعي تحتاج إلى تعبئة اجتماعية

(١) صدر قرار تأميم البنك الأهلي وبنك مصر يوم ١١ فبراير ١٩٦٠.

شاملة، وأعرف أن الموجودين الآن سوف يصفقون لأى قرار لكن المطلوب شىء آخر غير التصفيق.

وراح جمال عبد الناصر فى هذا اللقاء يستعرض بعض الأسماء وبعض أنماط السلوك مما لا أريد أن أعرض له الآن. ورحت أناقشه وأحاوره وأن بدا لحظة بعد أخرى أننى على وشك أن أخسر نتيجة المناقشة والحوار. وكانت القضية بالنسبة له قضية مبدأ. وهو مبدأ يتصل بغيره من المبادئ التى تحكم رؤيته لمدى التحولات الاجتماعية التى يريدتها فى مصر.

ثم قال لى جمال عبد الناصر: «إن ما يدهشنى إنك تنظر إلى الموضوع بحساسية شديدة، ثم إنك تنظر إليه من وجهة نظر أشخاص».

وقلت: «إن خشيتى فى الواقع على المهنة».

وكان رده. «فكر فى أية ضمانات تريدها للمهنة، ولنلتق هنا غداً فى الحادية عشرة صباحاً، وسوف يكون معنا محمد فهمى السيد (المستشار القانونى للرئاسة وقتها).

وفى اليوم التالى حاولت بكل ما أستطيع.

وربحت بعض النقاط وخسرت بعضها الآخر.

ربحت. فيما أظن. عندما استطعت أن أستبعد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلنا إلى صيغة أخرى تسمح بمرونة، وهكذا كان «تنظيم الصحافة»، وليس «تأميمها».

وحاولت أن أجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسى وبين جمعية العاملين فى كل دار صحفية: ٥٠٪ لكل فريق. ولم يقبل جمال عبد الناصر وخرج باقتراح وسط، انتقال الملكية إلى التنظيم السياسى وليس إلى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بأرباحها داخلها، ثم توزيع هذه الأرباح مناصفة: نصف للتجديد والإحلال فى دور الصحف، ونصف لجمعية العاملين فى كل دار صحفية.

واعترضت على المذكرة التفصيلية للقانون، فقد أحسست أن المنطق والمبررات والأسانيد الواردة فيها يمكن أن تحتل ما يمكن اعتباره نقدًا لما كانت عليه الأحوال في المهنة، الأمر الذي استوجب إعادة ترتيب هذه الأحوال بالقانون.

وأشهد أن جمال عبد الناصر كان صبوراً، فقد قال لى: «دعك من مذكرة فهمى واكتب أنت واحدة غيرها».

وكتبت مذكرة كانت فى الواقع إعلاناً بتأكيد حرية الصحافة أكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون الذى صدر فعلاً يوم ٢٤ مايو ١٩٦٠^(١).



ولا بد أن أقول إن بعض أسبابي للتخوف من القانون الجديد كانت ذاتية، ففي ذلك الوقت كان قد مضى علىّ فى رئاسة تحرير الأهرام ثلاث سنوات وكان التيار فيها قد تحول: فالأهرام بدأ يربح بدلاً من الخسارة، ثم إن توزيعه بدأ يصعد من الهبوط، وكنت اتفقت مع مجلس إدارته وأنا أعرض أمام أعضائه تقريرى الأولى عن خطة العمل التى اقترحها. أنه إذا حقق الأهرام أرباحاً فإنه يكون مسموحاً لى أن أبدأ بتطوير منشآت الأهرام (المبنى والمطابع).

وكنا فى الميزانية التقديرية المقترحة لعام ١٩٦٠ قد رصدنا فعلاً أول اعتماد لمشروع تطوير الأهرام الجديد بعد أن تأكد أصحابه أن التيار تحول.

والآن كان تخوفى أن مشروع تطوير الأهرام قد يتوقف بعد أن بدأ خطواته الأولى، فالقانون الجديد يضعنا أمام احتمالات مجهولة لا أعرف هل أستطيع فى ظلها أن أواصل، أو أنه سيفرض علىّ أن أطوى ملفات الخطط والبرامج والرسوم مودعاً حلمى إلى الأبد؟

وصباح اليوم الذى أذيعت فيه نصوص القانون دعوت كل أسرة تحرير الأهرام إلى اجتماع عام لى أتشاور معهم فى الأوضاع الجديدة.

(١) القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠.

وشرحت لهم فى البداية موقفى :

قلت إننى لم «أكن متحمساً للقانون من ناحية المبدأ».

وفوجئت بالزميلة الراحلة السيدة جاكلين خورى تقاطعنى قائلة :

- هل نستطيع أن نسألك «لماذا؟» وأليس الوضع فى ظل القانون الجديد أحسن

مائة مرة للمهنة وللصحفيين من الملكية الخاصة للصحف؟

وبدا لى أن تياراً قوياً يؤيدها، ودهشت.

واستطردت أشرح مجمل الأسباب التى كانت تدعونى - من ناحية المبدأ -

للتخوف. وكان أولها قلقى من احتمالات تدخل التنظيم السياسى^(١). الذى انتقلت

الملكية إليه - فى سياسات الصحف وتوجيه تحريرها بدعوى القانون.

ثم كان هناك أيضاً تخوفى من احتمال تأثير الظروف الجديدة على مشروعنا

لتطوير الأهرام، وقد قلت للجميع، إننا أمام معركة جديدة ويجب أن نقاتل فيها.

□

وعند الظهر اتصل بى جمال عبد الناصر تليفونياً - معاتباً.

قال لى : «إن تقريراً وصل إليه عما قلته فى اجتماع محررى الأهرام، ومع تقديره

لكل الظروف فهو يرى إننى أضعف موقفى بهذه المسافة التى أريد أن أضعها بينى

وبين القانون الجديد. وإنه سمع تحفظاتى من ناحية المبدأ وحاول بكل جهده أن

يرىحنى فى التفاصيل، وبذلك فإنه لم يعد هناك داع لأن أعود فأخذ موقفاً سلبياً من

القانون، وخصوصاً أن هناك من قد ينتهزون هذه الفرصة ضدى».

ثم قال لى الرئيس :

- إنهم حاولوا أن يصوروا لى قولك : «بأننا يجب أن نقاتل» على أساس إنها معركة

(١) كان التنظيم السياسى وقتها هو الاتحاد القومى، وكانت مشكلته أنه ككل تنظيم ينشأ فى حمى السلطة

يتحول إلى جهاز بيروقراطى أو طرف من أطراف لعبة الحكم ذاتها.

ضد القانون، ولقد قلت لهم إن هذا التعبير يجرى على لسانك كثيراً فى صدد مواجهة أى عقبة، وأن ذلك لا يعنى أنك فى معركة ضد القانون وإنما أنكم فى معركة لإثبات أنفسكم فى الأهرام فى ظل هذا القانون».

وقلت له إن ما فهمه عنى صحيح، وذلك ما قصدته.

ثم راح يحدثنى عن قرار أصدره بضم دار الهلال إلى الأهرام فى التشكيلات الجديدة لمجالس الإدارات...

وكنت من قبل قد أبعدت نفسى تماماً عن قضية تشكيلات مجالس الإدارات دفعاً لأية حساسيات، وعدت الآن أرجوه أن يعفى الأهرام من دار الهلال لأن كلا من الدارين لها طبيعة مختلفة.

وكان كريماً إلى أبعد حال، وقال:

- لقد وقعت التشكيلات وصدرت فعلاً وسوف تصلكم فى الصحف بعد قليل، ولا يصح إدخال تعديل عليها الآن وإلا بدا وكأن شيئاً أضيف إليك قد نزع منك. غداً نصدر تعديلاً يتعلق بدار الهلال، وينشر أن ذلك تم بناءً على طلبك حتى لا يسىء أحد تفسير القرار».

وحين انتهت المكالمة كنت أشعر بعرفان شديد لصبره، وأظننى أيضاً كنت أراجع نفسى وأسائلها ما إذا كانت وساوسى وهواجسى قد تجاوزت بى الحد المعقول.

ولم تمض دقائق حتى جاءنى نص قرار تشكيل مجالس إدارات الصحف، وكان يحمل إلى مفاجآت غير منتظرة أهمها ما كان متعلقاً بدار أخبار اليوم.

كان القرار يقضى بتعيين السيد «أمين شاكر» - وهو ضابط سابق فى مكتب جمال عبد الناصر - رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم، ثم إن تشكيل مجلس الإدارة خلا من اسمى الاستاذين مصطفى وعلى أمين.

الفصل السادس

المشاكل تظهر

ورفعت سماعة التليفون أحاول أن أتصل بجمال عبد الناصر، وفجأة انفتح باب مكتبي ودخل الأستاذان مصطفى أمين وعلى أمين، وأعدت سماعة التليفون إلى مكانها ورفعت أصابعي عن القرص.

وكان بادياً أنهما فى محنة. وكنت بمشاعرى متعاطفاً معهما.

وبدأ الأستاذ مصطفى أمين فقال: «إنهما قرآ قوائم التشكيلات ووجداها خلواً من اسميهما وقررا المجيء إلى على الفور».

وقلت: «إننى أعتقد أن فى الأمر خطأ من نوع ما، وقد كنت حين دخولهما على وشك الاتصال بالرئيس أستوضحه وأرجوه تصحيح الخطأ».

وراح الأستاذ مصطفى أمين يعرض على موقف الاثنين حتى أنقله إلى الرئيس، وكان مؤدى هذا الموقف - الذى كان فى الواقع رسالة - كما يلى:

«إن قانون تنظيم الصحافة لن يؤثر فى ولائهما لقيادة جمال عبد الناصر، ونفس الشئ ينطبق على خلو قوائم التشكيلات من اسميهما.

لكن المشكلة أن هذه المسألة الأخيرة - خلو قوائم التشكيلات من اسميهما - قد تعطى لبعض الناس انطباعاً بعدم رضا الرئيس عنهما، وهذا هو الوضع الذى لا يستطيعان تحمله».

ثم استطرد الأستاذ مصطفى أمين يقول : «إنه إذا كانت للرئيس ملاحظات على نشاطه فإنه يتمنى أن يصارحه الرئيس بما لديه، وإنه حاول بكل الوسائل أن يخدم النظام، فمقالاته منشورة، ثم إنه كل ما يحصل عليه من معلومات يكتبه فى تقارير إلى الرئيس أو إلى السادة صلاح نصر وعبد القادر حاتم وسامى شرف، بحسب نوع المعلومات التى تصل إليه».

وكانت تلك أول مرة أعرف فيها أن نطاق التقارير قد اتسع، فلم يعد قاصراً على الكتابة لجمال عبد الناصر - وهو ما كنت أعترض عليه من ناحية المبدأ - بل إنها الآن أصبحت أيضاً لثلاثة غيره.

ولم أملك نفسى من إبداء تعليق عابر على حكاية كتابة التقارير كلها من أولها إلى آخرها، وكان تعليق الأستاذ مصطفى أمين هو : «إننى أعرف أن هناك أخباراً كثيرة لا يمكن نشرها، وفى نفس الوقت فإنها مهمة لأجهزة الدولة»، وقلت باقتضاب : «إن ذلك ليس عملنا»، ولم أشأ أن أستفيض أكثر من ذلك لأن اللحظة لم تكن مناسبة، كنا أمام مشكلة ولم يكن هناك ما يدعو إلى إثارة مشاكل غيرها.

واتفقت معهما على أننى سوف أتصل بالرئيس، وفى كل الأحوال فإنى سأنضم إليهما على الغداء فى بيت الأستاذ مصطفى أمين.

واتصلت بجمال عبد الناصر، ودار بيننا حوار طويل واستطعت بعد عناء إقناعه بإضافة اسميهما إلى قائمة التشكيلات الجديدة لمجالس إدارات الصحف، وذهبت إليهما بالبشرى فى بيت الأستاذ مصطفى أمين، وانتظرنا إلى ما بعد الظهر حتى أذيع نبأ الإضافة إلى التشكيلات، ثم ركبنا نحن الثلاثة سيارة واحدة وذهبنا إلى دار أخبار اليوم، ودخلت معهما على مرأى ومشهد من مئات المحررين والإداريين والعمال فى الدار، وكان مشهداً لا تخطئ العين فى دلالة.



ولم تكن هذه نهاية المشاكل. بل لعلها كانت بداية لنوع آخر من المشاكل. فلقد رأى

السيد أمين شاكرا ما حدث، وأحس أن أصحاب أخبار اليوم القدامى قد فرضوا عليه بتدخل خارجي، وبدأ محاولة شد وجذب. وكان الاستاذان مصطفى أمين وعلى أمين زواراً لمكتبى كل يوم بتفاصيل ما يجرى فى أخبار اليوم، وانتهزت فرصة لقاء بجمال عبد الناصر وعرضت عليه الأمر، وكانت وجهة نظرى أن مثل هذا الشد والجذب فى أخبار اليوم لا مصلحة فيه لأحد، وربما كان من الخير توزيع الاختصاصات بين رئيس مجلس الإدارة الجديد - وهو من غير الصحفيين - وبين بقية أعضاء مجلس الإدارة - وهم من الصحفيين - بحيث تستقيم الأمور. وكان رأى أن أصحاب أخبار اليوم السابقين - الذين قبلوا القانون الجديد بصدر رحب من ناحية، والذين يملكون كفاءة صحفية لا شك فيها من ناحية أخرى - لابد أن تكون لهم كلمة نافذة فى شئون التحرير، وذلك ليس منطق الإنصاف وحده وإنما هو أيضاً صالح المهنة والدار وكل صحفها ومجالاتها.

وأشهد أن جمال عبد الناصر لم يمانع، وإنما قال: «إنه من الأفضل أن يجيء الاقتراح من السيد أمين شاكرا نفسه».

وبالفعل فإن مجلس إدارة أخبار اليوم عقد جلسة يوم ٢ يونيو ١٩٦٠ وأصدر - بناء على طلب السيد أمين شاكرا - قراراً بأن يكون الأستاذ مصطفى أمين نائباً لرئيس مجلس الإدارة لشئون التحرير وأن يكون له لقب المشرف العام على التحرير. وتصورت أن الأمور سوف تأخذ مجراها الطبيعى. ثم اكتشفت أن ذلك كان ضد منطق الأشياء.

كان «غداء كل يوم ثلاثاء» لا يزال تقليداً سارياً يجمعنا نحن الثلاثة - الأستاذان مصطفى وعلى أمين وأنا - وتحول «غداء كل يوم ثلاثاء» تلك الأيام إلى حكايات لاتنقطع عما يجرى فى أخبار اليوم وعن تصرفات رئيس مجلس الإدارة.

وبالطبع فقد كنت أسمع من طرف واحد، وعلى وجه اليقين فقد كنت منحازاً - ليس فقط بسبب علاقات الصداقة، ولكن أيضاً لأن الموضوع بدا لى فى تلك الأيام

صراعاً على مقدرات الصحافة بين الصحفيين وغير الصحفيين، وكان طبيعياً أن أنحاز لزملء المهنة.

ويمكن إجمال موضوعات الخلاف بما تسجله بعض محاضر جلسات مجلس إدارة أخبار اليوم فى تلك الأيام، وأستشهد منها بمحضر جلسة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٠.

يقول المحضر - وأنقل الآن من نصوصه - ما يلى .

«طلب الأستاذ مصطفى أمين الكلمة وقال إن عنده بياناً يريد إلقاءه، فاقترح الأستاذ محمد زكى عبد القادر تأجيله إلى ما بعد جدول الأعمال، ولكن الأستاذ مصطفى أمين قال إن البيان متعلق بشئون التحرير وهى البند الأول فى جدول الأعمال، ووافق المجلس على ذلك، وقال الأستاذ أبو النجا إنه يقترح أن يلقى الأستاذ مصطفى أمين بيانه على أن يرد عليه الأستاذ أمين شاكراً ثم ينتقل المجلس إلى جدول الأعمال، فوافق المجلس على ذلك، وهنا تلا الأستاذ مصطفى أمين البيان الآتى نصه :

بالأمس دعا الأستاذ أمين شاكراً السعاة والعمال إلى هذه القاعة وقال لهم إنه طالب عدة مرات بدعوة مجلس الإدارة للاجتماع لرفع أجور العمال والسعاة، ولكن أعضاء مجلس الإدارة تهربوا من الحضور.

وقال إن المسئولين فى المؤسسة قدموا له ميزانية مزورة فيها أن الدار تخسر.

وقال إنه سيعقد اجتماع مجلس الإدارة، وإما أن تنفذ مطالبه وإما أن يستقيل.

وقال إن أحد المحررين من أصدقاء مصطفى أمين حصل على تذكرة طائرة فأعطته الدار ألف جنيه ليتفصح فى الخارج.

وقال إن هناك محررين يأخذون خمسمائة جنيه فى الشهر وأن هناك عمالاً يأخذون خمسة جنيهات، وإنه طالب كبار المحررين بتخفيض مرتباتهم فهربوا.

وقال إنه سيجتمع بكرة أى اليوم وسيتخذ القرارات التى أعدها، وسأنفذ كل الخطوات التى وعدتكم بها... وانتظروا ماذا سيحدث.

ومما قاله: أنا كنت منتظر أن يعرضوا موضوع زيادة أجوركم فى الاجتماع، ولكن ها هو جدول الأعمال الذى كتبه مصطفى أمين أعرضه عليكم وهو يتكلم عن الدشت ولا يتكلم عن أجوركم.

وهى ادعاءات كاذبة تتنافى مع الواقع، الذى يؤيد دائماً أننا كنا نعمل على رفع مستوى العمال والسعاة والموظفين والمحربين. وقد كان من مفاخر أخبار اليوم اهتمامها بكل من يعمل فيها، ورعاية أسراتهم فى حياتهم وبعد مماتهم.

وقد كان من واجبى أن أبلغ النائب العام عن هذا الحادث وعن هذه المحاولات لتخريب المؤسسة، بإذاعة أنباء ومعلومات كاذبة لا يقصد بها إلا إثارة العمال على إدارة العمل، وبث روح التفارقة وإثارة الكراهية بين العاملين فى مؤسسة واحدة، مما قد يؤدى إلى وقوع حوادث تخريب وتدمير وحريق، واعتداءات تؤدى إلى التأثير الخطير على إنتاج العمال والموظفين، ويصرفهم عن تأدية واجباتهم إلى صراع طبقى يحطم المؤسسة التى أصبحت ملكاً للشعب، ويؤدى فى الوقت نفسه إلى انهيار باقى المؤسسات الصحفية الأخرى، ولكنى رأيت حفظاً لكرامة مؤسسة أخبار اليوم ولكرامة الصحافة نفسها، أن أعرض الأمر على المسئولين.

وقد حاولت جاهداً وتحملت ما لا يتحمله البشر من تصرفات الأستاذ أمين شاكر عضو مجلس الإدارة المنتدب، هذه التصرفات التى ستؤدى إلى القضاء على دار أخبار اليوم، والصحافة كلها. وتحملت من الإساءات الشخصية والإهانات والشتائم فى سبيل المحافظة على كيان مؤسسة أخبار اليوم واستمرارها، تنفيذاً لرغبة الرئيس جمال عبد الناصر بصيانة أخبار اليوم وبالعامل على أن يكون الاستقرار فيها بعد التنظيم أكثر مما كان قبل التنظيم.

وقد رأيت أن أصبر على كل ما يتعلق بشخصى فى سبيل تنفيذ سياسة الدولة

التي تقضى بأن تكون الصحافة قوية، وأن لا يحدث أى شىء يعطل سير العمل، أو يؤدي إلى تحطيم سلاح من أسلحة الوطن.

والآن وقد أصبحت عاجزاً عن التعاون مع الأستاذ أمين شاکر، فإننى أرى أن يرفع مجلس الإدارة الأمر إلى المسئولين لكي يختاروا شخصاً غيرى للعمل فى هذه الدار مع الأستاذ أمين شاکر الذى يتصرف تصرفات تؤدي إلى تخريب مؤسسة أخبار اليوم وإلى القضاء عليها، ولم يحدث فى تاريخ الصحافة أن استطاع فرد واحد أن يسىء إلى مهنة ويلطخها بالطين، ويدوسها بالأقدام كما فعل الأستاذ أمين شاکر خلال الشهرين الماضيين.

ورد الأستاذ أمين شاکر بما يلى:

هذه مذكرة تافهة ولا تستحق منى الرد لأن كل ما جاء بها كذب مقصود، ولعل عقدة الذنب التى دفعت السيد مصطفى أمين لكتابة هذا الكلام التافه ليغضى أخطاءه المتكررة ومحاولاته لإفشال الأهداف التى توخاها الشعب من إصدار قانون تنظيم الصحافة.

ويهمنى بهذه المناسبة أن أذكر للسيد مصطفى أمين أن القانون عند صدوره استبعده هو وشقيقه من دار الأخبار رعاية لمصلحة هذه الدار. وإننى اقترحت عودتهما للعمل كمحررين لا كملاك. ولكن السيدين على ومصطفى أمين يحاولان جاهدين إرجاع عجلة الزمن والإبقاء على الأوضاع غير الصالحة التى كانت تسود هذه الدار قبل إصدار قانون التنظيم والتى تعتبر من الأسباب الرئيسية التى بسببها صدر قانون التنظيم. أما عن الألفاظ النابية التى حشا بها الأستاذ مصطفى أمين بيانه فإننى أترفع عن الرد عليها لأننى لم أعود أن أنزل بنفسى إلى هذا الدرك.

وبعد مناقشات متشعبة وافق المجلس على الانتقال إلى جدول الأعمال:

الأستاذ مصطفى أمين:

أعرض أننى مسافر إلى الولايات المتحدة لتغطية أخبار رحلة السيد الرئيس، وأقترح أن يتولى الأستاذ على أمين عمل المشرف على التحرير أثناء غيابى.

الأستاذ أمين شاكر:

القرار المؤقت الذى اتخذه المجلس فى أول اجتماع له باختيار الأستاذ مصطفى أمين مشرفاً على التحرير لا محل لا ستمرارته، ولقطة مشرفاً أو مستشاراً لا يترتب عليها سلطات للسيد المشرف، وليس من حق المجلس أن ينشئ وظيفة جديدة تغير من الوضع الوظيفى أو التنظمى الرئيسى فى الدار بدون الحصول على موافقة صريحة على ذلك من أصحاب المؤسسة، وهذا ما لم يحدث.

ثانياً: التحرير فى هذه المؤسسة ليس إرثاً يتبادلته الأخوان على ومصطفى أمين، سفر الأستاذ مصطفى أمين لا يستدعى تعيين أو اختيار شخص آخر يقوم مقامه لأن لجريدة الأخبار سبعة رؤساء تحرير وهم بطبيعة الحال يقومون بأعمالهم بحكم وظيفتهم وليس عن طريق أوامر أو توصيات تصدر إليهم من مجلس الإدارة، وضمن هؤلاء الرؤساء الأستاذ أحمد الصاوى محمد والأستاذ زكى عبد القادر وكلاهما أكثر خبرة وكفاءة من السيد على أمين فلا أدرى سبباً يدعو المجلس لأن يتخطاهما باختيار الأستاذ على أمين.

واستطرد الأستاذ أمين شاكر قائلاً:

حكاية مشرف فسرت خطأ واستغلها الأستاذ مصطفى أمين لبسط سيطرته على باقى رؤساء التحرير، علماً بأن قانون التنظيم قد نص على اختيار رؤساء التحرير هؤلاء لإدارة الدار من الناحية الفنية الإدارية، بينما استبعد هو وشقيقه على أمين فلا يجوز لذلك أن يتخذ مجلس الإدارة قراراً يتعارض تعارضاً مباشراً مع هذا الاتجاه.

الثابت أن مستوى مجالات الدار منهار جداً، ولو أعطيت الفرصة للسادة رؤساء تحرير هذه المجالات للعمل بحرية فيها لأمكن الارتقاء بمستواها وتحقيق

التوصيات الخاصة بإعادة تنظيم الصحافة، ولا أفهم أبداً ولا يمكن لأى إنسان أن يفهم أن ينصب الأستاذ مصطفى أمين نفسه قيماً على أعمال التحرير فى الدار بينما يوجد فى الدار ثمانية رؤساء تحرير وليس فيهم من يقل عن سيادته كفاءة فى العمل».

وأكتفى بهذا القدر من المحضر، فقد شطت المناقشات فيه بعد ذلك إلى أقاويل عن «السكرتيرات» واختصاصهن، وقال واحد للثانى «أنت دون كيشوت» وقال الثانى «أنت ابن ...» وارتفعت منفضة بلورية فى الهواء توشك أن تصيب أحداً فى وجهه لولا أن تداركتها يد قبل الانقراض.



واستمرت الاشتباكات بين الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين والسيد أمين شاكر قائمة حتى سنة ١٩٦١، وحينما كانت تسمح الظروف وتكون هناك مسألة واضحة المعالم - فقد كنت أحدث جمال عبد الناصر فى الأمر، وأحياناً كان يرى الأمر طبيعياً فى التناقض بين ملاك سابقين وإدارة وافدة، ثم تخطى السيد أمين شاكر حدود الخط المسموح به حين قام بتحريض بعض العاملين فى أخبار اليوم فتصدوا لأصحابها السابقين ومنعوهم من دخولها، وأعفى السيد أمين شاكر من رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم.

ومرة ثانية ذهبت مع الاثنين إلى دار أخبار اليوم، ودخلنا نحن الثلاثة معاً فى مشهد لم يخطئ فى دلالة أحد... هذه المرة أيضاً.

وكان جمال عبد الناصر متيقظاً لم يترك للشامتين - ولا لأصدقائهم !- فرصة. فما لبث أن أصدر قراراً بتعيين السيد كمال رفعت رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم، وكان كمال رفعت أحد البارزين فى حركة الضباط الأحرار وكان وزيراً للعمل وعضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى، وكان بالقطع عوداً أصلب.

ومع ذلك فقد تكررت القصة.

ظهرت الخلافات بعد قليل ثم استفحلت، ورد كمال رفعت، فإذا الأستاذ على أمين يُنقل إلى دار الهلال، وإذا الأستاذ جلال الحماصي يُفصل من دار أخبار اليوم.

وبقى الأستاذ مصطفى أمين وحده، ولعله أحس أن التجربة الجديدة مع كمال رفعت أصعب من التجربة السابقة مع أمين شاکر فقام بتقصير خطوته، ومن سوء الحظ أن حياته الخاصة في ذلك الوقت ارتبكت. وأظننى كنت أشعر بمخاطر الملابس التى اكتنفت حياته فى ذلك الوقت، وهكذا كرست مساعى حثيثة لى يعود الأستاذ على أمين إلى أخبار اليوم، ويعود التوءمان معاً ليؤنس كل منهما الآخر.

ومضت الأيام، ثم ما لبثت العواصف أن ثارت من جديد فى أخبار اليوم، لأن السيد كمال رفعت فى خضم مسئولياته الواسعة ترك أخبار اليوم لأحد مساعديه الذى قرر فى نوبة غضب أن يعطى الأستاذين مصطفى وعلى أمين أجازة مفتوحة.

ونذهبت إلى جمال عبد الناصر، وكان صدره قد ضاق بالكل بما فيهم أنا. وقال لى: كمال رفعت ليس لديه وقت يعطيه لأخبار اليوم، وسكرتيره أخطأ. وسوف أعين رئيساً جديداً لمجلس الإدارة، وعلى «أصحابك» أن يتعاونوا معه، قل «أصحابك» أن يعقلوا وأن يعملوا كصحفيين محترفين فقط. لعلمك هم يستندون على صلتك بى وهى تشجعهم، وهذا يخلق تعقيدات لا لزوم لها».

وحاولت أن أعترض مشيراً إلى كفاءة الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين وإخلاصهما وقاطعنى قائلاً: «كفاءتهما لا أتكلم عنها، وأما الإخلاص فمسألة أخرى. والحقيقة إننى لا أستطيع أن أثق فى إخلاص أضيفت مصالحه فهذا فوق الطبيعة البشرية. وعدا ذلك فإن لى رأياً من قديم رغم كل ما تقوله أنت..».

ثم أبدى جمال عبد الناصر ملاحظات أخرى.

وخرجت من عنده إلى بيت الأستاذ مصطفى أمين وقلت للثنتين إنهما سيعودان

إلى أخبار اليوم، ثم أضفت رجائي بأن يتصرفا بهدوء؛ لأن الظروف لم تعد تحتل.
وعلى أى حال فقد صحبتهما للمرة الثالثة إلى دار أخبار اليوم، وللمرة الثالثة رأنا
مئات المحررين والعمال فيها ننزل نحن الثلاثة من سيارة واحدة ونصعد سلم الدار
الخارجى... للمرة الثالثة فى مشهد لا تخطئ العين دلالة.

وبعد يومين، فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٤، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بأن
يتولى الأستاذ خالد محيى الدين اختصاصات رئيس مجلس الإدارة فى أخبار
اليوم.

الفصل السابع

١٩٦٥ السنة الحافلة

وجاءت سنة ١٩٦٥ وكانت سنة حافلة.

فى الشهور الأولى من السنة كان كل شىء هادئاً على جبهة أخبار اليوم، أو على الأقل هكذا كان بادياً على السطح. كان أقصى ما سمعته من الأستاذين مصطفى وعلى أمين روايات هامسة عن الطريقة التى يتسلل بها «الشيوعيون» إلى أخبار اليوم. ورجوت منهما مبكراً عدم إحراجى بمشاكل يمكن تجنبها مع الأستاذ خالد محيى الدين.

والحق أن المشاكل كلها ظلت فى إطار ما يمكن تقبله مع مراعاة طبائع الأمور وطبائع الظروف وطبائع الناس.

وكانت مدة رئاسة جمال عبد الناصر تنتهى فى مارس ١٩٦٥. وكان الجو معبأ بالحماسة لإعادة ترشيح جمال عبد الناصر مرة أخرى، وكان الأستاذان مصطفى أمين وعلى أمين أكثر المتحمسين، ولا أعتقد أن أحداً بين الصحفيين - بمن فيهم أنا - كتب فى تأييد إعادة ترشيح جمال عبد الناصر لمدة رئاسة ثانية أكثر منهما. والواقع أن تسجيل هذه الحقيقة تتزايد أهميته فى ضوء ما تلا ذلك من التطورات.

وعندما اقترب موعد الاستفتاء على الرئاسة وكان محدداً له يوم ١٥ مارس ١٩٦٥، قرر الأستاذ مصطفى أمين أن لا يكتفى بمقاله الأسبوعى، الموقف السياسى

فى أخبار اليوم بل راح يكتب كل يوم . وبالطبع كان باب «فكرة» الذى يكتبه الأستاذ على أمين يظهر يوميا .

وفى يوم ١٣ مارس ١٩٦٥ كان مقال الأستاذ مصطفى أمين فى أخبار اليوم كما يلى بالنص :

نعم

بعد غد، سوف انتخبه رئيسا للجمهورية العربية المتحدة، لأنه أول فلاح مصرى فى تاريخ بلادى أصبح حاكما لها . لم يصعد فوق الحراب، وإنما ارتفع فوق القلوب، لم يتملق الشعب، وإنما واجهه بالحقائق المريرة، لم يخدعه بالوعود، وإنما بصّره بالصعاب . لم يستأثر بأمجاد الشعب لنفسه، بل وزع أمجاده هو على العرب أجمعين . لم يقدس نفسه، وإنما قدس هذه الأمة وكرامتها وعزتها وحقها فى الحرية والحياة .

لم بين لنفسه القصور، وإنما بنى مئات الألوف من البيوت لصغار العمال والفلاحين .

سوف انتخبه، لأنه كلما سما إلى المجد اقترب من الله ولم ينفصل عن الأرض . زاد إيمانه بالله وزاد التصاقه بالشعب الذى يقوده . لم يرتفع عندما انحنت الرءوس، ولكنه ارتفع عندما رفع الشعب رأسه .

لم يرتفع صوته عندما صمتت الأفواه، وإنما دوى صوته عندما تحولت همسات الأمة إلى زئير . لم يغط صدره بالأوسمة والنياشين وإنما ملأ قلبه بحب الملايين .

لم يجعله الحكم سلطانا وجبروتا، وإنما جعله قيادة ورحمة . لم يتجبر فى قوته، ولم يتخاذل فى أزماته، بل قابل الانتصارات والهزائم بروح واحدة وثقة لا حد لها بالرسالة التى كرس حياته من أجلها .

سوف أنتخبه لأنه يؤمن بالله ويقاوم الإلحاد، لأنه يحترم الأديان كلها . لأنه

لا يعرف التعصب والطائفية . لأنه يؤمن بحكم الشعب بالديمقراطية السليمة، ويمقت الدكتاتورية العسكرية، ودكتاتورية الطبقة، وحكم الفرد . لأنه لا يؤمن بالعنف، ولا يقبل حكم الدم . وإنما يقيم ثورته على الحب والتسامح وتحالف قوى الشعب العاملة كلها.

سوف أنتخبه لأنه يؤمن بالاستقلال الكامل . ويأبى التدخل الأجنبي مهما كان مصدره . لأنه يرفض أن ينضم إلى أى معسكر، أو أن يكون تابعا لأى حركة دولية.

سوف أنتخبه لأنه يقود ثورة إشتراكية فريدة فى نوعها، منبعثة من ظروفنا، مستمدة من حياتنا، ليس فيها عبيد وأسياد، ليس فيها محظوظون ومنبوذون . ليس فيها انتقام ولا إذلال ولا ذبح ولا حمامات دماء .

سوف أنتخبه لأننى بذلك أعطى صوتى لعهد جديد .

لمرحلة خطيرة فى ثورتنا .

مرحلة تمهد الطريق لجيل جديد يقود ثورتنا .

مرحلة فيها تضحيات عظيمة لأن فيها انتصارات عظيمة .

فيها عرق أكثر لأن فيها ابتسامات أكثر . فيها تشييد لطوابق أعلى فى بناء بلادنا، وفيها تعميق تحت الأرض لأسس هذا البناء الكبير .

مرحلة فيها عواصف، ولكن فيها شعب أقدر على مواجهة العواصف والأزمات .

إن الصوت الذى سنعطيه لعبد الناصر ليس معناه أننا ننتخبه رئيسا للجمهورية، ولكن معناه أننا نجند أنفسنا فى الست سنوات القادمة لنسير معه إلى معارك أكبر، وانتصارات أعظم ...

مصطفى أمين

وفى اليوم التالى ١٤ مارس كانت فكرة الأستاذ على أمين فى الأخبار كما يلى
بالنص:

سأنتخبه لأنه متفائل.

وهو لا يغمض عينيه ويتفائل...

وإنما يفتح عقله وقلبه فيرى أنوار الفجر ويتجه إليها.

سأنتخبه لأنه شجاع جريء.

فلقد رأيت فى أحلك الأيام التى مرت ببلادى. رأيت أثناء العدوان على القنال،
رأيت والأساطيل تضرب الشعب بقنابلها الفتاكة والطائرة تهدم البيوت
والمستشفيات...

رأيت عندما كان وحده فى المعركة.

وقبل أن تثور شعوب العالم على المعتدين. كان فى تلك اللحظة يعتمد على الشعب
المصرى وحده. ومع ذلك كان يؤمن بأن الشعب سينتصر. كان يؤمن بأنه سيطرد
الجيوش المحتلة من بلادى.

وكان يؤمن بأن الله لن يتخلى عن هذا الشعب العظيم.

سأنتخبه لإيمانه بالله... وهو إيمان لا حدود له. وهو إيمان نظيف لم يلوثه
التعصب أو الكراهية.

سأنتخبه لأنه يعرف كيف يحب.

... ولا يعرف كيف يكره. فهو يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الناس. وهو
يفترض أن الخطأ من صفات الإنسان، ولهذا يعطى دائما فرصة للمخطئ، ليتراجع
عن الخطأ الذى وقع فيه. فإذا تكررت أخطاؤه عاقبه... وإذا أوقع العقاب، تذكر
المخطئ، ومنحه فرصة ثانية. فهو لا ينسى الناس. حتى الذين أخطأوا فى حقه يعود
إليهم، ويمنحهم فرصة أخرى.

وهو لا يضرب خصما وقع على الأرض، فهو يكره إذلال الناس.. حتى الذين تأمروا عليه فى وقت من الأوقات. مد لهم يده.

سأنتخبه لأنه صمام الأمان فى بلادى، إنه يخاف من سيف السلطان الذى فى يده... ويكره استخدامه. لا يتحمس لعمليات البتر، وإنما يؤمن بعلاج المرضى دون أن تسيل نقطة دم واحدة.

سأنتخبه لأنه يؤمن بحرية الصحافة، ويعرف أن هذه الحرية تحمى الحاكم من التماذى فى أخطائه، وتحمى الشعب من تصور أن الحاكم معصوم عن الخطأ.

سأنتخبه لأنه أول حاكم فى بلادى انتقد النواب؛ لأنهم يوافقون بالإجماع على قرارات الحكومة، وشجعهم على أن ينتقدوها... لإيمانه بأن النقد يهذب الآراء ويفتح عيون الحكومة إلى أخطائها.

سأنتخبه لأننى أطمئن على نفسى وعلى بلدى والصولجان فى يده.

على أمين

وفى يوم الاستفتاء نفسه كتب الاثنان فى نفس العدد من الأخبار.

كانت مقالة مصطفى أمين كما يلى بالنص:

باسم هؤلاء... ننتخبه ..

باسم الدولة الجديدة ننتخبه... باسم الشعب ننتخبه ..

باسم العرب ننتخبه... باسم العدل ننتخبه ..

باسم جيش الشعب ننتخبه... باسم الدستور ننتخبه .. باسم الشهداء ننتخبه.

بقلم مصطفى أمين

باسم الشعب... ننتخبه.

باسم الشعب ننتخبه. وصوت الشعب من صوت الله. ومن كان الشعب معه فالنصر له. وباسم الشعب نرفعه على سواعدنا إلى مقعد القيادة. والرجل الذى يعتمد على الشعب لن يسقطه الشعب. والرجل الذى يعيش للشعب لا يمكن أن يتخلى عنه الشعب.

باسم هؤلاء الملايين فى سوريا ومصر. الذين فرقهم الاحتلال وجمعهم الاستقلال. الذين مزقتهم الحدود السياسية وضمتهم القومة العربية. الذين قسمهم الاستعمار إلى دول وممالك وولايات وهم فى الواقع أمة واحدة بأسماء مختلفة. باسم الذين يعيشون فى الوديان والذين يقيمون فوق الجبال. الذى يسكنون الأكواخ والخيام. والذى يأوون فى العراء. البدو فى الصحراء والحضر فى المدن. الفقراء والأغنياء. الضعفاء والأقوياء.

باسم الذين صرعوا الطغيان فى معركته الأخيرة، والذين صرعهم الطغيان فى معاركهم الأولى. الذين ماتوا والذين بقوا أحياء. الذين صمدوا إلى النهاية والذين تخاذلوا أمام جبروت الأقوياء. الذين حاربوا وسقطوا شهداء. والذين تفرجوا على المعركة وعاشوا نصف أحياء. الذين كانوا وقود الثورات العديدة الماضية والذين كانوا ضحاياها. الذين أشعلوها والذين احترقوا فى لهيبها. والذين عاشوا فى نورها. والذين كانوا رمادها.

باسمهم جميعا ننتخبه. لأنه الرجل الذى قاد المعركة الكبرى التى لم يتخلف فيها أحد، ولم يفر منها أحد. المعركة التى لم يكن فيها صفوف أولى وصفوف أخيرة. لم يكن فيها أبطال صامدون وجبناء فارون. إنما هى المعركة التى جعلت الشعب كله بطلا صامدا. نساؤه ورجاله. شيوخه وشبابه. أطفاله ومرضاؤه. إنها المعركة التى حولت كل القاعدين إلى واقفين. كل المتخاذلين إلى شجعان. كل الغافلين النائمين إلى يقظين منتبهين. وكل البكم الصامتين إلى فصحاء متكلمين. إنها المعركة التى أزالَت الحدود. ووحدت الشعوب. وأذابت الفوارق. وقضت على روح الهزيمة والاستسلام. وجعلت الشعب كله جيشا واحدا ليس فيه مجندون يحاربون

ومدنيون يصفقون، وليس فيه طليعة تموت ومؤخرة تعيش. وليس فيه محاربون يقاتلون ومتفرجون يلهون. إنما هو شعب كامل تحت السلاح.

فى يد الصغير سلاحه وفى يد الكبير مدفعه. فى يد الرجل قنابله وفى يد المرأة بندقيتها. كل الشعب مجند، يحارب ويقا تل ليموت شهيدا أو يعيش بطلا.

باسم هؤلاء الملايين من الأبطال ننتخبه.

لأننا باسم الشعب ننتخبه.

مصطفى أمين

وكانت «فكرة» على أمين فى نفس اليوم كما يلى بالنص:

سأنتخبه لنظافة يده. وإصراره على أن يعيش عيشة بسيطة متواضعة.

سأنتخبه لأنه يحب عمله. ويتفانى فيه. ويعطيه قلبه وعقله وكل ساعات فراغه.

ولهذا فإن طاقته للعمل لا حدود لها. وهو لا يرفع سماعة التليفون.

إنه الموظف الوحيد فى الدولة الذى تستطيع أن تستنجد به فى كل ساعات الليل والنهار.

سأنتخبه لأنه يخلق ولا ينقل ويترجم.

إنه لا يستورد أفكاره من الخارج... إنه يقرأ كثيرا. ويهضم كل ما يقرأ. ثم يفكر تفكيرا عربيا خالصا.

وهو يستفيد من تجارب الآخرين. ولكنه لا يترجم تجارب غيره.. إن كل تجربة يدخل فيها ولدت فى عقله. وترعرعت فى قلبه.

وهو من الحكام القلائل فى الدنيا الذين يجيدون الاستماع.

إنه يحب أن يسمع رأى الناس. والحاكم عادة يحب أن يسمعه الناس. وهو

لا يسخر من بعض الآراء الساذجة التى يسمعها. إنه ينصت باهتمام. لأنه يؤمن بأن واجبه أن يسمع كل الآراء حتى يصل إلى رأى السليم.

سأنتخبه لأنه يحاسب نفسه قبل أن يحاسب الناس. ولأنه لا يتمسك بأخطائه.

إنه يدافع عن رأيه بقوة.. ولكنه مستعد دائما أن يعدل رأيه. وأن يعلن بشجاعة أنه أخطأ. فهو من الزعماء القلائل فى التاريخ الذين لا يتصورون أنهم معصومون من الخطأ.

سأنتخبه لإيمانه المطلق بالله وتمسكه بكل المثل العليا... ولأنه لا يتاجر بهذا الإيمان كما يفعل بعض الحكام.

سأنتخبه لقدرته العجيبة على الحركة. وعلى الخروج من الأزمات. وعلى الاستفادة من أخطاء أعداء البلاد.

سأنتخبه لإنسانيته، ولانتصاره للضعفاء، ولوقوفه دائما مع كل الذين يحاولون تحطيم القيود والأغلال.

سأنتخبه اليوم لأننى أحب بلادى...

وأؤمن بأن هذا الرجل قادر على أن يجعلها أسعد بلاد الدنيا.

سأنتخبه اليوم لأننى أريد أن أنام الليل... ولن أنام الليل إذا تصورت أن حارس بلادى غارق فى نوم عميق.

على أمين

ومرت أيام...



وصباح يوم ٢٣ إبريل ١٩٦٥ اتصل بى الأستاذ على أمين فى بيتي مبكرا يسألنى إذا كان يستطيع أن يمر على فى الأهرام فى أى وقت قبل الظهر. وجاء. وكان الموضوع الذى أتى به مفاجئاً لى.

قال وهو يقدم لما يطلبه «أنه يعرف أنني تحملت الكثير معهما ولم يكن يريد أن يحملني أكثر بعد كل ما جرى، لكنه - وهو يعتبرني بمثابة ابن له - لا يجد من يذهب إليه غيري».

وقاطعته أعاتبه على ما قال وأؤكد له أن ما بيننا يسمح له بأن يطلب مني ما يشاء، خصوصاً إذا كان في نطاق ما أستطيع.

وراح الأستاذ على أمين يلقي بكل ما عنده مرة واحدة: «لقد أصبح جو العمل في أخبار اليوم ثقيلاً عليه، وقد أصبح ضيق الصدر بكل شيء قابلاً للانفجار في كل لحظة...».

ودخل في التفاصيل، ولم يستثن أحداً حتى توءمه الأستاذ مصطفى أمين (ولا أنوى بالطبع أن أضع على الورق الآن كل ما قال، فلقد كانت لحظة تدفق نفسي طال كبته). ثم وصل الأستاذ على أمين إلى ما يريد فقال:

... والآن ما أريده هو أن أجيء معك هنا في الأهرام... ثم أسافر في أول فرصة مراسلاً للأهرام في لندن...».

ونظر إلى وفي عينيه استغاثة صامته وقال: هل تعطيني هذه الفرصة؟ وأحسست أنني أستجيب دون أن أفكر، وكانت استجابتي لاستغاثته الصامته التي أحسست بها تصل إلى أعماق مشاعري.

وقلت له: «إن كل شيء في الأهرام تحت تصرفك وأنا أعتبر طلبك أمراً...».

وسألني: «ألا أريد أن أفكر؟».

وكان ردي: «أن الأهم أن يكون هو قد فكر».

وعاد يسألني: «ألا أريد أن أستأذن...».

وكان ردي: «أن الأمر لا يحتاج إلى استئذان. فهذا تصرف في نطاق الأهرام

وفى حدود مسئوليتى عنه، ولن يجد الأهرام فى لندن مراسلا أفضل من على أمين».

وقام يقبلنى، وتوجهت إلى مكتبى فجلست إليه وكتبت بخط يدى قرارا إداريا بتعيين الأستاذ على أمين محررا فى الأهرام بالحد الأقصى للمرتبات وقتها. ثم إضافة بتكليفه أن يكون مراسلا للأهرام فى لندن ببديل سفر مواز للمرتب، وقدمت القرار له قائلا «إننى كنت أتمنى لو كان فى استطاعتى أن أفعل ما هو أكثر ولكن ذلك هو أقصى حدود سلطتى».

ثم عدت إلى مكانى بجانبه وقلت له «الآن وقد فرغنا من الشكليات فإن ما يشغلنى حقا هو حالته النفسية كما أراها».

ولم يحبس الأستاذ على أمين شيئا فى صدره وراح يفيض. ووصلنا إلى الساعة الثالثة بعد الظهر وتركنى وانصرف لى يقابل مصطفى ويفاتحه فيما فعل وفيما فعلت.

الفصل الثامن

الظلال الزاحفة

وفى مساء ذلك اليوم كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر ووجدت مناسبة أن يكون على علم بما جرى. وفى البداية شعرت بأنه لم يكن متحمسا لما سمعه منى وحاولت أمامه أن أشرح. بأثر رجعى. وعقلانيا قرارا اتخذته فى الصباح عاطفيا.

قلت فى البداية إن على التزام صداقة وزمالة طويلة مع الاستاذين مصطفى وعلى أمين. ثم إن انضمام على أمين للأهرام كسب للأهرام.

وأخيرا أضفت أن هذا الوضع قد يكون بديلا أفضل من أن نجىء إليه بعد أسابيع أو شهور بمشكلة فى دار أخبار اليوم بين أصحابها القدامى وبين المسئولين الجدد عن إدارتها، وخصوصا أنه هو - «الرئيس» - قد نبهنا مقدما إلى أنه لم يعد يريد أن يقحمه أحد فى أوضاع الدور الصحفية والمعارك الدائرة أو التى تدور فيها.

ولست أعرف لماذا أضفت :

- «إن على أمين يحمل فى قلبه طيبة طفل رغم اندفاعاته أحيانا».

وسألنى جمال عبد الناصر فجأة :

- «ومصطفى؟...».

وقلت إن كل واحد منهما فيه مزاياه. لكن على طيب القلب.

لكن جمال عبد الناصر واصل الحاحه يسألنى : ومصطفى؟

وأحسست أن إلحاحه يتعدى منطوق سؤاله، فقلت: لا أفهم ما الذى تقصده؟

ولم يفصح عن شىء، وأحسست أن لديه شيئاً يقوله لكنه لا يريد. وانتقلت إلى نقطة أخرى، فقد رجوته أن يقابل الأستاذ على أمين قبل سفره حتى يعطيه ذلك ثقة بالنفس والقوة.

وتردد جمال عبد الناصر للحظة ثم قال:

ـ سأقابل على، ولكن ليس مصطفى.

وكانت سعادتى بموافقته على ما سألته منه كافية لتنسينى رفضه ما لم أسأله منه أصلاً، وكان تطوعه بالرفض حرياً بأن يلفت نظرى. وفاتت على.



وتحركت المسائل بسرعة بعدها.

فى اليوم التالى جاء الأستاذان مصطفى وعلى أمين إلى مكتبى وتحديثنا طويلاً.

ثم كتبت «كلمة للأهرام»^(١) عن انضمام على أمين لأسرته نشرت يوم ٢ مايو ١٩٦٥.

ثم تحدد موعد السفر.

(١) نص «كلمة الأهرام»

«على أمين ينضم إلى أسرة الأهرام»

انضم إلى أسرة «الأهرام» واحد من جيل الصحفيين الرواد الذين صنعوا التقدم الحديث لمهنة الصحافة وشاركوا بقسط ضخم فى تطويرها وهو الأستاذ على أمين.

وقد وقع «الأهرام» أمس عقداً مع على أمين يصبح بمقتضاه هذا الكاتب الصحفى اللامع مراسلاً خاصاً «للأهرام» فى أوروبا مركزه لندن.

وسوف يكتب على أمين بابيه اليومى المشهور «فكرة» فى الصفحة الأخيرة من «الأهرام» وكذلك سوف يقدم رسالة أسبوعية، سياسية واجتماعية، فضلاً عن الاشتراك مع مراسلى «الأهرام» ومكاتبه فى أوروبا فى متابعة أحداث القارة الهامة والخطيرة حيث تتحرك هذه الأحداث».

وكان على أمين قد سألنى على استحياء: «هل يستطيع مقابلة الرئيس قبل أن يسافر؟».

وقلت له: «إننى تحسبت لهذا الطلب وقد فاتحت الرئيس فيه فعلا، وقبل».

وكانت سعادته غامرة.

وتحدد الموعد، وحاولت مراجعة جمال عبد الناصر فيما إذا كان يأذن لمصطفى بحضوره، لكنه أعاد الرفض. وكان على أن أقول للأستاذ مصطفى أمين أن الموعد لا يشمل له سوء الحظ.



وفى يوم السفر سبقنا هو إلى مطار القاهرة بينما مررنا - على أمين وأنا - على بيت الرئيس جمال عبد الناصر فى منشية البكرى، وكان عبد الحكيم عامر هناك.

واستغرق اللقاء خمسا وعشرين دقيقة بالضبط. وكان أبرز ما دار فيه سؤال من الأستاذ على أمين «عما إذا كان يستطيع أن يتصل بالسفارة فى لندن دون حرج؟» وكان رد جمال عبد الناصر بالإيجاب. ثم قال الأستاذ على أمين «إنه قد يصادف أثناء عمله الصحفى فى لندن معلومات سياسية تهم «البلد» - فهل يستطيع إعطاؤها للسفير ويطلب منه إرسالها إلى مصر بالشفرة لاطلاع الرئيس؟» ولم يتردد جمال عبد الناصر وإنما قال على الفور: «لا... إذا كان لديك شىء من ذلك فابعث به إلى هيكل وهو يخطرني به». ثم استطرد جمال عبد الناصر قائلا: «لا داعى لبرقيات شفرية وإلا كان لنا فى لندن سفيرين» وقال الأستاذ على أمين: «إن أى مراسل أجنبى فى عاصمة يعتبر بمثابة سفير لبلده فيها إلى جانب عمله الصحفى». ورد جمال عبد الناصر بسرعة قائلا: «لا مانع من أن تكون سفيراً أهلياً وليس سفيراً رسمياً يبعث رسائل بالشفرة».

وفيما بعد وفى الطريق إلى المطار سألنى الأستاذ على أمين انطباعى عن المقابلة، وقلت إنها كانت إيجابية، ولكنى صارحته بأننى لم أسترح إلى مسألة «السفارة والسفير إلى آخره».

وفى الطريق من المطار عائداً إلى قلب القاهرة بعد وداع الأستاذ على أمين كنت أشعر بتعاطف مع الأستاذ مصطفى أمين، فقد قدرت مقدما أنه سوف يشعر بوحشة لا شك فيها بعد غياب توءمه، ومن ثم أصبح حرصى أشد على موعد «الغداء كل يوم ثلاثاء».

ثم حدث بعد فترة من الوقت شىء أدهشنى. ذهبت إلى موعد مع جمال عبدالناصر يوماً فإذا هو فجأة وسط حديث طويل يقول لى:

- «أنت تتقابل مع مصطفى أمين بطريقة منتظمة. وليس من شأنى أن تقابله أو لا تقابله، هذه مسألة تخصك. ولكنى أرجوك أن تتحفظ فى أحاديثك معه».

وحينما أظهرت استغرابى قال: «إننى أبديت لك من قبل ملاحظاتى حول هذه المسألة لكن ملاحظاتى لم تنتج أثراً فيما أرى. والآن أقول لك بوضوح: تحفظ».

وأثناء عودتى إلى مكتبى من بيت جمال عبد الناصر استعدت هذه الملاحظة، وتداعى فى خواطرى لدى استعادتى لها شعور غريب راودنى مرات أثناء «غداء يوم الثلاثاء» كنت أشعر أحياناً أننى أتعرض لمحاولة «ضخ» أو «سحب» من نوع ما يحدث لبئر ماء أو بترول يسقطون فيها ماسورة تتصل بمحرك قوى «يشد» و «يشفط». وكان الشعور بذلك يحدث معى دائماً أثراً عكسياً، فقد كان رد فعله الغريزى انقباض يحتبس به أى كلام له معنى أو فيه قيمة.

وكنى أعزو ما أتعرض له فى هذا الشأن إلى الرغبة الحارقة لدى صحفى تقطعت عنده مصادر الأخبار من يبايعها الأصلية فراح يحاول اصطياها من حيث يجدها.

ولم أطل التفكير فى الأمر، وانصرفت عنه إلى غيره من شواغلى.



وبدأت رسائل الأستاذ على أمين تتوالى من لندن.

كنا قد اتفقنا معاً قبل سفره على توصيف وتحديد مجالات عمله مراسلاً للأهرام في لندن.

من ناحيته كان رأيه أن يوصل كتابة بابيه اليومي «فكرة» في الأهرام كل يوم. وكان لي رأي آخر، فقد كنت أرى أن أبواب كل جريدة يجب أن تبقى لها ولا تنتقل إلى غيرها بانتقال محرر أو كاتب. إن الباب الثابت في صحيفة واحدة من قسّمات وجهها وهو بالطبيعة منسجم مع ما حوله، ونقله بما يشبه عملية جراحية من وجه إلى وجه قد يحدث جرحاً في المكان الأصلي وتورماً في المكان الجديد. وإلى جانب ذلك فلم أكن متحمساً للأبواب اليومية الثابتة، وكنت أراها في الصحافة المصرية ظاهرة لا مثيل لها في الصحافة العالمية، فليس هنالك كاتب يستطيع أن يجد موضوعاً كل يوم، ثم إنه ليس هناك كاتب يستطيع أن يتناول كل الموضوعات من نوبات البرد التي تصيب الناس بالزكام إلى أخطار الحرب النووية التي يمكن أن تمحو كل وجود إنساني على ظهر الأرض.

ومع ذلك فقد نزلت عند رأي الأستاذ على أمين.

ومن ناحيتي فقد كان رأيي أن يركز الأستاذ على أمين على العلاقات المصرية البريطانية المتأزمة وقتها بسبب المواجهة بين البلدين في الجنوب العربي. مع التواجد المصري في اليمن. ومع المشاكل التي تواجه بريطانيا في منطقة الخليج وهي منطقة كانت على وشك أن تشهد تطورات بعيدة الأثر.

وكان رأيي أيضاً أن لندن. في ذلك الوقت. من أهم المراكز التي تصب فيها أخبار العالم العربي، وذلك يمكن أن يكون مجالاً واسعاً مفتوحاً أمامه.

وإلى جانب ذلك فقد اقترحت عليه أن يكتب رسالة أسبوعية من لندن يمد فيها اهتمامه إلى ما وراء السياسة، فالعاصمة البريطانية حافلة بمناحي النشاط والحركة والحيوية.

واتفقنا على أن يبدأ بزيارة تقليدية للسفارة المصرية.

ثم تكون زيارته الثانية لوزارة الخارجية البريطانية يقدم لها خطاب اعتماده مراسلاً للأهرام فى لندن.

ثم تكون زيارته الثالثة لجريدة «الصنداي تيمس» يحمل خطاباً كتبتة إلى السير «دنييس هاملتون» رئيس تحريرها. وكنت قد فاتحت «هاملتون» مبدئياً فى تخصيص مكتب فى «الصنداي تيمس» ليكون مقرّاً لمراسل الأهرام الجديد يعمل منه وسط مناخ صحفى نشط.

وقلت للأستاذ على أمين قبل سفره إننى فى كل الأحوال سوف أكون معه فى لندن بعد شهرين - فى يوليو - لأن أحد أبنائى سوف يحرى عملية جراحية فى عينه وسوف أصحبه إلى هناك. وفى تلك الفرصة - وعلى ضوء التجربة - قد تعن لنا اقتراحات أخرى، وقد تطرأ مشاكل نقوم بتذليلها معاً.



كانت أولى رسائل الأستاذ على أمين إلى تقريراً مفصلاً عن بدايات حركته فى العاصمة البريطانية، وجاء فى الرسالة بالحرف:

لندن فى ٢٧ مايو ١٩٦٥^(١)

عزيزي هيكल

رأيت أن أبدأ بالسفارة، وجدت السفير معتكفاً بعد الالتهاب الرئوى الذى أصيب به، وسيستأنف العمل بعد ثلاثة أيام. وقد اجتمعت به اجتماعاً طويلاً وأبدى روحاً طيبة أرجو أن تستمر. ولكنى لا حظت أنه فى حاجة إلى «يد يمنى» تخلق صداقات مع الوزراء ورجال وزارة الخارجية. فهو رجل ممتاز يثير الثقة، ولكن ليس من السهل عليه أن يكسب صداقات سريعة. وكان الوزير سميح أنور يكمل السفير. ولكن سميح أبدى رغبته فى العودة إلى القاهرة وأجيب إلى طلبه وينتظر أن يغادر لندن قريباً.

(١) صورة الرسالة بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢).

وهذا وضع غريب. فإنه من الصعب على الوزير الجديد أن يملأ الفراغ بسرعة. إنه فى حاجة إلى ستة أشهر على الأقل. وبقاء السفير ستة أشهر بدون يد يمنى متحركة، غير طبيعى فى الشهور القادمة.

وقد تصورت فى أول الأمر أن هناك خلافاً بين الاثنين وأن سميح أنور غير قادر على التعاون مع السفير، ولكنى اكتشفت أن التعاون بين الاثنين على أشده. كل ما حدث هو أن سميح يحن هو وزوجته للعودة إلى القاهرة.

وهذا السبب قد يكون مفهوماً فى الظروف العادية... ولكنه غير معقول فى الظروف الجديدة. فإن تعيين وزير جديد فى رأى سيعطل أى جهد جديد.

ولهذا أقترح وقف إجراءات نقل سميح أنور على الفور، لأنه حجز تذاكره على الباخرة وبدأ يستعد للسفر. ورغم أن سميح مصمم على العودة، فإننى أعتقد أن خطاباً رقيقاً من وزير الخارجية أو أحد المسئولين قد يورطه ويقنعه بالبقاء لمدة عام آخر.

وفى نفس الوقت أرى إصدار الأمر للسفير والوزير بالتوسع بإقامة المآدب للوزراء والموظفين والنواب الإنجليز. فإن أموال بدل التمثيل تصرف على إقامة المآدب للوزار المصريين.

وقد علمت أن صافى ما يقبضه سفيرنا فى لندن هو ٤٩٤ جنيهًا، وما يقبضه الوزير المفوض هو ٣٢٨ جنيهًا. وهى مبالغ لا تتناسب مع ارتفاع أسعار المعيشة فى لندن التى ارتفعت ارتفاعاً ضخماً فى السنتين الأخيرتين. ومن رأى تخصيص مبلغين إضافيين للسفير والوزير بشرط أن تخصص هذه المبالغ لإقامة مآدب للإنجليز خلال الفترة التى نرى أننا فى حاجة للتوسع فى الاتصالات. ولتكن الفترة ستة أشهر أو تسعة أشهر، ثم بعد ذلك يتوقف المبلغ الإضافى عندما ترى القاهرة أنها ليست فى حاجة إلى اتصالات إضافية، أو يثبت لها أن التوسع فى الاتصالات عديم الجدوى.

ويمكن اتباع هذا التقليد فى عواصم الدول الكبرى، عندما ترى القاهرة أن الظروف تستدعى التوسع فى الاتصالات فى عاصمة من العواصم.

وقد اتبعت وزارة الخارجية البريطانية فى عهد إرنست بيفين هذا النظام عام ١٩٤٧ لما واجهت بريطانيا أزمة حادة فى العملات الأجنبية.

إننى أعرف الظروف المالية التى نمر بها، والرغبة فى تخفيض مصروفاتنا من العملة الصعبة، ولكنى أرى أن تضاعف سفارتنا اتصالاتها على الفور بأصحاب النفوذ من الإنجليز فى الستة أشهر القادمة. ومآدب الغداء والعشاء هى المكان التى تثار فيها المشاكل والأزمات بصراحة.

أقترح اعتماد ألفين جنيه للسفير وألف جنيه للوزير المفوض للصرف منها خلال الستة الأشهر القادمة على أن تخصص هذه المبالغ الإضافية لإقامة مآدب للإنجليز من أصحاب النفوذ.

فإننى أرى أن تتوسع السفارة فوراً فى اتصالاتها.

وأخيراً أحب أن أنكر لك أن زيارة الكولونيل ويج إلى القاهرة قد فشلت. وقد فهمت من السفير أن سبب فشلها هو تأخر القاهرة فى الموافقة على الفكرة، ثم وصول الموافقة أثناء الأزمة مع ألمانيا الغربية، وخشية الإنجليز أن يسئ الألمان تفسير هذه الزيارة أثناء الاستقبالات الضخمة التى تقام للملكة إنجلترا فى ألمانيا.

أرجو أن أسمع منك فى مسألة سميح أنور والتوسع فى المآدب.

ولك قبلاتى.

(الإمضاء)

على أمين

كان ذلك تقريره عن خطوته الأولى: زيارة السفارة.

ثم جاءت رسالته الثانية تقريراً عن خطوته التالية: زيارة الصنداي تيمس.

وجاء فى الرسالة ما يلى بالحرف:

لندن فى ٤ يونيو ١٩٦٥^(١).

عزيزى هيك:

قابلت صديقك دنيس هاملتون رئيس الصنداي تيمس. وتحدثنا طويلاً فى مسألة مكتب الأهرام فى مبنى تومسون. ووعدنى وعداً قاطعاً بأن يعد لى مكاناً فى الدار فى شهر سبتمبر القادم، ووعدنى بأن يبحث عن طريقة لإيجاد مكان مؤقت. والمنتظر أن أعرف النتيجة بعد أسبوع. فإنه مسافر إلى دانرك ليحتفل مع زملائه الضباط بمناسبة مرور ٢٥ سنة على المعركة. وقد تبنت الصانداي تيمس هذا اللقاء التاريخى ودعت كل أصحاب القوارب والمراكب الذين ساعدوا فى نقل الجنود من دانرك إلى الشاطئ البريطانى. وأعتقد أنه يمكن للأهرام أن تحتفل بمرور عشرين سنة على معركة الفالوجة وتدعو كل الضباط والجنود الذين اشتركوا فى المعركة إلى حفلة ضخمة تشترك فيها أم كلثوم وكل نجوم بلادنا وتضع باقات من الورد على الذين ماتوا فى المعركة أو بعدها.

ولم يصدق هاملتون أنك ستحضر إلى لندن فى شهر يوليو. وقال إنك وعدته بالحضور إلى لندن عدة مرات ولم تحضر.

ولكنى قلت له إن هذه المرة «كلام شرف». فأرجو ألا تخيب ظنى.

قال لى إنه من عشاق جمال عبد الناصر ومن المؤمنين به. وإنه قابل الرئيس أربع مرات، وفى كل مرة كان يخرج من المقابلة ويطير إلى لندن ويقابل رئيس الوزراء ووزير الخارجية وينقل إليهما مشاعره.

وقال إنه قابل سفيرنا المصرى فى لندن مرة وتعارك معه. وعلمت أن سبب المعركة هو ثمن أعداد الصنداي تيمس ومصادرة أحد أعدادها. وقال لى هاملتون إن القاهرة تخسر كثيراً بإصرارها على عدم دفع ثمن الجرائد الإنجليزية التى

(١) صورة الرسالة بخط الاستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٤).

ترسل إلى القاهرة. وقال لى إنه اجتمع مع صاحب لندن تيمس (التيمس اليومية) وشكا له هو أيضاً من عدم وصول ثمن النسخ. وقال لى إنه رغم ضآلة المبالغ بالنسبة إلى دخل الصحف الإنجليزية الضخم، إلا أن موقف الحكومة المصرية يثير الشكوك داخل الصحف الإنجليزية ويشعرها بأن القاهرة لا تطبق سداد ديونها. وقال لى إن المبالغ المستحقة للصحف تتضخم لأنها تدفع نفقات النقل بالطائرة وهي نفقات ضخمة.

ومن رأى أن تتصل شخصياً بالمسؤولين عن هذه المشكلة وتحاول أن تجد لها حلاً سريعاً... لأنه ليس من مصلحتنا أن تنشر الإشاعات في فليت ستريت بأننا نمائل في دفع ثمن الصحف... وأننا الدولة الوحيدة في العالم التي تماطل الصحف.

وأنا أعرف دقة موضوع العملة الصعبة.

ولهذا أقترح أن تدفع القاهرة ثمن النسخ بالعملة الصعبة بعد خصم تكاليف النقل بالطائرة.

وأن نتفق مع الشركة العربية على نقل الصحف الإنجليزية على طائرتها، وتدفع ثمن النقل بالجنية المصرى.

وهذا الاقتراح يقلل المبلغ الذى تدفعه القاهرة بالعملة الصعبة.

وإذا وافقت الجهات المسئولة على هذا الاقتراح يمكن عرضه على جمعية أصحاب الصحف الإنجليزية والحصول على موافقتها عليه.

ويمكن أيضاً وضع ثمن نسخ كل جريدة بالجنية المصرى في حساب خاص في أحد بنوك القاهرة، وتستخدم الجريدة هذا المبلغ في الصرف على مراسلها في القاهرة.

وأصحاب الصحف الإنجليزية يشكون من أنهم لا يتلقون ردوداً على خطاباتهم... فأرجو أن تعرض الأمر على المسؤولين لنضع حداً لهذه الشكوى.

قال لى هاملتون أنه يتوقع أن يكون اجتماع الجزائر من أهم الاجتماعات. وهو لن يستطع الذهاب إلى الجزائر. وقرر إيفاد مندوب جريدة الصنداي تيمس في باريس لأنه على علاقة طيبة مع زعماء الجزائر.

وقال لى إنه لا يستبعد أن تجرى الانتخابات البريطانية في شهر يوليو، وفي هذه الحالة سيعود المحافظون إلى الحكم.

ولكنى أستبعد إجراء الانتخابات في شهرى يوليو وأغسطس، فإنهما شهرى الأجازات في إنجلترا... والإنجليزى يرتب أجازته من أول العام ويحجز حجرة فى فندق أو بنسيون، ولا يمكن أن يرجئ أجازته ليعطى صوته. وسيخسر العمال الرأى العام إذا أصروا على إجراء انتخابات فى هذين الشهرين. ولك قبلاتى.

(الإمضاء)

على أمين

أخبار أخرى:

١ - قابلت السفير البريطانى مقابلة سريعة ووعدنى أن يلتقى بي ثم هرب منى. يظهر أنه لم يجد فى لندن جو التفاؤل الذى كان يتوقعة عندما التقيت به فى القاهرة.

٢ - مقابلة السفير المصرى بوزير الدولة البريطانية تومسون كانت مقابلة عاتمة. رغم أن تومسون كان يتعجل مقابلة السفير فى الأسبوعين الماضيين.

٣ - بدأت أتشكك فى أن الإنجليز يحاولون كسب الوقت حتى تنتهى صفقة بيع الأسلحة للسعودية بثمانين مليون جنيه. وبعد ذلك يبدعون جدياً فى محاولة تصفية الخلاف مع القاهرة. وهذه الشكوك ليست نتيجة أخبار، وإنما هو مجرد شعور... وقد أكون مخطئاً.

٤ . تولى منصب وكيل الخارجية المشرف على مسائل الشرق الأوسط روجرز ألين. وهو أحد «أولاد» أرنست بيفين، وكان يشرف على المباحثات المصرية الإنجليزية فى فترة مفاوضات صدقى بيفين. وسأحاول أن أجمع به لأن اجتماعه مع السفير المصرى كان اجتماعاً «عائماً».

٥ . سأحاول هذا الأسبوع أن «أشمشم» حقيقة النوايا الإنجليزية. فأنا لا أريد أن أرمى سنارة الصيد فى النهر، قبل أن أتأكد أن هناك سمكاً تحت الماء.

٦ . شكراً على إسراعك بالرد على رسالتي الأولى. وأرجو أن ألقى دائماً ردوداً سريعة، فإن السرعة تريحنى حتى ولو كانت تحمل رفض^(١) بعض اقتراحاتى».

على

(١) إشارة إلى رد بعثت به إلى الاستاذ على أمين بعد رسالته الأولى من لندن وقد اعتذرت له بأننا لا نستطيع أن نتدخل فى تنظيم العمل فى السفارات وفى تحديد المرتبات وبدلات السفر، وأنه إذا أراد إثارة هذه الموضوعات فالمجال لذلك هو مقال رأى ينشره فى باب «فكرة» أو غيرها، لكن الحدود يجب أن تكون واضحة بين عملنا وعمل السفارة أو وزارة الخارجية.

الفصل التاسع

صاعقة تنقض

كنت بالطبع أطلع الأستاذ مصطفى أمين على ما يصلنى من توءمه. وبالتأكيد فقد كان هو من ناحيته على اتصال به بوسيلة أو بأخرى.

وكان «غداء كل يوم ثلاثاء» مستمرا لاثنين بدلاً من ثلاثة، وإن اضطررت للتخلف عنه مرات لظروف أو لتخرج خصوصاً بعد طلب جمال عبد الناصر «بالتحفظ» !

وبدت لى الأمور سائرة فى مجراها العادى. وبدأت أستعد للسفر إلى لندن. وحين وصلت مطار هيثرو كان الأستاذ على أمين فى انتظارى. ولأسبوعين كاملين أكاد أقول أنه لم يفارقنا طول الوقت، وحتى حين ذهبت إلى ارتباطات بمواعيد مع شخصيات سياسية أو صحفية كان يرافقنى إلى حيث أذهب وينتظرنى حتى أفرغ مما لدى، ثم يعود معى إلى حيث أقصد بعدها.

وذهبنا معاً مرات إلى مسارح ومتاحف ومطاعم. وحتى عطلة نهاية الأسبوع قضيناها معاً، فقد أصر الأستاذ على أمين على أن نذهب معه إلى ضاحية مارلو نتمشى فى الأحراش الخضراء على ضفاف نهر التيمز.

وجاء معنا إلى مستشفى مورفيلد حيث أجرى الطبيب الإخصائى أول كشف على عيني ابنى ثم طلب عدة اختبارات قبل أن يقرر نهائياً فى شأن الجراحة. ومضت الأيام، وفكرت لحظة فى أن أبعث للرئيس جمال عبد الناصر أرجو أن يأذن لى فى التأخير، فقد كنت قبل سفرى وعدته بأن أعود قبل احتفالات ٢٣ يوليو. لكن

رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر إلى نقلتها إلى السفارة سبقت فعلاً رسالة كنت أنوى أن أبعثها إليه عن نفس هذا الطريق.

كان يريدنى أن أحضر إلى القاهرة قبل يوم ٢١ يوليو لكى أشارك فى إعداد خطابه السنوى الكبير فى عيد الثورة. وشاورت الأستاذ على أمين فى مأزقى وكان رأيه. «أن أعود إلى القاهرة لما أنا مطلوب على الفور من أجله، وهو بدلا منى هنا حتى بيت الطبيب فى أمر ابنى على نحو أو آخر، وعلى أية حال فى خلال يومين أو ثلاثة أستطيع أن أعود إلى لندن إذا جد ما يدعونى إلى العودة».

وسافرت يوم الثلاثاء ٢٠ يوليو وهو فى وداعى فى المطار حتى أقلعت الطائرة إلى القاهرة. مطمئنا إلى أنه بدلا منى فى رعاية ابنى حتى بيت طبيبه برأى.

ويبدو أن الطبيب بت برأى فى نفس اللحظة التى ركبت فيها الطائرة، فقد اتصل من المستشفى يقول إن الجراحة لازمة وأنه يفضل أن يجريها غدا. وقد كان.

وأبلغت حين وصولى إلى مطار القاهرة فى الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٠ يوليو أن الرئيس جمال عبد الناصر ينتظرنى عند الظهر تماما فى بيته.

وصباح الأربعاء ٢١ يوليو ذهبت مبكرا إلى مكتبى فى الأهرام وراجعت بعض ما استجد فى غيابى، ثم اتصلت تليفونيا بلندن وإذا من يقول لى إن الجميع فى المستشفى. واتصلت بالمستشفى وإذا العملية قد أجريت بنجاح، وعرفت أن الأستاذ على أمين موجود بالمستشفى وطلبت أن أتحدث إليه لأطمئن زيادة منه، وجاء الأستاذ على أمين إلى التليفون وراح بشكل قاطع يؤكد لى أن كل شىء تم على مايرام، بل وأكثر من ذلك فإنه ناول سماعة التليفون لابنى وسمعت صوته بنفسى وتنفس الصعداء. وخرجت من «الأهرام» قاصدا بيت جمال عبد الناصر بعد أن طلبت إلى مكتبى أن يرتبوا حجز مقعد لى على الطائرة المسافرة إلى لندن صباح بعد غد الجمعة. يوم ٢٣ يوليو. ورحت هادئ الأعصاب إلى حد كبير أعد نفسى لمقابلة الرئيس وأفكر فى موضوعات حوارنا حول خطابه فى ٢٣ يوليو.



ودخلت غرفة المكتب فى بيت جمال عبد الناصر فى الساعة الثانية عشرة ودقيقتين، وكنت متشوقاً لأخبار مصر وأخباره، وكان يريد أن يعرف منى أخبار لندن الخاص منها والعام. وكان حميمًا كعادته، فقد أبدى أسفه لأنه انتزعنى من هناك ولم يكن فى باله أن هناك جراحة لابنى هذا اليوم، ورويت له ملابس ما حدث وإننى عائد بإذن الله بعد غد. ثم حدثته عن مقابلاتى فى لندن وملاحظاتى على ما رأيت وسمعت. واستغرقنا هذا الحديث لنصف ساعة أو أكثر قليلًا، ثم ركزنا الحديث حول خطابه المقبل. وأخذنا الوقت. وفجأة دق جرس التليفون على مكتبه وتوجه إليه من حيث كنا فى ركن من القاعة تطل نافذته على الحديقة. ولم يكن يتكلم وإنما كان يسمع. ولم يستغرق وقتًا طويلاً على التليفون، فما لبث أن قال لمحدثه بهدوء: «طيب». ثم وضع السماعة وعاد إلى حيث كنت أجلس. وكنت قد نظرت إلى ساعتى عند قيامه استجابة لرنين التليفون وكانت الساعة الثالثة إلا ثلثًا بعد الظهر.

واستقر مرة أخرى فى مقعده أمامى، ثم أشعل سيجارة جذب منها نفساً عميقاً وأحسست أن فكره تحول عما كنا نتكلم فيه، ثم قال لى وصوته يحمل نبرة حزم وأسف فى نفس الوقت:

- «إننى سأقول لك الآن شيئاً أعرف أنه سوف يضايقك...».

ثم استطرد «لقد قبضوا الآن على مصطفى أمين متلبساً بالتجسس للأمريكان...».

وعقد الذهول لسانى وتساءلت غير مصدق لما سمعت: «غير معقول».

وقال: «ذلك ما حدث مع الأسف».

وقلت والذهول مازال مستبداً بى: «سيادة الرئيس.. إننى لا أفهم تماماً ماتقوله لى؟...».

وراح يقول بنفس النبرة التى يختلط فيها الحزم والأسف:

..اسمع...إننى أريدك أن تعرف بشكل واضح أن الموضوع كبير وخطير وأنا لا أريدك أن تحتكم فيه إلى مشاعرك الشخصية.

أنت تعرف أولاً أنه كانت هناك شكوك، ومن ناحيتى فإنى طرحت هذه الشكوك جانبا وأعطيت فرصة جديدة، ولم أعط فرصة واحدة وإنما أعطيت عشرات الفرص وكان آخرها موافقتى على سفر على أمين إلى لندن مراسلاً للأهرام. ولقد وافقت وأنا أعلم أن مصطفى متورط فى أشياء، لكنى لم أمانع فى سفر على لأنى من ناحية لم أجد شيئاً قاطعاً عليه، ومن ناحية أخرى لأنك كنت تلح. ولقد وافقت على ضبط مصطفى بعد أن رأيت من الأدلة والوثائق ما جعلنى - بكل أسف ولكن بكل ضمير مستريح أوافق على العملية. ليس لدى ما يدعونى إلى تليفق تهمة لرجل قابلته مرات عديدة وقرأت له ما كان ينشره وما كان يتطوع بإرساله لى. وأنت تعرف أنه لم يكتب منذ اليوم الأول للثورة وحتى الآن إلا تأييداً لكل خطوة قمت بها. وحتى لو كان قد اختلف معى فى شىء فأنا لا أضيق بخلاف فى الرأى، وعلى أى حال فذلك لم يحدث وأنت تعرف. وعلى فرض أنه اختلف معى وعلى فرض أنه عارض فلم تكن بى حاجة إلى تليفق تهمة له».

كنت استمع إليه بصمت، ويبدو أن التعبيرات التى بدت على وجهى وأنا أسمعه نقلت إليه رسالة لم ألفظ بها. واستطرد:

.. لا أريدك الآن أن تقول شيئاً... أريد منك شيئاً واحداً، أن تخطو الآن عبر الشارع إلى مكتب سامى شرف وأن تطلع بنفسك على الملفات والأوراق وتستمع إلى التسجيلات الصوتية. ثم فكر على مهل فيما سوف تقرأه وتسمعه. ثم نم عليه هذه الليلة وعد إلى هنا فى الصباح... وساعتها يكون من حقا أن تقول لى ما تشاء».

ولم يترك لى مجالا لتعليق. قام إلى المكتب ورفع سماعة التليفون يصدر أمره إلى السيد سامى شرف. سكرتيره للمعلومات فى ذلك الوقت - يطلب منه أن يطلعنى على كل شىء.

وبخطى مثقلة بهموم نازلة مشيت... قطعت مدخل البيت وعبرت الشارع وصعدت الدرجات القليلة المؤدية إلى مكتب السيد سامى شرف فى المبنى المقابل لبيت جمال عبد الناصر.

وتلقانى السيد سامى شرف مرحبا بعودتى من السفر، ثم راح مجاملا يقول لى من العبارات ما ظن أنه يخفف علىّ وقع ما تصور أننى أشعر به، ثم دعانى إلى فنجان قهوة ريثما يفرغون من جلب الملفات والأوراق وإعداد جهاز تسجيل أسمع عليه «الشرائط» - وقال لى إنه أخلى غرفة قريبة أجلس فيها دون أن يقاطعنى أحد ولا هو.

دخلت الغرفة فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تقريبا... وخرجت منها فى الساعة الثامنة مساء.

دخلتها مهموما وخرجت منها ممزقا.



كانت الغرفة التى دخلتها بجوار مكتب السيد سامى شرف غرفة اجتماعات تتوسطها مائدة تحيط بها مقاعد. على المائدة كان هناك جهاز تسجيل وإلى جانبه عدد من الأشرطة من ناحية، ومن ناحية أخرى عدد من الملفات.

وسألنى السيد سامى شرف عما إذا كنت أريد أن أبدأ بسماع التسجيلات. وقلت إننى أفضل أولا أن أقرأ الأوراق، وقال إنه سيترك واحدا من مساعديه قرب باب الغرفة إذا احتجت إلى شىء: فنجان قهوة أو كوب ماء أو تشغيل جهاز التسجيل. وتركنى وحدى وخرج.

وأمسكت بأول الملفات. كان عنوانه من الخارج «هيئة الأمن القومى». ثم اسم: «بروس تايلور أوديل»، ثم رقم مسبوق بمجموعة حروف، وفى الداخل مجموعة من التقارير تروى بداية قصة بدت لى مثيرة، ومزعجة^(١).

(١) حاولت أن أستوعب الصورة وأحدد ملامحها فرحت أكتب أهم النقاط فيما أنا أقرأ ثم أسمع، فقد كنت فى البداية أتصور (برغم أية انفعالات) أننى سأناقش ما أقرؤه وأسمعه بعد ذلك مع الرئيس جمال عبدالناصر.

والقصة - من واقع الملف - تبدأ من أول سنة ١٩٦٤، وترسم بدايتها صورة نشاط مكثف لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في مصر. فالعلاقات بين مصر والولايات المتحدة تسوء والأسباب كثيرة: الحركة المصرية النشطة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية في إطار تيارات التحرر الوطني وعدم الانحياز. ثم الحرب في اليمن - ثم الضغط المصري على المملكة العربية السعودية كأثر من آثار التواجد العسكري المصري في شبه الجزيرة العربية (في اليمن والجنوب العربي وعدن) - ثم رفض مصر قبول اقتراحات أمريكية بتحديد حجم جيشها وحجم اهتمامها بالتسليح والإنتاج الحربي وبالذات في الطائرات والصواريخ.

وسوء العلاقات وصل إلى ما يشبه صراع إردات بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس الأمريكي ليندون جونسون. راح الرئيس الأمريكي بسببه يهدد بوقف مشتريات مصر من القمح الأمريكي. وصحبت ذلك دلائل تشير إلى أن المخابرات المركزية تلقت تعليمات بالعمل على نطاق واسع في مصر، أولاً لجمع معلومات، ثم للبحث عن ثغرات في النظام، ثم للترتيب لعمليات في الداخل إذا سنحت فرصة مواتية.

ويظهر اسم «بروس تايلور أوديل» لأول مرة في القصة من خلال تقرير من مندوب سرى لهيئة الأمن القومي في أثينا - عاصمة اليونان - يقول كاتبه إن معلومات وصلته بأن أحد رجال المخابرات المركزية الأمريكية واسمه «برس تايلور أوديل» قد رشح للعمل في مصر، وأنه سيجيء إليها تحت ستار أنه مستشار في السفارة الأمريكية في القاهرة^(١).

تاريخ هذا التقرير ٦ مارس ١٩٦٤، لكن تقارير تلتها تضم تحريات جرت في مصر أظهرت أنه لا يوجد في هيئة السفارة الأمريكية في القاهرة شخص يحمل هذا

(١) ظاهرة استخدام الغطاء الدبلوماسي لرجال وكالة المخابرات المركزية الأمريكية معروفة، وقد أظهرت تحقيقات الكونجرس في أعمال هذه الوكالة سنة ١٩٨٢ أن أكثر من ٤٠٪ من الدبلوماسيين في السفارات الأمريكية - في العالم الثالث خصوصاً - هم من رجال هذه الوكالة.

الاسم. وفجأة فى شهر أغسطس ١٩٦٤ ظهر «بروس تايلور أوديل» فى مصر بدرجة مستشار فى السفارة الأمريكية فى القاهرة.

ويصدر أمر بمتابعته ورصد كل اتصالاته بمنتهى الحرص لأنه خبير مدرب.

ومن أغسطس ١٩٦٤ حتى نوفمبر ١٩٦٤ تشير مجموعة تقارير رقابة منظمة إلى أن «بروس تايلور أوديل» يتصرف بطريقة عادية. كأي دبلوماسى آخر يحضر الحفلات التقليدية ويجرى اتصالات لا تثير شبّهات ويقوم بنشاط مألوف.

وفى الفترة من ديسمبر ١٩٦٤ إلى مارس ١٩٦٥ تتخذ اتصالات «بروس تايلور أوديل» نسقًا محددًا، ويتكرر ظهور اسم الأستاذ مصطفى أمين فى عداد من يقابلهم.

ثم تبدو بعد ذلك فى التقارير ظاهرة ملفتة للنظر (وضع أحدهم فى هيئة الأمن القومى تحتها خطأ بالحبر الأحمر) فقد أصبحت اللقاءات بين الاثنين -الأستاذ مصطفى أمين و«بروس تايلور أوديل»- دورية - غداء فى يوم الأربعاء من كل أسبوع -ووحدهما بدون أى شخص آخر، وفى بيت الأستاذ مصطفى أمين فى شارع صلاح الدين بالزمالك. ثم إن هذه اللقاءات كانت تحاط بإجراءات للتمويه، منها أن بروس تايلور أوديل» كان ينزل من سيارته فى شارع بعيد عن شارع صلاح الدين ويتركها هناك ويمشى على قدميه ثم يدخل العمارة التى يسكنها الأستاذ مصطفى أمين ويضغط زر المصعد على دور آخر غير الدور الذى يسكن فيه الأستاذ مصطفى أمين، ثم يصعد أو ينزل السلم على قدميه إلى مقصده النهائى.

وطلبت هيئة الأمن القومى فى ٢٩ مارس ١٩٦٥ أن يؤذن لها بوضع أجهزة تسجيل فى بيت الأستاذ مصطفى أمين للتحقق مما يجرى فى هذه الاجتماعات الدورية المنظمة. ويبدو أن الموضوع بدا أكبر من اختصاص أى مسئول فى المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج إلى قرار سياسى، وهكذا فإن هيئة الأمن القومى لم تحصل على الإذن الذى طلبته إلا فى ٢٦ إبريل سنة ١٩٦٥، ويبدو أن وضع أجهزة التسجيل السرية فى بيت الأستاذ مصطفى أمين اقتضى هيئة الأمن القومى

أسبوعين تقريباً لأن الملفات لم تضم أول اجتماع بين الاثنين جرى تسجيله إلا بتاريخ يوم الأربعاء ١٢ مايو ١٩٦٥.

وبعده اجتماع فى يوم الأربعاء ١٩ مايو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ٢٦ مايو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ٢ يونيو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ١٦ يونيو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ٢٣ يونيو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ٢٠ يونيو، ثم اجتماع فى يوم الأربعاء ٧ يوليو.

وكانت هناك مجموعة ملفات صغيرة بعد ذلك يضم كل منها مجموعة من الأوراق تحتوى على ملخص لوقائع الاجتماع المسجل بين الأستاذ مصطفى أمين و«بروس تايلور أوديل»، وكان عدد هذه الملفات الصغيرة ثمانية على واجهة كل منها تاريخ الاجتماع وتوقيت بدايته ونهايته من واقع التسجيل.

وتركت هذه الملفات الصغيرة أعود إليها فيما بعد لكى أقرأها أثناء دوران جهاز التسجيل حتى أستطيع مضاهاة الأصوات والأقوال فيما أسمعه وما أراه مكتوباً أمامى.

وكانت هناك بعد ذلك فى الملفات مذكرة من رئيس هيئة الأمن القومى مقدمة إلى رئيس المخابرات العامة طلب فيها الإذن بضبط الأستاذ مصطفى أمين و«بروس تايلور أوديل» أثناء اجتماعهما القادم «بعدما أظهرته التسجيلات من خطورة المعلومات التى يقدمها الأول للثانى، إلى جانب الطريقة التى يتم بها ذلك. فقد كان ظاهراً من التسجيلات أن أوديل يجىء كل مرة ومعه قائمة مكتوبة بأسئلة يريد إجابات عليها، الأمر الذى يضع اللقاءات كلها فى إطار عملية «تخاير» لا شك فيها».

ويبدو مرة أخرى أن الأمر كان أكبر من اختصاص أى مسئول فى المخابرات المصرية وأنه كان يحتاج إلى قرار سياسى. فإن الإذن تأخر.... كان طلب الإذن يوم ٨ يوليو ١٩٦٥ ولم تحصل هيئة الأمن القومى عليه إلا فى ١٨ يوليو ١٩٦٥.

وهكذا فإن الورقة التالية لهذا فى الملف كانت خطاباً بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٥

موجهها من رئيس هيئة الأمن القومي إلى رئيس نيابة أمن الدولة العليا - نصه
كما يلي:

هيئة الأمن القومي

السيد رئيس نيابة أمن الدولة العليا

بعد التحية...

نحيط سيادتكم أن السيد مصطفى أمين - مصري الجنسية - يعمل رئيس تحرير
الأخبار، يقيم في ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك - الدور السادس - الشقة ٦٢ وفي
فيلا تقع في ٢٦ شارع الإسماعيلية المتفرع من طريق الحرية بالإسكندرية.

وقد دلت تحرياتنا السرية أن المذكور يقوم بالتخابر والعمل لحساب المخابرات
الأمريكية في القاهرة والعمل ضد أمن وسلامة الدولة يعاونه في ذلك آخرون.
وسيجتمع المذكور مع مندوب المخابرات الأمريكية الحالي في القاهرة سعت ١٤٠٠
يوم الأربعاء الموافق ١٩٦٥/٧/٢١ في أحد العنوانين اللذين يقيم فيهما المذكور
والموضحة عاليه.

برجاء التكرم باتخاذ اللازم قانونا لضبط هذا الاجتماع وتفتيش هذين العنوانين
كذا مكتبة في «مؤسسة أخبار اليوم» بشارع الصحافة بالقاهرة وضبط أى أوراق أو
مستندات تفيد التحقيق كذا أى أشياء ممنوع حيازتها قانونا.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

١٩٦٥/٧/٢٠

(إمضاء)

رئيس هيئة الأمن القومي

□

انقضى على ساعة وعشر دقائق وسط هذا الهم الثقيل كله. ولحظة بعد لحظة

كنت أشعر أنني أتنفس بصعوبة. ومع ذلك فقد بقي لدى خيط أتعلق به وهو التسجيلات نفسها. ماذا يمكن أن يكون فيها؟ ثم ألا يمكن أن يكون ما فيها كلام عادي مما عساه أن يدور بين صحفي ودبلوماسي، ثم جاء منطق الأمن القومي والمخابرات فحمل المسائل فوق ما تحتمل، ومن ثم أساء التفسير والتأويل؟

وعدت إلى الملفات الثمانية التي تحوى تلخيص ما دار في الاجتماعات الثمانية التي جرى تسجيلها، وبينما أنا أتصفح أولها فتح باب الغرفة ودخل السيد سامي شرف يسألني «هل اقتنعت؟». قلت إنني ما زلت بعد أقرأ وسوف أبدأ في السماع وفي يدي ما لخصته الأوراق من الشرائط.

وقال السيد سامي شرف: سوف تسمع أشياء غريبة. مصطفى ينقل ضمن ما ينقله إلى «الراجل» أخبار وأحاديث منسوبة إلى سيادة الرئيس ويدعى إنه سمعها من سيادته بنفسه. وكان الاثنان حين يتكلمان عن الرئيس يسميان «ر» الحرف الأول من «رئيس» وستجد أن مصطفى رتب للمخابرات الأمريكية أن تتصل بعلي في لندن لكي يعمل معهم هناك».

ثم استطرد السيد سامي شرف: «حينما قبضوا عليه ظهر اليوم كان هناك مبلغ خمسة آلاف جنيه مصري. قبل ذلك سوف تجد في الشرطة أن مصطفى سلم «للراجل» مبلغ عشرة آلاف جنيه، ولا بد أنه كانت هناك مبالغ أخرى قبل أن تبدأ التسجيلات.

حين كشفت التسجيلات مسألة «الفلوس» لأول مرة تصورنا أن مصطفى يقبض من «الراجل»، ثم اكتشفنا أن مصطفى أيضا يعطى للراجل مبالغ ليحولها له بوسائله إلى بنك في الخارج؛ لأن مصطفى كان يريد إخراج أمواله كلها من مصر».

ثم يواصل السيد سامي شرف إلحاحه:

هل تستطيع أن تفسر لي لماذا يقبل مندوب المخابرات وممثلها في السفارة الأمريكية أن يقوم بعملية تهريب لصالح أحد؟ المفروض في رجل المخابرات في السفارة أن يتواري وأن لا يلفت الأنظار إليه وأن يتجنب أكثر من غيره أي مخالفة

لقوانين البلد الذى يعمل فيه . لابد أن مصطفى كان مهما جداً «للاجل» بحيث يقبل أن يقوم لحسابه بتهريب أمواله من مصر».

ورجوته أن يتركنى مع الشرائط وأن يترك معى أحد معاونيه لكى يتولى تشغيل الجهاز لأنى لا أنوى أن أسمعها بالكامل... وإنما أريد أن أسمع عينات من كل شريط فى الوقت الحالى على الأقل، لأن سماعى لها جميعاً سوف يبقينى هنا إلى الصباح..



وبدأ الشريط الأول يدور على الجهاز:

أصداً فارغة ثم صوت يسأل عما إذا كان أحد قد سأل عنه فى غيابه، وصوت يجيب . لم يخالجنى شك فى أن السائل هو الأستاذ مصطفى أمين فأنا لا أستطيع أن أخطئ صوته، ثم إن المجيب هو «صادق» رئيس الخدمة فى بيته وأنا أعرفه حق المعرفة، فقد كان من قبل رئيس الخدمة فى بيت أحمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكى السابق، وعندما قتل أحمد حسنين فى حادث سيارة استقر صادق فى بيت الأستاذ مصطفى أمين.

صوت الأستاذ مصطفى أمين يرحب بزائر سبقه إلى بيته وانتظره حتى وصل، ولم يكن هناك شك فى أن الصوت واللغة واللهجة لأمرىكى - «بروس تايلور أوديل» بالطبع.

صوت الأستاذ مصطفى أمين يتحدث عن أحد الصحفيين العاملين معه ويقول: لقد أعطوه أجازة مفتوحة . لم يرغب فى كتابة مقالات شيوعية فأقصوه . تصوروا إننى سأعترض على إقصائه ومن ثم يتمكنون من إبعادى، لكنى أظهرت عدم الاهتمام . «قال لى إنهم يريدون إبعادى «ر» اتصل بى اليوم الساعة ١٠ صباحاً وأبلغنى أن الدكتور القيسونى تقابل مع السفير . «ر» طلب من القيسونى أن يفهم من السفير نواياكم عن القمح . يظهر أن القيسونى متفائل .

أصوات متداخلة ثم صوت أوديل يسأل الأستاذ مصطفى أمين: سننتقل الآن إلى

موضوع جديد. وصوت الأستاذ مصطفى أمين يرد: نعم. وعاد صوت أوديل يسأل، هل فهمت من «ر» أنه على استعداد لبحث تسوية في اليمن؟. ورد صوت الأستاذ مصطفى أمين أن «ر» قرر لي أنه يبحث عن حل يحفظ للجيش كرامته بحيث لا تعود القوات وهي تشعر أنها انهزمت. «ر» أبلغني أن أحدا لا يستطيع أن يكسب هذه الحرب.

ويتواصل صوت الأستاذ مصطفى أمين يروي عن «ر». علمت من «ر» أنه اتفق مع عارف على قطع العلاقات مع ألمانيا وأن سفارة سويسرا في بون سترعى مصالح العراق هناك. سفارة أفغانستان سوف ترعى مصالح مصر. لن تكون هناك إجراءات أعنف من ذلك ضد ألمانيا الغربية. العلاقات ستعود بعد شهور والغرض من العملية كلها إظهار التضامن العربي.

ويتواصل صوت الأستاذ مصطفى أمين: هناك مسألة مهمة. كانت هناك سيارة قادمة من السويس إلى الإسماعيلية. سيارة عسكرية فيها عدد من الضباط. أوقفت عند الكيلو ٢٥، وعند تفتيشها وجدوا فيها ٢٤١ كيلو ديناميت. الكونستابل الذي ضبطها كان يعتقد أنها تحمل حشيش. رقم السيارة ٣٦٠٣٩٠.

واكتفيت من الشريط الأول ورجوت مساعد السيد سامي شرف الذي كان جالسا أمامي صامتا كأنه تمثال. أن يتفضل بإيقاف الجهاز وأن يضع الشريط الثاني عليه.

.....

.....

دار الجهاز مرة ثانية بالشريط الثاني:

أصوات متداخلة. صوت الأستاذ مصطفى أمين وصوت بروس أوديل في نفس الوقت يتبادلان ما بدا أنه حديث اجتماعي، ثم صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: معلوماتي من «ر» أننا سنطلب شحنة أسلحة جديدة من روسيا. يبدو أن ذلك سيتم عند سفر وفد مصري للاشتراك في احتفالات موسكو. هناك اتفاق أيضا على دعوة

كوسيجين (رئيس الوزراء السوفيتي وقتها). مبدأ الدعوة اتفق عليه والتاريخ لم يتحدد بعد.

صوت بروس أوديل يسأل: لدينا تقرير عن مقابلات المشير عامر مع زعماء قبائل «جهم» في اليمن لكن هناك فجوة في تحركات عامر. لا نعرف ماذا كان نشاطه في أيام ٢١ و ٢٢ و ٢٣، فهل تستطيع أن تتحرى أين كان في هذه الأيام الثلاثة؟

صوت بروس أوديل يعود للكلام: «أين صدقي محمود (قائد الطيران وقتها) لم يظهر له أخيراً نشاط».

صوت الأستاذ مصطفى أمين يرد: «كان في موسكو».

صوت أوديل: «هل عاد عن طريق الشرق الأقصى»؟

صوت الأستاذ مصطفى أمين: «نعم وفي الغالب عن طريق الصين».

تداخلت الأصوات ثم استبانة وصوت الأستاذ مصطفى أمين يسأل أوديل: «هل جرى تحويل النقود»؟. وصوت أوديل يجيب «سوف أسأل». ثم يعود صوت الأستاذ مصطفى أمين يتحدث «قابلت الملحق الصحفي الإنجليزى وطلبت منه أن يرتب لى موعداً مع السفير. الملحق قال لى إنهم سعداء لسفر على أمين للخارج».

صوت بروس أوديل «هل يعرف على علاقتك بنا»؟ ويرد صوت الأستاذ مصطفى أمين «لابد أن تتصلوا به في لندن». تداخلت الأصوات ثم استبانة مرة أخرى على صوت أوديل يقول «سوف نرتب أن يتصل به آرشى روزفلت. المهم أن تتم اتصالات بينهما خارج لندن لكى لا يعرف الإنجليز...».

واكتفيت.

.....

.....

وانتقلت إلى الشريط الثالث :

تداخل أصوات ثم صوت أوديل بوضوح : «هل تمكن ماكلويد من زيارة مصنع ٦٣»؟ ورد صوت الأستاذ مصطفى أمين بما لم أستطع تبينه . ثم ظهر صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول «على بنك ميدلاند فى لندن . الحساب باسم على» .

ثم صوت أوديل يسأل : «هل اتصل بك «ر» أو اتصلت به ؟» .

صوت الأستاذ مصطفى أمين يرد : «نعم . اتصل بى يوم الخميس» .

صوت أوديل يسأل : «ما هى أخباره ؟» .

يرد صوت الأستاذ أمين : «قال لى إن الحالة المالية سيئة جداً وإنه سوف يخصص ١٥ مليون جنيه اعتماد إضافى للجيش . وأن هناك اقتراحين على مكتب وزير التموين ، واحد بشأن رفع ثمن الخبز أو خلطه والثانى بشأن رفع قيمة منتجات البترول ، ولم يتخذ بعد قرار فى هذا الشأن» .

صوت بروس أوديل : ألم تتحدث معه عن الانفجارات التى وقعت لخط أنابيب البترول فى ليبيا ؟» .

صوت الأستاذ مصطفى أمين : «نعم سألته . فهمت منه أن الذى قام بالعملية عزت سليمان^(١) واستعان هناك بمجموعة من ضباط ناصر .

صوت بروس أوديل : «ماذا أيضاً ؟» .

صوت الأستاذ مصطفى أمين : «هو يحاول إقناع السوفييت بتقصير مدة تنفيذ السد العالى . «ر» قال لى إن على صبرى كتب للسوفييت فى هذا الموضوع دون إخطار صدقى سليمان» .

.....

.....

(١) أحد كبار المسئولين فى المخابرات المصرية وقتها .

وطلبت الانتقال إلى الشريط الرابع :

صوت بروس أوديل يسأل : «هل لديك تأكيد لنبدأ أن عامر ذهب إلى اليمن؟» ورد صوت الأستاذ مصطفى أمين : «لا لم يذهب». وعاد صوت بروس أوديل يسأل «ما هو مصدرك لكي تؤكد على هذا النحو؟». ورد صوت الأستاذ مصطفى أمين «مصدر موثوق به جدا «شمس بدران». قابلته في بيت الموسيقىار محمد عبد الوهاب مساء يوم الأربعاء الماضي».

صوت بروس أوديل يسأل : «هل هناك قوات إضافية ذاهبة الآن لتعزيز القوات الموجودة في اليمن؟» وصوت الأستاذ مصطفى أمين يجيب «نعم». ويعود صوت أوديل يسأل «ما هو مصدرك؟» ويرد الأستاذ مصطفى أمين : «نفس المصدر» شمس بدران . حاول أن يغطي فقال إنها مجرد عملية استبدال قوات».

.....

.....

وطلبت أن أنتقل إلى الشريط الخامس، ورجوت أن أسمعه قرب نهايته من باب التنويع :

بقايا حديث ثم صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول : الرئيس العراقي عارف مريض وناصر كلف عشرة أطباء بفحصه، ومن المحتمل أن يكون مصاباً بالسرطان. وعرفت أن الدكتور حسن إبراهيم قال لـ «ر» إنه لا بد من إجراء عملية خطيرة للرئيس عارف، واقترح أن يجريها الطبيب الإنجليزي تانر لأنه ليس في إمكان طبيب مصري أن يقوم بها.

صوت خشخشة أوراق ثم صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول : تقابلت مع بعد الحميد السراج^(١) وقال لي إنه قلق بالنسبة إلى الشيوعيين. عندما يقرأ جريدة الأخبار يشعر أنها شيوعية ١٠٠٪، وكذلك آخر ساعة وروز اليوسف، وهو يرى

(١) كان وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الجمهورية في سوريا أثناء الوحدة.

أن ذلك يسىء كثيراً إلى المصريين فى الدول العربية، وطلب السراج منى أن أنقل هذا الحديث لـ «ر». السراج قال لى إنه منذ ١٩٥٩ لم ينضم شيوعى واحد إلى الأحزاب الشيوعية العربية، لكن منذ أن دخل الشيوعيون الصحف انضم عدد كبير منهم إلى الأحزاب الشيوعية. السراج يشعر أن «ر» يستهين بالنشاط الشيوعى ويتصور أنه يمكن القبض عليهم جميعاً، لكن سلاح الصحافة يمكن أن ينشئ أو يتسبب فى ظهور خلايا سرية جديدة غير معروفة. السراج قال لى إنه ذهب إلى سفارة الجزائر فى القاهرة وفوجئ بأن جميع المصريين العاملين بالسفارة شيوعيون».

صوت بروس أوديل يسأل: «هل تعرف شيئاً عن الرسالة التى جاء بها رئيس حكومة سيلان السابق»؟. صوت الأستاذ مصطفى أمين: «لا».

صوت بروس أوديل يسأل: «هل لديك شىء عن رحلة صدقى محمود»؟

صوت الأستاذ مصطفى أمين يرد بشىء لم أستطع تبينه.

صوت بروس أوديل يسأل: «ما هو رد الفعل على المقال الذى نشر فى نيويورك تيمس حول عدد القوات المصرية فى اليمن وأنها وصلت إلى مائة ألف»؟

صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: «الرقم قد يكون قريباً من الحقيقة».

صوت بروس أوديل يسأل: «هل تستطيع أن تحصل على نسخة من نص كلام «ر» فى الاجتماع السرى للهيئة البرلمانية للاتحاد الإشتراكي»؟.

صوت الأستاذ مصطفى أمين: «أعتقد أن مندوب الأخبار فى البرلمان لديه صورة كاملة وسأحصل عليها منه».

.....

.....

وانتقلت إلى الشريط السادس:

صوت الأستاذ مصطفى أمين يسأل من اللحظة الأولى: هل تم التحويل إلى لندن؟. وصوت أوديل يجيب: «نعم تم كل شيء والباقي سيتم».

صوت الأستاذ مصطفى أمين: «لقد وقع انفجار فى مؤخرة المدمرة المصرية «القاهر». الانفجار وقع داخل المدمرة وقتل فيه عدد كبير جداً من الضباط والجنود. هناك ٤٥ جريحاً كثيرين منهم حالتهم سيئة، كانت هناك على المدمرة ذخائر لم تنفجر وألقوا بها فى البحر. هذه المدمرة أحسن مدمرات الأسطول البحرى».

صوت أوديل يسأل: «أين وقع الانفجار؟ فى ميناء الإسكندرية أو فى أى ميناء آخر؟».

صوت الأستاذ مصطفى أمين: «سحبوها من الإسكندرية».

صوت أوديل يتساءل: غريبة لو كان هذا الانفجار وقع فى الإسكندرية لوصل إلينا من مصادر أخرى لنا هناك.

صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: اهتمام المسئولين كان ينحصر فى الخسائر المادية بصرف النظر عن الخسائر فى الأرواح.

صوت بروس أوديل يسأل: «متى كان آخر اتصال بينك وبين «ر»؟».

ورد صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: يوم ٢٩، وكان قلقاً لإحساسه بتغيير فى سياسة الولايات المتحدة تجاه البلاد، وقال لى إنه منذ شهر أغسطس الماضى حين انتهت خدمة «جون بادو» سفير الولايات المتحدة السابق فى مصر، شعر أن المعونة الأمريكية لمصر سوف تقطع. وأن العلاقات السياسية فى عهد كنيدي كانت طيبة مع الولايات المتحدة بعكس العهد الحالى (جونسون) الذى تغيرت فيه العلاقات تغييراً كبيراً. واستعملوا سياسة القوة ولم يقابلها أى تصد من جانب الاتحاد السوفيتى الذى بدا متخوفاً، وسنكون نحن الضحايا لهذا الخوف».

ويتواصل صوت الأستاذ مصطفى أمين:

«ر» لم يتصل بى يوم الأحد ٣٠ واتصل بى يوم ٣١، وقال لى إنه قابل محجوب

(رئيس وزراء السودان)، وقد تلقى تقريراً قبل هذه المقابلة من محمود رياض (وزير الخارجية المصرية) يتضمن أن محجوب أعرب له عن استيائه من تغلغل العناصر الشيوعية فى الصحافة المصرية وخوفه من أن يؤثر ذلك على الشعب السودانى، وأنه يعتقد أن المخطط الشيوعى هو الاستيلاء على الثورة السودانية، ثم الاستيلاء على الثورة المصرية.

يتواصل صوت الأستاذ مصطفى أمين:

«محجوب يروى فضائح كثيرة عن تصرفات زعماء الكونجو الثوريين فى السودان. وصل منهم بأسلحتهم ٣٠٠ أو ٥٠٠. هذا الرقم دقيق».

ودخل صوت الأستاذ مصطفى أمين فى تفاصيل من الكونجو وما يجرى فيه، وطلبت الانتقال إلى موضع آخر من الشريط تنتهى عنده حكايات الكونجو...

صوت الأستاذ مصطفى أمين:

موضوع مهم جداً. «ر» أبلغنى فى حديث تليفونى أمس أنه تم اكتشاف خلايا سرية فى وحدات المشاة بالجيش المصرى وأنه لا يعرف ميول هذه الخلايا بعد.

صوت بروس أوديل يسأل: هل قابلت صديقك الكولونيل أخيراً؟

صوت الأستاذ مصطفى أمين يرد: «لا».

صوت بروس أوديل يقول: هل تستطيع أن تجعل «ر» يشعر أن حكومة الولايات المتحدة مستاءة من الاتجاه الشيوعى الظاهر فى الصحف المصرية؟ أن ذلك سوف يكون مجدياً ولكن لا تقل ما هو أكثر».

ثم تطور حديث الأصوات إلى ترتيب اتصالهم بعلى أمين فى لندن ومن يقوم بهذا الاتصال وكيف؟ ويتضح من التسجيل أن الأستاذ مصطفى أمين يكتب خطاباً باللغة العربية يحمل «آرشى روزفلت»^(١) إلى على أمين فى لندن كدليل تعارف.

(١) آرشى روزفلت ابن عم لكيرميت روزفلت مندوب وكالة المخابرات المركزية الشهير فى الشرق الأوسط. وكان آرشى هو الآخر من البارزين فى صفوف هذه الوكالة.

ويسمع صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: «إن على يعرف آرشي روزفلت فقد قابلناه سوياً سنة ١٩٤٤».

ويسمع صوت أوديل يقول: إن آرشي روزفلت هو رجلنا الآن في لندن.

وتسمع مرة أخرى خشخشة أوراق. ثم يجيء صوت أوديل يقول:

«أريدك أن توصل بأى طريقة إلى «ر» أن ما سوف يدور في مؤتمر الجزائر (القمة الآسيوية الأفريقية) سوف يؤثر على العلاقات بين مصر والولايات المتحدة، وأنه يخطئ في فهم طبيعة الرئيس الأمريكى، ولا بد أن يفهم أنه من أهل تكساس الذين يتصفون بالعناد وبالجرأة على استخدام القوة».

ثم يظهر صوت أوديل يسأل: «هل يظنون أن الاتحاد السوفيتى سيزيد مساعدته لهم عندما تضغط عليهم الولايات المتحدة؟».

ويرد صوت الأستاذ مصطفى أمين: «إنهم يعرفون أن الاتحاد السوفيتى ليس عنده شىء يعطيه».

ويعود صوت أوديل يسأل: «هل تستطيع أن ترتب أمرك لكى تحضر مؤتمر الجزائر؟ إن هذا المؤتمر يهمنى جداً، وقد كانوا يفكرون فى إرسالى شخصياً إلى هناك».

.....

.....

وطلبت وضع شريط آخر. أحسست أننى لا أريد أن أسمع بعده أو أقرأ أو حتى أن أظل لحظة واحدة أمام هذه الملفات كلها وأشرطة التسجيل.

بدأ الشريط بصوت الأستاذ مصطفى أمين يقول: «إن مرض السكر يزداد على «ر» زادت وطأة المرض عليه بعد أن علم بانقلاب الجزائر ضد بن بيللا. كان المرض قد أصابه بعد انقلاب سوريا».

ويستطرد صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول :

«ر» نفسه قال لى ذلك . انقلاب الجزائر يقلقه . عرف أن الناس فى مصر يقولون إن المشير عامر سوف يفعل فى مصر ما فعله بومدين فى الجزائر .

إنه أرسل عامر إلى الجزائر لإنقاذ حياة بن بيللا وأرسل معه هيكى لأن هيكى له أصدقاء مقربون فى الجزائر مثل محمد حربى وزهوان اللذين اعتقلا فى الانقلاب ثم هربا . ومحمد حربى معروف بميوله الشيوعية الصينية ، وزهوان كان وزيراً للدعاية فى حكم بن بيللا وأنه زعيم الشيوعية فى الجزائر .

ويتواصل صوت الأستاذ مصطفى أمين :

«ر» مضطرب لسقوط بن بيللا ويقول إن سقوط بن بيللا يعنى أنه فقد ذراعه الأيمن فى العالم العربى . «ر» قال لى إن بومدين له صديقة بعثية تؤثر فيه اسمها فاطمة عبد الله . «ر» قال لى إن الصين الشعبية تساند بومدين لكسب الجزائر قبل الاتحاد السوفيتى .

ثم جاء صوت الأستاذ مصطفى أمين يقول :

«لدى معلومات مهمة من «ر» نقلا عن شوين لاي^(١) ، «ر» لاحظ أثناء لقائه بشوين لاي أن كراهيته للاتحاد السوفيتى أكبر من كراهيته للولايات المتحدة ، وهو يقول إن خروشوف كان صريحاً فى سياسته ، فى حين أن زعماء السوفييت الجدد يعملون فى الخفاء ضد الصين الشعبية فى كافة الدول الأجنبية وداخل الصين ذاتها ، وأن روسيا أصبحت دولة إمبريالية والروس معجبون بالأمريكيين لدرجة أنهم أصبحوا يقلدونهم ، وأن هناك تواطؤاً سرياً بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة من أجل إضعاف الصين الشعبية ، وأن الصين لديها من الوثائق ما يثبت ذلك .

وأحسست بأجراس تدق فى ذاكرتى .

(١) كان شوين لاي رئيس وزراء الصين قد توقف فى مصر أيامها فى الطريق إلى مؤتمر القمة الآسيوى الأفريقى الذى كان منتظراً عقده فى الجزائر .

كنت أنا الذى قلت هذا الكلام للأستاذ مصطفى أمين أثناء «غداء يوم الثلاثاء» -
راح يسألنى بإلحاح عن مقابلتى لشوين لاي ورويت له طرفاً من حديثنا - فإذا
هو فى غداء يوم الأربعاء ينقله إلى بروس أوديل وينسبه للرئيس جمال
عبدالنصر^(١).



وأزحت مقعدى إلى الوراء وقمت. وسألنى مساعد السيد سامى شرف الذى كان
يتولى استبدال الأشرطة وإدارة الجهاز «ألا أريد أن أسمع الباقي؟».

وهزرت رأسى نفياً.

والحقيقة أنى بدأت أحس بنوع من الدوار والغثيان.

ومررت على مكتب السيد سامى شرف أشكره قبل أن أنصرف، وترك مكتبه
وجاء إلى ينتحى بى جانباً ويسألنى: «ما رأيك؟».

قلت: «إننى أريد أن أفكر أكثر فيما سمعت وقرأت».

قال: «هناك موضوع أريد أن أحدثك فيه بصراحة، وهو موضوع على أمين».

واستطرد:

«ألا ترى أن على ضالع فى القضية؟ أو على الأقل أن اتصالاً تم به؟ إنك أنت الذى
توسّطت لعللى أمين كى يخرج، والواجب يقضى عليك بأن تعيده إلى هنا».

وسألته: «وكيف أفعل ذلك؟».

(١) وثائق هذا كله بما فيها التقارير والأشرطة محفوظة حتى الآن فى هيئة الأمن القومى. وحتى سنوات
قليلة مضت كان بعضها معروضاً فى متحف هذه الهيئة الذى يضم وثائق أهم قضاياها. وقد كان آخر
مستول رسمى راجعها. على حد علمى. هو السيد كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير
الخارجية الآن، حينما كان رئيساً لهيئة المخابرات العامة، وقد أصر. لآخر لحظة من وجوده فى هذه
الإدارة. على إبقائها معروضة فى متحف الهيئة رغم محاولات وضغوط كثيرة راحت تطالب بنقلها إلى
الأرشيف!.

قال: «فكرت فى هذا الموضوع، واقتراحي أن تبعث إليه برقية تستدعيه إلى القاهرة للتشاور. إنه بالطبع لم يعرف أن مصطفى قد اعتقل، فنحن لم نذع شيئاً عن ذلك حتى الآن».

وقلت للسيد سامى شرف: «إننى مع تفهمى لدوافعه لا أستطيع أن أستدرج الأستاذ على أمين إلى فخ. لا أستطيع ذلك إنسانياً ولا مهنيّاً ولا أخلاقياً».

وأشهد أن الرجل لم يزد إلحاحاً على اقتراحه وسألنى:

- «هل تريد أن تتصل بالرئيس تبلغه أنك أطلعت على كل شىء كما أمر؟».

وقلت «إننى على موعد معه غدا. وأوثر ألا أتحدث إليه أو أقابله قبل أن أكون قد فكرت فى كل شىء هذه الليلة».

ولا أعرف كيف حملتنى السيارة من منشية البكرى إلى شارع مظلوم حيث كان مقر الأهرام فى ذلك الوقت. بدا لى كل شىء مسطحاً وفارغاً. حتى منظر الشوارع فى وسط المدينة بألوانها وأضوائها بدت مجرد صور. وكانت الأفكار والخواطر والهواجس فى رأسى دوامات ورياح ومطر.

وكان عزمى ألا أبقى طويلاً فى الأهرام. نصف ساعة أو ساعة على أكثر تقدير، ثم أقصد بيتى أخلو فيه إلى نفسى، وأحاول قدر ما أستطيع أن أواجه وأبحث وأرتب كل هذا الذى يدور فى رأسى.

الفصل العاشر

تأملات فى الماضى والحاضر

فى نصف الساعة أو الساعة فى مكتبى كانت أمامى شواغل محددة:
أن أعرف من مدير تحرير الأهرام شكل العدد الذى يوشك على الدخول إلى
المطبعة.

ثم أن أتصل تليفونياً بلندن - فقد تذكرت أسرتى لأول مرة فى ساعات بدت لى
دهوراً طويلة - واتصلت: أحوال ابنى طيبة، كثيرون جاءوا لزيارته وجاءوا معهم
بلعب وزهور وحلوى. الأستاذ على أمين كان فى المستشفى طوال اليوم وانصرف
فى المساء. ووجدتنى تلقائياً أقول فى التليفون «إننى لن أستطيع القدوم إلى لندن
يوم الجمعة... لقد اطمأننت والحمد لله، ولدى فى القاهرة عمل يقتضى بقائى».

ثم رجوت سكرتارية الأهرام أن تقوم بإلغاء حجز تذكرة السفر إلى لندن لأنى
عدلت عن السفر.

وخرجت قاصداً بيتى.

والتجأت غريزياً إلى مقعدى المؤلف فى ركن من المكتبة. ثم رحت أتصفح
المذكرات التى نقلتها مما قرأته وسمعته بعد ظهر ومساء هذا اليوم الطويل الطويل.
وكانت الأسئلة تتزاحم فى خيالى يدفع بعضها بعضاً:

● كيف أستطيع تكييف ما قرأته وسمعته، مكتوباً فى تقارير ومسجلاً فى
شرائط - وعلى أى نحو أخذه؟

- ماذا هناك فى بقية الأشرطة مما لم أسمع، وأية مفاجآت مازالت فيه؟
- ما الذى دفع الأستاذ مصطفى أمين إلى هذا الطريق الوعر؟ ولأى هدف؟ ومنذ متى على وجه التحديد؟
- كيف يمكن أن يتطور التحقيق مع الأستاذ مصطفى أمين وإلى أين نهايته؟ ثم ماذا؟
- ما هى انعكاسات ذلك كله على المهنة؟ وأى ضرر يصيبها؟ كان هو دائماً يهاجم من يسميهم بالشيوخيين ويتهممهم بأنهم يعملون لحساب الاتحاد السوفيتى، وها هو الآن متهم بالعمل لحساب الولايات المتحدة الامريكية، فأى انطباع يمكن أن يأخذه القارئ أو المواطن المصرى والعربى العادى عن «الصحفيين» جميعاً؟ هل يستقر فى ذهنه أنهم بالجملة «أتباع» - بعضهم لروسيا وبعضهم لأمريكا؟.
- أى قدر من المسئولية أتحمله وقد دخلت معركة عنيفة بين الصحفيين المحترفين وبين الآخرين الوافدين من الخارج على المهنة. لقد وجدت نفسى طرفاً فى اشتباكات لا تنتهى مع التنظيم السياسى ومع عناصر قيادية فى النظام لأنى حاولت أن أصد غارات الوافدين من الخارج على تخوم المهنة وحدودها... أمامهم جميعاً موقفى الآن مكشوف، ثم ألا أستحق - عدلاً - أن ألام لأنى تأثرت باعتبارات شخصية لعلها جرفتني إلى أبعد مما كان لازماً؟.
- وعلى ذكر الاعتبارات الشخصية، والإنسانية، كيف أتصرف مع الاستاذين مصطفى وعلى وأمين؟ وقد يكون التصرف مع الأستاذ مصطفى أمين موضوعاً مؤجلاً لأنه الآن فى ذمة سلطات التحقيق، وأما الأستاذ على أمين فما هى إلا ساعات ثم يكون على أن أقرر؟.
- وتتصل بذلك مسألة دقيقة وهى أسرة كل واحد منهما، لن يكون لدى أسرة كل واحد منهما إلا أن تجيء إلى، فلقد تعودت بناتهما الأربعة - اثنتان لكل واحد - على اعتبارى فى مرتبة العم.

● ثم ماذا أقول لجمال عبد الناصر؟ لقد صدقنى فيما قلت وأجابنى إلى ما طلبت، ومن حقه أن يعتب ومن حقه أن يشك فى أحكامى على الناس وعلى الحوادث.

● وأخيراً هل أعفيه من كل حرج وأقدم له استقالتي؟ وكيف يؤثر ذلك على المهنة؟ وبالتأكيد فإنها سوف تصبح حرماً مباحاً لمراكز قوة أرادت دائماً أن تسيطر على الصحافة، وهى على استعداد فى أى وقت لكى تأخذ البريء بجريرة غير البريء (ولا أقول المذنب - ليس بعد).

ثم ألت بقديم استقالتي الآن أغامر بوضع نفسى فى دائرة لم أدخل إليها وفى مجال لا شأن لى به؟.

وفى كل الأحوال ماذا أقول لجمال عبد الناصر؟ وكيف أواجهه؟ وبأى لغة أتحدث إليه؟.



وحتى طلع الفجر لم يكن قد استقر لى قرار، وكانت معظم الأسئلة لا تزال تتدافع من داخلى ومن حولى فى كل اتجاه.

كان موعدى مع جمال عبد الناصر فى الساعة العاشرة من صباح الخميس ٢٢ يوليو ١٩٦٥، ولكننى كنت فى بيته قبل التاسعة والنصف بقليل. والحقيقة أننى قصدت ذلك، فلقد خطر ببالى أن أمراً أولاً على مكتبه للمعلومات فأسأل إذا كان هناك جديد فى مسألة الأستاذ مصطفى أمين، حتى تكون عندى آخر التفاصيل فى الصورة قبل أن التقى بالرئيس.

ولم يكن هناك جديد كثير.

كانت هناك بعض المعلومات عن واقعة القبض على الأستاذ مصطفى أمين.

المعلومات تكاد تكون تقليدية فى عملية من هذا النوع. الأستاذ مصطفى أمين والمستر بروس تايلور أوديل يفاجآن بوكيل نيابة أمن الدولة وبعض ضباط الأمن القومى يدخلون عليهما بينما هما جالسان فى ركن ظليل من حديقة البيت الذى استأجره الأستاذ مصطفى أمين ذلك الصيف فى الإسكندرية.

جرى تفتيش بروس أوديل وعثر معه على بعض الأوراق التى كتبها خلال المقابلة. أثناء تفتيشه احتج بصفته الدبلوماسية وأخرج جواز سفره الدبلوماسى، وسئل عما يفعله فقال إنه كان مدعواً إلى الغداء مع الأستاذ مصطفى أمين وأنهما تحدثا فى «مشاكل العالم».

وسئل بروس تايلور أوديل عن الأوراق التى ضبطت معه فقال إنها تخصه، وعن الخط الذى كتبت به فقال إنه خطه. وبعد التحقق من شخصيته أفرج عنه فاستقل سيارته التى كانت داخل جراج البيت وانصرف.

وسئل الأستاذ مصطفى أمين فقال إن الأمريكى الذى كان معه هو بروس أوديل من السفارة الأمريكية، وأنه يعرفه جيداً وقابله عدة مرات لأنه مكلف من الدولة بمهام تقتضى منه الاتصال المستمر بموظفى السفارة الأمريكية، وقال إنه يبلغ كل ما يحصل عليه من معلومات للجهات الرسمية.

وكانت هناك أيضاً بعض المعلومات عن محتويات الأوراق التى ضبطت مع بروس تايلور أوديل.

مجموعة من خمس ورقات صغيرة الحجم.

الورقة الأولى منها تحمل قائمة بالأسئلة التى أعدها أوديل قبل المقابلة لكى يسأل فيها الأستاذ مصطفى أمين، وكانت نصوصها كما يلى.

١ - خطاب ٢٢. المحتويات.

٢ - هل هناك خطاب فى الإسكندرية يوم ٢٦؟.

٣ - اليمن - العمرى - ماذا حدث للنعمان؟.

٤ - السعودية.

٥ - التغيير فى الحكومة.

٦ - مؤامرات الانقلاب.

٧ - حالة السخط.

٨ - الاتحاد السوفييتى.

٩ - الصين.

وكانت بقية الأوراق الأربعة تحوى النقط التى كتبها بروس أوديل بينما هو يسمع الإجابات على أسئلته من الأستاذ مصطفى أمين.

وكانت النقط المسجلة فى هذه الأوراق بخط أوديل كما يلى:

يوم ١٩٦٥ / ٧ / ٢١.

الإسكندرية الساعة ٤٥ : ١٣.

أولاً: إضرابات.

يوم ١٩٦٥ / ٧ / ١٥ اتصل «ر» - ب. س. م. (يبدو أنه إشارة رمزية للأستاذ مصطفى أمين) فى الساعة التاسعة صباحاً.

أ - اثنان فى القاهرة ... شركة النسيج - شركة الجوت.

ب - فى يوم ١٩٦٥ / ٧ / ١٦ - «ر» قال له إضراب فى الإسكندرية ... شركة النقل. لم يدم أى إضراب أكثر من ٦ - ٨ ساعات.

سبب الإضراب المطالبة برفع الأجور.

«ر» قال له - المشكلة أننى منحت أكثر من اللازم فى فترة قصيرة أكثر من اللازم - ما هى الأشياء الجديدة التى أستطيع أن أمنحها.

عدة شركات لم تحقق أرباحاً - ولكن لابد من صرف أجور العمال لذلك فهم يقترضون من البنك لصرف ... للعمال. وهذه الأخيرة لم تحقق أية أرباح.

ثانياً: يوم ١٩٦٥ / ٧ / ١٦.

س. م. قال له كانت هناك إشاعة تقول إن العملة المصرية سوف ...

«ر» قال له : هذا ليس صحيحاً.

«ر» قال : لماذا أفعل هذا.

«ر» قال : لا أريد أن أصل إلى ذلك. إننى أعرف أن هناك كميات كبيرة متداولة لأننى أقوم بطبيعتها.

«ر» قال : قد أرتجل خطابى يوم ٢٢ - لن يكون خطاباً مكتوباً.

«ر» لا يعرف ماذا يقول.

س.م. قال له الناس مهتمون كثيراً بالشئون الداخلية.

«ر» رد عليه : لدى تقارير حول أمر ما والناس تهاجمنى - وكانت فيما مضى تهاجم المتصلين بى - والآن تهاجمنى أنا. يبدو أنهم نظموا أنفسهم لأن ما يقال يقال فى القرى وفى المدن وفى الجيش.

إننى أفكر فى مواجهة. وأن أقوم بالرد على الناس بصراحة يوم ٢٢.

تفيد التقارير - ما هى مصالحنا فى الدول الأخرى - لماذا لا نهتم بشئوننا الخاصة - لماذا نصرف الأموال على الدعاية فى الخارج - لماذا نتدخل فى الكونجو - لماذا توجد قوات فى العراق - إذا اتجهت ج.ع.م. نحو شئوننا الخاصة فسوف تكون دولة أفضل - لماذا نضيع كل هذا الوقت مع شوين لاي وأيوب خان وسوكارنو وبن بيللا إلى آخره - إذا كان «ر» يقضى هذا الوقت مع وزرائه لأصبحت الدولة أفضل مما هى.

«ر» قال - إن الناس الذين يتكلمون هكذا «أغبياء» - فإذا كنا بقينا ساكتين لما استطعنا أن نبني السد العالى ولا جيشاً كبيراً ولا برنامجاً واسعاً من المساعدات الأمريكية. وإذا كنا نسلك طريقاً واسعاً فذلك لأننا نقوم بأمور كبيرة فى الخارج. وإذا ما... شئوننا الخاصة لتلاشت كل هذه الأمور تلقائياً.

«ر» قال له - كل ما يحدث من الخليج الفارسي إلى المغرب هو من تخطيط المخابرات الأمريكية.

س.م. سألته : لماذا ... فى فيتنام.

«ر» قال : لأنهم لم يتمكنوا من العثور فى الأمم المتحدة على أمثال بورقيبة
وفيصل . فيصل... يريد أن يبدأ.



وفرغت من قراءة تقارير المعلومات التى كانت بين يدى . ثم نظرت إلى ساعتى
فوجدت أن موعدى مع جمال عبد الناصر قد أزف . ونهضت صامتاً أعبر الشارع
ماشياً على قدمى من سكرتارية المعلومات إلى بيت الرئيس .

لم يكف عبد الناصر حتى آخر يوم فى حياته عن استثارة محبتى وإعجابى .
توقعت كل شىء فى لقاء ذلك الصباح إلا ما حدث فعلاً . لم يترك لى فرصة وإنما
أخذ هو زمام الحديث من أول لحظة دخلت فيها عليه . قال على الفور :

«الوقت يسرقنا ونحن لم نفرغ بعد من اللمسات النهائية لخطاب عيد الثورة ولم
تبق عليه غير ساعات . كنت حريصاً على أن تعرف موضوع مصطفى أمين منى أولاً
وأن ترى وثائقه بالكامل قبل أن تبدى رأيك . أستطيع أن أتصور ما تشعر به ، ولا بد
أن تعرف أن كل واحد منا معرض لهذه التجربة . تثق بشخص وتقف معه وتدافع
عنه ثم تكتشف أنك خدعت . المهم ألا يخدع الإنسان نفسه وألا يتخذ موقف العناد
أمام الحقيقة حين تظهر له . لا تقل شيئاً فأنا أعرف أنك تحتاج إلى وقت لكى
تستوعب ما عرفتته . إننى لفت نظرك مرات وليس من حقدك أن تفاجأ ، ومع ذلك
فلنترك المسألة برمتها للتحقيق ولنلتفت نحن لما ينتظرنا اليوم» .

وكانت لدى تعليقات وملاحظات وأسئلة . وكانت ردودة قاطعة :

● «لم تكن فى حاجة إلى أن تسألنى ، ثق أنه لن يحدث أى ضغط فى التحقيق ،
ومع ذلك فما حاجة أى محقق للضغط والوقائع كما رأيت كاملة» .

● «أفهم بالطبع أن عائلات مصطفى وعلى أمين سوف يتصلون بك . وأنا لا أخلط
بين المسائل ، ولك أن تتصرف إنسانياً كما تشاء على أن تزن كل العوامل
وتضعها فى اعتبارك باستمرار» .

● «لا . لا أستطيع مهما كانت دوافعك أن أسمح لك بزيارة مصطفى أمين الآن، ولست مقتنعاً بكل ما أبديت من أسباب».

● «ليس هناك ما يدعوك إلى أن تفكر على هذا النحو . صحيح أنك توسطت لهما عندي أكثر من مرة لكنى أنا الذى استجبت لك، ولم يكن فى استطاعتك أن تفرض على شيئاً لولا قبولى به، فإذا كانت هناك مسئولية فأنا المسئول . لا داعى الآن لفرط الحساسية وأنا أطلب إليك من الآن أن تمسك أعصابك لأنى أعرف أن هناك من هم على استعداد لاستغلال ما حدث ضدك، ولا يصح لك أن تعطى أحداً وسيلة للنيل منك دون وجه حق».



وراحت عجلة الحوادث تتحرك بسرعة . وحاولت قدر ما أستطيع أن أتابع ما يجرى دون أن أقترّب بأكثر مما ينبغى من مسرح الحوادث .

بدأ الخبر يتسرب ظهر يوم الخميس ٢٢ يوليو .

وتقرر استدعاء عدد من الصحفيين إلى سكرتارية المعلومات وإبلاغهم بتفاصيل ما حدث وإتاحة الفرصة لهم كي يروا ويسمعوا .

وطبقاً لسجلات الرئاسة فإنه بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو دعى كل من الأستاذ أحمد بهاء الدين والأستاذ فتحى غانم والأستاذ على الشلقانى والأستاذ محمود أمين العالم والأستاذ أحمد حمروش والسيدة سميرة الكيلانى (من الإذاعة) والأستاذ حسن فؤاد . للاطلاع على كل التقارير والوثائق .

ثم تقرر أن يقوم السيد محمود رياض وزير الخارجية باستدعاء السفير الأمريكى فى القاهرة المستر لوشىوس باتل وإبلاغه باستياء مصر مما جرى وباعتبار المستر بروس تايلور أوديل شخصاً غير مرغوب فيه . ولم يكن محمود رياض فى حاجة إلى أن يلح على هذا الطلب الأخير، فقد تبين أن السفير الأمريكى طلب من بروس أوديل فور علمه بما جرى بأن يركب أول طائرة ويخرج من مصر . وقد كان .

ثم كتب وزير الخارجية مذكرة عن مقابلاته للسفير الأمريكى كان نصها كما يلى :
«وزارة الخارجية»^(١)

مكتب الوزير القاهرة فى ٢٢ / ٧ / ١٩٦٥

السفير الأمريكى مستر باتل :

- استدعيته الساعة ٣٠ : ١٥ اليوم وأبلغته بموضوع إلقاء القبض على مصطفى أمين يوم ٢٠ يوليو فى الإسكندرية أثناء تقديمه تقريراً لمستر بروس أوديل الملحق بالسفارة الأمريكية.

وأنه تبين من التحقيق الأولى ومن الأوراق التى ضبطت أن مستر أوديل قد وجه أسئلة بخط يده إلى مصطفى أمين وأن المعلومات التى قدمها له الأخير كانت تتضمن معلومات سياسية وعسكرية تمس أمن الدولة وسلامتها.

- كما أبلغته أنه قد تم الإفراج عن مستر أوديل بعد التحقق من صفته الدبلوماسية.

- ذكر السفير أنه علم بالحادث ليلة أمس وكان أوديل فى أجازة، وأنه قابله صباح اليوم وفهم منه أن تواجهه بمنزل مصطفى أمين بالإسكندرية كان بغرض الزيارة.

- أوضحت له أن زيارة الملحق الأمريكى لمصطفى أمين لم تكن زيارة عادية؛ حيث إن مصطفى أمين كان يقدم له تقارير أسبوعية.

- ذكر السفير بأنه قد صدم بالحادث ورجا ألا يترك أى أثر على العلاقات بين البلدين التى يعمل على تدعيمها.

- وذكر أنه سيقوم بإجراء تحقيق فى الموضوع.

- وأضاف أن بعض وكالات الأنباء الأمريكية علمت بالموضوع. وفى اعتقاده أنه قد تصلها معلومات عن استدعائه لوزارة الخارجية كما يحتمل أن توجه إليه أسئلة

(١) صورة مذكرة وزارة الخارجية وعلى أوراقها الرسمية فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٥).

بخصوص استدعائه هذا، وأن إجابته ستكون فى هذه الحالة أن وزير الخارجية أبلغه بالحادث.

- وافقت على هذه الإجابة، ثم ذكرت له أن أمثال مصطفى أمين لا يمكن أن يكونوا مصدر معلومات دقيقة، وإنما يخلق هؤلاء بعض القصص والروايات من أجل المتاجرة بها.

- وأضفت أن السيد الرئيس عندما يتحدث إلى الشعب فإنه يتحدث بصراحة تامة عن مشاكلنا الداخلية وعن سياستنا الخارجية، ولذا فإن أى جهد يبذل للحصول على ما يسمى بالمعلومات السرية هو جهد ضائع.

- كان السفير فى حالة ضيق واضطراب، وكرر أكثر من مرة رجاءه ألا يتسبب هذا الحادث فى خلق توتر فى العلاقات بين البلدين.

وزير الخارجية

محمود رياض»

وأضاف السيد محمود رياض إلى تقريره المكتوب ملاحظات شفوية أبلغها إلى مكتب رئيس الجمهورية منها أن السفير الأمريكى ذكر له أنه لم يقابل الأستاذ مصطفى أمين على الإطلاق؛ لأنه هو شخصياً يفضل التعامل المباشر والعلنى، وأنه ليس فى حاجة إلى أن يشرح له - لوزير الخارجية - الظروف العملية التى تمارس تحتها أجهزة الدولة - أى دولة - نشاطها الظاهر أو الخفى.



ولم تمض على هذه المقابلة أكثر من ساعة حتى أذاع مكتب الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإرشاد القومى وقتها بياناً نصه كما يلى:

«تم القبض يوم ٢١ يوليو ١٩٦٥ على الصحفى مصطفى أمين أثناء مقابله مع بروس تايلور أوديل الضابط بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والذى يعمل تحت ستار ملحق بالسفارة الأمريكية بالقاهرة.

وكان الصحفي مصطفى أمين عميلاً للمخابرات الأمريكية يقدم لها معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تضر بأمن البلاد وسلامتها.

وقد قدمت المخابرات المصرية لنيابة أمن الدولة قبل القبض على مصطفى أمين كل الوثائق التي تثبت أنه عميل للمخابرات الأمريكية.

وقد أقرجت نيابة أمن الدولة عن بروس تايلور أوديل بعد استجوابه وإثبات شخصيته الدبلوماسية، وتواصل النيابة تحقيقها.

ثم أذاع مكتب النائب العام بياناً بهذا المعنى أضيف إلى البيان السياسي الصادر عن وزير الإرشاد القومي.

واجتمعت اللجنة الدائمة المتفرعة عن مجلس الأمن القومي وبحثت القضية من جوانب مختلفة وكان بين قراراتها ضرورة إخطار المتصلين بمصر في بيروت ببعض التفاصيل عن الموضوع. فقد كان مؤكداً أن بعض الصحف اللبنانية سوف تثيره. وهكذا أرسل السيد سامي شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات، وهو في نفس الوقت سكرتير اللجنة الدائمة لمجلس الأمن القومي) برقية شفرية للسفير عبد الحميد غالب سفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت تتضمن بعض المعلومات التي طلب إبلاغها إلى السيد محسن إبراهيم وكان وقتها أمين جبهة القوميين العرب (التي تفرعت منها فيما بعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين). وكان نص البرقية الموجهة إلى السفير عبد الحميد غالب كما يلي:

٧٣٨ مستعجل للغاية (١)

من السيد / سامي شرف

إلى السفير عبد الحميد غالب (بيروت).

(١) صورة الرسالة التي صدرت من مكتب السفارة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٦).

سرى جداً

أرجو إبلاغ الأخ محسن فوراً بالمعلومات التالية ولا مانع من استغلالها على أوسع نطاق ونشرها (٠) بخصوص القبض على مصطفى أمين (٠) مراقب من المخابرات العامة من مدة طويلة، وكان يعقد اجتماعات أسبوعية مع ممثل المخابرات الأمريكية فى القاهرة وكان يعطيه تقارير أسبوعية سياسية يأخذ منه تعليمات (٠) جميع هذه الجلسات مسجلة لدينا (٠) كان يأخذ منهم نقودا وكانت تحول باسمه للخارج بواسطة المخابرات الأمريكية (٠) اتضح أن جميع التقارير التى قدمها مصطفى أمين للمخابرات الأمريكية ضد مصلحة الدولة وكذلك التعليمات التى كانت تصدر إليه من المخابرات الأمريكية كلها ضد مصلحة الدولة (٠) كان يبلغ الأمريكان كلاما على أنه سمعه من الرئيس، فى حين أن الرئيس لا يقابله ولا يكلمه أبداً وهذا الكلام مفبرك (٠) وكان اتجاه هذا الكلام المنسوب إلى الرئيس يتضمن استعداد الأمريكان على ج.ع.م. (٠) هذه القضية بالكامل منذ أن بدأت مسجلة (٠) نرحب بحضور الأخ محسن للقاهرة للاطلاع على التفاصيل بعد نشر المعلومات الواردة فى هذه البرقية اليوم.

«سامى»



شغلتنى وقائع يوم ٢٢ يوليو - بما فيها الخطاب الكبير للرئيس فى عيد الثورة - فظللت فى الأهرام إلى ما بعد منتصف الليل وحتى صدرت الطبعة الأولى -
وحين بدأت أستعد للعودة إلى بيتى تنبعت إلى أننى لم أتصل بلندن لكى أطمئن على أحوال ابنى . واتصلت قبل أن أترك مكتبى .
وذكرتنى المكالمات بأننى مهما حاولت أن أظل بعيداً فإن طبائع الظروف تأبى أن تمنحنى هذه الراحة .
على التليفون من لندن - وبعد الاطمئنان على تقدم صحة ابنى - عرفت أن خبر ما حدث فى القاهرة قد وصل وكان صدمة بالنسبة للجميع .

كان الأستاذ على أمين فى المستشفى وسأل إذا كنت قد اتصلت - ولم أكن - وترك لى رسالة عندما أتصل فى أى وقت، ومؤدى هذه الرسالة:

«ماذا يفعل؟ مع العلم بأنه مستعد لأن يركب أول طائرة إلى القاهرة ويجيء لى يقف مع مصطفى ويدافع عن سمعة الاثنين معاً».

وتركت له رداً:

«إنه فى موقف يستطيع وحده تقدير عواقبه. لكنه إذا كان مستعداً للقدوم للقاهرة فوراً فإن هذه أكبر خدمة يؤديها لمصطفى. مجرد قدومه يثبت اقتناعه بالبراءة. ثم إن هناك مسائل كثيرة يستطيع القيام بها فى الدفاع عن مصطفى وفى رعاية شئون أسرة الاثنين معاً» (كانت زوجة الأستاذ على أمين وابنته منها) (منى) فى القاهرة لم تصحباها فى سفره إلى لندن، وكذلك كانت فى القاهرة ابنته - من زوجته الأولى - (فاطمة) - وكانت هناك ابنتان للأستاذ مصطفى أمين (رتيبة - وصفية) تقيمان مع والدتهما بعد أن وقع الطلاق بين الأب والأم قبل سنوات).

وبعد ظهر اليوم التالى ٢٢ يوليو اتصلت مرة أخرى بالمستشفى فى لندن، وكان الأستاذ على أمين هناك وقال لى: «إنه سيركب الطائرة غداً إلى القاهرة». وهنأته على قراره.

وكانت أسرتى هى التى عادت إلى القاهرة فى اليوم التالى، وأما الأستاذ على أمين فقد قرر أن ينتظر التطورات فى لندن. ثم لم يلبث أن أدلى هناك ببيان نشرته بعض الصحف اللبنانية قال فيه: «إنه كان يعتزم السفر إلى القاهرة ولكنه ينتظر تصريح الأطباء الذين يعالجونه من مرض السكر». وأضاف أنه «كان قد أخطر القاهرة وسفارة الجمهورية العربية المتحدة فى لندن باعتزامه القدوم إلى القاهرة، ولكن الإخصائين الذين يعالجونه من مرض السكر نصحوه بأن يؤجل عودته إلى حين تمام شفائه».



وتتابعت أيام ثقيلة... متثاقلة.

وفى مساء يوم ٨ أغسطس كنت مدعواً إلى العشاء مع جمال عبد الناصر فى استراحة العمورة بالإسكندرية، وخرجنا بعد العشاء نتمشى على شاطئ البحر ونتحدث طويلاً وبعيداً عن كل شىء.

وفجأة قال لى الرئيس:

- على فكرة، سوف أعطيك نسخة من خطاب بعث به مصطفى أمين إلى.

سوف تذهل من قراءته فهو اعتراف كامل...

وسألته عما يقصده «باعتراف كامل» وقال إنه خطاب بخط يد مصطفى أمين من ستين صفحة، ثم أضاف «لا أظنك تستطيع أن تقول إن ضغطاً وقع عليه من أى نوع لكى يكتب خطاباً من ستين صفحة، بالضغط يمكن لأحد أن يكتب صفحة أو صفحتين، أما أن يكتب بالضغط ما يكاد أن يكون كتاباً كاملاً... ويتفرغ لكتابته أربعة أو خمسة أيام - فهذا مستحيل».

ثم استطرد الرئيس:

- لكى أكون دقيقاً معك فإننى أعتقد أنه فوجئ بالتسجيلات وبكمية ما تحتويه من «مصائب» ثم إنهم طمأنوه إلى أقصى حد لكى يعترف. قالوا له فيما أتصور أن خبر القبض عليه لم ينشر وأنه إذا اعترف اعترافاً كاملاً فإن الموضوع يمكن أن يكون محل نظر. وقالوا له إن اعترافاً مفصلاً هو الشئ الوحيد الذى يوفر إمكانية حصر الضرر الذى يمكن أن ينشأ نتيجة لما قاله لضابط المخابرات الأمريكى، وقد يساعد هذا على التصرف فى القضية».

وكنت أستمع ساكناً. وقال الرئيس:

- عندما نرجع إلى المكتب الآن سوف أعطيك صورة من خطاب الاعتراف تقرأها».

وبدأنا نعود أدراجنا فى الظلام على شاطئ البحر نحو البيت، وكنا ساكتين
وليس من صوت حولنا غير تدافع الموج على الرمل.

ودخل مكتبه فى استراحة المعمورة وأنا فى انتظاره فى مدخل البيت، ثم عاد
يحمل ملفاً ضخماً ناوله لى، ثم أضاف:

- هناك أيضاً مظروف مغلق فيه ورقة واحدة لعلك تقرؤها أيضاً، لا تعلق عليها
كثيراً ولا تدعها تؤثر فى فكرك. أردتك فقط أن تكون على علم بما يثار.

وركبت سيارتى والملف الضخم تحت إبطى والمظروف الصغير فى يدي.
وتحركت السيارة.

ولم يكن صبرى قادراً على الاحتمال، وفتحت المظروف الصغير أستطلع أمره
على الضوء الخافت لمصباح السيارة الداخلى. فإذا هو كما قال لى ورقة واحدة
بتوقيع السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات بوصفه مسئولاً فى التنظيم
السياسى للاتحاد الاشتراكى العربى - نصها كما يلى:

«رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

تنظيم

أفندم^(١)

بدأ يتردد فى بعض القواعد فى التنظيم - حيث أبلغتني بعض الحلقات التى تعمل
معى وبعض الحلقات الأخرى - أن هناك تياراً كلامياً جديداً بدأ يظهر متعلقاً بقضية

(١) صيغة توجيه الخطاب كتابة إلى رئيس الدولة، وأظنها لا تزال تستعمل حتى الآن فى مصر. ولم
أستطع قبولها. وطالبت مراراً بتغييرها واعتبار صيغة «سيادة الرئيس» أو «السيد الرئيس» أكثر
ملاءمة من كل الوجوه.

(صورة من المذكرة بخط السيد سامى شرف فى الملحق الوثائقي فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٧).

مصطفى أمين وهو أن الأستاذ هيكل هو الذي تسبب في الصفح عن مصطفى أمين
وعلى أمين أكثر من مرة لأنه لن ينسى أنه تمرس على أيديهما والكلام يحمل الأستاذ
هيكل - ضمناً - بعض المسئولية ...

برجاء التفضل بالنظر.

سامي

٦٥/٧/٢٤

وتنهدت من أعماق قلبي . وبدا لي الصوت الصادر من حنجرتي شيئاً يشبه
الأنين .

الجزء الثانى

الاعتراف

« IPSE Dixit »

(قاعدة فى القانون الرومانى - ترجمتها:

«بنفسه قالها»).

الفصل الأول

الرسالة الوثيقة

كان سهلاً أن أقرأ تقرير التنظيم الذى قدمه السيد سامى شرف إلى الرئيس جمال عبد الناصر - على ضوء المصباح الخافت فى السيارة التى خرجت بى من استراحة المعمورة متوجهة إلى الشقة التى أسكنها فى ستانلى بالإسكندرية - فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ... ليل ٨ أغسطس ١٩٦٥ .

لكنه كان صعباً أن أحاول نفس الشئ بالنسبة إلى الرسالة التى بعث بها الأستاذ مصطفى أمين إلى الرئيس لكى يقول فيها كل شئ .

وأعترف أننى حاولت أن أقرأ الرسالة على ضوء المصباح الخافت، لكنى أدركت عقم المحاولة - بسبب ضخامتها من ناحية، وبسبب قوة التركيز المطلوبة لاستيعاب ما فيها وتقدير أهميته ثم خطورته، وما يترتب على ذلك مما سوف تحمله لنا الأيام .

تركزت المحاولة، فما هى إلا ربع ساعة وأصل إلى حيث أستطيع أن أجلس وأتعرف على مهمة كنت أشعر مقدماً أنها لن تكون سهلة أو طبيعية .

وفى الليل وعبر مصابيحه الممتدة على كورنيش البحر والسيارة تمضى فى الشوارع شبه الخالية فى تلك الساعة المتأخرة - كانت خواطرى نهباً لمشاعر شتى .

أحاسيس يختلط فيها القلق بالأسى والإحباط ... وشئ من الاستغراب والحيرة والشك فى كل شئ .

وكانت هناك مشاعر وصور تطفو من الذاكرة لتعترض هذه الأحاسيس وتغطى عليها فى بعض اللحظات، ثم تتلاشى معالمها وتغيب .

صور من أول لقاء بين الأستاذين مصطفى وعلى أمين وبينى . ثم مشاهد من حياتنا المشتركة فى أخبار اليوم . ثم أطيا ف لتلك المرات التى كنت أذهب فيها معها إلى بيتهما القديم فى المنيل ونجلس نحن الثلاثة حول فراش والدتهما التى كانت مريضة بالسرطان، ونروح نحكى لها ونسمع منها . ثم تلاحق مناظر سريعة كأنها شريط سينمائى : جالس أوقع شاهداً على عقد زواج على أمين، على أمين يجلس للتوقيع شاهداً على عقد زواجى، تلك المرات الثلاث التى نزلنا فيها من سيارة واحدة أمام أخبار اليوم عندما كانت المعركة التى تصورناها بين الصحفيين المحترفين وبين الطارئين الواقدين على دور الصحف، غداء يوم الثلاثاء، المشى على ضفاف التيمز مع على أمين فى مارلو قبل أيام قليلة .

وتوقفت السيارة أخيراً، لقد وصلنا .

وصلت إلى لحظة رزحت على قلبى طول الطريق ... شاطئ البحر ومصابيح الليل القائمة على امتداده .

لقد جاءت لحظة الحقيقة .

وفتحت الملف الضخم^(١) الذى يحوى رسالة مصطفى أمين وراحت عيناى تجريان على السطور :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر^(٢) .

إننى أشعر أننى أسأت إليك وأننى لم أعد جديراً بالثقة التى وضعتها فى .

(١) للأهمية القصوى لهذا الخطاب الوثيقة فإنى أنشره كاملاً رغم طوله فقد اتصل إلى ستين صفحة بخط الأستاذ مصطفى أمين، ولقد رأيت أن بعض ما فيه يقتضى إيضاحات وفضلت وضعها فى حواشٍ منفصلة عن النص، على أنى لم أحاول أكثر من ذلك، فلم أعلق على كثير مما كتبه الأستاذ مصطفى أمين فى رسالته، ولو فعلت لوجدت نفسى أكتب عشرات التعليقات إن لم يكن مئاتها !.

(٢) صورة من صفحات هذا الخطاب بخط يد الأستاذ مصطفى أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم (٨)).

وقد تصورت دائماً أنني قادر أن أنتزع معلومات هامة لبلادى، ولقد سبق أننى جئت إليك بأكبر الأسرار وأخطرها مستفيداً من صلاتى العديدة بالأمريكيين من رجال السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية. ولقد هيا لى الوهم أنى حر فى التحرك ما دمت قد نلت منك الإذن فى الاستمرار فى اتصالاتى. ولقد كان من السهل القيام بهذه الاتصالات طالما كنت على اتصال يومى بك، وكان هذا الاتصال المستمر الدائم يجعلنى أأمن الخطأ أو الانحراف. ثم حدث فى الشهور الأخيرة أن قضت كثرة أعمالك ومهام الدولة أن يصعب هذا الاتصال وبذلك لم أعد قادراً على أن أستأذنك فيما أقول باسمك أو عن لسانك أو منسوباً إليك. ولقد سبق أن قلت لسيادتك إننى أستعمل اسمك فى أحاديثى، وأنت إذا رأيت أن المصلحة فى أن تكذبنى وتكذب كل صلة بى فإننى مستعد أن أتحمّل بشجاعة تبعة هذا التكذيب، ثم حدث أننى شعرت أنى أسأت إليك بنسب أحاديث إليك بغير استئذانك وبغير علمك. ثم زاد شعورى بالأسى عندما رأيت فى الإجراء الذى اتخذ ضدى أنك ترى أننى انحرفت فى الطريق الذى تصورت أنى أخدم به وطنى. ولقد وجدت أن خير طريقة أكفر بها عن خطئى أن أكتب إليك معدداً المرات التى ذكرت فيها اسمك، ونسبت فيها إليك أفكاراً وآراء معينة معتمداً على أننى أستعمل هذه الطريقة فى الدردشة لأحصل على معلومات تفيد بلادى كما فعلت قبل ذلك مرات فى المعلومات الخطيرة التى حصلت عليها من هذه المصادر وقدمتها إليك منذ قيام الثورة إلى اليوم. وإذا رأيت أن هذا التصرف يستحق العقاب فإننى قابل برضاء ما تراه، وإذا رأيت أن شفيعى حسن نيتى وسلامة هدفى فإن الأمر لك على الحالين. إن الذى دفعنى إلى الكتابة إليك فى هذا الموضوع هو ما علمته من أن الدردشة التى كنت أتحدث بها إلى مستر بروس أوديل كان يكتبها فى تقاريره متوهماً أنها تعبر عن رأيك. ولهذا أريد أن أحرص على أن أذكر المرات التى ذكرت فيها اسمك حتى يمكن علاج ما قد يكون حدث نتيجة استخدام اسمك فى هذه الأحاديث، وأننى على استعداد أن أعمل ما ترون ولو كان ثمن ذلك التضحية برأسى إذا كانت هذه هى الوسيلة لإصلاح ما أفسدت أو ما قد أكون أسأت به إليك فى هذه الأحاديث. وأننى كنت أتوهم أن فى أن أنسب آرائى وأفكارى إليك ما يزيد أثر حديثى على مصادر معلوماتى، ولقد كنت أعطيهم بضاعة

زائفة، وأحصل منهم فيما أعتقد على بضائع حقيقية. وقد لا ترضيك هذه الطريقة ولكنها كانت دائماً الطريقة الناجحة في الحصول على ما كنت أقدم لك من معلومات.

ولهذا فسوف أحاول أن أعد بعض ما قلته على لسانك في أحاديثي مع بروس أوديل الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة.

ففى حديثي معه يوم الأربعاء ٧ يوليو سنة ١٩٦٥ قلت له عندما تحدثنا عن حادث سقوط الطائرة أنتينوف على بعد ١١ كيلو من السويس إن جميع ركابها قد لقوا حتفهم فيما عدا ضابط روسى تمكن من النجاة، وإن ثمن الطائرة يبلغ حوالى مليون جنيه، وإن الضابط الروسى الذى نجا رفض التحدث مع السلطات المصرية وتوجه إلى السفارة الروسية وهذه الطائرة هى التى أذاعت السلطات المصرية بلاغاً رسمياً عن سقوطها ووفاة كل من بها.

وعندما تحدثت معى مستر بروس عن اليمن وعن أن تأخير القوات المصرية فى الجلاء عنها يؤدى إلى عدم تجديد المعونة، قلت له على لسانك إن الفريق أول مرتجى قائد اليمن أبدى أن عملية تطهير الجيوب فى جبال اليمن من المتمردين يلزم لها عام كامل، والرئيس يعتبر فترة العام فترة طويلة جداً.

وعندما جرى الحديث عن أزمة محمد أحمد النعمان رئيس وزراء اليمن السابق قلت على لسانك إن النعمان يريد أن يكون شيئاً كبيراً على حساب الجمهورية العربية، وإنه مصرّ على تنحية الرئيس السلال، لكن الرئيس مصرّ على بقاء السلال لأنه يثق فيه ولا يثق فى النعمان، كما أن القوات المصرية فى اليمن لا تثق فى النعمان، وإن الرئيس السلال لا يتمسك بالحكم، وإن الرئيس يعتقد أن لسان النعمان مع مصر وقلبه مع فيصل.

وتحدثنا عن موقف السعودية من مصر، قلت إن الرئيس يفكر فى شن حملة صحفية ضد السعودية تبدأ فى الصحف اللبنانية ثم تنقلها الصحف العربية، وقال مستر بروس إن هذه الحملة بدأت فعلاً فى صباح يوم الحديث.

وعندما جرى حديثي معه عن الرئيس بن بيللا قلت على لسانك إن بومدين كان

على عداء مع ثلاثة من مستشاري بن بيللا هم لطف الله سليمان وهو شيوعي مصري، وهنري كوربيل وهو مليونير يهودي كان زعيم الحركة الشيوعية في مصر عام ١٩٤٦ وسكرتير تروتسكي، وتحدثنا عن أخطاء بن بيللا، فقلت له على لسانك إن الجيش الجزائري كان يعارض التسلل الشيوعي في الجزائر، وأن خطأ بن بيللا كان بسبب تركيزه واهتمامه بالشئون الخارجية خلال الأسبوعين اللذين سبقا الانقلاب.

وجرى حديث عن البغدادي^(١) فقلت على لسانك إن البغدادي يعتقد أنه إذا أتى إلى الحكم فسوف يحرق، أما إذا ظل بعيداً عنه وجرى انقلاب فهو يعتقد أن القادة الجدد سيقدمون له السلطة، وإن الرئيس سوف لا يترك الحكم، وإنه لو حدث انقلاب فإن البغدادي سوف يكون في نفس القارب الذي فيه الرئيس.

وجرى حديث عن الاتحاد الاشتراكي فقلت، إن الرئيس لا يريد أن يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه بن بيللا بأن يظل هذا الاتحاد مجرد مظهر دون صفة.

وجرى حديث عن الحصار على مصر وقلت إن الرئيس يريد الخروج من هذا الحصار، وإن الزعماء العرب والأفريقيين غضبوا لأن الرئيس اجتمع بسوكارنو وأيوب خان وشوان لاي بمفرده دون أن يدعوهم للاشتراك في مباحثاته، وإنه أوقد محمد فائق^(٢) بمهمة أن يطلع الزعماء بأن الحالة سيئة بالنسبة للدول الأفريقية والآسيوية وأن الضرورة تدعو إلى الاتحاد، وإن الرئيس قلق بالنسبة لمنظمة أفريقيا واتحاد مالاجاش، وإن نتيجة هذا الانقسام تقسيم أفريقيا إلى تجمعات.

وجرى حديث عن الحالة في العراق فقلت على لسانك إن الحالة في العراق سيئة وإن أمين هويدي^(٣) ألغى أجازته، وإن ١٢ وزيراً ناصرياً سيسبقون، وإنه يخشى أن يحدث في العراق ما حدث في الجزائر، وإن الرئيس يفكر في استدعاء القوات المصرية الموجودة في العراق.

(١) يقصد السيد عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة السابق، وكان قد استقال سنة ١٩٦٤.

(٢) مسئول الشؤون الأفريقية في رئاسة الجمهورية وقتها.

(٣) سفير مصر في العراق في تلك الأيام.

جرى حديث عن الملك حسين فقلت على لسانك إنك تلقيت معلومات تؤكد أن هناك عناصر هاشمية طلبت من الملك حسين أن يقوم بتغيير نظام وراثة العرش، فيجعل أخاه ولياً للعهد حتى إذا حدث انقلاب في العراق فلن يقبل العراقيون ملكاً أمه إنجليزية، وإن حسين يطمع في أن يخلف نظام الحكم في سوريا.

وجرى حديث عن الموقف العربي فقلت إن الرئيس يعتقد أن هناك مخططاً بريطانياً يهدف إلى عزل مصر عن بقية العالم العربي، بما جاء في مشروع الهلال الخصيب والمغرب الكبير بجانب أن السودان في الجنوب قد ضاع، وبذلك تكتمل حلقة عزل مصر. وأن الرئيس قلق على الحالة في أفريقيا كلها.

وتحدث بروس عن خالد محيي الدين وسلمني مجلة لبنانية نشرت مقالاً مطولاً حول ميول خالد محيي الدين الشيوعية، وقال بروس إنه يعتقد أن نهاية خالد محيي الدين قد قربت، وتساءل بروس ماذا سيكون رد فعل الرئيس عبد الناصر إذا أثبتنا أن خالد محيي الدين عميل شيوعي سوفيتي، فقلت له إن الرئيس لن يصدق ذلك في خالد محيي الدين، وقال بروس إنه منذ أن تسلم خالد محيي الدين منصبه في أخبار اليوم وهو يشك فيه وأنه قام بتحليل كل كلمة كتبها ويعتقد أن الروس إذا أعطوه مقالاً لينشره لهم فسوف يفعل ذلك.

ولقد أعطاني مستر بروس مقال جريدة الصفاء ضد خالد محيي الدين وعن اتصاله بالصين فلم أر أن أرسل لسيادتكم هذه المجلة لأنني أعلم أنها جريدة مأجورة للغرب، وفهمت أن الغرض هو الدس لخالد محيي الدين عندكم.

وأذكر جلسة أخرى تحدثت فيها عن مواضيع أخرى من بينها صفقة القمح الروسي وقلت بلسان سيادتكم إنه برغم أن الصفقة لم تكن كبيرة إلا أنكم أمرتم بالإشادة بها، وإنكم قمتم بالاتفاق بأنفسكم على هذه الصفقة من الاتحاد السوفيتي برغم أن السفير الروسي في القاهرة والسفارة الروسية نفسها كانت ترى أنه من الصعب أن تحصل مصر على كمية من هذا القمح في الظروف الحاضرة، وإن الولايات المتحدة تقوم بضغط شديد على البلاد الموردة للقمح لتمنع إرسال قمح بالثمن إلى مصر، وأفهمته أننا نشعر بأن الولايات المتحدة وراء الصعوبات التي

تقوم ضد الاتفاق مع هذه الدول، وأن الاتحاد السوفيتى يكسب بهذه الصفقة عدة أبناط فى بلاد أفريقيا وآسيا وأن مبادرته إلى إرسال القمح لمصر سوف يزيد من هيئته فى المنطقة كلها.

وتحدثت معه بشأن انقلاب الجزائر، وقلت له بلسانك إنكم كنتم تتوقعون قيام هذا الانقلاب منذ عامين وطالما حاولتم أن تتدخلوا وتتوسطوا لتوقفوا الخلافات بين زعماء الجزائر، وإن الرئيس فى الأسبوع الماضى قال إن الانقلاب كان مفاجأة له. وقلت على لسانكم إنكم قلتم لبوتفليقه إنكم لا تسمحون باستعمال كلمة الخيانة ضد بن بيللا، وإن الرئيس طلب من على صبرى أن يعلن فى البرلمان أن مصر تأكدت من أنه ليست هناك يد أجنبية وراء انقلاب الجزائر. وذكرت له بلسانكم كيف أن خالد محيى الدين اتصل بكم وطلب السماح بنشر خبر بأن السفير الأمريكى فى الجزائر نصح الزعماء الجزائريين بإعدام بن بيللا، وأن سيادتكم رفضتم ذلك، وإن على الشلقانى^(١) اتصل بأخبار اليوم من باريس وقال إن المخابرات الأمريكية وراء انقلاب الجزائر، وقلت له بلسانكم إن الشيوعيين يريدون أن يقع خلاف بين الجزائر والقااهرة، ولكن سيادتكم لا تريدون أن يقع مثل هذا الخلاف، وذلك حتى لا تعزل مصر وتحقق رغبة الغرب فى حصارها. وأن الحزب الشيوعى فى الجزائر كان فى خلاف مع بومدين.

وذكرت له على لسانكم أنكم اجتمعتم مع شوان لاي وأيوب خان وسوكارنو، وأنكم حاولتم تسوية الخلاف بين الهند وباكستان، وبين أندونيسيا وماليزيا، وبين الصين والاتحاد السوفيتى، لأن هذه الخلافات تضعف كتلة آسيا وأفريقيا ودول عدم الانحياز وتقوى الغرب، وأن الرئيس يرى أنه لولا الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتى لما جرأت أمريكا على ضرب فيتنام. وأن الرئيس يأمل أن يسوى هذه الخلافات، وأن الزعماء أجمعوا على أن كل الخلافات التى تحدث هى من تخطيط الولايات المتحدة. وأن سوكارنو يعارض قيام انقلابات يقوم بها الجيش كما حدث

(١) كان الأستاذ على الشلقانى أحد كبار مساعدى الأستاذ خالد محيى الدين فى الإشراف على تحرير أخبار اليوم، وهو الآن يملك ويدير واحداً من أكبر مكاتب الاستشارات القانونية فى مصر.

فى الجزائر حتى لا يحصل له ما حصل لبن بيللا . وأن شوان لاى أعرب عن ابتهاجه بانقلاب الجزائر، وأنه قال إن الجزائر لا تعتقل الشيوعيين وإنما عملاء السوفييت فقط . وأن الرئيس سبق أن نصح بن بيللا بعدم إعدام العقيد الشعبانى، وأن الشعبانى من أهم القادة المسلمين فى الجيش، ولكن بن بيللا أخطأ بإعدامه، ولو كان بن بيللا سمع نصيحة الرئيس لما حدث له ما حدث وأن الرئيس مكث أربع ساعات فى آخر مرة يحاول إقناع بن بيللا بالصلح مع بومدين، لكن بن بيللا قال إن بومدين أضعف من أن يقوم بانقلاب .

وذكرت له أن الوفد المصرى فى مؤتمر هلسنكى، على لسانكم، أنه سيتألف من خالد محيى الدين رئيساً ومجدى حسنين وسيزا نبراوى وإنجى أفلاطون والدكتور أحمد خليفة وشخص آخر وهما من غير الشيوعيين بخلاف الأولين . وأن الرئيس سوف يتخلص من خالد محيى الدين ويعينه سفيراً فى فرنسا، وكان خالد يريد أن يعين سفيراً بإحدى الدول الأفريقية، وأن خالد محيى الدين يريد بسفـره إلى باريس أن يعالج ابنته .

وذكرت له على لسانكم أن معبود الجبالى عين مديراً للطاقة الذرية، وإنى أخشى أن يحولها إلى خلية شيوعية، وأن سيادتكم قلتم إنتم مش عايزين الشيوعية لا فى الصحافة ولا فى التلفزيون أـمال عايزهم فىن ؟

وفى أسبوع آخر فى إحدى مقابلاتى مع بروس التى كانت تتم عادة يوم الأربعاء جرى حديث عن انقلاب الجزائر وكيف أن سيادتكم علمتم به وتألمتم له كما تألمتم عندما حدث الانفصال فى سوريا، وأن سيادتكم لا تريدون أن تختلفوا مع كل الدول وأن بن بيللا هو الوحيد فى الجزائر الذى كان يقف معنا، وأن الرئيس يرى أن بومدين وطنى ولا يناقش وطنيته، وأن الرئيس قام باتصالات بأصدقائه من رؤساء الدول لإنقاذ حياة بن بيللا، وأنه لهذا السبب أرسل عبد الحكيم عامر إلى الجزائر .

وقلت عن لسانكم إن العلاقات بينكم وبين عبد الحكيم عامر قوية جداً، وإنكم كالأخوة، وإنه لا يمكن أن ينقلب عبد الحكيم عامر على الرئيس وإنهم أشبه بأسرة واحدة، وإن عامر يرى أن العلاقات ستحتاج إلى بضعة أشهر لتصل إلى ما كانت

عليه مع بن بيللا، وأن كل الإشاعات التي تزداع عن خلافات بينكم وبين عامر كاذبة لا أساس لها من الصحة.

وقلت على لسانكم إن سوريا بادرت بالاعتراف بالنظام الجديد في الجزائر إغاضة في مصر، وإن الصين سارعت بتأييد النظام الجديد لتكسب الجزائر قبل أن تكسبها روسيا، وإنه غير صحيح أن انقلاب بومدين انقلاب شيوعي بل هو انقلاب وطني.

وقلت له إن هناك بعض من شمتوا في سقوط بن بيللا، لا كراهية فيه ولكن كراهية في النظام الماضي، وإن الرئيس يعتقد أن هناك منظمة رجعية تقوم بنشر الإشاعات الكاذبة وأنه سيقضى عليها، وقلت على لسانكم إن جبهة التحرير في الجزائر ضعيفة جداً، وأن بن بيللا لم يهتم بها وأن تنظيمها أقل من الاتحاد الاشتراكي.

وتكلمنا عن رأى المشير عامر في الحالة في الجزائر بأنها غير مستقرة بعد، وأن زعماء الانقلاب غير متفقين ولا يستبعد حدوث انقلاب، وأن الجزائريين رفضوا أن يفرجوا عن بن بيللا ويذهب إلى مصر، ولا يكون له نشاط، وأن المشير أحضر معه من الجزائر صحيفة الشعب الجزائرية وقد كتبت عن الزيارة في العمود الأخير من الصفحة الأولى، ونشر نص برقية الرئيس بتهنئة بومدين في صفحة داخلية.

وتحدثنا عن الموقف في العراق وقلت بلسانكم إن العراق قد يحدث فيه ما حدث في الجزائر، وإنكم تفكرون في سحب قواتكم من العراق، وإننا سحبنا قوات ولم تبق سوى قوات مظلات. وإن الناس في مصر فوجئت بانقلاب الجزائر لأنها كانت تتوقع أن يكون الانقلاب في السعودية أو في تونس أو في المغرب أو في ليبيا. وسألني بروس هل الرئيس قلق؟ فقلت قلق كثيراً على الحالة في المنطقة كلها.

وإنه عندما قابل الرئيس النعمان قدمت له شيكولاتة فيها بخت، وأن الرئيس فتح شيكولاتته فوجد فيها (عدو عاقل خير من صديق جاهل)، وورقة شيكولاتة النعمان فيها (بالصبر تنال المنى)، وأنه عندما عاد النعمان إلى صنعاء أسرع إليه المشايخ يسألونه عن النقود التي أخذها من القاهرة.

وإننا عندما ننسحب من منطقة في اليمن، يضرب اليمنيون في الجيش المصري لأنهم لا يريدون أن ننسحب، لأنهم يستفيدون من وجود الجيش المصري في اليمن، وأن شعور النعمان أن لسانه معنا وقلبه مع فيصل.

وقد تحدثنا عن زيارة شوان لاي وقلت له على لسانكم إن هناك ٤٣ دولة تؤيد دخول الاتحاد السوفيتي المؤتمر^(١)، ودول أكثر من هذا العدد تؤيد دخول ماليزيا وإن شوان لاي يكره الروس، وأنه كلما قابله شعر أن كراهيته للروس زادت، وإن الصينيين يعتقدون أن روسيا في جيب أمريكا، وإن الصين تتهم روسيا بأن كل الخطط الروسية ضدها تدبر في واشنطن، وإن الفرق بين خروشوف والزعماء الجدد أن خروشوف كان صريحاً في سياسته بينما الزعماء الجدد يعملون ضد الصين حتى داخل أراضيها، وإن سيادتكم نصحتكم شوان لاي بأن لا يهاجم أمريكا في خطابه في مصر حتى لا يخرج مصر.

وجرى حديث عن المعونة الأمريكية فقلت على لسانكم إنكم حصلتكم على المعونة الأمريكية دون أن تدفعوا أي مقابل سياسي، خلافاً لما كانوا يقولون من أن أمريكا تطلب شروطاً للمعونة.

وقد جرى في هذا الحديث كلام عن رغبتى في أن أحصل من أخبار اليوم على أجازة طويلة، وأننى أتمنى أجازة سنة على الأقل، وأننى غير متفائل من عمل الصحف حتى لو خرج الشيوعيون من الصحافة، وأتمنى أن أخرج من الصحافة بعد خروج الشيوعيين، وأن أعمل مراسلاً متجولاً، وقلت إننى أتمنى أن أحصل على موافقة الرئيس على ذلك، فقال إن مثل هذا يعتبر خسارة، وإننى خدمت العلاقات الطيبة بين أمريكا ومصر، وقال إن المهم هو سعادتى، فقلت إن سعادتى هي أن أسافر في أجازة طويلة.

(١) مؤتمر القمة الآسيوى الأفريقى كان على وشك أن ينعقد في ذلك الوقت في الجزائر، ثم تأخر بسبب إصرار الاتحاد السوفيتى على حضوره، ثم ألغى بسبب التغيير الذى طرأ على قمة السلطة في الجزائر بحلول بومدين محل بن بيللا.

وفى جلسة مع بروس قبل ذلك بأسبوع جرى حديث عن المؤتمر الأفريقى الآسيوى، وقلت على لسانكم إنكم متعبون من مقابلاتكم لجميع الزعماء الدوليين الموجودين فى القاهرة، ومحاولة إيجاد حلول للمشكلات فى الخلاف بين الهند وباكستان، وبين ماليزيا وأندونيسيا، وبين الصين والاتحاد السوفيتى، والمشاكل الموجودة بين الأفريقيين أنفسهم، وإنكم ترون أنه إذا لم تحل هذه المشاكل قبل المؤتمر فسوف يفشل، وإن الذى يدفع الرئيس لحل هذه المشاكل أن قوته فى وحدة المعسكر الأفريقى الآسيوى.

وقلت لبروس على لسانكم أيضاً إن المارشال تيتو أرسل لكم رسالة يقترح فيها أن تؤيدوا روسيا فى موقفها من فيتنام، وأن تعملوا على أن تؤيد الجزائر والهند هذا الموقف، وكذلك الدول الأفريقية، وكذلك بالنسبة لبعض المسائل الأخرى وذلك لأن روسيا فى حاجة إلى هذا التأييد نظراً لموقفها السيئ بسبب نزاعها مع الصين، وأن تيتو سوف يزور موسكو ويقنع الزعماء الجدد بأن يعطوا معونة ضخمة للجمهورية العربية فى مقابل هذا الموقف.

وتحدثنا عن معونة الولايات المتحدة، وأن هناك اتصالات مع الولايات المتحدة بشأنها، وأنكم لا تبنون آمالاً على هذه الاتصالات السرية وأن هيكل قد يسافر إلى أمريكا، وأن السفير الأمريكى معجب بهيكل ويرحب بسفره إلى الولايات المتحدة، وأن الرئيس لا يريد الاعتماد على مساعدة الولايات المتحدة لأنها إذا شعرت أننا نعتمد عليها وحدها سوف تكسرننا.

وجرى حديث عن الوضع الداخلى فقلت إن سيادتكم مهتمون بتقوية الاتحاد الاشتراكى ومهتمون بالوزارة الجديدة، وأن المرشح لرياسة الوزارة هو زكريا محبى الدين.

وجرى حديث عن الشيوعيين فى الصحف فقلت له على لسان سيادتكم إنكم اتصلتم بخالد محبى الدين وتكلمت سيادتكم معه عن استفحال الشيوعيين فى الصحف ووضع حد له.

ثم قلت إن بغدادى يصلح لرياسة الوزارة، وإن سيادتكم ترون أن بغدادى يريد أن يكون ملكاً، وإن البغدادي استأذن فى دعوة عدد من الضباط إلى بيته، وإنهم كانوا يتصورون أنه سيحدث لهم ما حدث فى مذبحة المماليك فى القلعة، وإنهم كانوا يضحكون ويقولون هذا كنكتة، وإن الرئيس لو شاء ألا يحضر أحد من هؤلاء الضباط هذه الدعوة لما ذهب واحد منهم.

وجرى حديث عن مؤتمر الجزائر وقلت له على لسانكم إن مصر أرسلت النقاشين والعمال والبنائين للمساعدة فى إتمام بناء المؤتمر.

وقلت له إن النعمان قابل الرئيس وطلب مساعدات مالية لليمن، وإن الرئيس رفض وقال إنه ليس عنده نقود، ولو كان عنده نقود فلا يدفعها لحكومة فيها سبعة من اليمينيين.

وجرى حديث عن الموقف مع أمريكا فقلت له عن لسانكم إن سبب سوء العلاقات بيننا وبين أمريكا هو إسرائيل واليمن والكونغو، وإن الرئيس استخدم نفوذه كى يعدل أمين الحافظ^(١) عن فكرته فى شن حرب فورية على إسرائيل حتى أن جريدة الموند كتبت تقول إن عبد الناصر قال ما قاله بورقيبة وإنما بطريقة أخرى، وأن الجمهورية العربية أوقفت مساعدتها لثوار الكونغو، وأنا نستعد للرحيل من اليمن، وبذلك لا يكون هناك سبب للخلاف بين البلدين ولوقف أمريكا من المعونة.

وجرى حديث عن تغيير سفير الاتحاد السوفيتى، وأن السفير الجديد له علاقات طيبة مع زعماء الاتحاد السوفيتى الجدد، بينما السفير القديم كانت علاقته طيبة مع خروشوف فقط، وأن هذا التغيير فى مصلحة الجمهورية العربية المتحدة؛ لأن السفير الجديد يتمتع بثقة الحكام الجدد، وأنه بهذا لا يحدث أى تأخير فى إجابة طلبات الجمهورية العربية من الاتحاد السوفيتى.

وقلت فى حديث عن العلاقات مع سوريا إنها سيئة وأن الجمهورية العربية ستقوم بحملة على سوريا، وإن سوريا طلبت منا أن ندفع إيجاراً فى مقابل

(١) اللواء أمين الحافظ القائم بأعمال رئاسة الدولة فى سوريا فى ذلك الوقت.

استعمالنا للقاعدة الجوية، وإن عبد الحميد السراج سافر ليقوم بحملة ضد البعثيين في العراق، وإنه ستحدث أحداث في سوريا.

وفي اجتماع قبل ذلك بأسبوعين عرض على أثناء الحديث ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة باللغة الإنجليزية وفيها أن انفجاراً حدث في مدمرة مصرية، وأن عدداً من ضباط البحرية المعارضين لناصر هم الذين قاموا بهذا التدمير انتقاماً منه، وأن هناك ثورة في عدد من البوارج المصرية، وأن حوادث تخريب حصلت في بوارج وسفن أخرى تابعة للأسطول المصري.

وقرأت هذه الورقة وأعدتها له.

وقلت له في أثناء روايتي عن أحاديثي مع سيادتكم إنك حدثتني بحزن بسبب وقوع انفجار في المدمرة القاهرة، وإن هذا الانفجار حدث في الإسكندرية. وكان تعليقه أن هذا غير صحيح، لأنه لو كان هذا الانفجار حدث في الإسكندرية لعرفوا بذلك. ثم شرحت كيف أن كثيراً من الضباط والجنود قتلوا، وهم ٥ من الضباط وأصيب خمسة وأربعون إصابات سيئة وأن الانفجار حدث من الداخل، كما أن هذه المدمرة واحدة من أحسن قطعنا.

وتحدثنا عن علاقة الولايات المتحدة بالجمهورية العربية، فقلت على لسانكم إن أمريكا تسير على سياسة القوة، وإن الرئيس يخشى من أثر هذه السياسة على مصر والبلاد الأخرى، وخاصة أن الاتحاد السوفيتي لم يرد رداً قوياً على هذه السياسة العنيفة.

وتحدثنا عن زيارة الأستاذ أحمد محمد محجوب^(١) لسيادتكم، وأن محجوب قال لكم إنه متضايق لتغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية، لأن جريدة أخبار اليوم صادرته الحكومة السودانية لأن فيها اتجاهات شيوعية، وأن الحكومة السودانية احتجت في السفارة المصرية في السودان. وأن الرئيس قال إنه لا يوافق على تغلغل الشيوعية في الصحافة المصرية. وأن محجوب قال للرئيس إنه يخاف

(١) السيد أحمد محمد محجوب سياسى سودانى بارز تولى رئاسة الوزارة عدة مرات.

من أن تؤثر الآراء الشيوعية المنشورة بالصحف المصرية على الشعب السوداني . وأن سر الختم^(١) سيعتزل رئاسة الوزارة، وأن محجوب سيتولى رئاسة الوزارة وأنه سيعين سر الختم سفيراً، وأنه يخشى لو عين سر الختم سفيراً فى القاهرة لأكله الشيوعيون . وأن محجوب قال إن عدداً من ثوار الكونغو وصلوا إلى السودان بأسلحة لم يستخدموها وأنهم كانوا يتشاجرون فيما بينهم، وأن أحدهم أرسل إلى حكومة السودان مذكرة رسمية يطلب فيها أن تعيد له عشيقته التى خطفها زعيم آخر، وأن أحد زعماء الكونغو أرسل إلى حكومة السودان مذكرة يقول فيها إن سائق سيارة خطف زوجته وهربت مع السائق ومعه ٤٨٠ ك ذهب . وأن الرئيس يرى تنظيم الانسحاب من مساعدة هؤلاء الناس تدريجياً . وأن محجوب عرض إرسال الأسلحة غير المستعملة إلى مصر، وأن الرئيس طلب إبقاء هذه الأسلحة للسودان . وطلب محجوب من الرئيس وضع خطة الانسحاب على أن تنفذها السودان .

ثم أطلعنى مستر بروس على مذكرة مكتوبة باللغة الإنجليزية على الآلة الكاتبة وفيها:

إن الشيوعية تغلغت فى الجيش المصرى .

إن ٧٠ فى المائة من الجيش إما نصير للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية .

إن الشيوعيين وصلوا إلى رتبة كولونيل .

فقلت له إن المعلومات التى عندى هى أنه اكتشفت خلايا قليلة شيوعية فى بعض وحدات الجيش وأنه قبض عليها، وإننى سمعت هذه المعلومات من الرئيس شخصياً . فhez رأسه وأخرج لسانه دهشة من كذب المعلومات التى فى هذه المذكرة التى كانت معه .

وقد حدث قبل ذلك بأسبوع أن قلت لمستر بروس إن المشير عامر قال أمام الرئيس وأمامى وأمام على أمين إنه ليس فى الجيش شيوعيون إطلاقاً، ويجب أن تعلموا ذلك جيداً .

(١) السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان فى ذلك الوقت .

فأراد بروس أن يرد على هذا الكلام فجاءنى فى الأسبوع التالى بالمذكرة التى تدعى أنه يوجد فى الجيش المصرى ٧٠ فى المائة شيوعيون أو نصراء للشيوعية أو تحت قيادات شيوعية.

فلما قلت له بأن الرئيس قال إنه كانت هناك خلايا شيوعية قضى عليها، فتح فمه دهشة وأخرج لسانه لأن هذا يخالف ما لديه من معلومات.

وفى هذه المقابلة تحدثت معه عن مقابلتكم لعللى أمين^(١). وعن أنه سيعمل لتحسين العلاقات بينكم وبين لندن. ولكنى لم أخبره عن الطريقة الحقيقية التى تم الاتفاق عليها بينكم وبين على أمين بشأن طريقة المراسلة وهى أن يكتب رسائله لسيادتكم عن طريق هيكى وأن هيكى يسلمها لكم. بل رأيت أن الأسلم أن أذكر له أن الرسائل سترسل لكم شخصياً أو للأستاذ سامى شرف، وقلت إنكم طلبتم إليه أن يعطى رسائله مقفولة إلى السفير الذى سيرسلها لكم أو لسامى شرف.

وقلت له إن الرئيس مستعد لتحسين العلاقات مع بريطانيا وحل مسألة التعويضات، وسيرسل مذكرة بذلك لعللى فى لندن. وإن الرئيس يفضل علاقات طيبة مع حكومة العمال. وإن على أخبر السفير البريطانى بأنه يأمل أن تؤدى رحلة السفير إلى تحسين العلاقة بين البلدين.

وإن الرئيس قال لعللى أمين إنكم تعطون الشيوعيين فى الصحافة أهمية أكثر مما لهم، وإنهم فى الواقع الآن أضعف مما كانوا عندما خرجوا من المعتقل، وإنهم منقسمون فيما بينهم ويتكالبون على المناصب أكثر من اهتمامهم بنشر الشيوعية. وإن الرئيس قال إن الشعب يكره الشيوعيين المصريين، وإن كل فائدتهم أنهم جسر بيننا وبين الاتحاد السوفيتى، ويعودون بالفائدة فى إغاية أمريكا. وإن الرئيس لا يريد أن يخاطر مع الغرب، وإنه لا يريد أن تسوء العلاقات مع روسيا. أى أن الرئيس لا يريد أن يكون تحسين علاقاته مع الغرب على حساب علاقاته مع الشرق، بل إنه

(١) لم يحضر الأستاذ مصطفى أمين مقابلة الرئيس لعللى أمين، ولم ير توءمه بعد مقابلة الرئيس إلا للحظات فى المطار أمام كل المودعين

يرغب فى علاقات طيبة مع المعسكرين . وإن على أمين سيقوم بالسفر إلى فرنسا وألمانيا الغربية لنحصل على مساعدات منهما حتى نخفف الأزمة . لأن قطع المعونة الأمريكية أرهاق مصر .

وجرى حديث مع بروس عن موقفنا من بريطانيا فى الخليج العربى واليمن وقلت له على لسانكم إن الرئيس على استعداد أن يهدئ الحالة ، ويصل إلى اتفاق مع بريطانيا باستخدام نفوذ مصر على شعوب المنطقة ، بشرط أن توقف بريطانيا مساعدتها للملكيين ضد الجمهوريين فى اليمن . وإذا توقفت بريطانيا عن هذا التدخل فإن مصر مستعدة أن تسحب قواتها من اليمن ، أو تحل محلها قوات من القيادة العربية المشتركة . وإن الرئيس قال إنه لا يريد أن تستخدم القاعدة الجوية الموجودة فى ليبيا ضد مصر .

وجرى حديث مع بروس عما تقوم به المخابرات الأمريكية فى المنطقة ، وذكرت على لسانكم أنكم تعتقدون أن المخابرات الأمريكية تقوم بنشاط ضد مصر فى كل المنطقة وأنها هى التى أسقطت الناصرية فى انتخابات ليبيا ، وأسقطت الناصرية فى انتخابات السودان ، وأنها تسيطر على جيش الملك فيصل فى السعودية ، وأنها أقامت حصاراً حول مصر ، وأنها تسيطر على الحكم فى تونس ، وأنها هى التى أقامت الحصار حولنا من السعودية ومن ليبيا ومن السودان ومن المغرب ومن تونس .

وتحدثنا عن الحالة فى اليمن والعراق ، وأن لبنان تقف علنا مع المغرب . وجرى حديث عن استعمال أمريكا للقوة ، وأن الهزيمة فى الكونغو كلفتنا كثيراً ، وأنه يجب جعل روسيا تقف موقفاً حاسماً فى فيتنام كالموقف الذى وقفته سنة ١٩٥٦ ، حين هددت بتدمير باريس ولندن ، وإذا كان الروس يقفون هذا الموقف فى فيتنام ، فكيف يقفون إذا تعرضت مصر لمثل هذا الخطر . وتحدثنا فى هذا المعنى الذى سبق لسيادتكم أن خطبتم فيه فى إحدى خطبكم وأشرت إليه .

وتحدثت إليه عن حضور الرئيس عارف إلى القاهرة ، وأن الرئيس كلف ١٠ أطباء بفحصه ، وأنهم يعتقدون أنه مريض بالسرطان ، وأن من رأى الأطباء أن يجرى

الدكتور تانر هذه العملية الخطيرة. وإننى عندما رأيت عارفاً فى القصر الجمهورى لاحظت أنه مريض فعلاً، وأن هذا هو السبب فى زيارة عارف.

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت مع بروس، وجرى حديث عن إخراج حلمى سلام من الجمهورية وقلت إن السبب أن حلمى سلام نشر كلاماً على لسان سيادتكم عن مقابلتكم لماكلوى مندوب رئيس جمهورية أمريكا وكيف أنه هدد بقطع المعونة، وأنكم قلتم له إننا لا نريد معونة، وأن سيادتكم غضبت من أن يروى على لسانكم موقفاً بطولياً لم يحدث، وأنت لست فى حاجة إلى بطولات زائفة، لأن ماكلوى لم يهدد بقطع المعونة، وأن سيادتكم لم تقولوا له هذا الكلام.

وتحدثنا عن الميزانية، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم إنه سيخصص مبلغ ١٧ مليون جنيه ومبلغ عشرين مليون جنيه فى الميزانية القادمة لشراء قمح، وأن هناك فكرة لخلط الخبز ورفع ثم البترول، وأنه على مكتبكم اقتراحين من وزير التموين بهذا الشأن لم تأخذ بأحدهما بعد. الأول رفع ثمن الخبز أو خلطه قمح وذرة دون إعلان ذلك، والثانى رفع ثمن منتجات البترول.

وجرى حديث عن السد العالى وتحدثت على لسان سيادتكم بأننا باحثنا الاتحاد السوفيتى لاختصار المدة.

وتحدثنا عن وقف موسى صبرى فى أخبار اليوم، وأن سبب وقفه هو أن الرئيس رأى أنه كان عليه أن يمثل للأوامر ولا يتحداها.

وأن على أمين قابل السفير البريطانى.

قبل ذلك بأسبوع جرى حديث مع بروس بشأن المعونة الأمريكية وعن مقابلة السفير الأمريكى للدكتور القيسونى، وقلت على لسان سيادتكم إنكم غير متفائلين من أن الأمريكين سيستأنفون المعونة، وأننا سوف ندبر أنفسنا على أسوأ الاحتمالات أى أن أمريكا لن تستأنف المعونة، وقد قلت لبروس إنه فى حالة توقف أمريكا عن إعطائنا القمح فإن الرئيس سوف لا يسكت على هذا، بل سوف يرد على ذلك بالالتجاء إلى الكتلة الشرقية.

وجرى حديث عن اليمن، وقلت له إن من رأى سيادتكم أن مسألة اليمن وحربها لن يكسبها أحد، وإن الرئيس يعمل للوصول إلى حل يبقى على هيئة الجيش المصرى وسط رأى العام العربى، وإن الانسحاب يجب أن يتم بطريقة مشرفة لمصر، وإن الرئيس يعمل على الوصول إلى حل لهذا الموضوع فى اجتماع مؤتمر القمة العربى.

وجرى حديث عن العدوان فى سان دومينجو^(١)، وذكرت لبروس على لسان سيادتكم إن الاتحاد السوفيتى طلب منكم فى رسالة حملها السفير السوفيتى تأييد قضية العدوان على سان دومينجو فى مجلس الأمن عندما تثار بنفس الطريقة التى أثير بها العدوان على مصر سنة ١٩٥٦. وإننا لم نتدخل تدخلاً مباشراً فى أزمة سان دومينجو.

وجرى حديث عن موقف العرب من ألمانيا الغربية، فقلت على لسان سيادتكم إن الاتفاق تم بأن يبدأ العراق بقطع العلاقات، وأن العراق سيعهد إلى سفارة سويسرا فى بون بشئونه، والذى سيتولى رعاية مصالحنا أفغانستان. وكان كثيرون قد تصوروا أن الرئيس عبد السلام عارف خالف اتفاقه مع الجمهورية العربية وسبقها بقطع العلاقات.

وجرى حديث عن الحكومة فقلت على لسان سيادتكم إنكم ترون أن هناك أموراً لا تعجبكم وأنها كثيرة فى الحكومة التى تسير سيراً سيئاً، وأن الشعب يريد حكومة قوية.

وجرى حديث بخصوص شراء أسلحة من روسيا وقلت له على لسان سيادتكم إنكم طلبتم من المشير عبد الحكيم عامر تخفيض نفقات الجيش لأن البلد تواجه صعوبات، وإنكم ذكرتم أن هناك بعثة ستسافر لشراء أسلحة من الاتحاد السوفيتى وأنها سافرت بغرض حضور احتفالات الذكرى العشرين فى موسكو، وكان ذلك إيضاحاً لموقفنا، وأنا دبرنا أنفسنا على أساس ألا نأخذ معونة من أمريكا، وأن

(١) كانت الولايات المتحدة قد قامت بعملية غزو لسان دومينجو أثارت عاصفة فى أمريكا اللاتينية وفى العالم الثالث

الاتحاد السوفيتى سوف يعطينا ما نحتاجه من أسلحة بأقل من قيمتها نتيجة لموقف أمريكا منا.

وقبل ذلك بأسبوع اجتمعت ببروس، وقلت له إننا سنرسل علماء إلى الصين، على لسان سيادتكم، وإننا سوف نصنع القنبلة الذرية، وإنه تم الاتفاق على ذلك فى زيارة شوان لاي.

وجرى حديث عن معونة القمح من أمريكا وادعاء الولايات المتحدة بأننا لم نطلب منها قمحاً، وقلت على لسان سيادتكم إنكم تعمدتم فى خطابكم أن تقولوا إننا طلبنا قمحاً من الولايات المتحدة، لأن مسئولا أمريكيا صرح فى الولايات المتحدة بأن مصر لم تطلب قمحاً ولهذا لم تعطها أمريكا، وأن الرئيس أراد أن يقطع الحجة على هذه الدعوى.

وهناك ملاحظة وهى: تعلمون سيادتكم بأن الأمريكيين يستعملون فى أحاديثهم الحروف الأولى من أسماء الأشخاص والأشياء أو ألقابهم، وقد كان يحدث فى بعض الأحيان أن نذكر اسمك بحرف R وهو الحرف الأول من كلمة ريس، وأحياناً نقول الرئيس، وأحياناً نذكر اسمك P وهو الحرف الأول من كلمة President، وفى بعض الأحيان ذكرت اسمك N وهو الحرف الأول من كلمة ناصر، وإن كان على ما أذكر أن فى كل ما كتبتة فيما تقدم أشرت إليك بحرف R، وفى مناسبات أخرى كنت أشير إلى الإشاعة باسم R، وإلى الرجال المسئولين باسم R أيضاً Responsible People.

وقد كانت المقابلات بينى وبين بروس تحدث فى بيتى، ونتناول الغداء يوم الأربعاء من كل أسبوع، وأحياناً كان يتغير اليوم فيصبح الثلاثاء أو الخميس، وقد تمت بعض المقابلات فى مكتبى بأخبار اليوم.

وهناك بعض الأمور التى دارت بيننا فى أحاديثنا فى فترات لقائنا قبل ذلك، ولا تسعفنى ذاكرتى فى أن أحدد تواريخها أو تتابعها بالضبط بسبب ابتعاد المدة.

فقد حدث فى إحدى المرات أن سألتنى بروس ماذا يحدث إذا أصيب الرئيس جمال

عبد الناصر فى حادث^(١) فقلت له إنه إذا حدث شىء من هذا للرئيس عبد الناصر فسوف تتحول مصر مباشرة إلى بلد شيوعى، بل إننى أخشى أن المنطقة كلها سوف تتحول إلى الشيوعية، لأن جمال عبد الناصر يمثل الحاجز أمام البلاد العربية الذى يمنع الشيوعية، فقال إنه سمع أنه يوجد فى الجيش شخصيات قوية يمكنها أن تقود البلاد فى حالة اختفاء جمال عبد الناصر، فسألته عن أسماء هذه الشخصيات التى يقول عنها فلم يذكر اسماً واحداً.

والغريب أنه عاد فى مقابلة بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاث، وعاد يفتح الموضوع ويقول إنه لا يفهم كيف أن اختفاء جمال عبد الناصر من الميدان سوف يؤدى إلى أن تقع البلاد العربية فى الشيوعية، فقلت له إنه إذا كان اختفاء جمال عبد الناصر نتيجة حادث اغتيال حتى لو كان القاتل مصرياً، وهذا ما أستبعده، فإن المصريين سيعتبرون أن الأمريكين أو الغرب أو إسرائيل بالاتفاق مع الغرب هى التى دبرت هذا الحادث، وسوف تكون النتيجة الأولى حدوث مذبحة فى كل المنطقة ضد الأمريكين والغربيين كلهم، وأن الذى أعلمه من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً أنه ألف جهازاً سرياً تحت الأرض مهمته أن يقوم بالانتقام فى حالة حدوث مثل هذا الحادث أو ما يشابهه. الذى يحدث أنه ستقوم المذبحة أولاً، ثم تجيء الفوضى، وفى رأى أن القوى الشيوعية المخفية والمفتركة ظاهرياً سوف تتجمع وستحدث انقلابات شيوعية فى كل البلاد العربية.

فسألنى بروس هل أعرف من هو رئيس هذا الجهاز السرى المشرف على حوادث الاغتيالات فقلت له إننى لا أعرفه، والمعلومات التى لدى من الرئيس أن احداً من رجاله لا يعرف أسماء هؤلاء الأشخاص، وإننى حاولت أن أعرف من الرئيس اسم هذا الشخص فلم أستطع، وقد قال لى الرئيس مرة إن هذا الشخص ليس وزيراً وليس ظاهراً ولا يعرفه أحد حتى ولا نواب رئيس الجمهورية. فقال بروس معنى هذا أن هذا الرجل هو الذى سيخلف جمال عبد الناصر إذا حدث له شىء. فقلت له إن

(١) ترد هنا على لسان بروس أوديل وطبقاً لما كتبه الأستاذ مصطفى أمين إشارات متعددة لاختفاء جمال عبد الناصر بالموت أو بالاغتيال وهى إشارات ملفقة للنظر

الذى علمته من الرئيس أن مهمة هذا الشخص هى قيادة هذه العملية السرية فى المنطقة كلها فى حالة حدوث أى اغتيال للرئيس جمال عبد الناصر . فقال بروس إنه يهمله كثيراً أن أعرف اسم هذا الشخص . فقلت إننى أعتقد أن هذا صعب جداً .

وحدث مرة أن سألتنى - ولا أنكر هل كان قبل هذا الحديث أو بعده - أن تحدث بروس عن كمال الدين حسين وعن أن الإخوان المسلمين يعتبرونه الزعيم المنتظر . فقلت له إن الذى أعرفه أن كمال الدين حسين متعصب دينياً، ولكن ليس له أى قيمة شعبية، وإن الرئيس جمال عبد الناصر قال لى إن كمال الدين حسين اعترض على الفوائد لأنها ضد الإسلام وأنه عارض فى القوانين الاشتراكية، فسأله الرئيس إذا كنت لا تؤمن بالفوائد فلماذا لا تبيع الأسهم التى تملكها، فقال كمال الدين حسين أخشى أن أخسر فيها . وأن الرئيس قال إذا كان كمال الدين حسين لا يريد أن يخسر بضعة جنيهات فكيف يجىء ويطالب بإلغاء الفوائد ؟

وقال بروس فى أحد الاجتماعات إنه تلقى معلومات بأن على صبرى شيوعى وبأنه هو الذى يتجه بمصر إلى الشيوعية، فقلت له إن الذى أعلمه أن على صبرى ليست له أى سياسة خاصة به، وأنه لا يمكن أن تكون له أى اتصالات بالشيوعيين بغير علم الرئيس جمال عبد الناصر، وإن الرئيس يحبه لأنه يعرف كل تفاصيل مسائل الوزارات منذ أن كان يعمل مديراً لمكتبه .

وقال بروس فى مرة أخرى، إن الشيوعيين يقولون إن على صبرى هو الذى يساعدهم، وأنه هو الذى اختار الوزراء ذوى الميول الشيوعية فى الوزارة . فسألتهم عن معتقد أنهم شيوعيون فى الوزارة فذكر اسم الدكتور نزيه ضيف واسم الدكتور خلاف، وقال إن كمال رفعت حوله عدد من الشيوعيين .

وقال لى بروس إنه علم بأن الرئيس جمال عبد الناصر قرب له فى المدة الأخيرة صلاح دسوقي، وأنه أصبح يعتمد عليه فى المسائل الخارجية، وأنه يثق به فى الجهان، وأنه اختاره فى عدة عمليات سياسية هامة، وأن هناك أخباراً تقول إنه الرجل القادم . وتصادف أن نشرت جريدة الأهرام كاريكاتوراً هاجمت فيه بعنف

صلاح دسوقي، فأعطيته عدد الأهرام وقلت لو أن المعلومات التي لديك عن صلاح دسوقي صحيحة لما قبل هيكمل نشر مثل هذا الكاريكاتور.

وقال لي بروس مرة إنه سمع إشاعة بأن عدداً من قوات اليمن ترغب في العودة، وأنها تمردت في اليمن وأقيمت محاكمات في اليمن وصدرت أحكام عنيفة جداً ضد عدد من الضباط. فقلت له إن الرئيس جمال عبد الناصر أخبرني بأن الضباط تخانقوا على الذهاب إلى اليمن وأنهم يستفيدون مادياً من هذا السفر، وهناك أوامر بإعطاء سيارة نصر وشقة ووظيفة لكل عائد من اليمن.

وذكر لي بروس أن الولايات المتحدة عقدت اتفاقاً سرياً مع المملكة السعودية بأنه في حالة ما إذا دخلت القوات المصرية أرض السعودية تحركت الطائرات الأمريكية فوراً لضرب الجيش المصري. فقلت له إنني علمت من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه أصدر تعليمات إلى الجيش المصري بعدم ضرب الأراضي السعودية.

وعند سقوط خروشوف، أو بعد ذلك بفترة لا أستطيع تحديدها، قال لي بروس إن تعليمات سرية صدرت من واشنطن بأن أمريكا قررت استعمال القوة، وإن الحالة في داخل الاتحاد السوفييتي تسمح لها باتخاذ هذه السياسة دون خشية من رد فعل الروس، وإن لديهم معلومات سرية بأن الروس لن يتحركوا، وسوف يكتفون بالاحتجاجات. وذكر لي مرة أخرى بأن حكومة الولايات المتحدة تائرة لأسلوب الكتابة في الصحف المصرية، وأنه أسلوب شيوعي في الكتابة، وإن واشنطن حللت أسلوب الكتابة في الصحف المصرية فوجدتها أشد روسية من جريدة برافدا.

فقلت له إن الرئيس جمال عبد الناصر قال لي إنه يعرف أن الولايات المتحدة غيرت سياستها بعد وفاة كنيدي، وإنها أصبحت تلجأ إلى استعمال القوة، وإنه سبق وأصدر أوامره للجيش المصري بعدم عبور السعودية، برغم الحاح اليمنيين في ضرورة ذلك، وإن الرئيس فعل ذلك قبل أن يعرف أن أمريكا لجأت إلى سياسة القوة. وقلت له إن البلد غير شيوعي، وإن المقالات الشيوعية التي يكتبها الشيوعيون

تحدث ردّ فعل عكسياً فى الرأى العام المصرى، وإن الرئيس جمال عبد الناصر قال لى إنه مسرور لانكشاف الشيوعيين المصريين أمام الرأى العام، وإنه يعلم أن الناس تمقت الشيوعيين.

وقد قابلت الأستاذ سامى شرف وأبلغته ما سمعته من أن الأمريكين مستاءون من أن الصحف المصرية تهاجم أمريكا بعنف، وقلت له إن السياسة الأمريكية تغيرت. فقال سامى إننا نعرف ذلك من قبل.

وأخبرنى مستر بروس بأن الملك فيصل قال إنه سيجعل اليمن «مقبرة عبدالناصر»، وأن فيصل استطاع أن يكسب من حرب اليمن أنه أصلح علاقاته مع الإنجليز، وأن الشيخ حافظ وهبة يقوم بتحسين العلاقات مع لندن، بينما أن عبدالرحمن عزام يوفق العلاقة مع واشنطن، وأن أمريكا ساعدت الملك فيصل ضد الملك سعود، وأن الولايات المتحدة هى التى شجعتة على التخلص من أخيه الملك سعود، لأنه لو بقى الملك سعود سنتين فى الحكم لانهار الحكم السعودى كله، وأن الخطر على الملك فيصل بأن صحته سيئة، وقال إن زوجة الملك فيصل تكره جمال عبد الناصر؛ لأنه صادر عمارتها، وأن نفوذها قوى جداً على الملك فيصل.

وهناك موضوعات أخرى تكلمنا فيها أنا وبروس خلال المقابلات بيننا، فقد سألتنى بروس ذات يوم هل أعرف شخصاً مسئولاً فى الأزهر تثق فيه؟ فسألتة عن السبب. فقال إن الأزهر طلب مساعدة ثقافية من الولايات المتحدة. وأنت تعرف أنهم ليسوا تبع وزارة التربية والتعليم. وإنه يريد شخصاً موثقاً به لمعرفة معلومات عن هذا الموضوع. فقلت له إنه يمكن سؤال الباقورى وهو عنصر طيب، وإننى أرى أن من مصلحة أمريكا منح المعونة للأزهر، دون عمل دعاية كبيرة لهذا.

وحدثنى مرة عن كتاب ألفه تيودور هوايت عن الرئيس جونسون، وكان تعليق بروس أن جونسون يشبه الرئيس جمال عبد الناصر فى عدة مسائل، وهى أن كل منهما معتد برأيه وجرىء ولا يتراجع. وأنه سيرسل لى الكتاب لأرسل نسخة منه للرئيس.

وحدثنى بروس عن الحملات التى تشنها الصحافة المصرية على أمريكا، وأنها تدل على سياسة معينة واتجاه. فقلت له إن هذه المقالات ليست موجهة ضد أمريكا، وأنها للاستهلاك المحلى. وكان هذا تعقيبا على حديث سابق، فقد أثار بروس لهجة الصحف المصرية وقال إنها عدائية إلى أمريكا، وإن المقالات تترجم وتحلل وتصل إلى نتيجة بأن مصر اتجهت إلى روسيا، وإن هذا سيمنع أى أمل فى المعونة، فقلت له إن هذه المقالات ليست موجهة إلى أمريكا، وإنما هى للاستهلاك المحلى ردا على الحملات الأمريكية.

وقد تحدثت معه فى أكثر من مرة أننى أفكر جديا فى أن أطلب أجازة طويلة من عملى فى أخبار اليوم، لأننى مرهق، ومن رأى أنه يجب أن أعتزل أى عمل صحفى إدارى بعد بلوغى سن الخمسين، وأننى أفكر فى أن أكون مراسلا متجولا لأخبار اليوم ويكون مركزى فى بيروت، ولكنى أخشى على حياتى فى بيروت، وقد سبق أن حذرت أن حياتى فى خطر فى هذه المدينة، وطلبت منه أن يسأل أصدقاءنا عن أمن مكان فى رأيهم، من وجهة نظر سلامتى الشخصية، يكون مركزى فيه خصوصا إذا حدث أثناء وجودى خارج مصر أى انقلاب فيها. فقال لى إن هذا يتوقف على القائمين بالانقلاب، فإذا كان انقلابا شيوعيا فلن يكون مركزك طيبا لا فى مصر ولا فى أى دولة عربية فى الشرق الأوسط. وقلت إننى أفضل أن يكون مركزى كصحفى متجول لأخبار اليوم مركزه لندن؛ لأننى أستطيع أن ألم بالأخبار بحكم معرفتى للغة الإنجليزية. وقال لى بروس إنك طبعا ستحصل على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر قبل أن تقوم بهذا العمل. فقلت إننى طبعا سوف أطلب موافقة الرئيس، ولن أقوم بمثل هذا العمل أو أى عمل إلا بعد موافقة الرئيس. وقال لى بروس إن من رأيه ألا أتقدم إلى الرئيس طالبا الموافقة على هذا العمل قبل انتهاء مؤتمر الجزائر، وقال إنه يعلق أهمية خاصة على هذا المؤتمر، وقال مقترحا أن أحضر المؤتمر فى الجزائر، وذكر أنه يأمل أن يكون فى الجزائر.

وقد تطرق الحديث إلى الموقف فى الصحف بعد خروج الشيوعيين منها، وقلت إننى لا يمكن أن أنتظر حتى يخرج الشيوعيون لأقوم بعملى كمراسل متجول

لأخبار اليوم. فقال بروس إنك إذا أصبحت مراسلا متجولا لأخبار اليوم فى الخارج، والشيوعيون لا يزالون فى أخبار اليوم، فإنهم لن ينشروا أى مقالة من مقالاتك كمراسل متجول وسألنى ما سيكون الموقف فى الصحافة بعد خروج الشيوعيين من الصحف. فقلت إن هذا متوقف على الطريقة التى سوف يتبعها الرئيس فى إخراجهم، وإذا كانت هذه الطريقة ستجعل الشيوعيين حتى بعد خروجهم قادرين على إلحاق الضرر بى نظرا لموقفى ضد الشيوعية. فقال بروس إنه فى مثل هذه الحالة فإنه يحسن أن أطلب من الرئيس تعيينى فى وظيفة لها صفة متجولة فى الخارج.

ولقد كان بروس دائماً يصف الإقامة فى بيروت بأنها خطر عظيم، وأنه من الممكن قتلى فى بيروت ببضعة ليرات. وقال لى مرة إن من السهل التصويب عليك، وكان يردد أن البعثيين أو اليهود أو الشيوعيين يستطيعون أن يرتكبوا جريمة قتلى بسهولة جدا فى بيروت. وقال بروس إن إصرارى أن أكون مراسلا متجولا فى الخارج سيجعله يفتقدنى شخصيا ولكن صلاتنا ستستمر، واقترح بروس أن أكون سفيراً متجولا غير رسمى. وقال إن من الصعب أن أسافر إلى الخارج مع وجود أخى على أمين فى الخارج. وذكر بروس أن كل ما يهمله هو سعادتى الشخصية، وقال لى لقد ساعدت الولايات المتحدة مساعدات عظيمة بغير جدال.

وأذكر فى إحدى مقابلاتى مع مستر جون سيدر فى صيف العام الماضى أن عرض على كشف بأسماء بعض محررى أخبار اليوم وموظفيه الشيوعيين، وطلب منى رأى هل هؤلاء شيوعيون حقيقة أم فى ركاب الشيوعيين. فأخبرته برأى فيمن سألنى عنه. وقد أحضر بعد ذلك بروس هذا الكشف وعاد يسألنى عن اسم شخص طنطاوى، وهل هناك اثنان طنطاوى، ومن هو الشيوعى منهما، فأجبته عن سؤاله.

وحدث مرة أن سألنى بروس عن إشاعة القبض على السفير المصرى فى الجزائر عقب انقلاب الجزائر. فقلت له إن الإشاعة صحيحة. فقال إن السفير لم يقبض عليه ولكن فتش فقط.

وعقب انقلاب الجزائر قال لى بروس معلقاً على زيارة المشير إن تصرف المشير فى الجزائر كان بحماقة، وإنه اعتبر نفسه إلهاً متعالياً على الجزائريين، لدرجة أنهم

كانوا يتساءلون من هو عامر هذا. وإنه إذا كان هذا التصرف قد تم بناء على رغبة الرئيس فإن تصرف المتعالى هو الذى يسبب الضرر للعلاقات المصرية الجزائرية. وإن الرئيس لا يواجه الحقائق كما هى.

وحدث أن أشار بروس إلى مقال مناهض لأمريكا نشر فى صفحة ٢ بجريدة الجمهورية يوم ٦ / ٧ وطلب منى أن أتحرى عن كاتب هذا المقال، وكيفية وصول المقال إلى الجريدة لأنه يعتقد أن هذا المقال فى صيغته الأصلية ليس صادرا عن قلم مصرى، ولكن مكتوب بقلم سوفيتى، وهو يريد أن يتوصل إلى معرفة من من السوفييت على اتصال بجريدة الجمهورية، وأن هذا قد يكون أحد رجال المخابرات السوفيتية، وذكر أنه عند التوصل إلى معرفة المصدر الحقيقى لهذا المقال، وأنه إذا كان سوفيتيا، فسيكون هذا برهانا للرئيس عبد الناصر على أن السوفييت يدسون المقال فى الصحف.

وفى خلال شهر يونيو أطلعنى بروس على صورة للسيدة قدرية صديقة السيد حسن إبراهيم وقد كتب عليها باللغة الإنجليزية «ناتبة رئيس الجمهورية الجديدة». فقلت له إن هذه السيدة ليست زوجة حسن إبراهيم، وأن الرئيس لم يوافق على زواج حسن إبراهيم بها.

وحدث فى نفس المقابلة أن قدم لى ورقة زرقاء مكتوبة على الآلة الكاتبة الإنجليزية جاء فيها.

الكولونيل أحمد

سلاح المشاة

قبض عليه وهو يقود خلايا سرية كبيرة جداً فى المشاة، وله قوة كبيرة».

وقد هزرت رأسى بأننى لم أسمع مطلقا بمثل هذا الاسم ولم أسمع أن هناك خلايا سرية كبيرة، وكل ما هناك أنه كانت بضعة خلايا سرية ولم تعرف بعد ميول هذه الخلايا.

ومرة أخرى قال لى إنه علم أن الدكتور الشحات وطه النمر ومحمد مندور قتلوا فى ظروف غامضة، وأن هذه المعلومات وصلت إليهم عن طريق تقارير قدمت إليهم. فقلت له إن الدكتور الشحات انتحر لمرضه، وإن طه النمر لم يمت ولا يزال حيا، وإن الدكتور مندور مات بالذبحه الصدرية^(١).

وفى مرة أخرى قال بروس إنه يريد أن يعرف سر وجود المشير عامر فى المستشفى. فقلت له إن المشير أجرى عملية الزائدة الدودية، وإن هذا نشر فى الصحف. فقال كنت أتمنى أن تكون العملية أسوأ من الزائدة الدودية. فرددت عليه بأن الذى يقال إنه حدث خلاف بين الرئيس والمشير بسبب مناقشة مصاريف الجيش، وأنه عقب ذلك شعر المشير بتعب، وإن الرئيس صاحبه إلى المستشفى وحضر إجراء العملية.

وقال لى بروس إن الحكومة الأمريكية ترغب أن توصل بعض توجيهاتها إلى السيد رئيس الجمهورية العربية فى قالب يقبله وذلك عن طريقى بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فقلت له إن أحسن طريقة لهذا أن أقوم بتبليغ الرئيس ببعض الأنباء المبكرة عن التصرفات التى ستقوم بها الحكومة الأمريكية حيال مصر، وبذلك سوف يقتنع الرئيس بأنه على بينة من هذه الأمور عندما تنشر بعد ذلك فى أمريكا بطريقة رسمية. وقلت له إن الرئيس لن يقبل أى توجيهات من أمريكا إذا عرضت عليه فى قالب نصيحة، إذ إنه قد ضاق صدره بالناصحين الأمريكيين.

وكان الأمريكيون كما تذكر سيادتكم يقولون عن عبد الحميد السراج إنه شيوعى، وتذكرون سيادتكم أنه أثناء محادثات الجلاء، بعد العدوان، فى أمريكا أن طلب منى الأمريكيون أن أرجو سيادتكم العمل على إخراج عبد الحميد السراج من الحكم فى سوريا لأنهم واثقون أنه شيوعى مائة فى المائة. وأذكر أن سيادتكم هزأتم بهذا الطلب ورفضتموه وقلتم إن عبد الحميد السراج غير شيوعى وأن الأمريكيين مغفلون.

(١) يلفت النظر تشابه هذه الإشاعات مع ما رَوَّج له فيما بعد - وبشدة - وعلى غير أساس - عن قتل الدكتور أنور المفتى بدس السم له.

وقد حدث أن قابلت عبد الحميد السراج فى شهر مايو ودار حديث معه، وقد رويته لبروس فقلت إن السراج قلق جدا بالنسبة للشيوعية، وأنه قال لى أنه عندما يقرأ جريدة الأخبار يشعر أنه يقرأ جريدة شيوعية مائة فى المائة وكذلك مجلات آخر ساعة وزوزاليوسف، وأنه يرى أن ذلك ليسىء جدا إلى الناصرين فى الدول العربية، ورجانى أن أبلغ هذا على لسانه للرئيس. وأنه منذ عام ١٩٥٩ لم ينضم أحد إلى الأحزاب الشيوعية العربية، ولكن منذ دخلت الشيوعية إلى الصحافة بدأت حركة الانضمام إلى الأحزاب الشيوعية. وأضاف السراج بأنه رغم أن الرئيس جمال عبدالناصر قال إنه يمكنه القبض على الشيوعيين فى ساعة واحدة، إلا أن الموقف حاليا قد تغير عن طريق سلاح الصحافة، إذ تنشأ خلايا شيوعية جديدة لم يتعرف عليها بعد وأنه عندما دخل السراج سفارة الجزائر فى مصر وجد أن جميع المصريين فيها شيوعيون.

وسألنى بروس عن صدى مقال عن الرئيس نشرته جريدة نيويورك تيمس وقالت فيه إن عدد الجنود المصريين فى اليمن وصل إلى مائة ألف. وسألنى مرة عن أن لديه أخبارا بأن المشير عامر ذاهب إلى اليمن فى رحلة سرية، وطلب منى أن يعرف حقيقة هذا الخبر. فقلت له إن الخبر غير صحيح. وأصر أن يعرف مصدرى. فأوهمته أنه مصدر موثوق به جدا وأنه شمس بدران. وسألنى بأنه علم أن مصر أرسلت قوات إضافية إلى اليمن. فقلت إن الذى يحدث هو استبدال القوات بنظام المناوبة أى أن وحدة تسافر وتعود وحدة أخرى. وأوهمته بأن المصدر هو شمس بدران، بينما أن شمس لم يذكر لى شيئا من هذا، وإنما أردت أن أنفى نبأ زيادة قواتنا فى اليمن.

وكان بروس دائم السؤال عن رحلات صدقى محمود، ولعل ذلك يرجع إلى ما سبق أن ادعيته بأننا نقوم بصنع قنبلة ذرية.

وأطلعنى بروس على صورة تقرير عن القبض على ابن على صبرى وأن البوليس ضربه كما يضرب الجستابو الضحايا. فأنا قلت إن خبر القبض صحيح وإن شخصيته لم تكن معروفة للبوليس، وإن عسكري البوليس عوقب. وجاء ذكر

قضية الاستيراد المتهم فيها صهر على صبرى، وكيف أن السيد مصطفى الهلباوى كتب مذكرة يطعن فيها حكم المحكمة، وأن حامد محمود مدير مكتب رئيس الوزارة طلب أن يعدل هذه المذكرة، وأن سلطات حامد محمود كبيرة، وأن الوزراء كانوا يجدون من الأسهل أن يقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر عن مقابلة حامد محمود.

وكان يسألنى كثيرا عن أخبار المشير ويطلب منى أن أتحرى عن بعض الأنباء. ومن أمثلة ذلك ما ذكره حول زيارة المشير لليمن واشتراكه فى مؤتمر خمروان الذى تم فى أيام ٢١، ٢٢، و٢٣. وأنا أفهمته أن الغرض من أسفار المشير إلى اليمن أنه يرفع معنويات القوات. وقال إن تحركات المشير واضحة فى خلال هذه المرحلة إلا أن أيام ٢١، ٢٢، و٢٣ أبريل غير معلوم عنها أى شىء، وسألنى عنها ولم أخبره عن ذلك.

وأحب يا سيادة الرئيس أن أروى لكم بأمانة تامة كيف بدأت علاقتى بالأمريكيين. ففى سنة ١٩٣٥ عين والدى وزيرا مفوضا فى واشنطن، وسافرت معه وأقمت بالسفارة المصرية فى واشنطن. وكنت أرغب فى أن أدخل كلية لدراسة الصحافة. ولكن والدى كان يرفض أن أعمل بالصحافة وأصر على أن أدرس العلوم السياسية. ودخلت جامعة جورج تاون فى مدينة واشنطن سنة ١٩٣٥ فى كلية العلوم السياسية، حيث حصلت على ماجستير فى العلوم السياسية فى عام ١٩٣٨، وهذه الكلية هى المدرسة التى يتخرج فيها أغلب رجال السلك السياسى فى أمريكا، والذين يتولون وظائف وزارة الخارجية الصغيرة، إذ إن الوظائف الكبيرة فى السلك السياسى الأمريكى كانت دائما وقفا على رجال الأحزاب، ولم يصبح هناك سلك سياسى بمعنى الكلمة يترقى فيه الموظف إلى أعلى الدرجات إلا بعد الحرب العالمية الثانية عندما خرجت الولايات المتحدة من عزلتها.

وفى أثناء وجودى فى واشنطن كانت السفارة المصرية تقيم حفلات يحضرها شبان موظفى الخارجية، وكنت أدعى إلى جميع الحفلات التى يقيمها السفراء الأجانب فى واشنطن. فقد كان اسمى مكتوبا فى قائمة الدبلوماسيين فى مدينة واشنطن باعتبارى ابن السفير المصرى.

وفى هذه الفترة تعرفت إلى عدد ضخم من شبان وزارة الخارجية، وإلى طلبة الجامعة، وكل هؤلاء أصبحوا يشغلون بعد ذلك أهم مناصب السفارات الأمريكية فى العالم أو فى وزارة الخارجية الأمريكية. ولهذا كانت لى علاقات وصداقات مع كثير من الدبلوماسيين الذين كانوا شبانا فى عام ١٩٣٥، ١٩٣٦، ١٩٣٧ و ١٩٣٨ عندما كنت طالبا فى جورج تاون.

وبعد عودتى من أمريكا واشتغالى بالصحافة التقيت بكثير من هؤلاء وجددت صداقاتى معهم، ثم حدث فى أثناء الحرب العالمية أن حضر كثيرون من الشبان الأمريكيين مع جيوش الحلفاء إلى مصر. وكانت علاقاتى مستمرة بأصدقائى الذين كنت أعرفهم من قبل، وكان من بين هؤلاء كاي كار وهاى هولت وبرت سميث وماهونى، وكان بعض هؤلاء يعمل فى مكتب مستر لندسى وزير الدولة الأمريكى لشئون التموين. وفى هذه الفترة أيضا التقيت بأرشى روزفلت وكيم زوفلت^(١). وكان روزفلت يؤلف كتابا عن البترول فى الشرق الأوسط.

وكنت ألتقى باستمرار مع هؤلاء جميعا، وكنا ننتحدث فى شئون الحرب وفى كل شئون الشرق الأوسط. وكانوا يسألونى عن آرائى فى الشرق الأوسط، وكانت آرائى تختلف مع آراء الكثيرين منهم. فقد كنت فى أثناء الحرب متحمسا لعلى ماهر ولسياسة عدم الانحياز^(٢)، وكان رأيهم جميعا أن على ماهر هو عميل ألمانى، وكانوا يذكرون أن مصر سوف تخسر من سياسة عدم الانحياز فى الحرب وحاولوا كثيرا

(١) كيرميت روزفلت كان المسئول الرئيسى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى الشرق الأوسط لسنوات طويلة

(٢) الواقع أن الأستاذ مصطفى أمين كان مع القصر ولم يكن على ماهر يطالب بسياسة «عدم الانحياز» ولم تكن هناك أصلا سياسة «عدم الانحياز»، بل العكس فقد كان منذ البداية يرى ضرورة أن تطبق مصر معاهدة ١٩٣٦ وأن تعلن الحرب على ألمانيا. وكان بعض وزرائه وفى مقدمتهم عبد الرحمن عزام (باشا) هم الذين اقنعوه بالانتظار وبما عرف وقتها «بسياسة تجنب مصر ويلات الحرب»، وقد استطاع بعض هؤلاء الوزراء اقناع السفارة البريطانية بأن مصلحة بريطانيا نفسها تقتضى أن لا تدخل مصر الحرب لكى لا تكون من ذلك ذريعة لألمانيا تضرب بسببها كل المرافق والمنشآت المصرية وكلها كانت فى خدمة الجيوش البريطانية

إقناعى بأن مصلحة مصر فى أن تدخل الحرب إلى جانب الحلفاء، ولكنى لم أقتنع بهذا رأى.

وكنّا فى أيامها نهاجم سياسة الإنجليز وحادث ٤ فبراير، وكانوا فى تلك الأيام يؤيدون هذه السياسة ويدافعون بشدة عن حادث ٤ فبراير وحصار قصر الملك بالدبابات، وكانوا يؤكدون أن لديهم وثائق سرية تؤكد أن الملك فاروق كان يتخابر سرا مع الألمان وهتلر فى أثناء الحرب، وأنهم ضبطوا هذه المناقشات. وكانت سياسة أمريكا وقتئذ أن مصر داخل منطقة النفوذ البريطانى، وأنهم لن يتخانقوا مع الإنجليز فى أثناء الحرب من أجل مصر الواقفة على الحياد.

والتقيت فى ذلك الوقت بالسفير الأمريكى مستر كيرك، وكان يدعونى باستمرار للغداء والعشاء معه، وكان له عدة بيوت فى القاهرة، وكان لا يهتم أمر مصر إطلاقاً ولا يجد لذة فى أن يسمع أى شىء عنها، وكان كل اهتمامه بالحفلات وبتأبين الإنجليز فى الحرب وبصابون سانلايت الذى كان يملك أغلب أسهم شركته.

وفى أثناء ذلك أمكننى أن أعرف منهم عدة أخبار هامة أفادتنى صحفياً، وقد سبقت صحفى العالم بنشر نبأ تسليم إيطاليا ونشرته فى جريدة الأهرام، وبخبر فتح الجبهة الثانية ومكانه وموعده وأشرت إليه فى مجلة الاثنين، بل إن أحدهم وهو هاى هولت أخبرنى بتوقع هجوم هتلر على روسيا، وأردت أن أنشر هذا الخبر فى جريدة الأهرام ولكن أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام أجل نشر الخبر ٢٤ ساعة فإذا بهتلر يهاجم روسيا فى نفس الليلة. وحصلت منهم على خبر مفاوضات الصلح مع الألمان ونشرته، وكان نقلاً عن صديقة هاى هولت، وكانت تعمل سكرتيرة لوزير الدولة البريطانى.

واستمرت علاقاتى واتصالاتى بالسفارة الأمريكية بالقاهرة وبموظفيها. وحدث فى سنة ١٩٤٧ أن طلب منى المرحوم النقراشى باشا رئيس الوزراء أن أكون واسطة الاتصال بينه وبين الأمريكين لمناسبة سوء موقف المفاوضات بين مصر وبريطانيا، وكنت دائم الاتصال بهم. وقد وعدونا فى أول الأمر بتأييد مصر فى عرض قضيتها فى مجلس الأمن ثم خلوا بنا بعد ذلك، وكل ما فعلوه أن رئيس

جمهورية أمريكا عرض وساطته بين الملك فاروق وإنجلترا. وقد حصلت على الخطابات السرية المتبادلة بين رئيس جمهورية أمريكا والملك، ونشرتها في أخبار اليوم، فقامت الدنيا وقعدت، وثار الأمريكيون لهذا النشر يومها.

ثم تولى مستر تاك منصب سفير أمريكا، وكانت علاقتي به قوية جدا وكنت أقابله باستمرار. وفي تلك الأيام تغيرت سياسة أمريكا، وأصبحت لها سياسة مستقلة في المنطقة بعد أن كانت تصر على أن تكون ذيلا لبريطانيا في المنطقة، وكان السر في ذلك أن أهمية البترول في السعودية بدأت تظهر وأصبحت لأمريكا مصالح هامة في بترول هذه المنطقة. وكثيرا ما انتقدت قبل ذلك سياسة الأمريكان في أنهم يتلقون تعليماتهم من السفير البريطاني في القاهرة، وكانوا شبه منومين نوما مغناطيسيا، ولا يصدقون إلا ما يقوله لهم الإنجليز.

ثم حدث بعد ذلك أن توثقت علاقتي بمسر كافري السفير الأمريكي الجديد، وكنت أقابله باستمرار، وكان مقتنعا برأى بأن مصلحة أمريكا هي مصلحة الشعوب العربية في الوقت نفسه، وهي أن تؤيد أمريكا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني، وكان يكره الإنجليز كراهية شديدة، وعندما يسمعي أنتقد تصرفات الإنجليز في المنطقة يهتز طربا وكأنه يسمع قطعة موسيقية. ولكنه كان يعطف على الملك فاروق، وكان الملك قد وثق علاقته به وكان يفهمه أنه يستشير في المواضيع وأنه يأخذ رأيه قبل أن يفعل أي شيء.

وبعد أن تولى نجيب الهلالي الحكم عرفت أن الملك فاروق أخذ رشوة قدرها مليون جنيه من أحمد عبود باشا ليقيل نجيب الهلالي من الوزارة. وأخبرت كافري بذلك فلم يصدق، ثم تحرى الخبر بطريقته الخاصة وتأكد أنه صحيح. وكنت أبلغته كذلك لنجيب الهلالي. ثم زار كافري نجيب الهلالي وقال له إنه تأكد أن الملك قبض فعلا مليون جنيه ليقيل الهلالي من رئاسة الوزارة. وعندئذ استقال نجيب الهلالي وراح يصرح للناس بحكاية رشوة المليون جنيه. وهذا الموقف هو الذي جعل كافري يغير رأيه في الملك ويرى أن بقاءه على العرش كارثة.

وعرفنى كافرئ بمستر لىكلاند، وهو شاب أعور يعمل ملحقا فى السفارة، واكتشفت أنه أقوى موظف له نفوذ على كافرئ برغم أنه ملحق صغير فى السفارة، وكان يجيد اللغة العربية إجابة تامة، وكان يزورنى فى مكتبى وفى بيتى باستمرار، وأعتقد أن له فضل كبير فى التأثير على كافرئ وعلى سياسة أمريكا نحو مصر. فقد كان من رأى سفراء أمريكا المتعاقبين أن مصلحة مصر ومصلحة أمريكا فى أن يتولى الوفد الحكم، وأن النحاس هو أحسن حاكم لمصر، وأن بعد الوفد ستجىء الشيوعية لمصر مائة فى المائة. وكنت أنا أهاجم النحاس باستمرار. وكان من رأى الأمريكين أن هذا الهجوم لن يكسب منه إلا الشيوعيون. ولكن كافرئ ما لبث أن اقتنع بغير ذلك.

وعندما قامت الثورة أبلغنى لىكلاند أنه فى ليلة قيامها أيقظ السفير البريطانى فى واشنطن مستر دين أتشنسون وزير الخارجية من النوم وأبلغه أن ثورة شيوعية قامت فى مصر، وأن الحكومة البريطانية قررت التدخل العسكرى فورا وتحرك الجيش البريطانى من فايد لقمع الثورة، وقال لى لىكلاند أن دين أتشنسون طلب مهلة للتشاور وأنه أبرق إلى كافرئ يسأله رأيه، وأن لىكلاند هو الذى أعد البرقية العنيفة التى على أثرها أبدت أمريكا اعتراضها على التدخل العسكرى البريطانى فى مصر، وشعرت بحكم اتصالى المستمر بأهمية لىكلاند وقوته رغم صغر سنه، وأبلغت المرحوم صلاح سالم برأى أن لىكلاند هو السفير الحقيقى، وعقب ذلك حدث اتصال مستمر بين لىكلاند وبين الرئيس جمال عبد الناصر وصلاح سالم وبعض رجال الثورة، وكان لىكلاند هو الواسطة بين الثورة وبين السفير الأمريكى، وشعرت أن لىكلاند فى اجتماعاتى معه المتكررة أنه كثير الأسئلة وأنه يتظاهر بالخوف وبأنه لا قيمة له، بينما شعرت أنه صاحب أكبر نفوذ على السفير وأكثر علما بالسياسة الأمريكية من جميع موظفى السفارة الأمريكية الذين اجتمعت بهم.

وقد أبلغنى صلاح سالم أنه يشعر - بل يعتقد - أن لىكلاند من المخابرات الأمريكية، وأن رأى رجال الثورة أنه من جهاز المخابرات الأمريكية، وطلب منى أن أسأله بينى

وبينه عن ذلك، فسألته عن ذلك، فنفى بشدة وقال إنه طلب إليه أن يشتغل بالمخابرات ورفض ذلك.

وكان ليكلاند يسألنى أسئلة كثيرة جدا ولكنه كان يبدو متحمسا للثورة ومؤيدا لها، ولم أشعر فى علاقتى الوثيقة به أنه كان يخدعنى أو يضللنى أو يستغلنى أو يوهمنى أنه مع الثورة بينما هو فى الواقع ضدها، وأعتقد أنه قام بخدمات جلية جدا فى شأن علاقات أمريكا مع الثورة فى بدء قيامها.

وكان ليكلاند يحضر إلى أخبار اليوم يوميا وفى بعض الأحيان يتناول الغداء معى أو نتناول العشاء عنده. وكان أهم ما يسأل ليكلاند عنه هل هنا بين قادة الثورة من له ميول شيوعية؟ وعرفت منه أن الإنجليز كانوا يقولون باستمرار إن لديهم معلومات مؤكدة بأن عددا من أعضاء مجلس الثورة من الشيوعيين. وأن اتجاههم كلهم ضد الغرب. ومن ليكلاند عرفت أن الإنجليز يؤكدون أن يوسف صديق شيوعى. وأن خالد محبى الدين شيوعى، بل إن أنور السادات شيوعى أيضاً، وكنت على صلة بأنور السادات فأكدت لليكلاند أنه إذا كان تفكير خالد محبى الدين مثل أنور السادات فلا يمكن أن يكون أحد فى مجلس الثورة من الشيوعيين، بل إنى على العكس أرى أن مجلس الثورة ضد الشيوعية.

وقد انزعج الأمريكيون عندما أفرجت الثورة عن المعتقلين فى أول قيامها، وكان الإنجليز يؤكدون لهم أن كثيرا من الذين أفرجت عنهم الثورة من الشيوعيين، وكان الإنجليز يعتبرون كل من يهاجمون سياستهم من الشيوعيين.

وقال لى ليكلاند إنه واثق ومتأكد من أن الثورة ليس اتجاهها شيوعيا وأن الإنجليز مغفلون، وأنه غير صحيح أنهم خير من يعرف المنطقة، وأنه جعل كافرى يكتب تقارير يهاجم هذه الآراء التى كانت تقدمها السفارة البريطانية فى واشنطن إلى البيت الأبيض وإلى وزارة الخارجية الأمريكية. وشعرت بأن ليكلاند وكافرى أمكنهما أن يقفا ضد كل محاولات المخابرات البريطانية لتشويه صورة الثورة أمام واشنطن.

وفى هذه الأثناء كان يحضر إلى مصر من وقت إلى آخر كيرميت روزفلت، وكان كيرميت يقابلنى، وكان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر، وكانت مقابلاتى لكيرميت روزفلت بعلم الدولة وبموافقتها التامة.

وقد علمت من الرئيس جمال عبد الناصر أن كيرميت من المخابرات الأمريكية وأنه عضو بارز فيها، وأبدت فزعى من ذلك، ولكن الرئيس وافق على استمرار صداقتى بكيرميت روزفلت، وكنت أخبر الرئيس عبد الناصر باستمرار بكل ما يقوله كيرميت روزفلت وعن جميع الآراء التى يبديها فى مقابلاته معى.

وكنت أيضا على اتصال بمستر وزر زبى ومستر بين الموظفين بقسم الاستعلامات الأمريكى، وكنت على صلة وثيقة ومستمرة بهما، وكنت أشعر من أسئلتهما العديدة أنهما أيضا من رجال المخابرات، وعرفنى مستر وزر زبى على ما أذكر أو المستر بين بمستر إكل بيرجر. وكنت على اتصال مستمر بمستر مايلز كوبلاند الذى كان على صلة بالرئيس وبزكريا محيى الدين.

وفهمت من أحاديثى مع المسئولين أن قادة الثورة يعلمون جيدا أن كل هؤلاء من المخابرات الأمريكية وأنهم واثقون من ذلك ولكنهم يرون أن المصلحة فى الاتصال بهم وخاصة أنه تبين بوضوح أن المخابرات الأمريكية هى صاحبة السلطة الحقيقية فى أمريكا وأنها أقوى نفوذاً من وزارة الخارجية الأمريكية وأنها قادرة على رسم السياسة، فإن كثيرا من الأشياء التى كنا نطلبها من أمريكا أو نسأل عنها كانت تصلنا عن طريق المخابرات الأمريكية قبل أن نعرفها بواسطة السفير الأمريكى فى القاهرة بعدة شهور.

ومع علم المسئولين المصريين وتأكدهم بأن هؤلاء جميعا من المخابرات الأمريكية، فإنهم كانوا يصرون دائما أن هذا غير صحيح وأن هذه المعلومات خاطئة، وأن وظيفة كيرميت روزفلت مثلا هى أنه مستشار سياسى لرئيس الجمهورية، ولم يحدث مرة واحدة أن اعترف واحد منهم فى أى حديث لا مباشرة ولا غير مباشرة بأنهم من المخابرات الأمريكية، وكان لدينا اعتقاد أن كثيرين جدا من موظفى السفارة الأمريكية فى القاهرة هم من المخابرات الأمريكية، وكان يحدث فى بعض

الأحيان أن يكون أحد الموظفين من غير المخابرات، ثم تظهر كفاءته فلا تلبث المخابرات الأمريكية أن تجنده فيها.

وحدث فى عام ١٩٥٤ أن حدثت أزمة محمد نجيب، وعلمت أن محمد نجيب اتصل بشخص من المخابرات الأمريكية اسمه مستر لى وأن هذا الشخص كان ملازما لمحمد نجيب طوال الوقت، وأفهم محمد نجيب مستر لى أن أعضاء مجلس الثورة كلهم شيوعيون، وأنه يريد أن يخلص البلاد منهم، وأنه يرغب فى تأييد الولايات المتحدة له فى معركة فى مجلس الثورة، وكانت الحكومة البريطانية تؤيد محمد نجيب كل التأييد وتعتقد أن مصلحة بريطانيا فى الخلاص من جمال عبدالناصر وأصدقائه.

وكان كوبلاند يخبرنى هو وإيكل بيرجر عن تقارير تصلهم باستمرار من المخابرات البريطانية تؤكد أن جمال عبد الناصر هو الخطر الحقيقى ضد الغرب، وأن مصلحة الغرب، فى بقاء محمد نجيب، وأن المصلحة أن يبدأ انقلاب محمد نجيب بحكم مؤلف من الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين، ثم بعد ذلك بتخلص الغرب من الشيوعيين ويبقى محمد نجيب الذى أكد مستر لى لهم أنه سيكون أصدق صديق لأمريكا ولبريطانيا، وأنه إذا انتصر فريق عبد الناصر فإنه سيصبح خطرا على مصلحة أمريكا وبريطانيا لا فى مصر وحدها بل فى الشرق الأوسط كله.

وقد وقفت أخبار اليوم فى هذه المعركة ضد محمد نجيب، ونشرت مقالا فى الأخبار بعنوان «سلطة روسى» عن مشروع حكم محمد نجيب بوزارة من الوفديين والشيوعيين والإخوان. ونشرت فى أخبار اليوم نص الحديث السرى التليفونى الذى جرى بين محمد نجيب ومصطفى النحاس، وقد أحدث نشر الحديث ضجة كبرى فى رأى العام، وأسقط محمد نجيب بين الجماهير. وكان كوبلاند وإيكل بيرجر على ما أنكر يتصلان بى فى تلك الأيام باستمرار ويقابلانى يوميا، وكنت أطلع المسئولين على المحاولات التى تبذل من أجل تأييد محمد نجيب.

ولقد شعرت يومها بأن نفوذ شخص مثل كوبلاند أقوى كثيرا من عدد من كبار

موظفى السفارة الأمريكية الذين كانوا يجمعون على وجوب تأييد محمد نجيب، وأن الإنجليز والمخابرات البريطانية أقدر على الحكم على الحالة فى مصر منهم.

وقد حدث خلاف خطير بين الرأيين فى هذا الشأن، وكان الإنجليز يؤكدون أن محمد نجيب هو الذى سينتصر. وحدث فى هذه الأيام أن بدأ ذلك بانتصار مؤقت لمحمد نجيب وحل مجلس الثورة. وأخبرنى كوبلاند أن رجال السفارة البريطانية فى القاهرة كانوا يتبادلون التهانى. ولقد كانت واشنطن نفسها مقتنعة برأى الحكومة البريطانية بحتمية انتصار محمد نجيب وبضرورة تأييده. وكان رأى الذى أبديته دائما لكل من سألنى منهم أن السلاطة الروسى التى يدعو إليها محمد نجيب ستنتهى بأن يستولى الشيوعيون على الحكم، وأن من مصلحة أمريكا أن يتولى الحكم جمال عبد الناصر وهو عدو للنفوذ الأجنبى، من أن يتولاه عميل شيوعى يحول كل المنطقة إلى مستعمرة روسية.

وفى سنة ١٩٥٦، عندما حدث تأميم قناة السويس كنت على صلة ببيل ميلر، وكان الرئيس جمال عبد الناصر على علم تام بهذا الاتصال وكان ميلر يحضر إلى مكتبى يوميا، وكنت أبلغ الرئيس يوميا بما يقوله ميلر، وكان الرئيس يسميه على ما أذكر «أزمرلدا» أو اسم آخر لا أذكره، وسألت الرئيس لماذا يسميه بهذا الاسم فقال إنه اسم رواية قرأها عن فتاة تسمع باسمها باستمرار ولا تراها. وكان بيل ميلر يطلعنى باستمرار على كل الأنباء والبرقيات الهامة التى تصل إليه، كما كان يفعل كوبلاند وإيكل بيرجر الذى كان من وظيفته فى السفارة أن يطلع على البرقيات السرية.

وحدث فى سنة ١٩٥٤ أن أخبرنى إيكل بيرجر أنه أطلع على برقية سرية جدا وصلت على التو من السفير الأمريكى فى تل أبيب بأن الجيش الإسرائيلى سيقوم بعدوان فى يوم معين على مصر، وألح فى أن لا أخبر الرئيس بهذا الأمر، وقال إنه لو عرف أحد أن هذه البرقية تسربت فسوف يفقد عمله. وأسرعت على الفور وأخبرت الرئيس عبد الناصر بما حدث. واهتم الرئيس بهذا النبأ وطلب معلومات أوسع عن هذه العملية الخطيرة ومكانها.

واتفقنا أن أذهب أنا ومحمد حسنين هيكل^(١) ونقابل مستر بايرون السفير الأمريكي، واستطعنا أن ندخرجه ونعلم أن الخبر صحيح مائة في المائة. وأحضر بايرون البرقيات السرية التي وصلت إليه، وتفاهمت أنا وهيكل أن يشغله هيكل بالحديث بينما أنقل البرقية. وفعلا استطعت أن أنقل نص البرقية، وقدمناها إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وأصدر الرئيس على الفور أمره إلى الجيش المصرى بالاستعداد لهذا العدوان المفاجئ.

وتم العدوان فى موعده، وكان الجيش المصرى مستعدا له، وأعطى الجيش المصرى يومها درسا لليهود. وقد شكرنى الرئيس جمال عبد الناصر يومها على هذا العمل الذى قمت به، وقال إننى قدمت خدمة كبرى لبلادى.

ولقد كان إيكل بيرجر يسألنى دائماً أسئلة تدور كلها حول موقف الرئيس جمال عبد الناصر من الشيوعية، وموقف زملائه من الشيوعية، وكنت أشعر أن أغلب المعلومات التى كانت تستند إليها أسئلته فى هذا الموضوع مستندة على استفسارات تجيئه من واشنطن، وأنها مستمدة من معلومات كانت تبلغ إلى أمريكا بطريق التسرب بواسطة جهاز المخابرات البريطانى الذى كان يعمل باستمرار على تشويه حقيقة جمال عبد الناصر، ويضرب باستمرار على هذه النغمة؛ لأنه يعرف أن أمريكا تصاب بالجنون إذا عرفت أن الرئيس جمال عبد الناصر شيوعى.

ولقد حرصت باستمرار على إبلاغ المسئولين عن محاولات التشويه التى تقوم بها بريطانيا ضدنا وأنها تعطى أمريكا هذه المعلومات وهى تعلم أنها كاذبة، ولكن كان جهاز المخابرات البريطانى يعمل باستمرار على أساس أن الرئيس عبد الناصر خطر على مصالح بريطانيا الاستعمارية والاقتصادية فى المنطقة، وليس أن عبدالناصر يمثل خطرا شيوعيا.

وكان مايلز كوبلاند وميلر وإيكل بيرجر وكيرميت روزفلت يقولون لى إنهم

(١) يورد الأستاذ مصطفى أمين اسمى فى عدة مواضع من هذه الرسالة الوثيقة ولا أريد اعتراض النص هنا بالتوقف أمام نقى أو تصحيح، فليس هذا مجاله.

مقتنعون بهذا الرأي، وكانوا يقولون إن المخابرات البريطانية تحاول تضليل أمريكا لمصلحة بريطانيا، ولكنهم مع ذلك، ومع أنني أحسست منهم دائما بهذا الاقتناع فإنهم كانوا يجيئون كل يوم ويسألونني عن أشخاص أثق جيدا أنهم غير شيوعيين ويؤكدون أنهم شيوعيون، أو يقولون إن معلومات جاءتهم بأن لهم ميولا شيوعية.

ومن الأسماء التي كانوا يكثرون من السؤال عنها ويتهمونها بالشيوعية أسماء أنور السادات وعبد الحكيم عامر وثروت عكاشة وعلى صبرى وكمال رفعت وغيرهم.

بل لقد حدث مرة أن كيرميت روزفلت قال لى إن لديهم معلومات مؤكدة جدا بأن عبد الحميد السراج شيوعى مائة فى المائة، وإنها معلومات لا يتطرق إليها الشك، وإنهم قاموا بتحريات واسعة فى هذا الموضوع فأيدت ذلك، وإن المخابرات البريطانية قامت أيضا بعمل جرد عام وفحص على عبد الحميد السراج فعرفت أنه شيوعى، وإن حكومة الولايات المتحدة مستعدة لمساعدة مصر إذا استعمل عبد الناصر نفوذه فى سوريا لإخراج عبد الحميد السراج من الحكم فى سوريا.

وطلب منى كيرميت روزفلت أن أقول هذه الأنباء للرئيس جمال عبد الناصر على أنها معلومات علمتها أثناء وجودى فى واشنطن أثناء اشتراكى فى مفاوضات الجلاء بعد العدوان، لا على أنها معلومات هو مصدرها.

ولكنى ذهبت إلى الرئيس جمال عبد الناصر بعد عودتى مباشرة من رحلتى فى أمريكا وقلت له إن كيرميت روزفلت هو الذى قال لى هذه المعلومات، فقال الرئيس جمال عبد الناصر إن الأمريكين مغفلون وجهلاء ومعلومات مخابراتهم كاذبة، وإنه لن يحارب عبد الحميد السراج، بل على العكس سوف يؤيده ويدعمه.

وقبل قيام العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر كانت الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على جهل تام بهذا العدوان.

وكان بيلر ميلر يتردد علينا باستمرار فى أخبار اليوم ويؤكد هذا، ويقول إن أمريكا لا توافق على هذا العدوان، وما دامت هى لا توافق فلن يقوم العدوان.

ثم حدث أن أوفد الرئيس جمال عبد الناصر أخى على أمين إلى لندن للاتصال بحزب العمال المعارض وإبلاغه وجهة نظرنا فى تأميم القناة، وعاد على أمين من لندن وقابلت معه ومحمد حسنين هيكل الرئيس فى القناطر الخيرية، فقال على أمين للرئيس إن المعلومات السرية التى حصل عليها من إنجلترا تؤكد بأن إنجلترا ستقوم بالعدوان وأنها بدأت تستعد له وتجهز القوات التى ستقوم بهذه المهمة.

ثم سافرت أنا ومحمد حسنين هيكل إلى أمريكا فى مهمة أوفدنا إليها الرئيس فى أمريكا أثناء عرض مسألة تأميم القناة فى مجلس الأمن. واتصلنا بكيرميت روزفلت وبإيكل بيرجر وبعدد من كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية، وأبلغنا مستر دالاس أن العدوان أصبح فى ذمة التاريخ وأنه واثق أنه لن يحدث عدوان.

ولكن العدوان حدث بعد ذلك ببضعة أسابيع.

وكنا فى جميع اتصالاتنا بهؤلاء نعلم أنهم متصلون بجهاز المخابرات الأمريكية، وكانت الدولة تعلم بهذه الاتصالات وتعرفها تفصيلاً، وكان يحدث كثيراً أن يسألنى هؤلاء أسئلة عن الموقف، ولكن كانت كلها أسئلة سياسية وليست أسئلة محددة.

وعندما أوفدنى الرئيس جمال عبد الناصر فى مهمة إلى أمريكا أثناء العدوان، قابلت كيرميت روزفلت عدة مرات فى حضور الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن فى ذلك الوقت، وبعلم الرئيس جمال عبد الناصر، وعرفت أن المخابرات الأمريكية فوجئت بالعدوان وأنها لم تعلم به إلا قبل حدوثه بأربع وعشرين ساعة، وأنها لم تعلمه من لندن أو باريس وإنما علمت به من تل أبيب.

وفى أيام العدوان الأولى كان بيل ميلر يزورنا يومياً فى أخبار اليوم وأحياناً يقابلنا أكثر من مرة فى اليوم، وكان السؤال الذى يسأله دائماً سؤالاً واحداً لا يتغير وهو هل نستطيع الصمود، وكم ساعة نستطيع أن نقف على أقدامنا؟ وكان يسأل هذا السؤال أكثر من مرة فى اليوم، وعندما كنت أجيبه بأننا سنستطيع الصمود، كان يقول إنه لو صمدت مصر ثلاثة أيام فسوف تخسر بريطانيا المعركة.

وكنت على صلة مستمرة ودائمة بالليل وبالنهار تليفونياً بالرئيس

جمال عبدالناصر وكنت أبلغه أولاً بأول بكل كلمة يقولها بيل ميلر فى مقابلاته
العديدة المتكررة.

واستطعنا أن نعرف أن أيزنهاور غاضب من أن العدوان تم وراء ظهره، وأن إيدن
استغفله، وكانت هذه المعلومات قيمة جداً فى أثناء المعركة.

وكانت تجرى المباحثات بشأن وقف إطلاق النار وإرسال البوليس الدولى إلى
مصر فى مكتبى بأخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكل وبيلر ميلر.

وكنا نبليغ الرئيس جمال عبد الناصر، أولاً بأول بكل المعلومات، ونقوم بمهمة
الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وأيزنهاور، حتى أن الرئيس عبد الناصر قال
يومها أن أخبار اليوم أصبحت وزارة خارجية تحت الأرض.

وكنا نشعر وقتها أن رسائنا تصل إلى أيزنهاور بهذه الطريقة أسرع كثيراً مما
لو أرسلت بطريق السفير.

وكان بيل ميلر يقول إنه يقوم بهذه المساعدات لنا فى مقابل أن نعطيه سراً طائرة
ميج بعد انتهاء العدوان وهزيمته. وأبلغته كذباً أن الرئيس جمال عبد الناصر وافق
على أن نعطيه طائرة ميج روسية، لأن الأمريكيين وقتئذ كانوا يحاولون الحصول
على هذه الطائرة بأى ثمن لأنهم كانوا يجهلون سر صنعها.

وأبلغت الرئيس جمال عبد الناصر بما طلبه بيل ميلر وبالوعد الذى أعطيته له
باسم سيادتكم، وقلت لسيادتكم إنكم فى أى وقت تستطيعون أن تكذبوا علمكم بهذا
الموضوع أو أنكم عرفتم أى شىء عن هذا الوعد.

وعندما انتهت المعركة بانتصارنا راح بيل ميلر يطالبنى بأن أطلب إلى الرئيس
جمال عبد الناصر تنفيذ الوعد، وكنت أتهرب منه، وكان يلح فى ذلك إلحاحاً غريباً،
وكان يقابلنى يومياً ولا يدور حديثه إلا عن الطائرة الميج التى وعدته بها باسم
سيادتكم، وكل ما حصل عليه بيلر أن سيادتكم أهديتم له صورتكم تقديراً لموقفه
معنا فى أثناء معركة العدوان.

ولم يكن بيل ميلر يسأل أسئلة محددة، ولكنه كان يطلب منى أن أبلغ الرئيس عبدالناصر رسائل معينة عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية فى مسائل عديدة. وكنت أبلغ سيادتكم ما يطلب منى بيلر ميلر إبلاغه إلى سيادتكم، وكنت على اتصال وثيق بمستر بايرود السفير الأمريكى، وكنت أقابله باستمرار، ولكن صلتى كانت أقوى بمستر ريموند هير، لأننى كنت صديقاً له منذ عام ١٩٤٠ عندما كان قنصلاً لأمريكا فى مصر، وكان هير يسألنى فى كثير من الأمور ويطلب منى إبلاغ رسائل معينة إلى الرئيس جمال عبد الناصر.

وكانت أكثر اتصالاتى بمستر هير.

وذات يوم فى أثناء ثورة لبنان فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٨، علمت من هير أنه تلقى رسالة من وزير خارجية أمريكا يطلب إليه أن يقدم إنذاراً إلى الرئيس جمال عبد الناصر بأن الأسطول الأمريكى سيضرب فينا إذا اعتدى على الجنود الأمريكين الذين نزلوا فى لبنان، وأنه لم يتقرر بعد الموعد الذى يقدم فيه الإنذار رسمياً.

ولم تكن سيادتكم موجودين فى القاهرة، فأسرعت وذهبت بعد منتصف الليل إلى منزل السيد على صبرى بمصر الجديدة وأبلغته بما سمعته من هير، فقال على صبرى أن الأمر خطير جداً ولا يمكن أن نسكت على هذا، وأصر على استدعاء هير وإيقاظه من نومه وذهابه إليه فى قصر القبة، وتم اللقاء بينهما وأبلغه على صبرى بأن الجمهورية العربية سترفض هذا الإنذار إذا وجه إليها.

وكانت قد وصلت إلى المخابرات الأمريكية فى بيروت معلومات بأن الجمهورية العربية أصدرت قراراً سرياً بأن يغتال عدد من رجال الأسطول الأمريكى فى لبنان. وفى هذه الأثناء قامت أخبار اليوم بحملة عنيفة جداً ضد الشيوعية، وتعرضت أخبار اليوم للاتهام فى كثير من الدوائر بأن هذه الحملة موعز بها من أمريكا.

وتعلمون سيادتكم بأنكم الذين أمرتمونى بهذه الحملة، وأنكم الذين طلبتم منى طبع كتاب المجر، وهى الكراسية الحمراء التى دفعت الحكومة المصرية نفقات طبعها،

وأن جميع هذه الحملة كنت أستشير سيادتكم فيها، وذلك فى أثناء تنظيم حملتنا على الشيوعية بعد خطاب سيادتكم فى دمشق، وكذلك الحملة التى قامت بها أخبار اليوم عن مذابح الموصل بعد ثورة الشواف.

وقد سافرت بعد ذلك إلى أمريكا فى مهمة أوفدتمونى سياتكم فيها، وقد عرضت على سيادتكم بعد عودتى كل خطواتى ومقابلاتى واجتماعاتى، وقد وعدت فيها بأن أحصل للصحافة المصرية على ورق بمليون جنيه مجاناً من أمريكا، وتولى مستر هير السفير الأمريكى فى القاهرة إبلاغ سيادتكم ذلك بنفسه.

وكنت على اتصال يومى بسيادتكم، وكنت أبلغك تفصيلاً كل مقابلاتى مع الرجال الأمريكين الذين اتصلت بهم، وكل ما كنت أحصل عليه من أنباء ومعلومات وأسرار بحيث كنا نعرف أولاً بأول كل الأنباء التى يهمنا أن نعلم بها، سواء ما يجرى فى أمريكا أو ما يجرى فى المنطقة العربية، وكنتم سيادتكم تطلبون منى الاستفسار عن مسائل معينة أو إبلاغهم مسائل معينة.

وكان الأستاذ سامى شرف يتصل بى ويطلب منى أن أحصل على معلومات معينة من أصدقائى الأمريكين، وأعتقد أننى كنت أحصل على بيانات تهم بلادى فى فترات عصيبة مختلفة.

وحدث بعد تعيين الأستاذ خالد محيى الدين رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم، أن قررت إيقاف اتصالى بأى أمريكى، وسألت الأستاذ سامى شرف فى ذلك، فطلب إلى الاستمرار كما أنا، ثم حدث أن حصلت على بضعة أخبار هامة من محادثاتى مع بروس أوديل، فأبلغتها إلى سيادتكم شخصياً، وأبلغتها إلى الأستاذ سامى شرف أو إلى الدكتور عبد القادر حاتم.

وعند مقابلاتى مع بروس أوديل لم يكن يوجه إلى أسئلة محددة، ولكنه كان هو الذى يتحدث ويتكلم كثيراً، ثم يسألنى بعض أسئلة متناثرة. ولكن فى الشهور الأخيرة بدأت أسئلته تتحول إلى أسئلة محددة، وبدأ يسأل عن تفاصيل لم يكن الذين سبقوه يهتمون بها، ولقد كنت أجيبه على أسئلته، وكنت فى كثير من الأحوال

أضله وأذكر على لسان سيادتكم أشياء لم تقولوها لى، ولقد كنت أتصور أننى بهذه الطريقة أستطيع أن أحصل على معلومات هامة، وأن من واجبى أن أصح بعض المعلومات الخاطئة وأن أوهمهم بأن قدراتنا ضخمة وأننا قادرون على نسف آبار البترول وعلى صنع قنبلة ذرية.

وعندما أعود إلى نفسى وأتذكر كل ما قلت أجد أننى أخطأت، ولكن شفيعى فى ذلك حسن نيتى وأننى قدمت لبلادى نتيجة هذه الاتصالات خدمات عبرتم سيادتكم فى أكثر من مناسبة عن تقديركم لها.

هذه هى مجمل الأحاديث التى دارت تقريباً ويمكن تلخيص علاقاتى بالأمريكيين بأن علاقتى الشخصية كانت طيبة دائماً بالسفراء الأمريكيين فى مصر ورجال السفارة الأمريكية، وكان هدفى الوحيد دائماً من هذه العلاقات فى ذلك الوقت وفيما بعد خدمة بلادى.

وحدث بعد ذلك أن عرفنى السفير الأمريكى مستر كافرى بمستر ليكلاند الملحق السياسى بالسفارة، وهو الذى قال صلاح سالم لى بأنه يشك أنه ضابط مخابرات أمريكى، ولست أقطع بذلك، ولكن دلت أسئلته أنه فعلاً ضابط مخابرات، ولكنى كنت أتصل به بعلم الدولة.

ومنذ ذلك الحين بدأت اتصالاتى برجال السفارة الأمريكية بالقاهرة الذين أشك وتدل أسئلتهم على أنهم من رجال المخابرات الأمريكية، وكانت السلطات المصرية تعلم ذلك تماماً وتعرف بهذه الاتصالات.

وقد بدأت هذه العلاقات بطريقة مقابلات غير منتظمة، وكانت تتم فى مواعيد متغيرة وغير ثابتة، وبحضور بعض أشخاص آخرين منهم الأستاذ محمد حسنين هيكل.

وبدأت هذه المقابلات تصبح مقابلات شبه منتظمة، وكانت تتم بينى وبينهم فى بيتى على انفراد بعد طلاق زوجتى وعودتى للإقامة فى منزلى، وذلك فى أواخر سنة ١٩٦٠.

وكان يقابلنى فى ذلك الوقت مستر جون سيدل الملحق بالقسم السياسى
بالسفارة الأمريكية، وكنت أشير إلى اسمه دائماً فى اتصالاتى بسيادتكم عندما
أبلغكم الأخبار التى أحصل عليها منه

وكانت علاقتى بسيدل عبارة عن مناقشات، وكان يسأل فى خلالها بعض
الأسئلة وأسأله بعض أسئلة أخرى، ولم يحدث مرة واحدة أن أشعرنى بأنه يسأل
أسئلة محددة، وإن كان يسأل دائماً عن الحوادث الجارية ويستفسر عنها.

وفى بعض المرات كان يطلب منى إبلاغ السيد الرئيس بعض مسائل معينة، مثل
أن رئيس جمهورية أمريكا يطلب تحديد موعد لطير فيه مستر ماكلوى مندوبه
الشخصى لمحادثة الرئيس جمال عبد الناصر فى أمور هامة.

واستمر الحال هكذا بعد أن جاء إلى مصر مستر بروس أوديل الذى بدأ طريقته
فى المناقشات مثل طريقة سيدل، ثم حدث فى الشهور الثلاثة الأخيرة أن أصبح
يوجه إلى أسئلة محددة ويشير إشارات جعلتنى أشعر بصراحة بأنه يعمل فى
المخابرات الأمريكية، فقد حدث أن سألته عن عنوان بيته فى الإسكندرية فرفض،
وطلب منى عدم التردد على منزله فى الإسكندرية، كما طلب منى عندما أتصل
بمنزله وقت غيابه فى أثينا ألا أذكر اسمى كاملاً، بل أذكر مصطفى فقط، كما طلب
أيضاً أنه يريد أن تكون مقابلاته لى فى الإسكندرية غير ملحوظة لأحد، وكان عندما
يريد إبلاغ توجيهات من الحكومة الأمريكية للرئيس جمال عبد الناصر يطلب أن
أبلغها للرئيس بطريقة كأنها صادرة منى، وبدون الإشارة إليه أو ذكر اسمه.

وبهذه المناسبة أذكر أنه طلب منى أن أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر بهذا
الأسلوب ما يأتى:

١- إن الحكومة الأمريكية قررت أن لا تدفع لمصر سنتاً واحداً من المعونة إلا إذا
سحبت كل قواتها من اليمن، وإلا إذا توقفت عن مساعدة الكونغو، وإلا إذا
هادنت إسرائيل.

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد، ثم عاد وسألنى هل أبلغت الرئيس ما قلته، فكذبت عليه وقلت نعم.

٢. إن الحكومة الأمريكية قررت انتهاج سياسة القوة والحزم، قاصداً من ذلك تخويف الرئيس جمال عبد الناصر وإجباره على اتباع السياسة التى تتلاءم مع سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة.

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد، ثم عاد وسألنى فى الأسبوع التالى هل أبلغت الرئيس ما قلته لك، فكذبت عليه وقلت نعم.

٣. إشعار الرئيس جمال عبد الناصر دائماً بأن شخصية جونسون عنيفة غير مرنة ويتجه إلى الاندفاع واستعمال القوة لتنفيذ رغباته.

ثم أراد أن يؤكد هذا المعنى فأرسل لى كتاباً ألفه مستر هوايت عن الرئيس جونسون وطلب منى أن أعطى هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر.

ولم أبلغ سيادتكم هذا التهديد، ثم عاد وسألنى فى الأسبوع التالى هل أبلغت ما قلته لك للرئيس عبد الناصر، فكذبت عليه وقلت له إننى تحدثت تليفونياً مع سيادتكم وأبلغتكم كل ما قاله فى هذا الشأن.

ولم أرسل لسيادتكم الكتاب كما طلب منى.

٤. محاولة الوقعة بين مصر والاتحاد السوفيتى، فقد أعطانى عدة مرات مقالات نشرت فى عدة صحف شيوعية وسوفييتية منها ما يمس مصر وطلب منى إرسالها للرئيس جمال عبد الناصر، وكان المقصود بها الوقعة بين مصر والكتلة الشرقية، ولم أرسل لسيادتكم هذه المقالات، وكذبت عليه وقلت إننى أبلغتها لسيادتكم تليفونياً.

٥. محاولة الإيقاع بين مصر والدول العربية، وأذكر فى هذا المجال ما قاله من أن الملك فيصل صرح بأن اليمن ستكون مقبرة للرئيس عبد الناصر.

٦. الإشعار دائماً بعجز مصر المالى، فقد طلب منى أن أبلغ سيادتكم بأن بنوك

العالم قررت أن لا تعقد قروضا لمصر إذا ثبت أن الولايات المتحدة لن تستأنف إرسال المعونة.

ولم أبلغ سيادتكم هذا الخبر، سألنى بروس بعد ذلك بأسبوع فكذبت عليه وقلت نعم أبلغت الرئيس.

وتنحصر باقى أهدافهم علاوة على إيصال هذه التوجيهات إلى سيادتكم فى الحصول على معلومات بعضها سياسى وبعضها عسكرى وبعضها اقتصادى.

وقد كنت أرد على أسئلة بروس بإجابات مضللة وغير صحيحة فى رأى، ولكى أضفى عليها صفة الأهمية كنت أنسبها أو بعضها إلى أحاديث مزعومة مع سيادتكم وإلى بعض المسئولين المهمين.

وكانت إجاباتى على الأسئلة كلها توهمه بأن مصر فى حالة سيئة، وأنه على وشك أن يحدث فيها انقلاب شيوعى ضد الرئيس جمال عبد الناصر وأنه قلق، وأن هناك خلايا سرية فى الجيش، وأنه لو أصيب عبد الناصر فى حادث اغتيال فسوف يحدث فى مصر انقلاب شيوعى وتعمم الشيوعية فى المنطقة كلها، وإننى أرغب فى الحصول على أجازة طويلة حتى لا أتعرض لخطر الشيوعية فى حالة حدوث انقلاب شيوعى.

إن هذا التصرف من جانبى دون توجيهات من سيادتكم كان خطأ، وأننى أعترف بخطئى، إلا أن دافعى من هذا أن أستدرجه لأحصل على أكبر قسط من المعلومات مما يفيد البلاد، ولا أمكنه من الوصول إلى أهدافه.

فاتنى أن أذكر فيما يختص بسيادتكم أنه طلب منى فى إحدى المرات - ولا أنكر التاريخ - نص خطاب سيادتكم فى الجلسة السرية لمجلس الأمة، ورغم أننى تظاهرت بأننى سأحضره إلا أن الحقيقة أننى لم أسلمه إليه.

بقى موضوع آخر أحب أن أوضحه على حقيقته بصراحة تامة مهما كان يتضمن من أخطاء، وهو العلاقات المالية مع الأمريكين.

فقد حدث أن قال لى بروس أنه لو أراد أن يكون مليونيراً لاستطاع ذلك، فإن كثيرين من الدبلوماسيين يعملون فى التهريب ويربحون أرباحاً طائلة، وبعد ذلك طلبت إليه أن يأخذ خمسة آلاف جنيه مصرى ويحولها إلى لندن، فقال إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك لأن تعليمات السفير مشددة فى عدم جواز ذلك، ولكن ممكن أن يحولها لى بصفته الشخصية بواسطة صديق له يسافر إلى بيروت، وفى هذه الحالة يجب أن تحول أولاً إلى ليرات ثم بعد ذلك إلى جنيهات إسترلينية، وذلك نظير عمولة بسيطة وأن يتم البيع فى السوق السوداء.

وفى حديث آخر عدت إلى مناقشة هذا الموضوع معه وأشعرنى أولاً أنه لا يستطيع أن يجزم أن فى مقدوره أن يقوم هو بهذا العمل، بل يجب عليه أن يسأل أولاً عن إمكانية ذلك، وبعد ذلك أفهمنى أنه يستطيع تنفيذ ما أطلب منه.

وعليه سلمته خمسة آلاف جنيه مصرى فى شهر مايو وطلبت منه أن يودع المبلغ فى بنك ميدلاند فى لندن، وأبلغنى بعد ذلك بثلاثة أسابيع تقريباً أنه تم إيداعها فعلاً فى البنك المشار إليه فى لندن.

ثم بعد ذلك سلمته خمسة عشر ألف جنيه على دفعتين، دفعة عشرة ودفعة خمسة، واتفقنا على أن يحولها إلى بيروت إلى ليرات لبنانية ثم دولارات ويفتح حساباً لى باسمى فى بنك بيروت، وقد أفادنى بأنه باع هذا المبلغ فعلاً فى السوق السوداء إلا إنه قد باع المبلغ بسعر زهيد بسبب إغراق سوق بيروت بالجنيهات المصرية، حسب ما ذكر لى، نتيجة المؤتمر الفلسطينى فى القاهرة.

وكان المفروض أن يبلغنى يوم القبض على باسم البنك الذى أودع فيه فى بيروت المبلغ، ولكن عملية القبض حدثت قبل ذلك.

وعندما تقرر سفر أخى على أمين مندوباً متجولاً فى أوروبا مركزه لندن، رأيت أن مما يفيد أنه تكون له اتصالات بأكبر عدد من الدوائر فيها، خلاف الدوائر البريطانية، وأعتقد أن على أمين يستفيد صحفياً من أن تكون له علاقات طيبة مع السفارة الأمريكية فى لندن باعتبارها مركز أخبار هاماً نظراً لنفوذ أمريكا فى أوروبا.

وفى مقابلة لى مع بروس فى أوائل شهر مايو من هذا العام، أخبرته بالموعد الذى سيسافر فيه على إلى لندن، وأنه تقابل مع الملحق الصحفى البريطانى فى القاهرة الذى أبلغه ارتياح السفير البريطانى لوجود شخص يمكن أن تتحدث معه الحكومة البريطانية، إذا أنهم لا يرتاحون للاتصال مع السفارة المصرية هناك. وأنه سيتقابل مع السفير البريطانى بعد ذلك.

وقد سألتنى بروس فى هذه المقابلة إن كان يعرف على أمين حقيقة عمل بروس وجماعته، وهل سبق له أن اتصل بأحد من المخابرات الأمريكية، وسألتنى إن كان على أمين يعرف اسم بروس وإن كان لم يقابله، فأجبتته بالنفى.

وقد سألتنى بروس هل يقبل على أمين أن يتصل بالمخابرات الأمريكية، فقلت إن على أمين يرحب بالاتصال بهم كصحفى.

وفى مقابلة أخرى مع بروس أخبرته أن على أمين تقابل فعلاً مع السفير البريطانى بالقاهرة وتكلم عن موضوع التعويضات البريطانية كأحد المشاكل القائمة بين البلدين، ثم فى المقابلة التالية بعد ذلك بأسبوع ذكرت لبروس على لسان سيادتكم أنكم قلتم لعل على أمين فى المقابلة التى تمت معكم أنكم تعتبرون على أمين السفير فى لندن، وأنكم أمرتموه بأن يبعث برسائل يقوم بإرسالها عن طريق السفير باسمكم مباشرة إن كانت على مستوى عال من السرية، أو باسم سامى شرف بالنسبة للرسائل الأخرى، على أن تكون فى مظاريف مغلقة ومختومة، وهى غير الطريقة المتفق عليها كما تعلمون سيادتكم.

وقد تقابلت مع بروس بعد ذلك فوجدته يسألتنى عن إمكانية مقابلة على خارج لندن، فأجبتته بأن ذلك ممكن. فقال إنهم يخشون أن تحس المخابرات الإنجليزية بمقابلتنا مع على أمين، فاقترحت عليه أن يقول الشخص الذى سيقابله أنه من طرفى وأن مصطفى قال إنك تقابلنا خارج لندن إذا حصلت على دعوة والتذاكر. وقد سألتنى هل ناقشت هذا الموضوع مع على أمين قبل سفره وإنه من الممكن أن يتقابل مع أحد من المخابرات الأمريكية، فأفدته بالإيجاب. ولكن الحقيقة يا سيادة

الرئيس أننى لم أقاتح على أمين فى هذا الموضوع. وحدث فى هذه المقابلة أن تحدثنا فى إمكانية التعرف بعلى أمين فى لندن، فاقترحت أن يتصل به رجلهم تليفونيا، وإذا به يرفض ذلك بشدة معللاً أن هذا سوف يثير شكوك المخابرات الإنجليزية.

وفى الأسبوع التالى سألتنى بروس إذا كنت أذكر شخصاً كان فى القاهرة سنة ١٩٤٤ اسمه أرشيبالد روزفلت، فقلت له نعم. فقال بروس إنه يعرفنى وشقيقى على، وذكر أن أرشى هو رجلهم فى لندن، وتساءل إذا كان على سوف يذكره، فأفدته أنى أعرف روزفلت وأنه صديقى، ولكن لا أعرف إذا كان على سوف يذكره، فاقترح أن أكتب خطاباً يحمله أرشى إلى على حتى يتم التعارف أو يتذكره.

ونكرتنى هذه الحادثة أن المخابرات الأمريكية ليست واثقة إن كان الإنجليز يعرفون حقيقة عمل أرشى روزفلت، وإنه على أى حال يجب أن تلفت مقابلاته مع على أمين أنظار المخابرات الإنجليزية. وذكرت له أن على أمين سوف يكون شخصية مهمة فى لندن، وإنه سيقوم بكثير من الاتصالات الهامة، وضربت مثلاً بالسفير السعودى والسفراء العرب.

وتكلمنا فى الخطاب الذى أرسله إلى أرشى. وفعلاً كتبت الخطاب وذكرت فيه أن الذى يحمل هذا إليه هو الصلة، وأنه يمكنه الاعتماد عليه كما اعتمدنا على ابن عمه فى كل ما يريد. وذكرت فى الخطاب خروج الشيوعيين من الصحافة، وأن هذا سوف يتأخر إلى شهر سبتمبر تقريباً، لكن التغييرات مرتقبة فى الاتحاد الاشتراكى، وأن الرئيس جمال عبد الناصر سوف يسافر إلى الجزائر فى آخر هذا الشهر، ثم يسافر بعد ذلك إلى يوجوسلافيا، وإنى لا أتوقع حدوث أى تغييرات فى الصحافة قبل ذلك الوقت، كما أننى علمت من الصحفى الأستاذ السعدنى أنه أصبح عمدة لندن (المقصود على أمين) وأنه أصبح معروفاً، وذكرت له رأى فى كتاباته الأخيرة.

كان هذا الخطاب بتاريخ ١٦ / ٦ / ١٩٦٥، ومحرراً باللغة العربية، وسلمته إلى بروس ليرسله إلى أرشى روزفلت.

حدث بعد ذلك فى المقابلة التالية أن ذكر لى بروس أنه تلقى رسالة يسألونه فيها إن كان على أمين قد وصل إلى لندن من عدمه، وأنه رد عليها بأنه وصل فعلاً وأن عنوانه فندق هيلتون فى لندن.

وفى مقابلة لى مع بروس فى آخر شهر يونيو أخبرته بأن على أمين اتصل بى تليفونياً يوم الأحد السابق وأنه لم ير أرشى روزفلت بعد، وسألت على إن كان قد تلقى خطابى فأفاد بالنفى، وقد قال لى بروس لا تندهش من هذا، فإننى أرسلت الخطاب ويجب أن يمر على ست جهات مختلفة قبل أن يصل إلى أرشى، وفى المقابلة التى تلت ذلك فى ٧ / ٧ ذكر لى بروس خلال مقابلتى معه أنه لا يستطيع أن يؤكد إن كان أرشى قد تقابل مع على أو لا حتى ذلك التاريخ.

وأحب أن أذكر سيادتكم بأننى كنت دائماً على اتصال بالأمريكيين ومنهم من يعملون فى المخابرات الأمريكية، وأن هذا تم بعلم سيادتكم، وأن مهمتى التى وافقتهم عليها عدة مرات، ووافقتم أن أقوم بها، هى أن أحاول أن أحصل على معلومات وأن أفهم سياستهم نحونا، وأن أحصل على برقيات سرية منهم بالطريقة التى أراها.

وفى الوقت نفسه وافقتم سيادتكم على أن أولف داخل أخبار اليوم جهازاً لجمع المعلومات، وقد قدم هذا الجهاز لسيادتكم معلومات كثيرة ومتعددة فى كثير من النواحي كانت موضع رضاء سيادتكم، وأنه بعد إتمام تنظيم الصحافة سألت سيادتكم أن أستمّر فى القيام بهذه العملية، فأجبتكم بالإيجاب، ثم حدث أن سألتكم مرة أخرى بعد أن عينت رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم هل أستمّر فى هذه العملية أم لا، فأمرتمونى سيادتكم بأن أستمّر فيها.

ولقد كان هذا الجهاز مؤلفاً من مخبرى أخبار اليوم، ولقد حدث أكثر من مرة أن وافقتم سيادتكم على إفاد عدد منهم فى مهمات فى سوريا أثناء الوحدة

وفى العراق وفى الأردن وفى غيرها، وكنت أرسل لسيادتكم تقاريرهم المهمة، وكثيراً ما تفضلتم سيادتكم وأبديتم رضاؤكم عن عملية جمع المعلومات التى يقوم بها الجهاز، وكنت أحاول باستمرار أن أجعل سيادتكم على علم تام بما يدور وبما نحصل عليه من أشياء، وكنت أتحدث إلى سيادتكم يومياً تقريباً وأبلغكم أولاً بأول بكل جديد.

ثم حدث بعد ذلك أن انقطع اتصالى التليفونى اليومى بسيادتكم، ومع ذلك فقط حدث أكثر من مرة أن اتصل بى الأستاذ سامى شرف وسأل عن معلومات وطلب جمعها، وأذكر على سبيل المثال مسألة إضراب سائقى التاكسى، وعندما كنت أتحدث مع سيادتكم عن هذا الجهاز، والأخبار التى حصل عليها سواء فى مصر أو خارجها، كنت أشعر باستمرار أن سيادتكم لا تعارضون فى هذه العملية، بل على العكس تؤيدونها وترحبون بها.

ولم يكن أحد من أعضاء هذا الجهاز يعلم أنه عضو فى جهاز سرى لجمع المعلومات، ولم يكن أحد منهم يعلم أن هذه المعلومات تصل إلى سيادتكم، وكانت هذه المعلومات بطبيعة الحال فى بعض الأحيان ليست صالحة للنشر، أو غير مسموح بنشرها بطبيعة الظرف الذى حصل عليها فيه، أو مصدره، أو لسريتها.

فى أثناء مقابلاتى للأمريكيين، وبعضهم يعمل فى مخابراتهم، كنت أستفيد من مناقشاتى لهذه المعلومات لأصحح الصورة الخاطئة لديهم، أو لإقناعهم بأننى فى بعض الأحيان أؤس عليهم معلومات صحيحة وسط المعلومات غير الصحيحة، حتى لا يفقدون الثقة فى.

وقد حدث فى نهاية اتصالى بمستر بروس، وأكاد أجزم بشهر مايو الماضى، إنه لأول مرة فى أحاديثى معه أننى وجدته فجأة يلح فى معرفة مصادر الأخبار التى تجىء فى الحديث، فكنت أدعى أنها من سيادتكم فى كثير من الحالات، أو من مسئولين كبار، وذكرت مثلاً اسم شمس بدران، وحاتم، وكولونيل فى الجيش، ومندوب لى فى مجلس الأمة ومندوب لى فى المطار، وبومدين، وعبد الحميد السراج،

قاصداً من ذلك أن أوهمه بقيمة هذه الأخبار، وكثير منها غير صحيح، هذا علاوة على قدرتي في التحليل السياسى.

وقد كنت قبل تأميم الجريدة أكافئ هؤلاء الناس مكافآت أكثرها من الجريدة، وبعضها من جيبى، وعندما أمتت الجريدة لم أدفع أى مكافآت من الجريدة ولم أدفع مليماً واحداً من جيبى الخاص.

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق فى دودة القطن لتضارب المعلومات التى تصل إلى سيادتكم، اخترت حوالى العشرين محرراً مهمتهم جمع المعلومات السرية عن الحالة فى الأقاليم.

وعندما أمرتم سيادتكم بأن أقوم بتحقيق عن الانتخابات وعن المرشحين واتجاهاتهم وعن المعركة الانتخابية، أوفدت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية.

وعندما كان البعثيون فى القاهرة كلفت عدداً من المحررين للقيام بهذه المهمة السرية، وهى تتبع أخبارهم وتصرفاتهم فى القاهرة.

وأذكر أننى استفدت فى الفترة الأخيرة فى مناقشاتى مع بروس من تقارير بعض هؤلاء الذين كنت أستعين بهم فى جهاز المعلومات السرى، وكانوا يرسلون تقاريرهم لى إما إلى الجريدة، أو يرسلونها إلى مباشرة داخل مظاريف مغلقة للعلم.

فمثلاً مصطفى سنان كان مكلفاً - بصفته مندوبنا فى نيابة أمن الدولة وأحد موظفيها السابقين - بقضايا الشيوعية التى لم يكن قد صرح بنشرها بعد.

وفى مجلس الأمة اعتمدت على تقارير قدمها أحمد نجم عضو مجلس الأمة، والذى عينه الأستاذ خالد محيى الدين لتغطية أخبار اللجان فى المجلس بمكافأة شهرية قدرها أربعون جنيهاً، والأستاذ أحمد يونس عضو مجلس الأمة وشقيق الأستاذ إسماعيل يونس المحرر بأخبار اليوم، ومما أذكره لهذه المناسبة أنه لما طلب منى بروس نص حديث سيادتكم فى مجلس الأمة، كان عندى هذا عن طريقهما - نجم ويونس - إلا أننى لم أسلمه إليه كما يظهر ذلك فى التقارير المضبوطة.

وأمدنى محمود عوض مندوب أخبار اليوم بالجهاز المركزى للتنظيم والإدارة،
بخبر عن الجزائر ذكر أنه استقاه من برقية بالشفرة، وأعلم تماماً أن هذه البرقية غير
صحيحة.

أما ما قلته عن وجود كولونيل فى الجيش فهو غير صحيح إطلاقاً، وقد كنت
أخدع بروس فى هذا.

أما مصادر حديثى فى موضوع عدم زيادة قواتنا فى اليمن، وغيره مما يتعلق
بالنواحى العسكرية، فإن بعضها الأول كان كلاماً لم يحدث يعبر عن استنتاجى
الشخصى، وبعضها كان يثار من المحررين خلال مناقشات مجلس التحرير.

أما بخصوص المكافآت التى كانت تصرف للمحررين منهم فقد كانت أغلبها عن
طريق الجريدة، وهذا يمكن حصره عن طريق الكشوف والتى أمرت أنا بصرفها.
وأنى منذ تأميم الصحف لم أدفع مليمًا واحداً من جيبى لأحد هؤلاء ولا غيرهم. وإن
كان قد حدث قبل التأميم أن دفعت من جيبى مبالغ صغيرة ولا أذكر قيمتها نظراً
لبعد المسافة من أيام تأميم الصحف سنة ١٩٦٠ إلى اليوم، وإن كان الذين قدموا
هذه المعلومات بعد ذلك استمروا فى القيام بما أكلفهم به بغير أى مكافأة.

ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا المجال أننى لم أعلم أحداً بأمر هذا التنظيم،
ولا أحد من أعضائه، بأى شخص، لا للذين يعملون فى جهاز المعلومات أنفسهم،
ولا للمسئولين الذين تعاقبوا على الجريدة.

وأذكر أن ممن أمرت لهم بمكافآت منتظمة، لأسباب صحفية لا علاقة لها بجمع
أخبار أو معلومات وإنما لقيامهم بأعمال فوق أعمالهم، نواب رؤساء التحرير أحمد
زين ولطفى حسونة ووجدى قنديل وسعيد سنبل وقيمتها ١٠ جنيهاً لكل منهم
شهرياً، وسامى جوهر ١٠ جنيهاً فى مقابل سهره فى الجريدة فوق عمله، ونبيل
عصمت فى مقابل سهره فى أخبار اليوم فوق عمله بالأخبار، وقد انقطع هذا المبلغ
عنهما عندما توقفا عن السهر، أما إبراهيم سعدة^(١) فلم أدفع له مكافآت، وهو مكلف

(١) رئيس تحرير أخبار اليوم الآن .

بالقيام بأعمال مخابرات بناء على اتفاق بينى وبين السيد صلاح نصر مدير المخابرات.

وعندما سافر على أمين إلى لندن فكرت فى أن أرسل إليه جميع أوراقه وكتبه ومجموعات فكرة منذ ظهورها عام ١٩٥٢ إلى اليوم، وخطاباته الخاصة، ومجموعات مشروعات كتب كان يريد إصدارها ولم يراجعها بعد.

وخطر فى بالى أن أكلف بروس بأن ينقلها لى إلى لندن بأسرع وقت.

ففى يوم ٢٦ مايو قلت لبروس إن عندى ورق فى حقيبة، وأن عندها حقيبتان، وسألته هل من الممكن أن أرسلهما إلى بيروت، فأ مهلتنى حتى يأخذ الرد. وقال إنه سيسأل جماعته إذا كان هذا فى الإمكان نقلها. وقلت له إننى أريد أن أرسلها لأخى على أمين. فسألنى هل على أمين فى حاجة إليها الآن، فقلت نعم إنه يحتاجها، ولقد يكون فى خلال سنة، وكانت وجهة نظرى بأن على أمين يقيم فى الفندق لمدة ستة أشهر على الأقل، وإنه سوف ينقل إلى بيت بعد ذلك.

وفى خلال الحديث قلت له هل من الممكن أن آخذهم معى عند سفرى أم لا؟

فاعترض على ذلك وقال لا.

فأفهمته إنها عبارة عن أوراق مهمة.

وفى مقابلة ٦/٢ سألتها عما إذا كان قد تلقى رداً بخصوص نقل هذه الأوراق، فأجابنى بأنه يمكنه أن يأخذها ويرسلها للخارج، وسأل أين يجب أن يرسلهم، فسألته عما إذا كان من الممكن أن يرسلها إلى بيروت للأستاذ سعيد فريجة، وسألته هل هو شخص مؤتمن؟ فأجاب بالنفى معلقاً بأنه لا يدري ما سوف يفعل سعيد فريجة بمثل هذه الأوراق إذا حصل عليها، وقال إنه مندهش كيف إننى أحتفظ بهذه الأوراق فى بيتى، فأبدت رغبتى فى نقلها بسرعة، فسألنى أين أحتفظ بها، فقلت إنها موجودة فى بيتى وإننى حريص على نقلها بسرعة.

وفى مقابلة بعد ذلك بأسبوع مع بروس، سألتها متى يحضر سائقى بالأوراق، فقال إننى أخذت وقتاً طويلاً وأن عائلته ستسافر إلى الإسكندرية واقتراح أن أرسل

الأوراق إليه فى اليوم التالى، وأنه سيخلى منزله من الخدم، وطلب أن يحضر السائق بعد المغرب فى الساعة الثامنة والنصف مساءً يوم ٢٤ / ٦ / ١٩٦٥، وقال إنه سيترك باب الجراج مفتوحاً وأن على السائق أن يدخل مباشرة داخل الجراج، وفى الدقيقة التى سيصل فيها السائق سيخرج ويقفل باب الجراج.

ونذكر أن الأميرة دينا تسكن إلى جواره وأن لديها حارسين أحدهما من رجال البوليس، والثانى من رجال عبد الناصر، وقال بروس لى: قد يكون هذا ليعرفوا من (يقابلها). وقلت لبروس إننى سأخبر السائق أن هذه كتب على. وقد طلب منى بروس أن أطلب إلى السائق أن يدخل الجراج بظهر السيارة، وأن يُدخل السيارة بكاملها داخل الجراج.

وقد أرسلت له الحقائق فى الموعد المحدد كالنظام المتفق عليه، وكان عددها أربع حقائب حجمها ٨٠ فى ٥٠ فى ٤٠ تقريباً من حقائب الملابس، وكانت تحتوى على خطابات على أمين الخاصة، ومجموعات من مقالات على أمين، ومجموعات من فكرة، ومذكرات عن ثورة ١٩١٩ وحركة محمد فريد، وصورة فوتوغرافية.

وحدث فى اجتماع بينى وبين بروس تم بين منتصف أبريل وأوائل مايو، أو حوالى ذلك، أن قال لى بروس إنه تلقى تقريراً من ليبيا يثبت أن الناصريين فى البلاد العربية أصبحوا أضعف من أن يقتلوا ذبابة، وإن الشبان القوميين فى ليبيا كانوا فى الماضى متحمسين لناصر، وكانوا يريدون أن ينتهزوا فرصة وفاة الملك إدريس ليقيموا بضم ليبيا إلى مصر، ولكن هؤلاء الشبان أنفسهم تحولوا بعد اكتشاف البترول فى ليبيا وتدفقه وانقلبوا إلى فكرة أن ليبيا لليبيين، وبذلك أصبح ناصر لا يجد فى داخل ليبيا أعواناً لهم قيمة، بل إن الليبيين أصبحوا يكرهون المصريين ولا يثقون بهم ويعتقدون أنهم يريدون الاستيلاء على ليبيا وأخذ خيراتها، وأن حكومة الملك تزداد قوة ونفوذاً.

وفى شهر مايو تقريباً كنا نتحدث أنا وبروس فقلت له إن شيئاً مهماً قد حدث وهو انفجار آبار البترول فى ليبيا، وأنه أثناء حديثى مع سيادتكم سألتهمونى ماذا أعتقد عن كون وراء هذا الانفجار، ولا بد أن يكونوا هم المصريون، وأن نتيجة

الانتخابات كانت ضدنا، وأن أنصار مصر والناصرين قد سقطوا فى الانتخابات، وإننى قلت إن هذا محتمل، وإن أنصار الحكومة الليبية كانت توهم أنها هزمت الناصريين فى هذه الانتخابات، وأضفت إلى حديثى مع بروس أننى برغم هذا الحديث مع الرئيس إلا أننى تلقيت معلومات جديدة تفيد أن المصريين هم الذين فجروا الآبار وأن بعضهم يجرى التحقيق معهم، وأن الذى رتب هذا هو عزت سليمان، وأنه وكيل صلاح نصر، وأنه كان المسئول عن تهريب الرجال إلى الجزائر.

فذكر بروس أن الرئيس جمال عبد الناصر قطع بأن المصريين لم يشتركوا فى هذه العملية - أى عملية نسف آبار البترول، فأكدت له أن منظم العملية هو عزت سليمان، وأن قول الرئيس قد يكون صحيحاً إذ إن الذين نفذوا عملية النسف قد يكونون من غير المصريين وبتخطيط وتوجيه عزت سليمان، وأن هذا رد على إسقاط الناصريين فى ليبيا.

وإننى أذكر لسيادتكم أننى التقيت بمستر كيم روزفلت ومستتر أرشى روزفلت عام ١٩٤٤، وذلك فى مكتبى فى مجلة الاثنين التى كنت رأس تحريرها، والذى قدمنى لهما هو الدكتور فؤاد صروف عميد الجامعة الأمريكية فى ذلك الوقت.

وجاء الحديث فى ذلك حول أن كيم يؤلف كتاباً عن منطقة الشرق الأوسط والبترول العربى، وأنه سيستغرق عدة سنوات لإعداد هذا الكتاب.

وقد سألتنى خلال هذا الحديث عن رأى فى سياسة أمريكا فى المنطقة، فقلت له إن أمريكا لا سياسة لها، وإنها تسير فى ركاب الإنجليز ضد الشعب المصرى، فقال كيم إننا فى حرب، ومشاكل مصر لا قيمة لها فى عملية كسب الحرب، فسألته لماذا وقفت أمريكا ضد مصر فى حادث ٤ فبراير وأيدت فرض رئيس وزارة على مصر بالدبابات، فقال لى كيم إن على ماهر عميل ألمانى وإن الملك فاروق عميل ألمانى، وإن لديهم من الوثائق ما يؤكد هذا، وإن هناك خطابات سرية ضبطت تدل على أن المراسلات السرية مع ألمانيا تدور بواسطة شاه إيران، وإن السفير الأمريكى لو كان محل السفير البريطانى فى هذا الموقف لا اتخذ خطوات أعنف.

وكان كيم وقتها يرتدى ملابس عسكرية كضابط فى الجيش الأمريكى، ولا أنكر رتبته، ولم يتكلم أرشى فى أثناء مناقشتى مع كيم، وكان يرتدى أيضاً ملابس عسكرية كضابط بالجيش الأمريكى.

كان هذا سنة ١٩٤٤، ولم يحدث بعد ذلك أن تقابلت مع أحدهما أو مع مندوب عنهما، كما لم يحدث فى خلال هذه المقابلة أى اتفاقات أو ارتباطات بمواعيد لاحقة.

ثم حدث أن أقام مستر كافرى مأدبة غداء أو عشاء لا أنكر، وكان ذلك بعد سنة ١٩٥٠، فتقدم إلىّ خلال هذه الدعوة كيم ويده فى يد مستر كافرى السفير الأمريكى، وكان فى ذلك الوقت شخصاً مدنياً، وسألنى كيم إذا كنت أنكره، وكنت فى ذلك الوقت صاحب جريدة أخبار اليوم ومجلة آخر ساعة، وكنا نهاجم سياسة الوفد والنحاس، فأجبت أننى أنكره وأن شكله لم يتغير، وتحدثنا على ما أنكر فى استنكاره سياسة أخبار اليوم فى مهاجمة النحاس، وأن هذا يغير الموقف الدولى ولا يساعد على مقاومة الشيوعية فى المنطقة، فقلت له إن الفساد هو الذى يؤدى إلى نشر الشيوعية، وإننا نحارب الفساد، وانتهت هذه المقابلة دون ارتباط.

ولكنى أنكر هنا أننى شعرت بأهميته غير العادية بالطريقة التى كان يمسك بها يد السفير، وكان كافرى مشهوراً بالعجرفة الرسمية.

وبعد تشكيل وزارة على ماهر بعد حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كنت موجوداً عند رئيس الوزارة فى ذلك الحين، ودخل السكرتير يعلن وصول مستشار الرئيس أيزنهاور، وقد بدت على على ماهر مظاهر الاهتمام بالضيف الكبير وطلب منى الانتظار فى غرفة السكرتير حتى تنتهى زيارة هذا الشخص، فإذا به كيم روزفلت، ولكنى لم أحضر المقابلة وعلمت بعد ذلك من رئيس الوزراء بأنه كان يتحدث فى موضوع استئناف المفاوضات مع إنجلترا، وكان هذا أول اتجاه لأمريكا للتدخل فى سياسة مصر.

ودعيت بعد ذلك فى إحدى الحفلات ووجدت أن كيم موجود فيها، فتوجهت إليه بعد أن عرفت من على ماهر أهميته، وتحدثت إليه عن مقابلته لرئيس الوزارة، وقد

ذكر لى أن أمريكا مهتمة باستئناف المفاوضات التى انقطعت بين مصر وبريطانيا، وأن لندن مستعدة أن تذهب إلى نصف الطريق .. انتهت المقابلة.

وكان كيم قد حضر إلى مصر فى هذه المرة فى مهمة قصيرة لا تزيد على يومين. ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وحضر كيم إلى القاهرة أيضاً فى مهمة للاتصال بقائد الثورة، ولم أقابله فى هذه المرة، ولكنى عرفت بحضوره من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة.

وزاد ترده على القاهرة بعد ذلك فى مهام كثيرة، وقد قابلته فى أغلب المرات، وسيادتكم تعلمون أننى قابلته كثيراً فى هذه المرحلة.

والحقيقة أننى كنت أسعى إلى لقائه عندما أعلم بحضوره، وكنت أجمع به فى حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل، وكنا نتغدى معاً فى بيتى، وقد توطدت علاقتنا به.

وكانت مناقشاتنا تدور حول المشاكل التى تدور فى الأذهان، وجرى حديث أيضاً عن محمد نجيب، ورأينا أنه لا يصلح، وكانت هذه المرحلة خلال الفترة من سنة ١٩٥٣ إلى ١٩٥٤.

وكان كيم روزفلت على اتصال وثيق بالثورة، وكان يقوم بنشاط واسع فى هذا المجال لدرجة أنه كان فى ذلك الوقت الأمريكى صاحب أقوى نفوذ من الأمريكين فى مصر، بما فيهم السفير الأمريكى.

ولعل سيادتكم تذكرون أنكم اتصلتم بى تليفونياً فى أحد الأيام ورويت لى المشادة التى وقعت بينكم وبين مستر بايرون السفير الأمريكى فى منزل الدكتور أحمد حسين، وكيف أنه نتجت عن هذا أزمة بينكم وبين السفير، وكيف استفدت من علاقتى بكيرميت روزفلت الذى تصادف وجوده فى تلك الليلة، وبصرته بأثر هذا الحادث السيئ على أمريكا، واستطعنا أن نرغم بايرون على الاعتذار، وكيف أن السفير الأمريكى ذهب صاغراً إلى المشير عامر راجياً متوسلاً أن تقبلوا سيادتكم

اعتذاره الرسمي وأسفه الشديد عما حدث، وهو أمر لم يحدث له مثيل فى تاريخ سفراء أمريكا.

ومع ذلك ونتيجة للاتصالات المستمرة مع أصدقائنا الموجودين فى القاهرة مثل إيكل بيرجر ومايلز كوبلاند، أمكن تحويل بايرود إلى رجل آخر كما تذكرون، وأصبح موقفه مع بلادنا طيباً بشهادة سيادتكم، واختلف بايرود مع حكومته بسبب حماسه لسياسة عبد الناصر، وأخرجه مستر دالاس وزير الخارجية من منصبه وأنزله إلى سفارة من الدرجة الثالثة.

وتذكرون سيادتكم كيف أننى استطعت أن أعرف من إيكل بيرجر أن الرئيس أيزنهاور أرسل مندوباً خاصاً لمقابلتكم، هو جورج ألن، بعد صفقة الأسلحة، وأنه سوف يفاجئكم بإنذار من أمريكا.

ويومها قلت كلمتك المشهورة أنه إذا حدث وقدم لكم مندوب أيزنهاور هذا الإنذار فسوف تطردونه من مكتبكم، وقد أبلغت هذا إلى إيكل بيرجر وكيم روزفلت، وكان موجوداً فى القاهرة وقتئذ، وأفهمتهم أن مثل هذا الإنذار سيجر كارثة عليهم.

فما كادوا يسمعون كلمة سيادتكم حتى اضطر مندوب أيزنهاور أن يؤجل مواعده ٢٤ ساعة حتى يرجع إلى حكومته ويبلغها أنكم تنوون طرده من مكتبكم، وعلى الأثر أبرقت إليه حكومته تطلب إليه أن يقابل سيادتكم دون أن يقدم الإنذار.

استمرت علاقتى مع كيم روزفلت على هذا، عندما يحضر فى مأموريات قصيرة، وكانت مأمورياته متعددة فى مهمات تتعلق باتصالاته مع رجال الثورة، وكنت فى كل مرة يحضر فيها أتقابل معه، وذلك إما عن طريقى بالمبادأة فى الاتصال، أو هو يتصل بى فى بعض الحالات، وكنا نجتمع أيضاً فى منزلى فى وقت الغداء فى حضور الأستاذ حسنين هيكل، وكان الأستاذ هيكل يشغل وظيفة رئيس تحرير الأخبار وأخبار اليوم فى ذلك الوقت.

ولا تزال علاقتى به - كما تعلمون - قائمة بمعنى أنه إذا حضر أتصل به.

أقرر هنا أن اتصالاتى مع كيم روزفلت لم تحدث إلا فى خلال فترات حضوره

فى القاهرة والمرات التى سافرت فيها إلى أمريكا، وكنت فى كل مرة أسافر فيها إلى أمريكا أحرص على لقائه، وفى بعض المرّات لم أقابله لتغيبه.

هذا بشأن كيم روزفلت.

أما بخصوص مستر ليكلاند، والذى ذكر لى المرحوم صلاح سالم أنه يعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكى، والذى شككت من بعض تصرفاته وأسئلته أنه يعمل بالمخابرات، وقد عرفنى عليه السفير الأمريكى كافرى خلال إحدى حفلات السفارة، والذى كنت أتناقش معه فى المسائل السياسية، وكان هذا الرجل ذو نفوذ على السفير ومصدر قوة لا يتفق مع وظيفته فى السفارة، وكان على علاقة وثيقة بأعضاء مجلس الثورة فى مصر.

استمرت مقابلاتى مع ليكلاند، وكانت تتم إما فى مكتبى بدار أخبار اليوم، أو فى مكتب الأستاذ حسنين هيكى بأخبار اليوم، وكنا نتناش فى الموضوعات السياسية ونتبادل وجهات النظر فى سياسة بلدنا. وقد استمرت هذه العلاقة حتى انتهاء مهمته فى القاهرة. ولا أذكر على وجه التحديد تاريخ مغادرته مصر.

وأذكر فى خلال علاقتى هذه مع مستر ليكلاند أن تعرفت عن طريق مراسل الأسىوشيتد برس بالقاهرة فى ذلك الوقت فى سنة ١٩٥٤ بالمستر إيكى بيرجر، وهو مستشار بالسفارة الأمريكية، وكانت مناقشاتى معه تدور حول السياسة أيضاً، وكان يعرف علاقتى بمستر ليكلاند، وإن كنا لم نجتمع ثلاثتنا إلا فى حفلات كبيرة.

وتعرفت فى هذه الفترة أيضاً بمستر مايلز كوبلاند ضابط المخابرات الأمريكى وكان يعمل فى سفارتهم بالقاهرة، وعرفنى به وزير زبى نائب مدير مكتب الاستعلامات الأمريكى بالقاهرة فى ذلك الوقت، وكانت علاقتى به جيدة وكان يحضر إلى مكتبى، وأحياناً فى منزلى.

واستمرت علاقتى مع مايلز كل فترة وجوده بالقاهرة، وبعد أن انتقل إلى بيروت وعمل مديراً لإحدى الشركات الأمريكية هناك. ولا زلت أتعامل مع مايلز كوبلاند،

كما تعلمون سيادتكم، فى كل مرة يحضر فيها إلى القاهرة أو أتوجه فيها إلى بيروت، وإن كانت مقابلات بيروت لم تزد على مرتين، وكان يطلب منى خدمات، وهى أن أتوسط لدى سيادتكم فى مسائل تجارية، ولم أتحدث إلى سيادتكم بخصوصها، وهى بشأن شراء مصر لماكينات حسابات للحكومة المصرية على حساب المعونة الأمريكية. وفى بعض الأحيان يكتب إلى طالباً تحديد موعد لمقابلة سيادتكم.

وكانت محادثاتي مع مايلىز كوبلاند تتصف بنفس الأسلوب، وهى المناقشات السياسية، وهو يطوف المنطقة بعد سفره إلى بيروت.

ولاحظت عند مقابلتى الأخيرة له فى بيروت أنه واسع النشاط والاتصالات، وأنه ينتقل بين السعودية ولبنان ومصر، وتكلم معى فى موضوع اليمن، وذكر أن من مصلحتنا أن ننسحب فوراً من اليمن. ورأى فى عمل كوبلاند الحالى أنه عملية مخبرات منظمة باسم شركة.

وفى سنة ١٩٥٦ أقدمنى الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى مستر وليم دورات ميلر الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية، وهو كما علمنا فيما بعد أنه أحد ضباط المخابرات الأمريكية. وكان اتصالى به خلال فترة تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى وما بعدها.

ومكث فى مصر لفترة طويلة كنت أتقابل معه خلالها باستمرار إما فى مكتبى بالجريدة، وفى بعض الأحيان فى منزلى، حيث كنا نتناقش كالعادة فى الموضوعات السياسية والعلاقات المصرية الأمريكية وسياسة مصر بصفة عامة، وكنت أطلع سيادتكم يومياً على هذه الاتصالات، وكنتم سيادتكم تسمونه (ريبركا).

وقد أصبح ميلر الآن منذ عهد كنيدي نائباً لمدير الاستعلامات الأمريكى، وهو منصب كبير جداً هناك، وأنا لا زلت على اتصال به عندما يحضر إلى القاهرة، ولم يحدث أن سافرت إلى أمريكا بعد أن عين فى منصبه هذا، وتذكرون سيادتكم أنه قبل وقوع عدوان إسرائيل أخبرنى ميلر بالأمر الذى سيصدر للأمريكيين بمغادرة مصر، وأبلغت سيادتكم بذلك.

وعندما وقع العدوان كنت أنا ومحمد حسنين هيكلى على اتصال يومى، بل وعدة مرات فى اليوم، بمسترميلر، ولقد كنا يومها على اتصال مستمر بسيادتك، وكنا نبلغ أمريكا باستمرار أثناء المعركة بطريقة سريعة غير الطريقة الدبلوماسية وجهة نظر بلادنا، وذلك عن طريق ميلر كما تعلمون.

وتذكرون أن فكرة البوليس الدولى ولدت أثناء اجتماعاتنا فى أخبار اليوم بحضور محمد حسنين هيكلى.

ثم تفضلتم وأوفدتمونى فى مأمورية أثناء العدوان فى أمريكا لنشر صور العدوان، وفى واشنطن علمت بأن الولايات المتحدة مترددة فى قبول وجهة نظرنا بالجلء بلا قيد ولا شرط، وقمت بعدة اتصالات وصلت بفضلها إلى حل، وهو أن أكتب مشروع تصريح تدلون به سيادتك من القاهرة ينشر فى أمريكا، وعلى أثره تؤيد الولايات المتحدة موقفنا.

وأرسلت لسيادتك المشروع تلغرافياً، وحرصت فى مشروع التصريح أن يعبر عن رأى سيادتك، وليس فيه ذرة من التفريط فى أى حق من حقوق الوطن ولكنه فى الوقت نفسه يزيل المخاوف التى ترددت فى الأوساط الحكومية نتيجة للمناورات البريطانية والفرنسية.

واقترضت مهمتى فى أمريكا أن أقابل مع كبار المسئولين هناك وهم على وجه التحديد شيرمان أوامس مساعد أيزنهاور، وهمفرى وزير المالية ووزير الحربية، والسناطور فولبرايت وهمرشولد ولودج مندوب أمريكا فى مجلس الأمن.

وحدث عند اجتماعى بشيرمان أوامس مساعد أيزنهاور أن سألنى عما إذا كان من نتائج العدوان على مصر انتشار الشيوعية فيها، فأخبرته بأن موقف أمريكا فى أثناء العدوان كان عاملاً خلق نوعاً من التوازن فى المنطقة، إذ إنه لطف من الإنذار الروسى الذى لو بقى وحده دون موقف أمريكا لكان بلا جدال عاملاً قوياً فى انتشار الشيوعية فى هذا البلد، وقلت إنه يجب أن تعمل أمريكا على الإسراع فى الجلء، وبعد ذلك تقدم مساعدات لمصر. وفى هذه المناقشات أقترح أن أقابل آلان

دالاس مدير المخابرات المركزية حتى نتكلم فى موضوع أثر العدوان فى انتشار الشيوعية، وقال إنه سيدبر لى هذا اللقاء.

وتقابلت مع كيرميت روزفلت وأخبرته بما حدث، فقال إن هذا أمر مستحيل. ثم حدث أن اتصل بى كيم وقال لى إن أوامس دبر موعداً لك مع مدير المخابرات المركزية، وقابلت مستر آلان دالاس فى مكتبه لمدة ١٥ دقيقة، وقد شرحت له وجهة نظر بلادنا باختصار ورغبتنا فى الإسراع بجلاء قوات العدوان فى أسرع وقت، وأن أى تأخير سيؤدى إلى كارثة.

وقدمت تقريراً بذلك إلى سيادتكم فور عودتى شرحت فيه كل هذه المقابلات واحدة واحدة، ونص ما جرى فيها.

وفى سنة ١٩٥٨ التقيت عند الأستاذ محمد حسنين هيكل بمستر جويدون يونم، وهو يتولى منصب الملحق السياسى بالسفارة الأمريكية، وكنا نتقابل فى أخبار اليوم ونتقابل فى المنزل إذا كانت معه زوجته، ولكن مقابلات المكتب أكثر بطبيعة الحال. وكنت أتناقش معه فى نفس الموضوعات التى كنت أتناقش فيها مع سابقيه. واستمرت علاقتى معه حتى غادر مصر.

وفى سنة ١٩٥٨ أيضاً كنت على اتصال بمستر روبرت أنشوتس، وكان رئيس القسم السياسى فى السفارة الأمريكية، وكان يتميز على زملائه بأنه كان كثير الأسئلة بطريقة ملفتة، وكنا نتناقش أيضاً فى الموضوعات السياسية والوحدة مع سوريا، ولم يكلفنى بإرسال أى معلومات للرئيس، بل كان يقوم بهذا يونم. وكان روبرت أنشوتس يقابلنى فى مكتبى وفى بيتى، ولم يحدث أن لاحظت أنه يعرف علاقتى مع يونم، ولم يحدث أن تقابل ثلاثتنا معاً.

وفى أثناء ذلك عرفنى مراسل جريدة نيويورك تيمس بالقاهرة فى فندق كوزموبوليتان بمستر جون سيدل الملحق السياسى للسفارة، وأعتقد أنه ضابط مخابرات أمريكى، واستمر هذا فى القاهرة لفترة أربع سنوات، وكنت أتقابل معه بمدد متقاربة، وكنا نتفق على مواعيد، وكانت المقابلات تتم فى المكتب أو المنزل وإن

كان أغلبها يتم فى المنزل، وكانت مناقشتنا عن المعونة الأمريكية والشئون السياسية المختلفة.

وتذكرون سيادتكم أنه هو الذى أبلغنا بنبأ الانقلاب الذى سيقوم به زياد الحريرى فى سوريا قبل قيامه بوقت غير قصير، وهو أيضا الذى كنت أحصل منه على برقيات الشفرة التى كنت أقرأها باستمرار لسيادتكم عن الموقف فى العراق وفى الدول العربية.

وعرفنى مستر سيدل بضابط المخابرات الأمريكى بروس أوديل، الذى حل مكانه فى بيته فى المعادى بعد سفر الأول، وقد سبق أن شرحت الفترة الأخيرة فى علاقتى مع بروس، وهى أنه فى الثلاثة شهور الأخيرة دأب على توجيه أسئلة محددة أو طلب أن أرسل لسيادتكم توجيهات الحكومة الأمريكية فى قالب لا يظهر أنه مصدره ولكن كاقترح إلى منه فى مناقشتى معه، ولعل سيادتكم تذكرون أننى فى الثلاثة أشهر الأخيرة لم أبلغكم بأى شىء.

أما علاقتى السابقة به التى بدأت تنتظم بعد حريق مكتب الاستعلامات الأمريكى فى القاهرة، فقد كانت مقابلات تتم بينى وبينه فى منزلى، وكانت مناقشاتنا عن الشئون السياسية والأمور التى تشغل الأذهان، وعلى الأخص كان يتظاهر بأنه يبلغنى أنباء مهمة.

وبطبيعة الحال كان لا بد فى مناقشتى مع هؤلاء جميعاً أن ألقى إليهم بعض الأخبار أقلها صحيح وأكثرها غير صحيح كنوع من الاستدراج، وهذا يتطلب أن أذكر أخباراً غير صحيحة فى بعض الأحيان لأرى رد الفعل لها، وأخباراً صحيحة قبل نشرها حتى يمكن أن يطمئنوا إلى ما أقوله لهم، وفى بعض الحالات لم أستطع رأى سيادتكم فيما ذكرته من أخبار صحيحة، وذلك فقط فى محادثتى الأخيرة مع بروس أوديل بسبب انشغال سيادتكم، وقد سبق أن ذكرت ما قلته لبروس أوديل بالتفصيل فى صدد مذكرتى هذه.

وهناك شخصان كنت أتصل بهما باستمرار أيضاً وهما توماس سورنسون

الملحق الصحفى بالسفارة الأمريكية من ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٧ إلى سنة ١٩٦٠،
وريتشارد هلجرسون الملحق الصحفى أيضا من سنة ١٩٦٠.

وكنت اقترحت على الذين أجمع بهم من الأمريكيين أن يتبادل الرئيس أيزنهاور
خطابات مع الرئيس جمال عبد الناصر حتى تكون بينهما علاقة مباشرة يستطيع
كل منهما أن يفهم وجهة نظر الآخر، ولكن أيزنهاور لم يوافق على هذا الاقتراح لأنه
إذا كتب لعبد الناصر فيجب أن يكتب لكل رؤساء الدول العربية الأخرى حتى
لا يغضبوا من هذا الاتصال مع الرئيس جمال عبد الناصر وحده. ولكن سورنسون
اقتنع بالفكرة، فلما عين الرئيس كنيدي شقيق سورنسون مساعداً له أقنعه بهذه
الفكرة، وبدأت الخطابات المتبادلة بين الرئيس كنيدي وسيادتك.

وملخص اتصالاتى فى المدة الأخيرة مع بروس هو أن كلا منا كان يمارس
ضغطاً على الآخر، هو يحاول أن يضغط على سيادتكم بواسطة، وأنا أضغط عليه
بأحاديثى معه أنه إذا قضى على عبد الناصر فسيكون نتيجة ذلك انقلاب شيوعى،
والفرق بيننا أن ضغطه على سيادتكم لم يصل إليكم كما تعلمون، وأن ضغطى عليه
كان يصل إلى واشنطن باستمرار. فمن رأى أن الأمريكيين لا يساعدون مصر إلا إذا
شعروا أن هناك خطراً من الشيوعية عليها، ولا يتوقفون عن الضغط على ثورتنا إلا
إذا عرفوا أن بعد عبد الناصر انقلاب شيوعى مائة فى المائة، ولم يحدث فى أثناء
اجتماعاتى بهؤلاء أن عرفت أسماء العملاء الذين يشتغلون معهم، ولو عرفتهم
لسارعت فى التبليغ عليهم. ولم تكن ثقتهم بى تسمح لهم بأن يفشوا لى عن هذه
المسائل. ولم يكلفنى أحد من المسئولين المصريين أن أسأل أو أبحث عن أمر هؤلاء
العملاء، ولو كنت تلقيت أى تعليمات أو توجيهات فى هذا الشأن لما ترددت فى
الحصول عليها. وقد كانت كل اهتماماتى فى هذه الاجتماعات هى من الوجهة
السياسية ومن الوجهة الصحفية.

أما بخصوص الأوراق التى ضبطت مع بروس يوم القبض على يوم ٢١ يوليو
سنة ١٩٦٥ التى أطلعتنى عليها نيابة أمن الدولة، فأقرر بشأنها أننى لا أعلم شيئاً
عن ورقة الأسئلة ولا أعلم أن كان بروس ينوى أن يسألنى كل هذه الأسئلة من

عدمه، ولم يخرجها أمامى فى أثناء الحديث إلا أنه سألنى عن السؤال الأول وهو ما أتوقع أن يكون خطاب السيد الرئيس يوم ٢٢ يوليو، ولم أقل له أكثر من كلمة أنتى أتوقع أن يتناول الخطاب المسائل الداخلية والدولية وما قدمه الاتحاد السوفيتى لنا من معونة القمح الروسى بغير أن يطلب شروطاً، ولم يكن يكتب فى ورقة أمامى، وإن كانت عاداته فى المرات السابقة أن يخرج ورقة ويكتب فيها رؤوس مواضيع فقط، وإننى أستشهد برئيس النيابة الذى تولى عملية القبض بأن الورقة المضبوطة لم تكن أمامى ولا أمامه وإنما كانت فى جيبه، وقد ذكرت هذا فى أقوالى، وباطلاعى على ما ورد فى ترجمة التقرير الذى كتبه بروس بخطه فإن الذى ورد فيه موضوعات لم تطرق فى الجلسة الأخيرة، وإنما ورد على لسانى بعض ما جاء فيها من مقابلات حدثت من ثلاثة شهور على الأقل، وهى على التحديد ما يلى:

أذكر أنتى قلت على لسان سيادتكم أنكم منحتكم أكثر من اللازم فى فترة قصيرة، وأن هناك ليست ميزات جديدة لكى يمكن منحها.

وبخصوص تغيير العملة أذكر أنه سألنى منذ أكثر من ثلاثة شهور أن لديهم معلومات أننا قررنا تغيير العملة، وإننى أجبت على لسانكم بالنفى.

وبخصوص مناقشات حول سياسة ج. ع. م. أنه قال إنه لو اهتم جمال عبدالناصر بشئون بلده الداخلية فقط وابتعد عن موضوعات التدخل فى الكونغو والعراق واليمن فإن الحكومة الأمريكية مستعدة أن تساعد مصر مالياً مساعدات ضخمة، فقلت له على لسان سيادتكم إنكم مقتنعون بأنه لولا نفوذنا الخارجى لما أهتمت أمريكا بنا ولما أعطتنا دولاراً واحداً، ولو أننا بقينا على حالنا فى الداخل لما استطعنا أن نتحول إلى دولة كبيرة ولا أن نحصل على برنامج واسع من المعونة وذلك لقدرتنا فى الخارج.

وقلت له على لسانكم أنكم تعلمون أن كل ما يحدث من حركات ضدنا من الخليج الفارسى إلى المغرب هو من تخطيط وعمل المخابرات الأمريكية، ولكن هذا الحديث جرى من حوالى أربعة أو خمسة شهور، ولم يكن فى المقابلة الأخيرة.

سيادة الرئيس

وأحب أن أثير سؤالاً، هل كان المقابل الذى حصلت عليه من اتصالاتى بالمخابرات الأمريكية أو الأمريكيين المسئولين يساوى ما قدمته لهم؟

والجواب على ذلك أننى لم أتقاض ثمن هذه الصلة مالاً أو مرتباً شهرياً أو سنوياً، إنما جاء المقابل فى الصور الآتية فقط :

١ - أخبار أمدنى بها المسئولون الأمريكيون ورجال المخابرات الأمريكية خلال هذه السنوات العديدة. وكنت أتولى نشرها فى أخبار اليوم والأخبار وباقى صحف الدار وننشر بها دون باقى الصحف الأخرى التى تصدر فى القاهرة، أدت إلى زيادة توزيع صحف أخبار اليوم، وبالتالي أدت إلى زيادة إيراداتها.

ومن هذه الأخبار خبر مفاوضات الهدنة بين الحلفاء والنازيين، وكانت تجرى سراً فى أوروبا فى ذلك الحين. وكانت أخبار اليوم أول جريدة فى العالم سبقت بنشر هذا النبأ.

كذلك خبر عن أول تفصيلات عن اختراع القنبلة الذرية. وكذلك خبر عن موعد ومكان فتح الجبهة الثانية فى أوروبا. وكذلك خبر عن موعد الهجوم المنتظر الذى سيقوم به هتلر على روسيا. وكذلك أول خبر عن مفاوضات إيطاليا للتسليم للحلفاء فى نهاية الحرب العالمية الثانية. كذلك أول خبر عن أن الروس بدءوا يعرفون سر القنبلة الذرية.

٢ - وبهذه الصلة حصلت على امتياز إصدار مجلة المختار، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغاً طائلاً سنوياً. وقد وافقتم سيادتكم على أن نحصل على امتياز إصدار هذه المجلة.

٣ - وبهذه الصلة حصلت على امتياز طبع مجلة الصداقة، وهو يدر على أخبار اليوم مبلغاً كبيراً سنوياً.

٤ - وبهذه الصلة حصلت أخبار اليوم وصحفها على إعلانات من شركات أرامكو

و T. W. A. وبأن أمريكان، وكانت كل الصحف الأخرى كالأهرام مثلاً تأخذ نفس القدر من الإعلانات.

٥ - وبهذه الصلة حصلت على ورق من أمريكا لمصر بحوالى مليونى جنيه، وهو الورق الذى تسلمته الحكومة المصرية، ولكنى كصاحب أخبار اليوم استفدت من هذا الورق لأنه وزع على الصحف بنسبة توزيعها فحصلت أخبار اليوم من الحكومة على نسبة كبيرة من هذا الورق، وكان الورق الذى اشتريناه من الحكومة أرخص من ورق السوق، فربحنا بطبيعة الحال.

٦ - حاولت أن أستفيد من هذه الصلة فى شراء مطابع جديدة من أمريكا، وطلبت منهم أن يعاونونى فى أن أحصل على قرض من بنك التسليف والاستيراد الأمريكى لشراء مطبعة، وكان المبلغ المطلوب حوالى ١٠٠ ألف جنيه، فلم يوافق البنك لأنه يطلب ضماناً من الحكومة المصرية ولأن تقاليد البنك هى عدم تقديم قروض للصحف.

٧ - وبهذه الصلة أمكنتنى أن أوفد أم كلثوم لتعالج فى أمريكا بالذرة بدون مقابل.

٨ - وفى الوقت نفسه حصلت لبلادى من الأمريكين على معلومات مهمة وخطيرة عن موعد هجوم إسرائيل سنة ١٩٥٤، وقد هم سيادتكم بفضل هذه المعرفة فى كسب المعركة. وجميع الأخبار عن الحالة فى سوريا بعد الانفصال وانقطاع وسائل الاتصال بالإقليم السورى، وجميع الأخبار عن الحالة فى العراق بعد نزاعنا مع عبد الكريم قاسم، وجميع أخبار الموقف فى السعودية بعد الأزمة التى وقعت بيننا وبين سعود، وأنا الذى أخبرت سيادتكم بنبأ المؤامرة التى يقوم بها الملك سعود مع أحمد أبو الفتح^(١) وسعيد رمضان. وبعد أن أبلغتكم هذه

(١) الأستاذ أحمد أبو الفتح أخ غير شقيق للأستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة «المصرى» وقد حوكم الأستاذ محمود أبو الفتح بتهمة الاتصال بدول حلف بغداد، وأصدرت محكمة ثورة - كان أنور السادات أحد أعضائها - حكماً بإغلاق الجريدة، وفيما بعد كان آل أبو الفتح - المقيمين وقتها فى سويسرا - وراء إنشاء محطة إذاعة «مصر الحرة» التى كانت موجهة إلى الشعب المصرى أثناء حرب السويس، وكانت دول الحلف هى التى تمولها، والأستاذ أحمد أبو الفتح يكتب الآن مقالات أسبوعية فى أخبار اليوم.

المعلومات ومصدرها عرفت من سيادتكم أنكم بوسائلكم الخاصة عرفت
تفاصيل وأسرار هذه المؤامرة.

(إمضاء)

مصطفى أمين

هذا الإقرار والالتماس المكون من ستين صفحة الموقع عليه منى محرر بمعرفتي،
وقد تضمنته تفاصيل اتصالاتى برجال السفارة الأمريكية التى تمت بعد استئذان
السلطات وموافقتها وليست هناك اتصالات أخرى غير ما دونت بإقرارى هذا.

١٩٦٥/٨/٥.

(إمضاء)

مصطفى أمين

الفصل الثانى

خواطر واحتمالات

... لم أشعر بالوقت وأنا جالس، نكب بحواسى كلها على هذه الرسالة - الوثيقة .
ونظرت إلى ساعتى بعد الفراغ منها فإذا هى قد استغرقتنى لساعتين كاملتين..
قرأتها كلها، ثم أعدت قراءة بعض الفقرات فيها... أكثر من مرة فى بعض الأحيان .
وتنبهت إلى اختلاف مشاعرى بعد قراءة الرسالة - الوثيقة - عما كانت عليه
قبلها... .

لقد تبدد فجأة ذلك الإحساس باختلاط المشاعر والمشاهد والصور .
ولم يكن هناك أسى... وحتى الحزن لم تعد فيه لسعة الألم التى كانت هناك عندما
كانت الرسالة - الوثيقة - مغلقة داخل ملفها تطوى نفسها على أسرارها قبل أن أتوفر
على قراءتها .

بدلاً من ذلك أحسست بنوع من الهدوء الداخلى.. ونوع من الصفاء الفكرى
والنفسى العميق .

وكان تفسيرى لذلك على الفور . إنها رؤية الحقيقة لأول مرة.. على الأقل صورة
لهذه الحقيقة بغير هواجس أو وساوس... الواقع كما هو... كما جرى... وكما
يعرض نفسه على كل الأطراف ويبدو أمامهم .

وأخذت مقعداً إلى شرفة تطل على البحر وجلست أنظر من بعيد إلى البحر الذى
غطاه الظلام وإن لم يستطع أن يوقف حركته، كان صوت تدافع الأمواج على
الشاطئ يصل إلىّ فى سكون الليل . وكانت السماء ملأى بالنجوم التى تلالاً بريقها

أكثر فى تلك الساعات التى تسبق طلوع الفجر، ورحت أحرق فى النجوم العالية البعيدة... وبعض السحب التى تجرى تحتها وتخفيها عن ناظرى لبعض الوقت ثم تذهب إلى حال سبيلها.

وكان فى ذهنى سؤال واحد يطرح نفسه علىّ بغير صخب وبغير إلحاح.

وكان السؤال هو: «ولكن ما هى الحقيقة؟ ما هى الحقيقة وراء ما يبدو فى هذه الأوراق التى فرغت لتوى من قراءتها... ما هو جوهر الحقيقة؟

كان صعبا علىّ أن آخذ ما تقول به الرسالة - الوثيقة - وما قرأته وسمعتة فيها. كما هو بالفاظه وكلماته ثم أصدر على أساسه حكما وانتهى الأمر.

بدأت الأمور فى ذهنى أكثر تعقيدا من هذا التبسيط.

وبدأ لى أننى حتى لو قبلت ما يقول به كل الذى قرأته وسمعتة فى الأيام الأخيرة، بما فى ذلك ما فرغت منه هذه اللحظة - وأخذته كله أمرا واقعا يفرض نفسه - فإن الأمر الواقع ليس هو الحقيقة المطلقة.

وعلى فرض أنه الحقيقة النهائية - فماذا أوصل الأمور إلى هذه النهاية؟

إن الطريق الذى أوصل الأمور إلى هذه النهاية بدأ لى جزءا لا يتجزأ من هذه النهاية ذاتها، ومن ثم فإن البحث عن الحقيقة فى كمالها وجلالها لا بد له أيضا أن يعثر على إجابة لهذا السؤال . كيف وصلت الأمور إلى هنا؟.. إلى ما تقول به الأوراق والأشرطة وهذه الرسالة - الوثيقة - التى جلس صاحبها لكتابتها طوال أربعة أيام وجرى عليها قلمه عبر ستين صفحة كاملة من القطع الكبير؟

وراحت التصورات والاجتهادات... والآراء والقضايا تعبر خواطرى كنتلك السحب التى راحت تعبر السماء تحت النجوم.



حتى هذه اللحظة وبعد مرور قرابة العشرين سنة على تلك الليلة كانت بعض الأسئلة التى وردت على فكرى - ما زالت تعرض نفسها عليه.

كان سهلاً على أن آخذ بالتفسير البسيط والمسطح، وأنسب الأمر كله إلى الخيانة والعمالة، وما إلى ذلك من كل ما شاع في القاموس السياسى العربى من نعوت.

وكان ما سمعته وقرأته - بما فيه الرسالة الوثيقة التى فرغت منها لتوى - يوافق ويؤيد.

ثم كان فى استطاعتى أن أتذكر مما أعرفه ما قد يعزز هذا التفسير ويؤكد.

لم يكن سرا أن الولايات المتحدة الأمريكية راحت - وحتى من قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية - تسعى وترتب لنفوذها وسلطانها فى عالم ما بعد الحرب. كانت تدرك أنها وريثة الامبراطوريات القديمة. وكانت تعرف أنها ستخرج من الحرب باعتبارها المنتصر الأكبر الذى له وحده الحق فى بناء نظام عالمى جديد يوافق هواه ومصالحه. وكان ضمن ما سعت إليه ورتبته ضرورة نشر القيم الأمريكية وطريقة الحياة الأمريكية فى أرجاء الدنيا... خصوصاً فى بلاد الأعداء السابقين الذين خسروا الحرب وأصبحوا تحت رحمتها، وكذلك فى البلدان التى كانت واقعة تحت نيران الاستعمار التقليدى الذى فكت الحرب قبضته، وأوشك الذين كانوا تحت حكمه أن يتحرروا وأن يختاروا لأنفسهم ما يريدون من مجموعات القيم وطرق الحياة. كسب هؤلاء جميعاً كان أولوية تسبق غيرها من الأولويات فى السياسة الأمريكية بعد الحرب.

بمقتضى ذلك وتأسيساً عليه قامت المخابرات الأمريكية بعمليات واسعة فى عالم النشر، وبالتحديد فى المجالين السابقين.

مجال الأعداء الذين استسلموا فى أوروبا والشرق الأقصى.

ثم مجال الدول التى انفكت عنها قبضة الاستعمار التقليدى وجاءتها الفرصة لتتحرر.

لم يعد ذلك ضرباً من الظن، وإنما أصبح اليوم أدلة وشواهد لا سبيل إلى إنكارها^(١).

يقول تقرير لجنة نشاط المخابرات في الكونجرس على سبيل المثال أن سلطات الاحتلال الأمريكي في ألمانيا كانت هي التي ساعدت «أكسل سبرنجر» الناشر الألماني المعروف الآن - على إعادة تأسيس دار صحفية كبرى في هامبورج، وهي التي جاءت له بالمطابع والورق - لكي يبدأ على الفور في إصدار صحف تتولى غسيل مخ الشعب الألماني مما قد يكون عالقاً فيه من بقايا التراث النازي.

نفس الشيء حدث في اليابان مع الدور الصحفية التي كانت على استعداد لكي تغسل مخ الشعب الياباني من آثار العسكرية اليابانية التي كادت تنجح في رفع علم الشمس المشرقة فوق كل المحيط الهادئ.

نفس الشيء حدث في إيطاليا .

شيء مماثل حدث في بلدان العالم التي كانت واقعة تحت الاستعمار، أو كانت مناطق مفتوحة للنفوذ الدولي الجديد بعد أن تغيرت مراكز السيطرة في العالم.

فور انتهاء الحرب على سبيل المثال ظهرت فجأة - سنة ١٩٤٥ - في طهران دار صحفية كبرى كان أبرز ملامحها دعوتها المستمرة لمجموعة قيم جديدة وطريقة

(١) لمزيد من التفاصيل يراجع في هذا الصدد تقرير اللجنة الخاصة التي شكلها الكونجرس الأمريكي برئاسة السيناتور تشرش سنة ١٩٧٤ لتقصي نشاط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وبالذات الجزء الخاص فيه بعمليات إنشاء دور صحف ونشر في عدد كبير من بلدان أوروبا والعالم الثالث - وحتى في الولايات المتحدة ذاتها - ومن الظواهر الملفتة للنظر في هذا التقرير أن مجلة «الريدرز دايجيست» - أو «المختار» كما صدرت باللغة العربية فيما بعد - ورد اسمها ضمن المجالات التي ساعدت المخابرات المركزية على نشرها من الغريب أن أول طبعة عربية ظهرت في مصر رأس تحريرها الدكتور «فؤاد صروف»، وهو الذي يشير إليه الأستاذ مصطفى أمين في رسالته - الاعتراف - ويقول إنه هو الذي قدمه إلى «كيرميت روزفلت» سنة ١٩٤٤ التي صدرت في نهايتها مجلة أخبار اليوم! - كذلك فإن «المختار» صدرت فيما بعد عن دار أخبار اليوم، ونكر الأستاذ مصطفى أمين في رسالته - الاعتراف - أن ذلك كان بين الفوائد التي حصل عليها من صلاته الأمريكية!

ويلفت النظر في القيم التي تروج لها «المختار» شيئان: الأول: أن النجاح مرهون بالحظوظ والمصادفات والثاني: أن العدل الاجتماعي معلق بكرم المستعدين للتبرع والإحسان!

جديدة فى الحياة - وهى «دار كيهان» المشهورة. ولم تترك الوثائق التى وجدت فى مبنى السفارة الأمريكية فى طهران - حين احتلها طلبة الثورة الإسلامية فى إيران - مجالاً لأحد أن يشك فى الملابس التى اكتنفت تأسيس الدار وظهور صحفها.

ويخطر على البال أن أخبار اليوم ظهرت فى نفس هذه الفترة - أواخر ١٩٤٤ - فهل كانت «أخبار اليوم» منذ اليوم الأول حلقة من هذه السلسلة؟^(١).

إن الأستاذ مصطفى أمين فى رسالته - الوثيقة - يعترف أنه قابل كيرميت روزفلت وآرشى روزفلت - لأول مرة - فى نفس هذه السنة - ١٩٤٤.

فهل هى مصادفة... أو هى أكثر؟

خاطر آخر يطرح نفسه وهو أن مراسلى أخبار اليوم فى الخارج وقت إنشائها كانوا - كما يبدو لنا الآن - طرازاً غريباً من الصحفيين.

كان مراسلها فى نيويورك - مثلاً - هو «جوزيف ليفى» واتضح فيما بعد أنه لم يكن يهودياً فقط، وإنما كان واحداً من أبرز الدعاة للوكالة اليهودية - المقدمة الأولى لحكومة إسرائيل.

وكان مراسلها فى لندن هو «جون كيمشى» والآن نعرف أنه ابن عم لـ «دافيد كيمشى» وكيل وزارة الخارجية الإسرائيلية.

ولم تكن المسافة بعيدة بين الصهيونية والسياسة الأمريكية خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية.

مصادقات هى... أو شىء أكثر؟

إن الصحف الكبرى التى نشأت فى العالم الأكثر تقدماً - بمعونة أمريكية - استطاعت بعد وقت أن تقطع الحبل السرى الذى كان يربطها بالسياسة الأمريكية - حدث ذلك بالنسبة لـ «دى فيلت» فى ألمانيا، كذلك على وجه اليقين حدث لجريدة

(١) كتب الأستاذ مصطفى أمين فى هذه الفترة أول كتاب له فى حياته، وكان عنوانه «أمريكا الضاحكة»، وكان موضوعه عرضاً شيقاً وجذاباً لطريقة الحياة الأمريكية

«يميورى» فى اليابان وصحيفة «آساهى» أيضا - فهل يمكن أن تكون الصحف التى نشأت فى بلدان العالم الأقل تقدما - إيران ومصر وغيرهما - أعجز عن أن تقطع الحبل السرى مع جهة المنشأ، ومن ثم تبقى نمط العلاقات كما كان، ثم نزلت به الحوادث إلى ما هو أدنى من مجرد نشر القيم الأمريكية وطرق الحياة الأمريكية؟ كل هذه تفسيرات، ولها شواهد، وقد تكشف، وبالتالى قد تريح - ولكن هل يمكن القبول بها حقيقة نهائية ومطلقة؟



وقضية أخرى تطرح نفسها وما زالت :

علاقة الصحافة والصحفى بجهات أجنبية وبساسة أو دبلوماسيين أجانب .
أى صحافة تحترم نفسها تعرف بالطبع أنها مطالبة بتغطية أخبار العالم إلى جانب اهتمامها بأخبار وطنها .

وفى هذا فإن الصحفى يتصل ويقابل ... وإذا كان يريد أن يسمع فعليه بدوره أن يتكلم . فالحصول على الأخبار ليس عملية استجواب لمصادرها، وإنما هو عملية حوار . وكانت للصحفى الأمريكى الذائع الصيت «جيمس رستون» عبارة مشهورة يقول فيها : لو طبقت علينا (يقصد الصحفيين) معايير المكارثية والنظرة البوليسية إلى التصرفات والأفعال - لأمكن أن يثبت على كل صحفى وبدون استثناء أنه عميل لدولة أجنبية .

والقول صحيح .

لكن صميم القضية يبقى هو حدود ما يقال وطبيعته وظروف قوله - وهذه قضية مفتوحة للاجتهادات .

وكان جمال عبد الناصر قد عبر عن هذه القضية بطريقته وفى معرض حديثه عن الأستاذ مصطفى أمين بالذات حين قال :

- إنه ينقل من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا، لكن القضية الأساسية فى النهاية هى : لمن الولاء - لهنا أو هناك ؟

ولماذا لا يفسر ما كان الأستاذ مصطفى أمين يقوله «لبروس تايلور أوديل» وغيره ممن كان يتصل بهم - باعتباره حوارا يستهدف الحصول على أخبار ؟
يمكن ؟

لكن المشكلة أن بعض ما قيل يستعصى تطويعه لهذا التفسير - على الأقل ببساطة.

على سبيل المثال - هل يمكن أن تخضع لهذا التطويع أخبار من نوع :

● هذا التهويل فى نشاط الشيوعيين فى مصر، وأنهم استولوا على كل شىء خصوصا فى الصحافة، وأن جمال عبد الناصر لا يقدر خطرهم ويتصور خطأ أنه يستطيع اعتقالهم فى نصف ساعة.

● وأن هناك خلايا ضبطت فى الجيش المصرى من ضباط لم تعرف بعد هويتهم.

● وأن هناك انفجارا وقع على مدمرة مصرية فى ميناء الإسكندرية.

● وأن هناك صفقة أسلحة جديدة مع الاتحاد السوفيتى.

● وأن قادة القوات المصرية المسلحة يفعلون كذا فى يوم كذا.

● وأن مصر اتفقت مع الصين على صنع قنبلة ذرية^(١).

● وأن الوضع الاقتصادى المصرى ينهار - لدرجة أن مصر تبيع احتياطاتها من الذهب.

(١) كان هناك اتصالات بالفعل بين الصين ومصر بشأن التكنولوجيا الذرية ، وكان هناك وفد مصرى فى الصين برئاسة الدكتور «عبد المعبود الجبيلى» مدير هيئة الطاقة الذرية - وكان تسرب هذا الخبر - إلى جانب غيره - من بين الأسباب التى دعت - فى ذلك الوقت - إلى عدم نشر الرسالة - الاعتراف - وكذلك إلى جعل محاكمة مصطفى أمين أمام أمن الدولة العليا

● وأن هناك سيارة عسكرية ضبطت محملة بأكثر من ٣٠٠ كيلو من الديناميت وأن رقمها هو ٣٩٠٣٦.

● وأن جمال عبد الناصر مريض بالسكر.

● وأن عبد السلام عارف مريض بالسرطان.

● وأنه ليست هناك إجراءات ضد ألمانيا الغربية - عندما باعت سلاحا لإسرائيل - بعد قرار قطع العلاقات الدبلوماسية معها.

وأن... وأن... من كل ما حوته الملفات والأشرطة... ثم ما جاءت لتؤكد الرسالة الأخيرة التي كتبها الأستاذ مصطفى أمين لجمال عبد الناصر. فضلا عن المواعيد المحددة كل أسبوع.. والأسئلة المكتوبة الموجهة... والحقائب المطلوب إخراجها والأموال المطلوب تهريبها.. إلى آخره.

قضية معقدة.



لكن هذه القضية المعقدة لها وجه آخر لا تستقيم الأمور بغير التعرض له - ذلك أن الأستاذ مصطفى أمين ينسب ما يقول لجمال عبد الناصر ويظهر أن له صلة به.

وعلى وجه اليقين فلقد كانت له - في وقت من الأوقات - صلة، وهذا يطرح مشكلة أخرى وهي مشكلة العلاقة بين الصحافة وسلطة الحكم.

وهذه مشكلة عويصة.. لها جوانب متعددة ومتشابكة تستحق نظرة متأنية إليها لكي تتضح وتستقيم الأمور.

● هناك أولاً أن الصحافة في أي بلد هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية في هذا البلد.

● وهناك أيضاً أن الصحف لا تصدر وتنتشر تعبيراً عن الآراء والرغبات الذاتية لحرريها، وإنما هي تصدر وتنتشر عندما تعبر عن آراء ومصالح أوسع وأكبر لقوى وتيارات اجتماعية.

● وهناك ثالثاً أن حرية الصحافة لا تتأكد بمجرد الإعلان عنها، وإنما تتأكد حين تكون الآراء والمصالح التي تعبر عنها أى صحيفة قادرة على حماية حقها فى التعبير عن نفسها.

● ويترتب على ذلك - رابعاً - أن تعدد القوى فى المجتمع - ودرجة هذا التعدد وفق مرحلة التطور الاقتصادى والاجتماعى والتوازنات الناشئة عنها - هو الذى يخلق إمكانية تنوع الآراء تعبيراً عن تعدد القوى.

ونفس هذا التعدد فى القوى الاجتماعية والتوازن الذى يخلقه هو الذى يهيئ إمكانية تعدد السلطات ويفرض ضرورات الاحتكام إلى القانون طوعية كمرجع أخير تقبله هذه القوى لتحديد خطوط العلاقة بينها. والتعدد على هذا النحو هو الذى يسمح بقيام أحزاب وبرلمانات وحكومات أغلبية صحافة قوية وقضاء نافذ... وهكذا.

● ويتصل بذلك - خامساً - أنه إذا سادت فى مجتمع معين - بسبب طبيعة مرحلة التطور التى يمر بها - سلطة واحدة فإن الحياة السياسية فى أى بلد تنحصر فى حدود هذه السلطة الواحدة، وما عداها يكون خروجاً عليها بالتمرد أو بالثورة.

ومن الصعب بالطبع تصور الصحافة فى أى بلد خارج هذا الإطار.. أى خارج حركة المجتمع وخارج مراحل التطور.

ولم تكن نشأة الصحافة فى مصر بعيدة عن هذه القواعد.

ظهرت الصحافة فى مصر مع نشأة الدولة الحديثة التى أقامها محمد على. وظهرت «الوقائع المصرية» تعبيراً عن سلطة الوالى الواحدة والوحيدة فى مصر - فى مرحلة معينة من تطور مصر الاجتماعى والاقتصادى.

وعندما تسابقت القوى الأجنبية للسيطرة على مقدرات مصر بعد انهيار دولة محمد على ظهرت فى أواخر القرن الماضى صحف تعبر - أو على الأقل تعتمد بشكل أو آخر - على القوى المتسابقة والمتنافسة. ولم تكن دار «المقطم» بعيدة عن مخططات بريطانيا، ولا كانت دار «الأهرام» بعيدة عن أحلام فرنسا.

وعندما بدأت الحركة الوطنية، لم تكن الصحافة المصرية بعيدة عن القوى المتصارعة فى الحلبة المصرية من الخارج أو فى الداخل.

كانت هناك صحف تعبر وتستند على النفوذ البريطانى. وأخرى تعبر وتستند على نفوذ القصر الملكى. وصحف تعبر عن التيار الغالب فى رأى العام المصرى، وهو تيار الوفد، خصوصاً فى فترة تقدمه الأولى التالية لثورة ١٩١٩. وفى الحقيقة فإن هذه الصحف كانت تعبر وتستند. إما إلى قوة مصالح الاحتلال. أو إلى قوة الطبقة المتوسطة العليا التى انتهت إليها كل مكتسبات الحركة الوطنية الشعبية سنة ١٩١٩، والتى شدتها الظروف - لسبب أو آخر - إلى التهادن مع سلطة الاحتلال.

وكان ذلك مما أدى إلى ثورة ١٩٥٢.

وأقامت ثورة سنة ١٩٥٢ سلطة واحدة تعبيراً عن مرحلة من التطور اقتضت تحولات اجتماعية عميقة تحاول تجربة فريدة فى التاريخ عن طريق ضبط الصراع الطبقي والسعى لتذويب الفوارق بين الطبقات - فى مناخ إقليمي ودولى بالغ الحساسية. ولم يكن هناك بديل خلال هذا كله - أو هكذا بدا - إلا بسلطة وطنية مركزية تناضل لتحقيق الاستقلال بديلاً عن الاحتلال، وتنظم وتحدد طريق التغيير الاجتماعى الضرورى بديلاً عن الحرب الأهلية.

(وقصة الصحافة المصرية هى قصة الصحافة فى بقية البلدان العربية. وكان يضرب المثل - فى وقت من الأوقات - بصحافة لبنان. والحقيقة - وقد عبر عنها جمال عبد الناصر ذات مرة بقوله: «إن فى لبنان حرية صحافة ولكن ليس فى لبنان صحافة حرة» إن التعدد والتنوع الذى كان ظاهراً فى صحافة لبنان فى وقت من الأوقات كان سببه تعدد وتنوع مصادر التمويل. مبكراً كان للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا صحافتهم، وبعد ذلك أصبحت لمصر صحافتها، وللعودية صحافتها، وكذلك لسوريا... الشكل الظاهر أن هناك حركة متنوعة الاتجاهات. لكنها لم تكن صحافة حرة بالمعنى المطلوب أو المرجو، وإنما شىء آخر. صارع قوى يحدث فى لبنان، وتعبيرات متعددة متنوعة بتعدد وتنوع القوى التى تعمل فى ساحته باعتباره مركزاً مفتوحاً لصراعات العالم العربى كله وتوازناته).

ذلك كله جانب من الجوانب.

تلوح بعده جوانب أخرى.

عندما قامت سلطة واحدة فى مصر بثورة ١٩٥٢، لم يكن معقولا ولا ممكنا أن تكون الصحافة بعيدة عن السياسة وما فرضته عليها مراحل التطور الاقتصادى الاجتماعى.

وربما كان الخيار المتاح للصحافة فى ذلك الوقت أن تحدد موقعها من السلطة الواحدة الجديدة وأين هى منها؟.. هل هى عند الرأس تناقش وتداول على مستوى القرار، أم هى عند الذيل تمارس دور التابع والأداة.

وهكذا فإن درجة من الاقتراب لم يكن لها بديل، والخيار المطروح هو أين بالضبط؟. على مستوى الحوار والقرار أو على مستوى التبعية والدونية؟

جانب ثالث هو أن علاقة الصحفى بالسلطة علاقة حيوية. فهى صانعة الأخبار وهو يريد هذه الأخبار فى نفس الوقت الذى تريد هى فيه كتمانها أو على الأقل تكييف نشرها. ثم إنه بالنسبة لها وسيلة الوصول إلى الجماهير، ولذلك فهى - السلطة - تفضله أداة، ومن ناحيته هو - الصحفى - فإن هناك منزلقا أن يصبح مجرد سلك وبوق.

علاقة مركبة بين طرفين.. كلاهما يحتاج إلى الآخر، وكلاهما يحذر الآخر.

الصحفى يريد الأخبار ويريد استقلاله.

والسلطة تريد الوصول إلى الناس ولا يهملها استقلاله.

وجانب رابع هو أن اقتراب الصحفى من السلطة واقتراب السلطة من الصحفى علاقة - هى الأخرى - مركبة. وعندما يقترب صحفى من عملية صنع الأخبار إلى درجة كافية فإنه - شاء أو لم يشأ - يصبح ليس مجرد شاهد على صنعها وإنما يتحول أحيانا - بدرجة موقعه... إلى طرف فى صنعها.

وليس ذلك مقصورا على مصر... بل إنه شبه قاعدة حتى فى أكثر البلاد تقدما.

كان عميد الصحفيين فى هذا القرن « والتر ليبمان » أقرب الصحفيين إلى « وودرو ويلسون » وكان هو الذى صاغ نقط « ويلسون » الأربعة عشر الشهيرة التى أحدثت دويا فى العالم الثالث كله فى أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى - كانت نقط « ويلسون » هى التى حركت عملية إنشاء الوفد المصرى برئاسة « سعد زغلول » فى مصر .

ولم يكن كبار الصحفيين فى العالم الحديث : « بيف ميرى » فى الموند (فرنسا)، و« جيمس رستون » فى نيويورك تيمس (أمريكا)، و« كونراد ألرس » فى درشبيجل (ألمانيا)، « ألكسى أدجوبى » فى أزفستيا (روسيا) - مجرد ناقلى أخبار وإنما كانوا من صناعها مع رجال من أمثال « ديجول » و« كنيدي » و« براندت » و« خروشوف ».

وفى مصر على سبيل المثال فقد كان « العقاد » وثيق الصلة، « بسعد زغلول » كما أن « محمود عزمى » هو الذى كتب « لعلى ماهر » (باشا) برنامج وزارة المائة يوم الشهير سنة ١٩٣٦ .



وكان الأستاذ مصطفى أمين قد تعود على الاتصال « بالحكام » قبل الثورة . وكان اتصاله بالقصر الملكى . وقد توثق اتصاله بالقصر أثناء توليه رئاسة تحرير مجلة « الاثنين » التى كانت تصدر عن « دار الهلال » وفى سنوات الحرب العالمية الثانية كان قد أصبح ضمن الحاشية المحيطة « بأحمد حسنين » (باشا) رئيس الديوان الملكى . وفى هذه الفترة لعب الأستاذ مصطفى أمين دورا كبيرا فى الحملة على حزب الوفد وعلى رئيسه « مصطفى النحاس » (باشا) بدءا من استغلال حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إلى استغلال وقائع الكتاب الأسود الذى كتبه « مكرم عبيد » (باشا) بعد أن اختلف مع « النحاس » (باشا)، وكانت مسودات هذا الكتاب ووثائقه تحفظ فى خزائن القصر . كما أن القصر تولى برجاله وبوسائله توزيع هذا الكتاب بعد طبعه .

وكانت المهمة التى قام بها الأستاذ مصطفى أمين هى العمل على ترويح شعبية الملك، وهكذا كان ضمن المجموعة التى صحبت الملك فى رحلة الصعيد سنة ١٩٤٤

أثناء انتشار وباء الملاريا، وكانت مجلة «الاثنين» هي التى خلعت على الملك فاروق أوصافا مشهورة مثل «العامل الأول» و«الوطنى الأول» وغيرهما من الألقاب.

واشترك الأستاذ مصطفى أمين اشتراكا فعليا فى المناورات التى سبقت إقالة وزارة «مصطفى النحاس» (باشا) فى أكتوبر ١٩٤٤، و«أنعم» عليه بعدها برتبة «الباكوية»، وكان الأستاذ على أمين هو الذى ذهب إلى معتقل «مكرم عبيد» (باشا)^(١) يحمل إذن الإفراج الملكى عنه ويصحبه إلى وزارة المالية التى عين وزيرا لها فى وزارة «أحمد ماهر» (باشا)، وكانت تلك هى المناسبة التى قال فيها «مكرم» (باشا) خطبته الشهيرة «سبحانك الله جئت بى من غياهب الجب سجيناً ووضعتنى على خزائن الأرض أمينا».

وأثناء حكم وزارات الأقلية من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥٠، كان الأستاذ مصطفى أمين هو الصحفى المعبر عن السراى واتجاهاتها، وقد ظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٥٢. وتروى الوثائق السرية لوزارة الخارجية البريطانية فى المجموعة - التى رفع عنها الحظر أخيرا - قصة لها دلالتها.

وهناك فى هذا الصدد وثيقتان.

والحقيقة أن دلالتها تتعدى مجرد الوقائع التى ترد فيهما.

الوثيقة الأولى تقرير من السير «رالف ستيفنسون» السفير البريطانى فى القاهرة، وموجهة منه إلى السير «أنتونى إيدن» وزير الخارجية البريطانية، وتاريخها هو ١٩ فبراير ١٩٥٢، ورقمها الشفرى هو ج.أ. ٧٩ / ١٠١٨ - وموضوعها هو جو المؤامرات والدسائس الذى ساد القصر الملكى أثناء عملية إقالة وزارة «مصطفى النحاس» (باشا) يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ - وهو اليوم التالى لحريق القاهرة مباشرة.

(١) لم يمنع ذلك مكرم عبيد (باشا) من أن ينشر فيما بعد - عندما أحس بمناورات القصر ووراءه السعدين والدستوريين ضده - وأخبار اليوم تتصدى للحملة عليه نيابة عن الجميع - أن يكتب فى الصفحة الأولى من جريدة «الكتلة» ما يفيد بأن القصر هو الذى ساعد على إنشاء أخبار اليوم، وأن هناك مبلغا كبيرا من المال رصد لهذه العملية.

ويحتوى التقرير على عشرة بنود. الأربعة الأولى منها تتعرض للآراء المختلفة بين رجال الحاشية حول الموقف الذى يستطيع الملك أن يتخذه. وفى الواقع فإن السؤال المحورى هو :

- هل جاء حريق القاهرة بالفرصة الملائمة التى يستطيع الملك فيها أن يقلل وزارة النحاس (باشا)؟

كان بعض رجال الحاشية يرون ضرورة التأنى قبل إقالة النحاس (باشا)، ومن هؤلاء الفريق « محمد حيدر » (باشا) وزير الحربية وقتها.

وكان هناك آخرون من رجال الحاشية يرون ضرورة المسارعة بالإقالة، وكانوا فى كراهيتهم للوفد يتذرعون بدعوى أنه إذا لم تتم إقالة وزارة النحاس (باشا) فوراً فإن القوات البريطانية فى قناة السويس سوف تتدخل على الفور لاحتلال القاهرة حتى تضمن الأمن والنظام وحياة ومصالح الرعايا البريطانيين والأجانب فى مصر.

ويظهر من سياق الوثيقة أن الأستاذين مصطفى وعلى أمين كانا مع رجال الحاشية الذين يرون بضرورة الإقالة مستغلين فى ذلك ما رددته بعض الشائعات عن احتمال تدخل القوات البريطانية.

وأنقل إلى نص الوثيقة وإلى البند الخامس من تقرير السفير البريطانى، وهو البند الذى يخص الأستاذ مصطفى أمين. قالت الوثيقة بالحرف (١):

« ٥ - وبعد الساعة الثامنة مساء بقليل تلقى أحد أعضاء هذه السفارة (٢) مكالمة تليفونية من على أمين، وهو مع شقيقه مصطفى أمين يملكان جريدة أخبار اليوم، وهى عدو ضار للوفد. وقد سأل على أمين إذا كانت هناك صحة للتقارير التى

(١) صورة تقرير السفير البريطانى فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٩)

(٢) ليس متصوراً بالطبع أن يكون الأستاذ على أمين قد اتصل بشخص فى السفارة لم يعرفه من قبل ليسأله هذا السؤال الخطير، وليس متصوراً أيضاً أن لا يذكر السفير فى تقريره اسم المسئول الذى جرى معه الاتصال - ومن هناك يمكن استنتاج أن الشخص الذى اتصل به الأستاذ على أمين يعمل فى السفارة، ولكنه ليس فى الأقسام السياسية - الظاهرة - التابعة لسلطة السفير - وإذن من هو؟ وتحت أى غطاء يعمل؟

تحدث عن تحركات واسعة النطاق للقوات البريطانية في منطقة القناة، وقد أخطر بأن عضو السفارة الذي اتصل به ليست لديه أية معلومات محددة وإن كان مما لا شك فيه أن السلطات العسكرية تعد نفسها للتدخل إذا انفجرت مرة أخرى الأعمال العدائية ضد أرواح البريطانيين وممتلكاتهم لأنه لا يمكن لأحد أن يتوقع أن يقف الجيش البريطاني ساكناً بينما تقتل نساء بريطانيات.

إن على أمين ما لبث أن سأل محدثه عما يكون عليه الموقف «إذا حدث تغيير» وكان يقصد تغييراً في الحكومة، وكان الرد عليه أنه إذا استطاعت حكومة جديدة أن تثبت قدرتها على استعادة القانون والنظام وحماية الأرواح والممتلكات البريطانية - فإن السؤال لا يطرح نفسه إطلاقاً. وإذا أمكن تصديق مصطفى أمين^(١) فإن هذه المكالمات التليفونية كان لها تأثير كبير على الحوادث. مصطفى أمين كان في ذلك الوقت في مكتب مساعد رئيس الديوان الملكي في القصر، وعندما سمع من أخيه على تعليق هذه السفارة، فإن مصطفى أمين عمل على إخطار الملك بهذه الشائعات عن تحركات القوات البريطانية بعد أن نسبها إلى هيئة الإذاعة البريطانية، كما أنه عمل على إخطار الملك باتصال شقيقه بهذه السفارة. وبدون شك فإنه نقلها في صيغة تصريح مباشر بأن القوات البريطانية سوف تتحرك إذا لم يكن هناك تغيير في الحكومة. وطبقاً لمصطفى أمين فإن الملك أقرعته هذه التقارير وطلب إلى عمرو باشا^(٢) أن يتحقق منى (أى السفير نفسه) مباشرة عما إذا كان صحيحاً أن هناك تحركات للقوات البريطانية. وكانت إجابة عمرو باشا - إذا صدق هذا الجزء من الرواية كلها - دليلاً على حكمته، فقد رد بقوله إنه لا يحبذ مثل هذا الاتصال بى في هذا الشأن لأنه لو حدث أننى أكدت هذه الأنباء، فمعنى هذا أن الملك سوف يجد نفسه مواجهاً بشيء يكاد أن يصل إلى مرتبة الإنذار الرسمي».

ويتحدث البند السادس من الوثيقة عن اتصالات تشكيل الوزارة الجديدة التي تتولى الحكم بعد إقالة النحاس باشا، ثم يتحدث عن تردد على ماهر باشا في تأليف هذه الوزارة.

(١) يلاحظ في تقرير السير رالف ستيفنسون أنه رغم أهمية الاستاذين مصطفى وعلى أمين كمصادر

معلومات بالنسبة للسفارة البريطانية وقتها - فإن هناك باستمرار نبرة شك في مصداقية ما ينقلان

(٢) السفير المصرى فى لندن وقتها ، وكان مستدعى للقاهرة للتشاور

ثم يعود البند السابع فى الوثيقة إلى دور الاستاذين مصطفى وعلى أمين،
فيروى ما يلى :

وطبقاً لمصطفى أمين فإن على ماهر باشا غير رأيه استجابة لإلحاح الأخوين
أمين، وقد بقى أحدهما وهو مصطفى فى القصر، بينما توجه الثانى إلى بيت على
ماهر فى سيارة إسعاف، فقد كان ذلك هو النوع الوحيد من المركبات التى يمكنها
السير فى حالة حظر التجول (التى كانت مفروضة فى ذلك الوقت). ويمكن أن يكون
الأخوان أمين قد لعبا دوراً فى إقناع على ماهر بنسيان تحفظاته التى أبداهها للملك.
وإذا كان ذلك كله صحيحاً فإن ذلك يؤكد النكته التى تشيع هذه الأيام وهى أن وزارة
على ماهر هى أول حكومة مصرية تولد فى سيارة إسعاف.

ثم ينتقل تقرير السفير البريطانى إلى البند الثامن فيقول :

«أن على ماهر أعاد تقييم موقفه فقبل تشكيل الوزارة، ولكن حيدر باشا قال إن
معلومات الأخوين أمين لابد أن تكون مزيفة لأن تقارير المخابرات العسكرية التى
تلقاها توضح أنه ليست هناك أية إشارات عن احتمال تحرك بريطانى إلى القاهرة.
إن مصطفى أمين، بتشجيع من عمرو باشا، واصل حرب الأعصاب التى شنها وقام
باتصال تليفونى جديد مع هذه السفارة حوالى ٩،١٥ مساءً، وفى حضور هذا
الجمع المختلف من رجال الحاشية. وعلى أى حال فإن هذه الحادثة كانت لمجرد
«التهويز».

.....

.....

وتتصل الوثيقة الثانية بالوثيقة الأولى مباشرة، فهذه الوثيقة الثانية وهى
برقم ٨٠ / ١٠١٨ أ.د. موجهة من سكرتارية السفارة إلى وزارة الخارجية،
ونصها كما يلى ^(١).

(١) صورة تقرير السفارة البريطانية فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٠).

الرجاء الرجوع إلى البرقية رقم ٤٥ بتاريخ ١٩ فبراير الخاصة بالقصة الداخلية الحقيقية للتغيير الأخير في الوزارة.

(٢) مصطفى أمين، الذي هو المصدر الرئيسى للمعلومات الواردة في تلك البرقية، أعطانا أيضاً التقرير التالى للاجتماع الذى انعقد يوم ٢٨ يناير لتقرير سياسة الوفد.

(٣) وكما أفاد مصطفى أمين، فقد حضر هذا الاجتماع كل من النحاس وسراج الدين وكريم ثابت وعبود باشا، وقد أوصى كريم ثابت بصفته خبير الوفد بالمسائل المتعلقة بالملك بأن المهم هو إظهار الولاء. وإذا أظهر النحاس، وبرغم طرده، الولاء الملك عن طريق تعاونه عن طيب خاطر مع على ماهر^(١)، فإن موقفه سيكون إيجابياً بالمقارنة بمواقف «سياسى المعارضة» الذين رفضوا الاشتراك في وزارة على ماهر «لأن الملك لم يدعهم لتناول الغداء»، والملك ما زال ميالاً إلى الوفد، وإذا أجاد الوفديون اللعب بورقهم فإن ثابت لا يظن أن رجوعهم إلى الحكم خلال شهرين مستحيل. وقد قبل النحاس هذه النصيحة، وخلال اجتماعه مع على ماهر تعهد بمساندة الوفد لوزارته شريطة :

(أ) أن لا يكون هناك أى فصل للموظفين المواليين للوفد.

(ب) أن لا تكون هناك أية إجراءات أو دعاوى قضائية ضد الوفد.

(ج) أن لا يحل البرلمان.

(د) أن يتم إنهاء الأحكام العرفية في تاريخ مبكر.

ينطبق هذا التقرير مع البيانات العامة اللاحقة لعلى ماهر والنحاس ونحن نعتقد

(١) كان الملك والإنجليز في مازق في ذلك الوقت ، فرغم العلاقات المتردية مع الوفد فإن الملك كان يعرف أن شخصاً مستقلاً مثل على ماهر لا يستطيع أن يشكل وزارة بدون التعاون مع أحزاب الأقلية وكانت هذه الأحزاب هي أحزاب القصر، لكن الملك فاروق كان غاضباً من قياداتها لأنهم وجهوا إليه عريضة اعتبر ما فيها تجاوزاً في حقه ، وهكذا فإنه كان يريد عقابهم بإبعادهم فترة عن المناصب، ثم إنه أعلن غضبه بعدم دعوتهم إلى غداء على مأثته بمناسبة ميلاد ولي عهده (أحمد فؤاد)

أنها غالباً صادقة. هذا بالطبع لا يعنى أن كلا من على ماهر أو الوفد لا يستطيع الغدر بالآخر فى أول فرصة. وهناك دلالات على أن شهر العسل قد انتهى وأن الوفد سوف يعارض الحكومة.

(٤) إن ردود على ماهر الحالية على الصحفيين الذين سألوه عن حل البرلمان هي أنه إذا فشل التعاون بين الحكومة والقصر فسوف يتخذ «الإجراءات الدستورية اللازمة»، وهذا معناه الوحيد هو حل البرلمان.

وقد كانت هناك فعلياً حالات فصل لموظفى الوفد مع أنه فى بعض الحالات - كحالة رئيس جامعة الأزهر - فإن الوفد نفسه قد يخجل من الاعتراف بأن الرئيس المفصول كان موظفاً وفدياً. ومسألة ما إذا كانت سوف تتخذ الإجراءات القانونية ضد أعضاء الوفد البارزين سواء تحت طائلة قانون الكسب غير المشروع أو باعتبارهم مسئولين عن أحداث ٢٦ يناير - ما زالت مطروحة بشدة. وفى الوقت الحالى فإنه من غير المؤكد أيضاً ما إذا كانت الأحكام العرفية سوف تلغى فى نهاية مدة الشهرين المقررة لها. وقد أعلن الوفد أنه سوف يشن حملة لإلغاء الأحكام العرفية».

.....

.....

وحتى فى سنة ١٩٥٢ فإن أخبار اليوم خرجت ذات يوم تصف الملك فاروق بأنه «الفدائى الأول»، وبأنه تبرع للفدائيين المصريين العاملين فى منطقة قناة السويس ضد قوات الاحتلال البريطانى بمبلغ ثلاث آلاف جنيه.



وهكذا فإنه عندما قامت الثورة كانت للأستاذ مصطفى أمين علاقات واسعة بالسلطة فى مصر، كما كانت له علاقات تحوطها تساؤلات بغيرها.

ومع الشكوك التى أحاطت به كانت عملية اعتقاله مع توأمة ضمن حاشية الملك

فى الأيام الأخيرة من يوليو ١٩٥٢ - وحين أفرج عنه وحاول إثبات إخلاصه للنظام الثورى الجديد سواء بكتاباتة فى صحف أخبار اليوم ومجالاتها - أو بالتقارير الضافية والمفصلة التى راح يقدمها للمتنفذين فى السلطة الحاكمة الجديدة - أصبح له بدون شك نوعاً معيناً من الاتصال .

هناك شكوك ... نعم - ولكن هناك اتصال دون شك - على الأقل إلى فترة ما قبل السويس عندما دخلت مصر فى مواجهة مكشوفة - بغير ظلال - مع الولايات المتحدة الأمريكية التى راحت تحاول تحقيق أهداف العدوان الثلاثى بوسائل أخرى ، فطرح «مشروع أيزنهاور» للدفاع عن الشرق الأوسط ، وبدأت محاولاتها لعزل مصر عن المنطقة تمهيداً لضربها إذا سنحت فرصة .

ولم يكن فى هذا الاتصال - وفى المرحلة الأولى للنظام الجديد - ما يدعو إلى الاستغراب ، فمن الطبيعى أن تستفيد أى سلطة جديدة بكل من يعرض خدماته عليها خصوصاً إذا كان لديه الاستعداد^(١) . وحتى إذا كانت هناك شكوك فقد كانت شكوكاً ينقصها الدليل الحاسم .

وعلى أى حال فقد كان المعيار هو : ماذا ينقل إلى هنا ، وماذا كان ينقل إلى هناك ؟ (طبقاً لتعبير جمال عبد الناصر نفسه) .

وذلك اعتبار يجب أن يوضع فى الحساب عند قراءة أو سماع ما كان يقوله الأستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل .

لكن المحذورات فى هذه الحالة كانت كثيرة ..

● منها مثلاً أن الصلة بين جمال عبد الناصر وبين الأستاذ مصطفى أمين كانت قد توقفت فعلاً قبل سنوات من بدء علاقته ببروس تايلور أوديل .

(١) الواقع أن تقارير الأستاذ مصطفى أمين سواء منها ما كان يرسله إلى الرئيس جمال عبد الناصر أو إلى غيره من كبار مسئولى الأمن والدولة - صلاح نصر فى المخابرات ، وعبد القادر حاتم فى وزارة الإرشاد ، وسامى شرف فى سكرتارية الرئيس للمعلومات - كانت جهداً شاملاً لا يقتصر على الأخبار الخارجية وحدها وإنما يمتد ليشمل كل شىء ابتداء مما يجرى فى كواليس الصحافة والفن إلى ما يدور فى مجالس الأندية والبيوت .

● ومنها أن الأستاذ مصطفى أمين بنص اعترافه في رسالته - الوثيقة - نسب إلى جمال عبد الناصر ما لم يقله جمال عبد الناصر، وتولى من عندياته لسنوات أن يبتكر ويؤلف وينقل عن جمال عبد الناصر .

● ومنها أن الأستاذ مصطفى أمين لم يكن يتعامل مع سياسى أو دبلوماسى، وإنما مع مندوب لإدارة المخابرات المركزية، لم يحاول لحظة أن يستتر أو يتستر على هويته^(١).

● ومنها أخيراً مراجعة بنود ما كان ينقله الأستاذ مصطفى أمين لبروس تايلور أوديل.



يظل هناك وجه رابع لهذه القضية المعقدة، وهو أن الأستاذ مصطفى أمين كتب لجمال عبد الناصر وفي مواجهته يقول إنه فعل ما فعل بعلمه وموافقته، ومع أنه اعترف بانقطاع الصلة فقد تصور أن من حقه أن يستمر في القول كما يشاء.

وفي تلك الساعة من الليل وأنا أجلس أقلب كل ما قرأت وسمعت على جوانبه - بدت لى ظاهرة غريبة... فيها شىء يتعلق بى مباشرة، أى أننى أستطيع أن أحكم فيه بعلمى وبدون حاجة إلى أدوات أخرى للمعرفة.

عندما لاحظت أنه بدأ يستشهد بى فى رسالته - الوثيقة - كان شعورى لأول وهلة هو أن الأستاذ مصطفى أمين وجدنى قشة يستطيع أن يتعلق بها فى طوفان المأزق الذى سقط فيه.

ولم يكن فى هذا بأس.

لكن ما أثار استغرابى بعدها هو بعض الوقائع التى استشهد بى على صحتها وهو يحاول أن يبرر نفسه أمام جمال عبد الناصر.

(١) كان كيرميت روزفلت يحمل رسمياً «لقب» مستشار خاص لرئيس الولايات المتحدة، وهكذا كان هناك غطاء رسمى وسياسى مقبول للكلام معه .

ببساطة ليست صحيحة.

واحدة منها مثلاً أننى ذهبت معه إلى مكتب «هنرى بايرود» السفير الأمريكى فى مصر.. وقمت أنا بإلهاء السفير حتى استطاع الأستاذ مصطفى أمين أن ينقل نص برقية سرية وردت من واشنطن وكانت موجودة على مكتبه، ثم سلم النص لجمال عبد الناصر.

ببساطة لم يحدث.

ليس لأن الأستاذ مصطفى أمين وأنا لم نكن نرغب فى الحصول على نص برقية سرية من واشنطن إلى سفيرها فى القاهرة - وإنما بوضوح لأن السفير الأمريكى فى القاهرة - وكان فى الأصل جنراً فى الجيش الأمريكى - لم يكن على هذه الدرجة من السذاجة والبلاهة.

والقصة قد تصلح مشهداً فى فيلم «لجيمس بوند»، لكنها مع الأسف لم تحدث فى الحياة - على الأقل لم تحدث فى حياتى.

نفس نظرة المغامرة الفردية لتصوير وقائع التاريخ تتكرر - على سبيل المثال - حين يروى الأستاذ مصطفى أمين حكاية مبادلة طائرة «ميج ١٥» سوفيتية بموقف أمريكى فى حرب السويس.

ببساطة لم يحدث أيضاً.

ما حدث أن الأستاذ مصطفى أمين طرح علىَّ يوماً أثناء أزمة السويس هذا الاقتراح من جانبه ورجوته أن ينساه. وعلى وجه اليقين فإننى لم أسمعه مرة أخرى. لكنه يرويه باعتباره سر السويس العظيم.

كأن صمود مصر أحد عشر يوماً وحدها فى السويس أمام ثلاث دول - وكان التناقض بين أهداف واستراتيجيات بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من ناحية والولايات المتحدة من ناحية أخرى - وكان غضبة الشعوب العربية كلها - وكان وقفة شعوب العالم الثالث من دكار إلى داكا - وكان الإنذار السوفيتى - وكلها أحداث هائلة - لم يكن

لها تأثير على حرب السويس، وكأن التأثير أساساً لوعد بطائرة «ميج» لم يلبث جمال عبد الناصر أن استبدله بوسام لدبلوماسى أمريكى .

وكيف يمكن فهم ظاهرة أن الأستاذ مصطفى أمين يكتب هذا كله وغيره . ثم يكتبه لجمال عبد الناصر الذى يعلم الحقائق أكثر من غيره، ثم يكتبه فى هذا الظرف الدقيق والحرص بالنسبة إليه ؟

كيف ؟

لعل لا أتجاوز إذا قدمت من ناحيتى محاولة للفهم لا ألجأ فيها إلى الاستنتاج وإنما أعود فيها إلى خبرة حياتى أكثر من عشر سنوات داخل أخبار اليوم، وخبرة علاقة قريبة وحميمة، لم تكن علاقة حب أعمى وإنما علاقة حب مفتوح العينين يلاحظ ويتابع ويهتم .

كان الأستاذ مصطفى أمين يروى قصة، ثم يعود فى اليوم التالى ليرويها وقد اختلف فيها تفصيل واحد . ثم يعود بعد أسبوع ليرويها وقد اختلف تفصيلاً . وتتحول المتوالية الحسابية الى متوالية هندسية، وتفقد القصة فى آخر طبعة منها علاقتها بالطبعة الأولى حين رويت لأول مرة، لكن كثرة التكرار تولد نوعاً من الاقتناع الحقيقى لدى صاحبه بأن ما يقوله هو صدق : كذلك يخيل له .

وهكذا فإن الأستاذ مصطفى أمين حين قدم الوقائع أمام جمال عبد الناصر - فى رسالته الوثيقة - لم يكن يظن أنه يكذب - كما قال بنفسه - وإنما كان يقول ما يتصور هو أنه صحيح بصرف النظر عن الحقيقة .

وإذن فنحن أمام ظاهرة مثيرة للتأمل . لا تحتاج الى مجرد رجل أمن يضبط الوقائع، ولكنها تحتاج أيضاً إلى عالم نفسى يحلل الدوافع (١) .

(١) ربما كان من الأمثلة المدهشة التى تشرح هذه الحالة من الفارق الهائل بين الطبعة الأولى لاي كلام عن الطبعة الأخيرة التى ينتهى إليها الكلام - هو الاستشهاد بمقال كتبه الأستاذ مصطفى أمين فى دوره الجديد - كمدافع عن الديمقراطية والحريات - فى عموده اليومى بجريد الاخبار يوم ٥ يوليو ١٩٨٢ ، وقد جاء فيه بالحرف :

حتى طلع الفجر كنت ما أزال على الشرفة المطلة على البحر أحاول تقليب الأمور على كل وجوها. كنت أريد أن أستقر على توصيف لكل ما جرى - أطمئن إليه وأقف وراءه وأحدد موقفى على أساسه.

ولم يكن ذلك سهلاً.

وعلى أية حال فقد قدرت بينى وبين نفسى أننى أحتاج إلى فترة من الزمن أتابع فيها من بعد ما يجرى . نتائج التحقيق الذى تجريه هيئة الأمن القومى مع الأستاذ مصطفى أمين، ثم كيف يتصرف الأستاذ على أمين فى لندن^٤

لأسابيع على الأقل سوف يكون فى وسعى أن أنتظر وأتابع من بعيد.

لن أكون مطالباً بموقف ولا بتصرف.

فترة انتظار تفرضها طبائع الأمور.

= «ومن حق المنافقين أن يغضبوا ، وأن يقيموا الدنيا ويقعدوها، وأن يتحدثوا عن «أدب السلوك فى حضرة الملوك» هذا حقهم الذى لا نجردهم منه إن احتمال النقد هو الشجاعة والقوة . وتحطيم الأعلام هو الجبن والضعف» .

وهو كلام طيب لا بأس به . مشكلته الوحيدة أن هذا التعبير «أدب السلوك فى حضرة الملوك» هو تعبير الأستاذ مصطفى أمين نفسه ، وكان عنواناً لواحدة من مقالاته الشهيرة فى سلسلة «لماذا ساءت العلاقات بين القصر والنحاس باشا» وكان المقال هجوماً فادحاً وقاذعاً ضد مصطفى النحاس لأنه لم يكن يحسن التصرف فى حضرة الملك فاروق ، وكان يتجاوز فى قواعد البروتوكول الملكى ، وكان ينسى أنه أمام سيد البلاد ومليكه

ولا يمكن أن يكون السبب هو نسيان الماضى والذاكرة التى تتأثر بالسن ومر الأعوام ، وإنما لابد أن يكون هناك سبب أعمق وأبعد غوراً فى التركيب النفسى لكاتب هذا الكلام فى المرتين

الجزء الثالث

ملفات شخصية

«ضمير له ألف لسان

وكل لسان عليه ألف حكاية»

(من قصيدة لويليام شيكسبير)

الفصل الأول

فى مواجهة التفاصيل!

يوم ١٠ أغسطس ١٩٦٥ - كانت السيارة تنهب بى الأرض على الطريق الصحراوى من الإسكندرية إلى القاهرة. وكنت مستغرقا بالكامل فى قضية بدت لى فى تلك اللحظات أهم وأبعد أثرا فى مستقبل المهنة من أى شىء عداها.. وكانت هذه القضية قد طرحت نفسها فجأة وبغير تخطيط مسبق.

ذهبت لأقابل الرئيس جمال عبد الناصر قبل عودتى إلى القاهرة.

وسألنى عن رأى فى الرسالة - الوثيقة - التى كتبها الأستاذ مصطفى أمين إليه. ويبدو أننى عبرت عن شواغلى ولم أجب عن سؤاله. فقد قلت له: «إنه بصرف النظر عن أى شىء فإن الذى يثير قلقى هو أوضاع الصحافة ومستقبلها والعاملين فيها والظروف المحيطة بعملهم».

ووجدتنى دون ترتيب مسبق أعرض أمامه قصة تطور الصحافة المصرية، ثم أركز على الانتقال الصعب فى المهنة من العصر الملكى إلى عصر الثورة، ثم وصلت إلى قرار تنظيم الصحافة سنة ١٩٦٠، ثم قلت «إنه ربما يتذكر موقفى أثناء الملبسات التى أحاطت بصدر هذا القانون».

لم أكن بشكل خاص مصرا على استمرار الملكية الفردية للصحف، ولكنى كنت مشفقا على المهنة من التأميم. وبدالى أن ملكية الأفراد للصحف قد تكون أهون شرا من ملكية الحكومة للصحف. فالصحيفة بتأثيرها قد تكون قوة ضاربة ضخمة

لكنها فى تكوينها الداخلى مخلوق هش وشديد الحساسية . فهى بالدرجة الأولى إحساس بمناخ .. الإحساس بالمناخ يملؤها بالثقة فى قدرتها على ممارسة رسالتها أو يملؤها بالوساوس التى تأخذ منها قدرتها على ممارسة دورها .

قلت إننى أتحدث عن الصحافة الحديثة التى أصبحت صناعة كبيرة إلى جانب كونها خبرا ورأيا وثقافة .. إلى آخره .

أقضت فى هذا وتفاصيله ، وهو يسمعى باهتمام ، ثم عدت فقلت إننى أخيرا أكاد أصل إلى صيغة الملكية التى تلائم أكثر من غيرها روح العصر وروح الحرية فيه . ثم شرحت له اهتمامى بتجربة الملكية التعاونية لجريدة «الموند» الفرنسية وكيف أننى حاولت دراسة تفاصيلها ، وأن هذا كان هو السبب الأساسى الذى من أجله دعوت «بيف ميرى» رئيس مجلة إدارة «الموند» ورئيس تحريرها ليكون ضيفا علينا فى القاهرة .

كانت التجربة عنوانا عاما فى ذهنى حين اقترحت عليه (الرئيس) ما اقترحت من تعديلات على قانون سنة ١٩٦٠ - لكنى لم أكن قد توفرت على التفاصيل .

الآن بحثت وناقشت كيف يمكن الاستفادة من تجربة «الموند» لمستقبل الصحافة فى مصر .

قلت له : «إن فكرة الملكية التعاونية تتحدد فى ذهنى أكثر وأكثر كل يوم كبديل للملكية الفردية للصحف أو للملكية العامة لها ، أو حتى للوضع المعلق فى الهواء الذى انتهى إليه قانون تنظيم الصحافة .

كل العاملين فى الصحيفة : محررون ، عمال ، إداريون - هم الجمعية العامة لها . الجمعية العامة تنتخب من بينها مجلس إدارة . كما أنها تختار هيئة أمناء مكونة من شخصيات عامة لها إسهامها فى شتى مناحى الحياة .

مجلس الإدارة يختار رئيس التحرير ، وهيئة الأمناء تتابع الأداء العام لرسالة الصحيفة وتقدم تقريرا سنويا إلى الجمعية العامة ...» .

أسهبت فى شرح تفاصيل ما أتصوره، ثم تحدثت عن بعض المشكلات الراهنة مع الاتحاد الاشتراكى الذى آلت إليه - بعض قانون التنظيم - ملكية الصحف.

ومن وسط الظلام لمع شهاب.. ولم يسقط الشهاب فى الفضاء وإنما تحول إلى ضوء.

قال الرئيس جمال عبد الناصر : «إننى معك فى أن أوضاع الصحافة تحتاج إلى بحث جديد». ثم أضاف يذكرنى بأنه أثناء بحث قانون سنة ١٩٦٠ أتاح لى الفرصة أن أقترح ما يمكن إدخاله عليه من تعديلات لضمان دور الصحافة فى المجتمع وحريتها فى خدمة أهدافه.

ثم قال لى الرئيس إنه لا يمانع فى صيغة تعاونية لملكية الصحف على أن تبدأ بتجربة محدودة فى «الأهرام» مثلاً ثم تعمم بالنسبة لباقى الدور الصحفية.

ثم طلب إلى أن أقلب الأمر على كل جوانبه ثم أتقدم إليه باقتراحات محددة. وتحول لقاء بدأته بمحاولة الدفاع عن صحفى - إلى ما كان يمكن أن يصبح نقطة تحول فى تاريخ الصحافة.

وهكذا على طريق العودة إلى القاهرة كانت القضية الجديدة قد ملكت على كل حواسى.



التفاصيل الصغيرة أحيانا أثقال حديد تشد إلى الأرض مهما حاولت أجنحة الأفكار أن تحلق وتطير.

عندما دخلت إلى مكتبى كان عليه ملف بالأوراق التى تراكمت تنتظر البت فور عودتى من الإسكندرية بعد أسبوع غياب.

أول ورقة فيه كانت مذكرة داخلية محولة إلى من الدكتور «فؤاد إبراهيم» المدير العام للأهرام. المذكرة أساسا مقدمة إليه من السكرتارية المالية للتحرير - نصها كما يلى:

«مذكرة داخلية»^(١)

الموضع : تحويل مرتب وبدل اغتراب الأستاذ على أمين إلى لندن عن ٣ شهور
(أغسطس / أكتوبر ١٩٦٥).

سيادة الدكتور المدير العام

تحية طيبة واحتراما وبعد، إشارة إلى ما نشر في أهرام اليوم بالصفحة الأولى
حول القبض على الأستاذ مصطفى أمين وإرجاء نشر باب «فكرة»^(٢) الذي يكتبه
الأستاذ على أمين من لندن أتشرف بإحاطة سيادتكم علماً بأننا تقدمنا إلى البنك
بطلب تحويل مرتب ومصاريف الأستاذ على أمين عن ٣ شهور هي المدة من أول
أغسطس إلى آخر أكتوبر ٦٥ تنفيذاً لعقد الاتفاق المبرم بين المؤسسة وسيادته
بتاريخ ٦٥/٤/٢٩.

فالرجاء التكرم بالإفادة عما إذا كنتم ترون سيادتكم الاستمرار في إجراءات
التحويل أم وقفها مؤقتاً، حتى يمكننا إخطار البنك برغبتنا قبل تنفيذ التحويل
المطلوب.

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الشكر وفائق الاحترام.

السكرتير المالي لإدارة التحرير

(إمضاء)

وكانت الورقة التالية في الملف خطاباً شخصياً من زوجة الأستاذ على أمين.



(١) صورة المذكرة في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١١).

(٢) كان الأهرام قد نشر يوم القبض على الأستاذ مصطفى أمين نص البيان أذاعه النائب العام عن القضية .
وفي صدد الأستاذ على أمين كتب الأهرام كلمة جاء فيها : «بعد إذاعة هذا البيان الصادر من مكتب
النائب العام، فلقد رأى الأهرام أنه قد يكون من المناسب إرجاء نشر باب «فكرة» الذي يكتبه على أمين ،
وذلك حتى ينتهى التحقيق فى القضية المهمة التى أشار إليها بيان النائب العام .

ودعوت الدكتور «فؤاد إبراهيم» ومعه الدكتور «جمال العطيفي» المستشار القانوني للأهرام أطرح عليهما رأيي فيما وجدته معروضا عليّ:

كان رأيي أننا ربما نستطيع - ما دمنا قد أرجأنا مؤقتاً نشر الباب اليومى الذى يكتبه الأستاذ على أمين بعنوان «فكرة» أن نؤجل تحويل مرتب الشهور الثلاثة القادمة (من أغسطس إلى أكتوبر) إليه فى لندن، هذا مع العلم أن تقدمنا بطلب تحويله فى هذا الظرف إلى لندن يمكن أن يفتح علينا باب مساءلات لا لزوم له - هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى - فإننا لا نستطيع عدلاً ولا واجباً أن نوقف صرف مرتبه، وإلا فمعنى هذا أننا - تبرعاً - حكمنا عليه وفصلناه.

وكان اقتراحى بعد ذلك أن نحول إليه مرتبه بالجنيه المصرى إلى حسابه الجارى - وربما كان فى ذلك أيضاً ما يمكن أن ينفع أسرته المقيمة فى القاهرة : زوجته وابنته الصغيرة منها، وابنته من زواجه الأول.

وبعد مناقشات وافق الاثنان على اقتراحى مع لفت نظرى إلى أن هذا ترتيب مؤقت حتى ينتهى التحقيق مع الأستاذ مصطفى أمين، ومن ثم يجرى البت فى الأمور المعلقة كلها بتاً كاملاً.

لكن السكرتارية المالية للأهرام كانت على استعداد للصبر أسابيع ليس أكثر، وهكذا وجدت أمامى منكرة ثانية محولة إلى مكتبى من الدكتور «فؤاد إبراهيم» مقدماً إليه من السكرتارية المالية للأهرام - نصها كما يلى:

«منكرة داخلية^(١)»

الموضوع : إلغاء قيد مرتب وبدل انتقال الأستاذ على أمين.

السيد مدير إدارة الشئون المالية والإدارية.

تحية طيبة وبعد - لاحظنا أن مرتب وبدل انتقال الأستاذ على أمين - مراسلنا

(١) صورة للمكرة فى الملحق للوثائق فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٢)

المتجول فى أوروبا سابقاً - ما زال يدرجان فى ميزانية الأجور ويحولان إلى حسابه الجارى، ولكن مع إيقاف تحويل صافى قيمتهما إلى الخارج بناء على تعليمات الإدارة.

وحيث إن إدارة التحرير أوقفت التعامل مع سيادته منذ أواخر شهر يوليو ٦٥ فإننا نرجو التنبيه إلى عدم إدراج أية مستحقات له اعتباراً من شهر نوفمبر القادم وإلغاء القيود الحسابية التى تمت فى الفترة ما بين أغسطس وأكتوبر ٦٥، اكتفاء بما تم تحويله إلى الخارج عن الشهور الثلاثة الأولى من بدء التعامل مع الأستاذ على أمين وهى المدة من أول مايو إلى آخر يوليو ٦٥.

مع تحياتنا.

(إمضاء)

ولقد وجدت أن السكرتارية المالية للأهرام تعسفت فى تفسير ما نشرناه قبل أسابيع عن وقف نشر عامود «فكرة» فأخذته على أنه ليس «إرجاء» للنشر ولكن «إيقافاً» للتعامل.

ولم أشأ أن يدخل مكتبى - كرئيس لمجلس إدارة الأهرام ورئيس لتحريره - فى مناقشة مع السكرتارية المالية حول تفسير النصوص، وخصوصاً أن تدخل الآن - بعد قرار إدارى بالإيقاف وإلغاء القيود الحسابية - يمكن أن يؤثر على حق إدارات الأهرام فى اتخاذ قرارات فى حدود اختصاصاتها ووفق إحساسها هى بمنطق القواعد ومنطوق القوانين.

ومرة أخرى دعوت الدكتور «فؤاد إبراهيم» والدكتور «جمال العطيفى» لبحث المسألة.

شرحت أن هناك - غير القواعد والقوانين - علاقات بشر وعوامل إنسانية.

إن الأستاذ على أمين سافر إلى لندن وترك أسرته فى القاهرة لشقيقه الأستاذ مصطفى أمين ولى. ومصطفى الآن رهن التحقيق، ومعنى ذلك أن الأسرة لا تجد من تذهب إليه غيرى، وأنا لا أستطيع أن أتصل من هذه المسئولية.

وسألت : «هل نستطيع من ميزانية مصاريف تحرير الأهرام - وتوجيه الصرف فيها يدخل فى اختصاصى - أن نقدم مبلغا شهريا لأسرة الأستاذ على أمين فى القاهرة حتى تنجلى الأمور؟».

ودارت مناقشات واستقر رأى فى النهاية على أنى أستطيع ما دمت أصر. لكن هناك شرطا واحدا وهو أن يكون التصرف والصرف تحن مسئوليتى وحدها ومن مكتبى.

وقبلت. ورتبت أن تزور زوجة الأستاذ على أمين أول كل شهر مديرة مكتبى فى ذلك الوقت السيدة «نوال المحلاوى» لتأخذ منها مبلغ مائتى جنيه - ثم يكون القيد الحسابى هو : «مصاريف تحرير صفت بمعرفة رئيس التحرير وتحت مسئوليته».

وظل هذا الترتيب معمولا به أكثر من عامين حتى استطعت فيما بعد أن أحصل على تصريح بسفر الزوجة وابنتها لكى تلحقا بالأب فى لندن - وخصوصا أن ابنة الأستاذ على أمين كانت تحتاج إلى عملية جراحية فى العين من نوع العملية التى أجريت لابنى فى لندن، وهى العملية التى حضرها الأستاذ على أمين بدلا منى عندما اضطررت إلى العودة للقاهرة فى ٢٠ يوليو ١٩٦٥.



كانت ظنوني - أو لعلها أوهامى - أن تلك آخر مرة تفرض علىّ فيها الظروف أن أختار أو أقرر شيئا يتعلق بالأستاذين مصطفى وعلى أمين.

وتفرغت فى شهر سبتمبر ١٩٦٥ لدراسات مطولة، ومناقشات واجتماعات، حول ما عرضته من أفكار على جمال عبد الناصر بشأن الملكية التعاونية للصحف بدءاً بالأهرام، ثم تعمم على بقية الدور إذا نجحت التجربة.

وانتهينا إلى صيغة إنشاء «هيئة الصحافة العربية المتحدة»^(١). وقد تولى الدكتور

(١) بعد سنوات من خروجى من الأهرام تنبه البعض إلى أن قانون هيئة الصحافة العربية المتحدة ما زال قائما، وأصدر الرئيس السادات قرارا بإلغائه، وأعيدت الصحافة إلى الملكية الكاملة للدولة، وكانت العناوين التى نشرت لقرار الإلغاء تصور الأمر وكأنه إنهاء لسيطرة فرضتها (أنا) على الصحافة وقبضة حديدية حاولت إحكامها على رقبتها!!

«جمال العطيفي» وضعها في القالب القانوني وقدمتها للرئيس جمال عبد الناصر يبدى فيها رأيه، فإذا أقرها قام بتوقيعها بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكي العربي الذي آلت إليه ملكية الصحف بنص قانون التنظيم.

ومساء يوم ١٥ أكتوبر - دق التليفون في بيتي وكان جمال عبد الناصر على الخط يقول لي: «إنه قرأ مشروع إنشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة وقد أعجبه. وهو يرى الآن - لأسباب عديدة - أن تنضم دار أخبار اليوم تحت أحكامه كالأهرام وأن أكون أنا رئيسا لمجلس إدارة الهيئة الجديدة».

وقال ضمن ما قال: «سوف أترك الجمهورية للتنظيم السياسي في الاتحاد الاشتراكي وأعهد بالإشراف عليها إلى «على صبرى»، ولتكن هي جريدة التنظيم. وأما الصحافة المحترفة - بالدرجة الأولى دار الأهرام ودار أخبار اليوم - فلتدخل جميعا في إطار ما اقترحته وما وافقت عليه».

وحاولت أن أناقش قراره. ولم تكن هناك جدوى، فقد قطع في الأمر برأى نهائى حين قال: «سوف أخطر الآن خالد محيى الدين وغدا ترتب أن تلتقى معه لكى تتسلم أخبار اليوم وتنظم أوضاعها استعدادا لإنشاء الهيئة الجديدة».

ولم أكن مستريحا.



كانت الأسباب التى نزعنت منى الشعور بالراحة - فى نفس وقت قبول اقتراحى بإنشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة - متعددة أبرزها سببان :

السبب الأول: إن إشرافى على صحف دار أخبار اليوم إلى جانب صحف دار الأهرام - تركيز للقوة الصحفية فى يد واحدة بأكثر مما هو ضرورى وصحى (وفيما بعد كتبت ذلك صراحة فى الخطاب الرسمى الذى وجهته إلى الرئيس جمال عبد الناصر أعترذ فيه عن قبول منصب وزير الإرشاد القومى).

والسبب الثانى : يتلخص فيما بدا لى من تضارب المصالح بين دارين صحفيتين تصدر عن كل منهما جريدة يومية تنافس الأخرى، أو هكذا يجب أن يكون.

ولم يكن أمامى سبيل إلى حل الإشكالية الأولى فى ذلك الوقت.

وأما الإشكالية الثانية فقد رأيت حياها أن يكون لأخبار اليوم وضع مستقل حتى عن شخص المفوض بسلطات مجلس إدارتها.

وهكذا رحت أبحث عن أنسب وضع يحقق لدار أخبار اليوم قوتها الذاتية المستقلة

وعلى هذا الأساس دعوت الأستاذ «جلال الدين الحمامصى» الذى سبق أن فصله السيد «كمال رفعت» من أخبار اليوم فالتحق بوظيفة فى الجامعة الأمريكية - وعينته بالحد الأقصى للمرتبات وقتها لكى يكون مشرفا عاما على تحرير صحف دار أخبار اليوم، واتفقت معه على أن تكون لصحف الدار كلها حريتها الكاملة خصوصا إزاء الأهرام.

ودعوت الأستاذ «إحسان عبد القدوس» وعينته - بالحد الأقصى للمرتبات - رئيسا لتحرير مجلة أخبار اليوم الأسبوعية.

ودعوت الأستاذ «يوسف السباعى» وعينته - بالحد الأقصى للمرتبات - رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة.

وجعلت الأستاذ «موسى سبرى» رئيس التحرير المسئول عن جريدة الأخبار ورفعت مرتبه هو الآخر أسوة - بغيره.

ثم طلبت من الأستاذ أنيس منصور» أن يكتب بابا ثابتا كل يوم فى الأخبار ورجوته فى اختيار ثلاثة عناوين لهذا الباب أختار واحدا منها. وبالفعل فقد اخترت من بينها عنوان «مواقف» الذى ظل الأستاذ «أنيس منصور» يكتبه سنوات فى الأخبار ثم نقله معه بعد ذلك للأهرام.

وفوق ذلك فلقد دعوت الأستاذ «السيد الصادق أبو النجا» ليكون مشرفا عاما على إدارة أخبار اليوم، وكان يشغل هذا المنصب من قبل فى عهد ملكية الأستاذين مصطفى وعلى أمين لدار أخبار اليوم.

واعتقدت أنني بذلك وفرت لأخبار اليوم أقصى كفاءات مهنية أستطيع أن أجدها في المجال الصحفي وفي إطار ما هو متاح.

وقصرت زهابي إلى أخبار اليوم في حدود مرتين أو ثلاث في الأسبوع - ولمدة ساعة أو ساعتين على الأكثر كل مرة.. أقل مدة كافية لتصرف الشئون التي تحتاج إلى قرار من رئيس مجلس الإدارة.

وفي كل الأحوال فلقد رجوت الرئيس جمال عبد الناصر أن يعتبر قيامي باختصاصات رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم - في إطار هيئة الصحافة العربية المتحدة - إجراء مؤقتاً إلى حين يتسنى له اختيار بديل.



ونشر قرار تخويلي سلطة مجلس إدارة أخبار اليوم - إلى حين إتمام إجراءات مناقشة وصدور قانون إنشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة - يوم ١٧ أكتوبر ١٩٦٥ - يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت من الأستاذ علي أمين في لندن البرقية التالية نصها: (١)

«إنني مسرور بالاندماج وفي غاية السعادة وأنا أراك تحقق حلمي الكبير. إن هذه الخطوة البديعة تملؤني بتفاؤل لا حدود له بمستقبل الصحافة المصرية. فليباركك الله وكل هؤلاء الذين يتعاونون معك.

على»

وأعترف أن برقية الأستاذ علي أمين خففت لدى بعض ما كنت أشعر به من حرج. لكن التطورات لم تتركني طويلاً أحس بالراحة.

فما هي إلا أيام بعدها حتى صدر من النيابة العليا لأمن الدولة قرار الاتهام في قضية الأستاذ مصطفى أمين وإحالة إلى محكمة أمن الدولة (٢).

(١) صورة من برقية الأستاذ علي أمين من لندن في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٣).

(٢) نص أمر الإحالة في قضية الأستاذ مصطفى أمين إلى محكمة أمن الدولة العليا في الملحق الوثائقي في نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٤).

واتصل بى الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا يقول لى «إن قرار الاتهام فى قضية مصطفى أمين قد صدر وأنه سيرسل إلى ملفا بالتحقيق، وهو يطلب منى أن أشرح تفاصيل القضية لمحرمى أخبار اليوم حتى تكون الصورة واضحة أمامهم».

وتوسلت إليه أن يعفنى من هذه المهمة فأنا لا أستطيع - إنسانيا - أن أقوم بها، ثم أن شرح تفاصيل قضية أمام محكمة أمن الدولة ليس من اختصاصى.

وأشهد أن الرئيس جمال عبد الناصر راعى وجهة نظرى، وهكذا جاء إلى دار أخبار اليوم أحد ضباط هيئة الأمن القومى ومعه ملفات القضية والتحقيق وأشرطة التسجيل وعرضها فى اجتماع حاشد لأسرة أخبار اليوم^(١).

وتكرر المشهد بعد ذلك فى نقابة الصحفيين حينما طلب النقيب فى ذلك الوقت أن تتاح نفس الفرصة لبقية أعضاء النقابة لأن الأمر يهم كل جموع الصحفيين.



وصباح اليوم التالى كنت فى أخبار اليوم. وجاءتنى إحدى السكرتيرات - وكانت من قبل مختصة بالعمل مع الأستاذ مصطفى أمين - تقول لى إن زوجة الأستاذ على أمين فى مكتبها وتطلب بصورة عاجلة أن ترانى. ورجوتها أن تدعوها على الفور، واستأذنتنى إذا كانت تستطيع أن تحضر معها لأنها تعرف الموضوع الذى حدا بها إلى طلب المقابلة العاجلة.

كان الموضوع باختصار أنها - زوجة الأستاذ على أمين - تعتبر نفسها مسئولة عن ترتيب الدفاع عن الأستاذ مصطفى أمين، فهو مطلق من زوجته وابنتاه قاصرتان - وهى وحدها فى القاهرة تمثل الأسرة. وكان هذا حقها لا يجادلها فيه أحد.

(١) حضر هذا الاجتماع كل رؤساء تحرير ومديرى تحرير ومحرمى أخبار اليوم وإداريها، ومعظمهم لا زال فى مكانه حتى الآن، وأتخرج الآن - أبدا - من نكر تعليقاتهم التى قالوها لى بعد الاجتماع على ما سمعوه!

لكنها بعده كانت تريد مبلغا من المال لترتيب الدفاع. وكان هذا مشروعا. وقد رجوتها أن تترك لى فرصة لبحث الأمر.

ودعوت الدكتور «قاسم فرحات» المدير العام لدار أخبار اليوم وقتها - إلى مكتبى أسأله عن الوضع المالى والقانونى للأستاذ مصطفى أمين منذ اعتقاله وحتى إعلان قرار الاتهام، وفؤجئت أن علمت من الدكتور «قاسم فرحات» أن رئيس مجلس الإدارة السابق قرر فور القبض على الأستاذ مصطفى أمين إيقاف صرف مرتبه. وأن المستشار الفنى القانونى لأخبار اليوم أقر هذا الإجراء بمذكرة مكتوبة - وبالتالي فإنه ليس لمصطفى أمين أية مبالغ فى ذمة أخبار اليوم.

كان المبلغ المطلوب لترتيب الدفاع هو ألف جنيه. وكانت زوجة الأستاذ على أمين قد تمكنت من تدبير نصفه وبقي نصفه الآخر بدون تدبير، وخصوصاً أن الحراسة كانت قد فرضت على أمواله. وكان هناك رأى يرى أن الحراسة هى الجهة التى يجب أن تتولى دفع نفقات الدفاع.

ولم أشأ أن أتصرف فى الموضوع بطريقة سرية، فقد خطر لى أن السرية فى مثل هذه الظروف قد تفتح مجالا لتأويلات لا مصلحة فيها لأحد.

وهكذا قررت - دون عودة إلى أحد - أن أتصرف فى الأمر بطريقة مفتوحة وبدون التواءات تحتل الالتباس وسوء الظن.

وهكذا كتبت بخط يدى، وعلى الورق الرسمى لدار أخبار اليوم، قرارا مفصلا موجها إلى الدكتور «قاسم فرحات» المدير العام - نصه كما يلى بالحرف^(١):

«عزيزى الدكتور قاسم فرحات

تعقيبا على مذكرة المستشار الفنى لمؤسسة أخبار اليوم بشأن مشكلة صرف مرتب الأستاذ مصطفى أمين. ونظرا لأن أسرة الأستاذ مصطفى أمين تقدمت إلى

(١) صورة من هذا القرار بخطى على أوراق أخبار اليوم فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٥)، والأصل موجود بملفات دار أخبار اليوم -

أخبار اليوم تطلب صرف مبلغ خمسمائة جنيه لمصاريف الدفاع عنه - فإن وجهة نظري كما يلي :

١ - إن استحقاق الأستاذ مصطفى أمين للمرتب بعد الاعتقال وحتى صدور حكم من المحكمة وتحت ظروف الحراسة - هو أمر قابل للمناقشة، كما يتضح من تقرير المستشار القانون ومن مراسلات الحراسة.

٢ - من ناحية أخرى فإن السيد خالد محيي الدين رئيس مجلس الإدارة السابق الذي عرض أمامه هذا الأمر رأى بوقف المرتب. وهذا قرار له ما يبرره من المنطق، فضلا عن أن اتخاذه بالفعل من سلطة متخصصة يعطيه قيمته حتى في حالة إعادة طرحه للمناقشة.

٣ - ومع ذلك - ومن ناحية أخرى لها اعتبارها الصحفي العام والصحفي الخاص بالنسبة لدار أخبار اليوم والعاملين فيها - فإنني أضع الاعتبارات التالية :

(أ) إن من كرامة المهنة وشرفها أن يجد الأستاذ مصطفى أمين - بصرف النظر عما وقع، وما هو موضوع الاتهام الآن والمحاكمة - فرصة كاملة للدفاع عن نفسه، ومن أول ضمانات هذه الفرصة أن يقدر على اختيار محاميه الذي يعهد إليه بقضيته.

(ب) وفضلا عن ذلك، فإن الفرصة الكاملة للأستاذ مصطفى أمين للدفاع عن نفسه - هي في ذات الوقت أمر يحتمه الضمير المهني لدار أخبار اليوم التي كان مصطفى أمين أحد مؤسسيها.

٤ - ولقد كان يمكن الركون إلى الحراسة حتى تتولى هي مهمة دفع تكاليف الدفاع الذي عهد به إلى الأستاذ محمد عبد الله - لكننا نعلم جميعا، وهذه حقيقة واقعة، إن إجراءات الحراسة تقتضي - حتى مع إقرار المبدأ - وقتا طويلا لوضعه موضع التنفيذ، هذا بينما القضية تحدد موعدها بالفعل، ولا بد أن يتأهب الدفاع لمسئوليته، وقبل ذلك أن يكلف بها.

٥ - وبما أن موضوع صرف مرتب الأستاذ مصطفى أمين - حتى بعد الاعتقال

والحراسة - هو أمر تختلف فيه وجهات النظر وليس هناك ما يحول دونه قانوناً، فهو إذن بداية يمكن أن تستند إليها أخبار اليوم فى تقديم مقدم الاتعاب الذى يطلبه الأستاذ محمد عبد الله .

بل إنى لأقول أكثر من ذلك، بأنه حتى إذا كانت القواعد تقضى بسقوط أى حق للأستاذ مصطفى أمين - فإن «أخبار اليوم» أمام مسئولية أدبية حيال هذه المشكلة، حتى وإن أدى الأمر أن يفتح اكتتاب بين جميع العاملين فيها لجمع المبلغ .

ليس عن رعاية لشخص مصطفى أمين ولا تخفيفاً مما هو منسوب إليه أو استهانة به، وإنما عن رعاية لكرامة شركة المهنة وكرامة شركة الزمالة .

وبناء على ذلك كله فإنى أرى بأن تدفع أخبار اليوم - تحت حساب معلق أو مؤقت - مبلغ خمسمائة جنيه لأسرة الأستاذ مصطفى أمين وبالتحديد للمسئولين منهم عن متابعة عملية الدفاع عنه .

ويمكن أن يبت فى هذا المبلغ على أساس التصرف النهائى فى المشكلة - خصوصاً بعد انتهاء المحاكمة .

وحتى إذا ظهرت فيما بعد عوائق تحول دون تحمل أخبار اليوم به - فإن تقاضيه من الحراسة قد يكون موضع بحث - فإذا تعذر ذلك واستحكمت العوائق بغير حل فإنى على استعداد لتحمل أية مسئولية مادية تنجم عن هذا القرار .

ولك أخيراً شكرى

محمد حسنين هيكل

وتم صرف المبلغ

وجاءنى من داخل أخبار اليوم - وبينهم أكثر من واحد ما زالوا داخلها - يبدون الإشفاق على وإننى أعرض نفسى لمشاكل لا لزوم لها فى ظرف عصيب .

واتصل بى السيد «أنور السادات» يسألنى مستغرباً : «هل صحيح ما سمعه؟»

وأجبت بكلمة تحتل كل تأويل، فقد قلت : «يعنى»

وكان تعليقه: «لا بد أن مصطفى يمسك لك بزلة يهددك بها حتى تفعل ما تفعله»!

ومساء نفس اليوم سألتنى الرئيس جمال عبد الناصر عن حقيقة ما ذاع فى الأوساط الصحفية من أن أخبار اليوم بقرار منى دفعت تكاليف الدفاع عن مصطفى أمين، وكان قولى له: «إننى تصرفت على نحو أثق أنك كنت ستتصرف به لو أنك مكانى».

ولم أقل أكثر، وأشهد أمام الله أن تعليقه كان: «إننى أستطيع أن أفهمك لكن ما أخشاه أن لا يفهمك غيرى» - وقلت «إنه يهمنى أن يفهمنى هو وأما الآخرون ممن لا يفهمون فأمرهم لا يعنينى».



وكانت أمامى مهمة أخرى فى تلك الليلة. كنت قد وعدت الزوجة السابقة للأستاذ مصطفى أمين أن أمر عليها فى بيت أسرتها لأنها أرادت أن أجلس مع ابنتيها منه، فهما فى أزمة نفسية بعد نشر قرار الاتهام - وقد امتنعنا عن الذهاب إلى المدرسة حتى لا تضطرا إلى مواجهة حرج.

ومررت عليها، وكان معها شقيقها المستشار «ممدوح عطية» وزير العدل فيما بعد - وتحدثنا فى الموضوع طويلا، ثم دعت ابنتيها للجلوس معنا.

كان الموقف مرهقا وحاولت بكل جهدى أن أخفف عن فتاتين فى مطلع الصبا دون خداع أفقد به فيما بعد ثقتيها.

حينما سألتنى كبراهن «رتيبة»: «إذا كنت أصدق أن أباهما جاسوس» - قلت لها :

- ريتا (كذلك كنا ندللها) إن أحدا لم يقل بذلك ولا بد لنا أن ننتظر نتيجة المحاكمة.

لا أريد أن تشعري أن وطنك يضطهد أباك، ليس هناك من يريد ذلك أو يتعمده.

المشكلة أن هناك خطأ وقع فيه لظروف لا نستطيع نحن تقديرها، ولنا أن نأمل فى حصر هذا الخطأ.

لو لم تكن هناك قضية «الأموال» التي كان مصطفى يحاول إخراجها من مصر لاختلف شكل القضية.. ومع ذلك فأنا أظن أن مصطفى لم يكن يعتقد أنه يرتكب جريمة تهريب، وإنما أظن أنه كان متضايقا من بعض الظروف وكان يريد أن يغادر مصر. نتيجة ذلك فإنه وقع في خطأ كبير، لكنى لا أظن أنه ارتكب جريمة أخرى»^(١).

لم أكن أريد لها - أو لشقيقتها - أن تتولد لديهما عقدة اضطهاد.

ولم أكن أريد في نفس الوقت أن أسىء إلى والدهما.

ولم أكن أريد أن أرسم صورة غير صحيحة للاحتتمالات.

وعادت تسألنى :

- «هل أستطيع أن أزوره؟».

ودون تفكير وجدتني أقول:

- «سوف أبحث إمكانية ذلك الأمر.. ومع ذلك فسأحاول أنا زيارته نيابة عنك

وأطمئنك عليه حتى يتاح لك - ولشقيقتك - أن ترياه».

(١) سمحت لنفسى أن أروى هذه الواقعة - وهى عابرة وشخصية - لأنهم نشروا ضمن ما نشروه! - أن «القسوة» بلغت بى الحد الذى قلت فيه لابنة الأستاذ مصطفى أمين فى «وجهها» إن والدها «مذنب»!

الفصل الثانى

لقاء فى السجن

حين قلت للابنة الكبرى للأستاذ مصطفى أمين إننى أنوى زيارة والدها - لم أكن مدفوعاً بمجرد الإحساس بلحظة عاطفية، كنا بالفعل قد اتفقنا على أن أحاول.

وصيغة الجمع «كنا» هنا - لم تكن تشملنى وحدى وإنما كانت تضم - غيرى - اثنين من أصدقاء الأستاذ مصطفى أمين : أولهما هو الأستاذ «سعيد فريحة» صاحب «دار الصياد» اللبنانية، وهو واحد من أبرز الصحفيين فى لبنان، وكنت أراه دائماً طبعة لبنانية من الأستاذ «محمد التابعى». وكان مثل «محمد التابعى» فناناً مرهف الحس والمشاعر، وكان مثله يعيش حياته بالطول والعرض، وكان مثله صاحب أسلوب حلو المذاق، نشيط فى أنغامه رقيق فى إيقاعه. وكان «سعيد فريحة» بقلبه معجباً بالأستاذ مصطفى أمين.

أما الثانى فكان الأستاذ «محمد أحمد محجوب» رئيس وزراء السودان أكثر من مرة - وكان «محجوب» الذى بدأ حياته محامياً فى دائرة السيد «عبد الرحمن المهدي» (باشا) عقلاً مرتباً، وإلى جانب العقل المرتب فقد كان «محجوب» شاعراً تهيم روحه حيث يكون الجمال، وكان الأدب يشده من المحاماة، وكانت الصحافة ومجالس الصحفيين تستهويه وتجذبه - وكان هو الآخر صديقاً للأستاذ مصطفى أمين.

والتقينا نحن الثلاثة معاً فى مكتبى فى «الأهرام» - بعد يومين من إعلان قرار الاتهام - نبحت : كيف نستطيع مساعدة الأستاذ مصطفى أمين؟

كان رأيى - وقد طرحته عليهما - يتلخص فيما يلى :

- ١ - إننى ما زلت فى حالة «استغراب» من كل الوقائع والوثائق وما ظهر منها.
- ٢ - إن تقديرى أن الأستاذ مصطفى أمين لأسباب ليست واضحة أمامى - ولا أريد أن أبحث فيها طويلاً - تورط فى خطأ مزعج.
- ٣ - إنه بصرف النظر عن أى شىء فلا بد أن تتوافر للأستاذ مصطفى أمين كل فرص الدفاع عن نفسه، ولا بد أن نساعد فيه إلى أقصى حد نستطيع - فهذه مسألة تمس المهنة كلها كما تمس شخص الأستاذ مصطفى أمين.
- ٤ - إننى فى كل الأحوال لا أستطيع أن أنسى سنوات طويلة من الآمال المشتركة والعمل المشترك ربطتني بالأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين - ومع أنى أعرف أن هناك من يتربصون بى وينتظرون أول خطوة فى غير موضعها الصحيح أخطوها - فإن ذلك لن يؤثر على موقفى (ولم تكن هذا عنصرية أو دون كيشوتية، فقد كنت أعرف أن مئات من الصحفيين المصريين والعرب يتوقعون منى بحكم الظروف أن أتصرف على نحو يعبر عنهم جميعاً، ولم يكن هم هؤلاء جميعاً أن يبرئوا متهماً أو يتهموا بريئاً، وإنما كان همهم أن يتأكدوا من أن واحداً منهم يستطيع أن يتابع عن كثب وباهتمام - ضرورة أن تكون موازين العدل مستقيمة).

ثم كان اتفاقنا على أن المشكلة التى نواجهها لها شقان :

- مساعدة الأستاذ مصطفى أمين فى الدفاع عن نفسه - والشق الثانى أن نتأكد من أن أسرتى الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين تجدان من حولهما ظروفاً ميسرة.
- وكان رأينا بعد ذلك أنه لا بديل أمامنا غير انتظار المحاكمة، وبعدها نعيد تقدير مواقفنا على أساس ما تسفر عنه.

وسألنى الأستاذ محمد أحمد محبوب «ما إذا كنت أستطيع أنا مقابلة الأستاذ

مصطفى أمين، لأن أية محاولة بطلب إذن زيارة من جانبه، أو من جانب الأستاذ سعيد فريحة في هذه المرحلة قد تبدو تطفلاً خارجياً ربما يساء تفسيره».

ووافقت على الفور



كان الأستاذ مصطفى أمين - بعد انتهاء التحقيقات الأولية معه - قد نقل إلى سجن الاستئناف في ميدان باب الخلق، ومن هناك بعث لى برسالة مع ضابط شاب في مصلحة السجون هو «عباس لبيب»، الذى أصبح فيما بعد ناقداً رياضياً مشهوراً في جريدة الأهرام، وكان مجيئه لى برسالة الأستاذ مصطفى أمين هو بداية صلاته بى ومقدمة التحاقه بالقسم الرياضى بالأهرام.

كان الأستاذ مصطفى أمين يريد أن يرانى. وكذلك كان يريد بعض الأدوية والفيتامينات. ولم يكن بعض هذه الأدوية متوفراً في السوق المحلية، وبعثت إلى الأستاذ سعيد فريحة في بيروت أطلب منه شحنة دواء وفيتامين.

ثم انتهزت فرصة لقاء مع جمال عبد الناصر وعرضت عليه الأمر.

حدثته عن اجتماعنا : الأستاذ سعيد فريحة والأستاذ محمد أحمد محبوب وأنا - ورويت له ما اتفقنا عليه وأضفت : «إننى فى طلبى بزيارة الأستاذ مصطفى أمين لا أصدر عن مشاعر وذكرى إنسانية فقط، وإنما أيضاً أصدر عن اقتناع بأنه من الخير أن يكون واضحاً أمام مئات من الصحفيين فى مصر وفى العالم العربى إنه ليس هناك ستار حديدى نزل على واحد منهم وانتهى الأمر. ذلك زميل لهم عرفوه ثلاثين سنة فى المهنة وما هو منسوب إليه خطير، ومن حقهم وواجبهم أن يكونوا على اتصال به ولو عن طريق واحد منهم».. وأضفت أنه «إذا رأى الرئيس نفسه محرجاً فى التصريح لى بزيارة الأستاذ مصطفى أمين» فليكن الإذن إما لنقيب الصحفيين وإما لواحد من الصديقين: سعيد فريحة أو محمد أحمد محبوب».

ثم قلت فى النهاية : «إننى أفضل أن أقوم شخصياً بهذه الزيارة لأن الأستاذ مصطفى أمين سوف يتكلم حراً معى فيما يشاء أكثر مما يستطيع مع غيرى، ومع ذلك فالرأى الأخير للرئيس».

وفكر جمال عبد الناصر قليلاً ثم كان قراره : «إنه لا يمانع فى أن أذهب شخصياً. أولاً : لأن من حق «مصطفى أمين» أن يستقبل زواراً. ثم إنه - ثانياً - طلب بالفعل أن يرانى . وهأنذا - ثالثاً - أطلب أن أراه، فإذا رفض طلبى فإن هذا الرفض قد يساء تفسيره».

ثم أضاف : «اتصل بوزير الداخلية واطلب منه تصريحاً».. واستطرد : «قل لابنته أن تتقدم بطلب إذن زيارة إذا أرادت».



فى الساعة العاشرة إلا خمس دقائق من صباح الثانى من نوفمبر ١٩٦٥ كنت أمام باب سجن الاستئناف ومعى الأستاذ «محمود عبد العزيز حسين» - رئيس قسم الحوادث فى الأهرام وقتها - الذى كان يحمل فى يده إذناً لى بزيارة الأستاذ مصطفى أمين ويتولى بنفوزه فى مصلحة السجون مهمة تسهيل اجتياز إجراءات بدت لى ثقيلة وكثيية . والحقيقة أننى كنت أشعر بانقباض من هذا الموقف الذى كنت بسببلى إلى مواجهته ولم يكن منه بد .

ووصلنا أخيراً إلى غرفة مأمور السجن الذى قال لنا إن الأستاذ مصطفى أمين فى الطريق وأنه - والمأمور - يفضل أن يتم لقاءنا فى مكتبه . ثم طلب إلى الأستاذ محمود عبد العزيز حسين أن ينتظر فى غرفة أخرى . ومضت دقيقة خلتها دهرأً، وجاء الأستاذ مصطفى أمين .

كنت أشعر أن الموقف بالغ الصعوبة عليه وعلى، لكنه أقبل فاتحاً ذراعيه يعانقنى وفتحت ذراعى، وقبلنى على الخدين وقبلته، وفى لحظة واحدة ذابت أشياء كثيرة .

وتبادلنا أسئلة بلهاء عن الصحة والأحوال وعن أخبار على أمين، وقلت له ما عندي بسرعة كماطمأنته على ابنتيه وأنهما سوف تجيئان لزيارته، ولم يكن متحمساً وكنت أفهم مشاعره. وأحسست أن سبب البلاهة البادية في حديثنا يرجع إلى إحساسنا بوجود رقيب معنا، والتفت إلى مأمور سجن الاستئناف أسأله: «هل أستطيع أن أنفرد بالأستاذ مصطفى أمين؟».

وقال الرجل بأدب أن اللوائح لا تسمح، لكنه تقديرًا للظروف سوف يقف على باب غرفة مكتبه ليوفر لنا أقصى قدر ممكن من الخصوصية». وقام - كريما - بالفعل وتركنا.

وبدأنا ندخل في الموضوع.

قلت للأستاذ مصطفى أمين على الفور: «أريد أن أطمئن منك أولاً عن معاملتك أثناء التحقيق؟ هل وقع عليك ضغط... إكراه أو قسر؟»

وقال بصوت خفيض: «لقد عزلت عن الدنيا أربعين يوماً لم أقرأ فيها صحيفة ولم أعرف ماذا كان يجري».

قلت: «إنني لا أسأل عن ذلك. طبيعي أن تكون هذه العزلة أثناء التحقيق... ما أسأل عنه هو: هل كان هناك شيء آخر؟»

وهز رأسه نفياً ثم أجاب بالنفي. ثم سألتني: «لقد كتبت خطاباً شخصياً لسيادة الرئيس فهل وصله؟» - وقلت: «نعم... وقد قرأته... أعطاني الرئيس نسخة منه».

وفجأة أقلت مني زمام السيطرة على مشاعري فقلت له: مصطفى... لماذا؟».

وكان صوتي جريحاً بمشاعر الأسي... ولاحت لي في عينيه دمة تتأرجح.

وأصررت على سؤالى أكرره: «لماذا؟ لماذا؟»

وسألتني: «هيك... هل تعتقد أنني جاسوس؟» - وقلت: «إنني لا أتصور

ذلك... لكن هناك أسئلة كثيرة لا بد لها من رد».

واندفع يتكلم:

- «إننى خائف من الشيوعيين . . . خائف منهم على سيادة الرئيس . . . أرجوك أن تحذره . . . إنهم فى كل مكان فى الصحافة وفى الجيش . . . يرتبون أنفسهم فى الجيش . . . أنت لا تعرف ماذا يفعلون . . . إننى كنت أريد إخراج ما لدى فى مصر من «فلوس» إلى الخارج لكى أخرج قبل أن يستولوا على السلطة».

ووجدت نفسى مضطراً إلى مقاطعته:

- «مصطفى .. أين هم هؤلاء الشيوعيون؟ وعلى فرض أنهم على النحو الذى تصفه، فهل هذا يبرر أن تتصرف على هذا النحو الذى تصرفت به؟».

وقال: «ربما أكون أخطأت».

وسالت دمعته المتأرجحة . وأعطيته منديلى ووجدتنى أمسك بيده . وتمالك نفسه وعاد يسألنى عما نشر فى مصر وفى بيروت عن قضيته . وأجبتة .

وعاد يسألنى: «ماذا سيفعل معى سيادة الرئيس؟».

وقلت: «لم تعد المسألة الآن مسألة ماذا سيفعل الرئيس؟ - القضية الآن فى الطريق إلى محكمة . . . ولا أخفى عليك أننى أدعو الله أن تكون المحاكمة سرية لأن كل ما فى الأوراق والأشرطة والتقارير مسيء . . . مسيء للمهنة ولكل الأطراف . . . ومع ذلك فلا أظن أن الصورة ستتضح إلا بعد انتهاء المحاكمة».

وعاد إلى حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين، ولم أشأ أن أجادله، فلقد أحسست أنه يقف عند خط دفاعه الأخير. كان لابد له من غطاء أمام الناس وربما أمام نفسه، بدالى أنه من الظلم فى هذه الظروف أن أحاول - أنا على الأقل - تشديد الجدل فى حكاية خطر الشيوعية والشيوعيين. وإذا سقطت ورقة التوت أثناء اشتداد الجدل فأى نفع يمكن أن يعود عليه أو حتى على الحقيقة من سقوطها. إن سقوطها - هكذا بدالى - سوف يؤدى إلى انفكاك تماسكه، ومن الظلم له أن يدفع إلى هذه الحالة فى

تجربة يحتاج فيها أكبر قدر من تماسكه العقلى والنفسى - بصرف النظر عن الأساس - حتى يستطيع أن يعبر رحلة الأسابيع والشهور - وربما السنين - القادمة .
وقلت له :

- « على فكرة . . . كان سعيد فريحة ومحمد أحمد محبوب عندى قبل أيام وكلاهما يبعث لك سلامه . . . وهناك ربطة أدوية وفيتامينات أرسلها إلينا سعيد من بيروت » .

وسألنى : « هل قابلا سيادة الرئيس ؟ »
ورددت بالنفى وشرحت له ما تحدثنا فيه ، وكان تعليقه : « إن ذلك قد يأخذ وقتاً طويلاً » .

وقلت : « إن الأمر ليس فى يد أحد منا ونحن نحاول إلى أقصى حد نراه » .
وسألنى : « كم من الوقت أقدر أن تطول المسألة ؟ »
وقلت : « وكيف لى - أو لغيرى - أن يعرف ؟ »
وقال : « ألم يكن كافياً أننى اعترفت بكل أخطائى ؟ »
ولم أقل شيئاً .

واستطرد : « لدى اقتراح . بدل المحكمة والمحكمة ، لماذا لا يعتقلنى سيادة الرئيس بقرار منه فترة تأديبية ؟ أو لماذا لا يحكم هو على بالنفى من مصر ؟ » .
وقلت : « مصطفى . . دعنا نواجه الواقع كما هو ، ولا فائدة الآن من التعليق بأوهام » .

وأطرق برأسه ساكتاً . ورحت أحدثه عن بناته ، ثم انتقلت إلى بعض الشئون العامة المنشورة فى الصحف ، وقد تصورت أنه قد يخفف عنه أن يشعر بصلة مع ما يجرى خارج السجن .

وسألنى إذا كنت أستطيع أن أرتب إرسال صحف ومجلات القاهرة وبيروت له .
وجهاز راديو صغير .
ووعده .



ودخل مأمور السجن إلى الغرفة ووراءه أحد جنود السجن يحمل صينية عليها
فنجانين من القهوة وقال بأدب :
- « تشربان فنجان القهوة . . . ثم تنتهى الزيارة » .
قالها وهو ينظر فى ساعته .

ولم أكن أشعر أننى أستطيع أن أضع شيئاً فى فمى ، لكنى تظاهرت برشف
فنجان القهوة . كان الأستاذ مصطفى أمين قد راح يفتح طرد الأدوية والفيتامينات
الذى بعث به سعيد فريحة ويراجع ما يحتويه .

ثم رفع رأسه وسأل مأمور السجن . « متى يسمحون لى بأن أتلقى طعاماً من
بيتى ؟ »

وقال مأمور السجن : « فور أن يصلنا تصريح بذلك » .

وقلت لمأمور السجن : « إننى سوف أعمل على أن يصل التصريح هذا اليوم ،
ونحن على أى حال - كصحفيين - نترك الأستاذ مصطفى أمانة عنده واثقين أنه
يعرف مكانته بالنسبة لنا جميعاً » .

وقال الأستاذ مصطفى أمين موجهاً كلامه لمأمور السجن : « هه . . . هل
سمعت ؟ »

ورد مأمور السجن : « أستاذ مصطفى . . . هل هناك ما تشكو منه ؟ إننا بالطبع
نعرف أن السجن ليس تجربة « مفرحة » ، ونحن نتمنى لكل نزير عندنا أن تثبت
براءته ويذهب إلى بيته - لكننا حتى يحدث ذلك أمام قوانين ولوائح . وعلى أى حال

فإننا نحاول أن نعطيك كل التسهيلات التى تسمح بها هذه القوانين واللوائح، وإذا كانت لديك ملاحظات فإننى أرجوك أن تقولها الآن أمام الأستاذ هيكل .

وتدخلت بسرعة قائلاً : « بالعكس إننى لم أر صحة الأستاذ مصطفى أمين - منذ وقت طويل - جيدة كما أراها الآن .. أخذ إجازة هنا من العمل ومن السهر ومن بعض الناس » .

وضحكنا - على الأقل من حناجرنا - وجاءت لحظة الوداع، ولم يكن عبئها النفسى بأخف من لحظة اللقاء .

ومشيت متثاقلاً . وعاودنى الشعور بالانقباض وأنا أجد نفسى متجهاً إلى باب السجن للخروج، وأما هو فقد اتجه إلى طريق آخر .



فى السيارة من ميدان باب الخلق - حيث سجن الاستئناف - إلى مبنى الأهرام (١) - فى شارع مظلوم - كنت فى دهشة لاختلاط مشاعرى . كنت أتأمل نفسى وكأننى خارجها أطل عليها من بعيد . كأنها مشهد مستقل عنى أتابع بفضول ما يطرأ عليه من تغييرات متلاحقة فى الأشكال والألوان والظلال . وكنت أتعجب من النفس البشرية وطبائعها !

كان الأستاذ محمود عبد العزيز حسين إلى جانبى فى السيارة يصحبنى فى رحلة العودة كما يصحبنى فى رحلة الذهاب .

وأحسست أننى أريد أن أتكلم حتى ولو كان كلامى لنفسى، وما كاد يبدى ملاحظته « بأن التأثير باد على ولا بد أنها كانت مقابلة مرهقة » - حتى وجدت خواطرى تنقلت منى :

(١) لم يكن العمل فى مبنى الأهرام الجديد قد انتهى - بدأ بناؤه فى شارع الجلاء سنة ١٩٦٢ وانتقلنا إليه سنة ١٩٦٨ .

«صحيح كانت مقابلة مرهقة .

هناك ظروف يعجز فيها البشر عن اتخاذ موقف .

أعرف من ناحية أن مصطفى وقع فى خطأ شديد . . .

أعرف أن البعض يطالبنى بأن أبتعد عن القضية كلها، وأن أترك كل واحد لحسابه . . . كان هناك خطأ فى حق البلد، وهو موضوع أكبر منى ومن مصطفى ومن أى فرد كان هناك خطأ فى حقى كصديق تدخلت وتوسطت من أجله فرصة بعد فرصة . . .

أعرف أن هناك من يتربصون بى يحاولون تحميلى جزءاً من المسئولية .

ربما كان الذين يطالبون بالابتعاد عن القضية كلها على حق من وجهة نظر عامة ومن وجهة نظر شخصية .

المشكلة أن هناك أشياء أخرى . هناك روابط تصنعها السنين بيننا وبين آخرين . لانملك ولا نقدر فى لحظة أن نقطع هذه الروابط . ثم إن هناك أطرافاً أخرى لا ذنب لأحد منها . . . هناك أسر وهناك أقارب .

لا أتصور أن أقفل الأبواب كلها والنوافذ . وأقطع أسلاك التليفون . وأحجز الأوراق المكتوبة .

ثم هناك أناس يحتاجون إلى من يقف معهم فى هذه المحنة .

سنوات طويلة من العمل والود، والاتفاق والاختلاف، والحلو والمر - كنافيها معاً . كيف يملك أحد أن يسقط من عمره أكثر من عشر سنين من أحلى سنوات العمر - هكذا فى لحظة .

هى دوامة وقعنا فيها . والمشكلة أننى لا أعرف متى تتوقف عن الدوران؟ لو أنها توقفت لبعض الوقت لاستطعنا أن نلتقط أنفاسنا . ربما نستطيع ساعتها أن نحلل ونقيّم، وقد يكون فى مقدورنا بعد ذلك أن نحدد ونفصل .»

كان رفيقى فى السيارة يسمعونى صامتا، ولعله أحس أن حديثى كان لنفسى
بأكثر مما كان إليه.



ولم تكن الدوامة مستعدة للتوقف عن الدوران.

لم تمض أيام حتى جاءنى الأستاذ ، « السيد الصادق أبو النجا » ^(١) المشرف العام
على إدارة « أخبار اليوم » يحدثنى عن مشكلة خطيرة تهدد اقتصاديات « الدار » ،
وتتلخص المشكلة فى أن مصلحة الضرائب تطالب أخبار اليوم بمتأخرات قيمتها
٤٠٠ ألف جنيه عن الفترة من سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٦٠ (تاريخ قانون تنظيم
الصحافة) - وسألت عن تفاصيل الخلاف وملا بسأته وأحسست أن فيما أسمع
شيئاً لا أستطيع أن أفهمه . واستوضحت الأستاذ أبو النجا عن مزيد من التفاصيل ،
وكان رده « أنه سوف يقدم لى فى الغد مذكرة مكتوبة على أن تظل لعلمى الخاص .
وفى اليوم التالى قدم إلى فى ظرف مغلق المذكرة التالى نصها : ^(٢).

مؤسسة دار أخبار اليوم

القاهرة فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٥

السيد رئيس مجلس الإدارة

(١) كان فى الأصل مديراً عاماً لإدارة جريدة « المصرى » مع أسرة أبو الفتوح ، ثم جاء إلى أخبار اليوم - بعد
إغلاق جريدة المصرى - مديراً عاماً لها ، وفى فترة القلاقل التى أعقبت صدور قانون تنظيم الصحافة
هوجم باعتباره ممثلاً لأصحاب رأس المال ، وقرر أن يبحث لنفسه عن مكان آخر ، وجاء لمقابلتى
ورحبت به مديراً عاماً لدار المعارف التى كانت إحدى شركات الأهرام فى ذلك الوقت . وحينما تحملت
مسئولية أخبار اليوم رجوته - وقبل مشكوراً أن يتولى الإشراف على إدارة أخبار اليوم ، وكانت خبرته
بها كاملة .

(٢) صورة المذكرة منشورة فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٦).

مؤسسة أخبار اليوم

بين مصلحة الضرائب ومؤسسة أخبار اليوم نزاع قديم عن السنوات من ١٩٥٠ إلى ٢٣ مايو ١٩٦٥ وهو تاريخ التنظيم.

وتقدر المصلحة الضرائب المطلوبة بنحو ٤٠٠,٠٠٠ جنيه، بخلاف ضريبة الإيراد العام وهي ضريبة شخصية لا تلتزم بها المؤسسة .

ويرجع هذا الخلاف فى معظمه إلى عنصريين رئيسيين :

أولهما : خلافات محاسبية أنتجت فروقاً فى الأرباح المقررة قدرها ١٥٩٤٣٩٦ ١٥٩٤٣٩٦ جنيهاً.

وثانيهما : مبالغ واردة باسم صاحبى الدار ومرحلة لرأس المال أو إلى العهد والأمانات جملتها ٨٣٣٣٠٢ جنيه.

وقد تحددت جلسة يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٥ لى تصدر لجنة الطعن قرارها فى هذه الخلافات بما قد يرتب التزامات على المؤسسة لا قبل لها بمواجهتها. ولذلك أقترح السعى لدى المصلحة قبل هذا التاريخ لتشكيل لجنة مشتركة تضع حلاً لهذا الخلاف يحقق المصلحة العامة .

المشرف العام

(إمضاء)

وقرأت المذكرة وأعدت قراءتها.

ثم دعوت الأستاذ أبو النجا إلى مكتبى .

قلت له « إننى فهمت البند الأول عن فروق الأرباح إلى آخره - لكننى لم أستطع أن أفهم البند الثانى عن المبالغ الواردة باسم صاحبى الدار والتى تصل إلى قرابة مليون جنيه .

من أين جاء هذا المبلغ؟ وما هي مصادره؟»

ورد الأستاذ أبو النجا بأن « ذلك أمر لا يدخل في اختصاصه، فهذه مبالغ جاء بها أصحاب الدار - معظمها في فترة بنائها - ودفعوها مضافة إلى رأس المال أحياناً أو أمانات معلقة أحياناً أخرى ».

وكررت سؤالى : « من أين؟ ».

وكان رده : « أن ذلك أمر لم يكن يدخل في اختصاصه ولم يكن له أن يسأل عنه ».

كان رد الأستاذ أبو النجا سليماً وإن لم يكن كافياً. ولم أشأ أن ألح عليه أكثر. وفي نفس الوقت فإن الأسئلة الحائرة التي وجهتها إليه راحت هي تلح علىّ. ودعوت أحد المسؤولين القدامى عن حسابات أخبار اليوم، وكنت أعرفه من أيام عملى السابق فيها.

سألته هل يعرف أن الأستاذ أبو النجا قدم لى مذكرة سرية فى موضوع الضرائب المستحقة على أخبار اليوم وظروفها؟ وتردد قليلاً ثم أجاب « بنعم ». ثم أضاف « أنه فى الواقع اشترك فى مراجعة الحسابات التى أدت إلى ما عرض علىّ من النتائج ».

قلت « إذن فإننى أريد أن أسأله عن موضوع ورد فى هذه المذكرة ». ثم أعدت عليه أننى أفهم البند الأول الخاص بالأرباح وأعرف كيف نشأ، ولكنى لم أفهم البند الثانى الخاص بالمبالغ الواردة باسم صاحبى الدار والتي تصل قيمتها إلى قرابة المليون جنيه.

وسكت الرجل.

وأبدت دهشتى لسكوته. وعاد إلى التردد ثم قال :

- « الحقيقة أننا لا نعرف على وجه التحديد. هذه كانت مبالغ نقدية يجىء بها

أصحاب الدار ويدفعونها لنا لكي نسدد بها التزامات علينا أو نشترى بها بعض ما كنا نريده .»

واستطرد:

- « ذات مرة كنا نريد أن نشترى قطعة الأرض التي أقمنا عليها جراج أخبار اليوم . . . هذه الأرض (قالها وهو يشير من النافذة إلى قطعة أرض على ناصية في مواجهة أخبار اليوم بنى عليها جراج ثم تحول فيما بعد إلى مطبعة) .

واستطرد:

- « يومها كان علينا أن ندفع أربعين ألف جنيه نقدًا . وجاء أصحاب الدار ومعهم حقيبة جلدية وأخرجوا منها المبلغ نقدًا ودفعوه .»

وتساءلت : «أليس هذا غريبًا؟» .

وكان رده : « ربما . . ولكن هذا ما حدث ولم يكن لنا أن نسأل عنه » .



ورحت أفكر في دلالات ما أسمعه . . ماذا يعنى تمامًا؟ .. والى أين يشير؟ - وعاد إلى مخيلتي مشهد طالما رأيته وكثيراً ما أثار تساؤلي وإن لم أتوقف طويلاً أمامه في الأيام الخالية حين كنت أعمل في أخبار اليوم .

كنت ألاحظ أن الأستاذين مصطفى وعلى أمين يحتفظان في أحد أدراج مكتبهما بكميات كبيرة من أوراق النقد، وكثيراً ما كانا يصرفان منها على الفور لأغراض متعددة . وتذكرت أننا في إحدى المحاولات لإعادة تنظيم أخبار اليوم على قاعدة مؤسسية لاحظنا أن هناك أعداداً من المعينين والمعينات في الدور الأعلى دون قرار واف بشروط التعيين . وسألنا أكثر من مرة عن قواعد هذه التعيينات وتكالييفها، وكان رد الأستاذ مصطفى أمين أن تلك تعيينات خاصة به لا شأن لها بالدار، وأن حساب مصاريفها من جيبه

وأن إحدى سكرتيراته تتولى هذه العملية^(١). ومع أن الأمر بدا وقتها غريباً فإن أحداً منا لم يشغل نفسه طويلاً فى البحث. من ناحية لأن حق المالك فيما يملك لا ينازع خصوصاً فى مثل بلادنا حيث لا تزال الملكية تحتفظ لنفسها بالإدارة. بينما بقية العالم تحرك إلى وضع فصل فيه الملكية والإدارة. التى أصبحت علماً وفناً وخبرة. قائمة كلها بذاتها بصرف النظر عن الملكية خصوصاً فى المشروع الكبير الذى لم يعد يحتمل الخلط بين عالمين. ثم إن كل محاولات الدعوة إلى قواعد مؤسسية لدار أخبار اليوم كانت تبدأ نشيطة ثم تتباطأ خطاها... ثم تصاب بالشلل. لكن الملاحظة التى لفتت نظرى فى ذلك الوقت كانت تلك الأموال السليلة فى الأدرج.. كيف؟ ولماذا؟ ومن أين؟ وإلى أى حساب؟ وتحت أية قواعد؟

وطرحت ما كنت أفكر فيه فقد كان لدى ما يأخذنى منه.



ومضت عدة أيام وتصادف أن كنت فى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر. وجرى الحديث بيننا فى عديد من الشئون. وبدون مقدمات فوجئت بسؤال منه:

- « يظهر أنهم فى أخبار اليوم قدموا لك تقريراً عن أموال مجهولة المصدر دخلت إلى الدار بواسطة مصطفى وعلى أمين؟ ».

وكان السؤال مباغتاً.

(١) اتضح فيما بعد ومن نصوص رسالته - الاعتراف - إلى الرئيس جمال عبد الناصر أنه كان يصرف من جيبه - أو درج مكتبه - مكافآت لأفراد جهاز جمع المعلومات الخاص، وهى المعلومات التى كان يضمنها تقاريره لمن كان يكتبها لهم - بالإضافة إلى المعلومات التى يحصل عليها هو شخصياً - كذلك كان الأستاذان مصطفى وعلى أمين شديدا السخاء مع كثيرين ممن تقدموا الكتابة دراسات أو رسائل عن دورهما فى الصحافة المصرية.

واستعدت السؤال أعطى نفسى وقتاً للتفكير، ثم كان ردى : « لم يكن هناك تقرير عن أموال مجهولة المصدر. كان هناك تقرير عن ضرائب متأخرة وكانت فيه أرقام عن فروق حسابات أرباح وعن تحويلات وأمانات ».

وقال الرئيس : « يظهر أن هيئة الأمن القومى علمت بالتقرير وهم يريدون نسخة منه، وقد رأوا أن لا يستثيروا حساسيتك بطلبها منك مباشرة أو بمحاولة الحصول عليها بوسائل أخرى من هناك ».

ورجوت الرئيس أن ينسى الموضوع، وكان بين ما قلته له : « هل تتصور ماذا يكون موقفى لو أن تقريراً مقدماً إلى فى أخبار اليوم استعمل فى التحقيق مع مصطفى أمين أو فى محاكمته ». وأضفت : « لديهم فى الشرطة والملفات والتقارير ما يكفيهم لعرض قضيتهم على المحكمة دون تزيد يدفعهم إلى طلب تقرير فى مشكلة ضرائبية قدم لى ».

ثم أضفت أخيراً : « ومع ذلك فما هو هذا الذى يريدون محاسبة أصحاب أخبار اليوم عليه الآن؟ وأليس صحيحاً أن قانون تنظيم الصحافة استرد ما كان لله ، وما كان لقيصر فى نفس اللحظة؟! وعلى فرض أن الرياح جاءت بشىء، فإن العواصف جاءت وحصدت كل شىء ».

ولم تكن هذه التصرفات لتمض فى أخبار اليوم بدون ردود أفعال متباينة . وكنت أعرف ذلك ولا أقلل من تأثيراته ومخاطره، فقد كانت الدار ممزقة . ولقد طرحت هذه الحالة صراحة فى اجتماع عام عقدته مع رؤساء تحرير صحفها ومجلاتنا ومع المسؤولين الإداريين فيها - وقلت لهم : « إن حالة أخبار اليوم تذكرنى بحالة أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . تعلقت عليها العصور والغزوات وقد ترك كل عصر رواسبه وأخذت كل غزوة مغانمها. تعاقبت على أوروبا ملكيات متهالكة ، ثم اقتحمتها النازية والفاشية ، ثم عبرت عليها من طرف إلى طرف جيوش السوفييت والأمريكان والإنجليز، وتحت الأرض فيها ظهرت الجماعات السرية المتعاونة مع

أطراف بلغ التناقض بينها مبلغه - من الألمان إلى الفاتيكان، ومن الصهيونية إلى الشيوعية - وقد آن الأوان أن يسود أخبار اليوم نوع من النظام المهني».



والواقع أنه كان في أخبار اليوم في ذلك الوقت تياران ظاهران:

● تيار تمثله خلايا التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي، وكان الأستاذ «خالد محيي الدين» قد أقامه بعد توليه رئاسة مجلس إدارة أخبار اليوم . وكانت معظم عناصر هذا التيار - للأمانة - عناصر وطنية متحمسة لا يشوب موقفها إلا تحريض بعض الذين سايروا كل الانقلابات التي حدثت في أخبار اليوم .

● وتيار ثان يمثل المهنيين المحترفين في الدار والذين كانوا يخشون عليها من كل الانقلابات المتعاقبة . لكن هذا التيار أيضاً كان يشوبه ظهور قلة من الأفراد فيه تصوروا أن الدار لا مستقبل لها بغير أصحابها السابقين، وكان معظم هؤلاء - في الواقع - من أولئك الذين كانوا يتقاضون مكافآت إضافية وسخية من أدراج مكاتب الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين حتى بعد صدور قانون التنظيم^(١).

ورأيت أن الأمور تقتضي بعض الحسم لكي يتضح الاتجاه الذي أريد له أن يسود في الدار .

وهكذا في يوم واحد اتخذت خطوتين .

كانت سكرتيرة الأستاذ مصطفى أمين التي جاءتني مع زوجة الأستاذ على أمين بطلب مساهمة من أخبار اليوم في نفقات الدفاع عنه - قد خرجت من مكنتي بادعاء أنني استجبت لما طلب مني بغير مناقشة لأن مهمتي الحقيقية في أخبار اليوم هي أن

(١) نعرف الآن أن هؤلاء كانوا جهاز جمع الأخبار الذي نظمه الأستاذ مصطفى أمين والذي كان يقدم له «أخباراً للعلم» يقدمها بدوره إلى أولئك الذين كان يقدم لهم التقارير .

أمهد لإعادتها لأصحابها السابقين. ودعوت الدكتور «قاسم فرحات» - المدير العام - وطلبت إليه أن يخيرها فوراً بين الاستقالة أو الفصل. وكتبت استقالتها^(١).

وفى نفس اليوم طلبت المسئول عن مجموعات التنظيم الطليعى فى أخبار اليوم، وكنت أعرف من هو رغم سرية التنظيم، ورجوته أن يجمد نشاط التنظيم فى أخبار اليوم على الفور حتى لا يضطرني إلى موقف آخر^(٢).

ومرة أخرى جاءنى مظروف مغلق من الرئيس جمال عبد الناصر يحتوى على تقرير تنظيمى قدمه له السيد سامى شرف، وكان نصه^(٣):

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

أفندم

أبلغنى السيد شعراوى جمعة ما يلى :

أنه تقابل مع السيد خالد محيى الدين الذى أراد معرفة موقف تنظيم أخبار اليوم وهل يستمر فى الاتصال بهم أم لا - علماً بأنه أرسل شخصاً للأستاذ هيكى الذى طلب من خالد عن طريق هذا الوسيط تجميد التنظيم. كما اقترح السيد خالد محيى الدين إعادة على الشلقانى للعمل فى إحدى مجموعات القديمة - كما كان.

(١) أشرت إلى هذه الواقعة لأن الذين كتبوا عن تلك الأيام باسم الأستاذ مصطفى أمين وجدوا أن قيامى بفصل سكرتيرته كان عملاً من أعمال الانتقام منه.

(٢) اعتذرت عن الانضمام إلى التنظيم الطليعى باستمرار، ليس عن عدم إيمان بأهمية التنظيم وإنما عن اعتقادى بأن أى صحفى - أو كاتب - لا يستطيع أن يخضع فكره لضوابط تنظيم وإلا فقد استقلالية رأيه إلى أقصى حد ممكن - ولقد سبب لى هذا الموقف مشاكل لا حدود لها مع كل مستويات التنظيم فى الاتحاد الاشتراكي وقتها.

(٣) صورة المذكرة ويخط الأستاذ سامى شرف فى الملحق الوثائقي فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٧).

ويرجو السيد شعراوى التفضل بالتوجيه
أو أمر سيادتكم.

سامى

« ٦٥/١١/٧ »

وشرحت للرئيس جمال عبد الناصر فيما دوافعى « وأن التمزيق الجارى داخل
أخبار اليوم لا يمكن له أن يساعد على تحقيق كفاءتها الصحفية ، وأننى لم أحسم
فى اتجاه واحد وإنما حسمت فى اتجاهين . ومع ذلك فإننى آمل الآن أن تستقر الأمور
وأن تنتهى هذه الفترة الحافلة بأسباب الالتباس وسوء الظنون . »



بالفعل كانت هذه الفترة قد قاربت نهايتها .
صدر الحكم فى قضية الأستاذ مصطفى أمين بالإدانة .
وفرضت تسوية حالته فى أخبار اليوم نفسها عندما جاءنى خطاب من محاميه
الأستاذ محمد عبد الله ، نصه كما يلى ^(١) :

« السيد الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل
رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم
بعد التحية :

أتشرف بأن أبدى أن موكلتى السيدة سميرة محمد أحمد جدة القاصرتين رتيبة

(١) صورة خطاب الأستاذ محمد عبد الله فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ١٨) .

أمين ، وصفية أمين - بنتى الأستاذ مصطفى أمين - لم تتسلم منذ اعتقاله نفقات القاصرتين ، وقد استحق له مرتب ستة شهور لدى الدار بواقع خمسمائة جنيه شهرياً ، وقد وافق الأستاذ مصطفى أمين على صرف هذا المرتب سواء من المتجمد أو المتجدد إلى موكلتى للإنفاق على قاصرتيه وشئونهما .

فأرجو التفضل بالأمر بصرف مرتب الأستاذ مصطفى أمين اعتباراً من مرتب شهر يوليو وما يستجد إلى موكلتى .

مع قبول عظيم الاحترام والشكر .

« (إمضاء) »

وطلبت إلى الدكتور « قاسم فرحات » - المدير العام لدار أخبار اليوم - أن يبحث فى تسوية حساب الأستاذ مصطفى أمين ، وطلبت أن تكون التسوية سخية إلى آخر مدى تسمح لنا به القوانين . وجاءنى المدير العام بمذكرة من المستشار الفنى يعرض فيها خيارين ، أولهما لا يقرر للأستاذ مصطفى أمين شيئاً ، والثانى يعطيه نصف الحق - يتوقف الأمر على أى قانون أو قواعد تطبق .

كان نص المذكرة (١) :

« السيد المدير العام

(١) رغبتم فى الوقوف على رأى فى مدى استحقاق السيد / مصطفى أمين لمرتبه أو لجزء منه خلال المدة من ٢٣ يوليو ١٩٦٥ (تاريخ اعتقاله) حتى تاريخ صدور الحكم عليه فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٦ ، وذلك بناء على طلب السيد رئيس مجلس الإدارة .

(١) صورة نص مذكرة المستشار الفنى لأخبار اليوم وتأشيرتى بخط يدى عليها فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ١٩) ، والأصل موجود فى ملفات أخبار اليوم .

(٢) وهذه المسألة لو التزمنا فيها التفسير القانونى البحت القائل بأن مؤسسة أخبار اليوم كغيرها من المؤسسات الصحفية هى منشأة خاصة تطبق القانون الخاص، لكان القانون الواجب التطبيق هو قانون العمل. والمادة ٦٧ منه لا تقضى بدفع المرتب أو جزء منه ما دام قد صدر قرار بالإيقاف. وقد أبديت رأى فى مسألة الإيقاف فى المذكرة المؤرخة ١٨ ديسمبر ١٩٦٥ .

(٣) ولكن المؤسسة قد جرت عاداتها على أن تقيس فى مثل هذه الحالات على القواعد التى تطبق فى الحكومة وفى القطاع العام، وهى أن تصرف المرتب أو جزءاً منه تمشياً مع الحكمة التى من أجلها شرعت القاعدة فى الحكومة والقطاع العام وهى حماية أسر المقبوض عليهم وتخليصهم من آثار تصرفات لم تصدر عنهم، وطبقت هذه القواعد على حالة المقبوض عليهم من الإخوان المسلمين بالمؤسسة . وصرفت مرتباتهم بالكامل. كما طبقت على حالة السيد سعد الزنارى الموقوف عن العمل لمناسبة سرقة الورق وصرف له نصف المرتب، كما طبقت على غيره من زملائه، ولو أن صرف المرتب بالكامل كان لمدة قصيرة .

ونخلص من هذا إلى أن ما جرت المؤسسة عليه فى حالات مشابهة يمكن من أن يصرف لأسرة السيد مصطفى أمين مبلغ يعادل نصف المرتب خلال مدة الإيقاف على الأقل.

«(إمضاء)»

ورأيت فى ظل المناخ السائد وقتها أن أتحدث فى الأمر مع الرئيس جمال عبدالناصر . وفعلت . واقتنع . وهكذا كتبت على المذكرة بخطى ما نصه :

«أوافق على أن نطبق على الأستاذ مصطفى أمين ما طبق فى الحكومة والقطاع العام بالنسبة للمقبوض عليهم على ذمة التحقيق، وقد أستاذت فى هذا الموضوع

رئاسة اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي فأقرت هذا الرأي. وعليه أقترح تسوية الحساب على هذا النحو وصرف المبلغ المستحق بعد خصم مبلغ الخمسمائة جنيه التي سبق صرفها إلى المحامي الذي تولى الدفاع عن الأستاذ مصطفى أمين في انتظار تسوية في هذا الحساب.

« (إمضاء) »

وقيل لي أن صرف المبلغ يجب أن يكون للحراسة لأنها تنوب عنه في ذمته المالية، ولم يكن ذلك رأيي فقد كنت أريد أن يصل المبلغ للأسرة بأسرع ما يمكن. وذهب رئيس حسابات أخبار اليوم إلى زوجة الأستاذ مصطفى أمين السابقة يسلمها الشيك بنفسه وباعتبارها المسئولة عن ابنتيهما^(١). وكان من حقي بعد ذلك أن أتوقع فترة هدوء . . . تسكن فيها الضغوط ويسكت الكلام.

(١) صورة وثيقة استلام زوجة الأستاذ مصطفى أمين السابقة لمستحقاته في دار أخبار اليوم في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٠).

الفصل الثالث

المسرحية تنتقل إلى لندن

كان واضحاً أن الستار يوشك أن ينزل على فصل من المسرحية فى القاهرة . ولم أكن أقدر أن فصلاً آخر منها على وشك أن يرتفع عنه الستار فى لندن .

بعد انتهاء محاكمة الأستاذ مصطفى أمين أمام محكمة أمن الدولة العليا وقبل أن يصدر الحكم عقدنا نحن الثلاثة - الأستاذ سعيد فريحة والأستاذ محمد أحمد محجوب وأنا - اجتماعاً فى مكتبى وجلسنا نناقش : كيف نستطيع مساعدة الأستاذ مصطفى أمين ؟

كان الأستاذ سعيد فريحة قد تعرض لنفس التجربة التى تعرضت لها قبله ، فقد دعى إلى مكتب الأستاذ سامى شرف وأتيحت له فرصة أن يرى ويسمع بنفسه - من التقارير والأوراق والشرائط - ما يكفى ليضعه فى الصورة كاملة . وكان ذلك بناء على رأى الرئيس جمال عبد الناصر الذى كان يحب الأستاذ سعيد فريحة ويستريح إليه . وخرج الأستاذ سعيد فريحة فى مثل الحالة التى خرجت بها عندما عشت تلك التجربة القاسية فى مناسبة سبقت .

وهكذا فإننا عندما اجتمعنا فى مكتبى كنا جميعاً ندرك أنه ليس فى استطاعتنا عمل شئ للأستاذ مصطفى أمين فى ورطته إلا أن نحاول قدر ما نستطيع تخفيف عواقبها عليه .

وكان رأى الأستاذ محمد أحمد محجوب أن نطلب ثلاثتنا موعداً مع الرئيس جمال عبد الناصر ونتقدم إليه بـرجاء . أن المحكمة بعد أن تفرغ من مداولاتها

سوف ترفع الحكم إلى رئيس الجمهورية للتصديق عليه، وفي يده سلطة التخفيف إذا اقتنع.

وطلبت موعداً من جمال عبد الناصر لثلاثتنا، وأدرك على الفور ما يمكن أن يكون قصدنا، وأدهشني أنه أجاب على الفور : «تفضلوا في الساعة السابعة من مساء اليوم».

ونذهبنا.

وبدأ الأستاذ سعيد فريحة فتكلم بلغة العاطفة ، ثم تلاه الأستاذ محمد أحمد محجوب فتكلم بلغة السياسة . ثم جاء الدور إلى وحاولت المزج بين اللغتين ! كل هذا وجمال عبد الناصر يستمع إلينا ساكناً لا يقاطع أحداً منا وكأنما هو يعطينا الفرصة ليقول كل منا ما عنده ثم يرد علينا مرة واحدة . وعندما جاء دوره ليتكلم لم يرد وإنما فجر تحت أقدامنا قنبلة جديدة . قال جمال عبد الناصر .

- «لو كان الموضوع موضوع عواطف لكنت أول من يستجيب . إن القضية تتصل بصميم الأمن المصري، وهي حتى الآن لم تنته ولا زالت مستمرة».

ثم توجه نحو الأستاذ سعيد فريحة وقال له :

- «سعيد . . . لعلك تعرف أن على أمين في لندن يعمل في المخابرات البريطانية^(١). إن لدى من المعلومات والأدلة ما يسمح لي أن أقول لك هذا بضمير مستريح».

(١) قد يكون مفيداً - الآن وبأثر رجعي - مراجعة وثائق السفارة البريطانية رقم (ج ٧٩١٠ / ١٠١٨) ورقم (٨٠ / ١١٠١٨ د)، وقد سبقت الإشارة إليهما وهما منشورتان في الملحق الوثائقي في نهاية الكتاب (وثائق رقم ٩ و ١٠).

ويلاحظ أيضاً في هذا الصدد مخاوف «بروس أوديل»! في أحاديثه مع الأستاذ مصطفى أمين (كما ورد في رسالته - الاعتراف) من احتمال أن تسبق المخابرات البريطانية إلى الاتصال بالأستاذ على أمين في لندن.

ثم التفت إلى الأستاذ محمد أحمد محجوب وقال له :

- «ولعلمك يا محجوب على أمين يعمل أيضاً مع بعض العناصر فى السعودية وهو على اتصال منتظم بالشيخ حافظ وهبة (سفير السعودية وقتها فى لندن) ، كما أنه على اتصال مستمر بكمال أدهم (رئيس المخابرات السعودية) » .

ثم جاء دورى فقال لى وفى صوته نبرة لوم لا تخطئها أذن :

- « وأنت هل عرفت الآن ما ترتب على قرارك بإرسال على إلى لندن؟ إننى لأحملك مسئولية وإنما المسئولية على لائننى وافقتك، لكنى كنت أتصور أنك اقتنعت بما رأيت وسمعت » .

وكان الأستاذ محمد أحمد محجوب أسرعنا إلى تمالك نفسه، فقال :

- « سيادة الرئيس هل يعقل أن يعمل على أمين مع المخابرات البريطانية ومع المخابرات السعودية وهو يعلم أن توأمه هنا فى القاهرة متورط فى قضية مع المخابرات الأمريكية ؟ دواعى الحرص على توأمه كانت كفيلة بأن تجعله يتورع على الأقل فى هذه الظروف! » .

وقاطعه جمال عبد الناصر قائلاً

- « يا أخ محجوب هناك مصالح أقوى من كل شىء، وهناك دول لها أهداف، وفى سبيل تحقيق أهدافها فإنها ليست مستعدة لمراعاة حساسيات الحرص أو غيره! » .

واستمرت جلستنا مع الرئيس لكنها تحولت من مصطفى أمين إلى على أمين! .



وانتهت المقابلة بعد ساعة وعشر دقائق، وخرجنا . . . ذهب الأستاذ محمد أحمد محجوب وحده إلى لقاء مع أحد معاونى الرئيس ليتحدث فى مسائل خاصة بالتطورات فى السودان . وركب الأستاذ سعيد فريحة فى سيارتى عائدين من

منشية البكرى إلى الأهرام. وفى الطريق كان سعيد فريحة فى حالة هستيرية ،
مرات يضرب بكف، ومرات يلطم خديه ويتساءل بلهجته اللبنانية الحلوة :
- « يا لطيف . . . شو نعمل . . . شونحكى! ».

والتقينا نحن الثلاثة مرة أخرى ظهر اليوم التالى فى مكتبى، وروى لنا
محجوب أنه سمع معلومات مفصلة أخرى عن اتصالات الأستاذ على أمين فى
لندن بجهات سعودية، وأنه نقل إليها تفاصيل كثيرة كان يعلمها عن سياسة
مصر فى حرب اليمن. ثم قال لنا الأستاذ محجوب إن أعمالاً تقتضيه أن يسافر بعد
أسبوع إلى لندن، وهو يفكر فى « مصارحة الأستاذ على أمين بما سمعه من
الرئيس ». وسألنى محجوب عن رأى، فقلت له : « إننى لا أستطيع أن أعرف إذا
كان الرئيس يرى أن يصارح على بما سمعه منه. وربما لا يكون هناك ضرر فى
تحذير على مبكراً من مخاطر ما يبدو من تصرفاته كما تراها القاهرة . ومع ذلك
فإن الموضوع كله يجب أن يعالج بحذر شديد، وهو - أى محجوب - أكثر من
يستطيع تقدير الملابسات كلها ».

ومضت فترة - أسبوعين أو ثلاثة - ثم فوجئت فى بريدى صباح أحد الأيام
بخطابين من الأستاذ على أمين كتبهما بخط يده وبعث بهما إلى من لندن. أحدهما
موجه إلى والآخر موجه إلى الرئيس جمال عبد الناصر .
كان نص الخطاب الموجه إلى كما يلى (١):

« لندن فى ٣٠ مارس ١٩٦٦ »

عزيزى هيكل

أحب أن أطمئنك أننى لم أتغير. وأننى لا زلت على أمين الذى تعرفه وتحبه

(١) صورة للخطاب بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢١).

وتحترمه. لم أتحول إلى أحمد أبو الفتح ^(١)!. ولن أتحول فى يوم من الأيام. فإننى أريد أن أفخر بأننى أعطيت بلادى كل شىء، وأنصفتها بعد أن ظلمتنى، ورميت قلبى وسمعتى ومستقبلى تحت قدميها لتمشى عليها!

والذين نسبوا لى أننى اتصلت بالمخابرات البريطانية يضعون أنفسهم مكانى، ويتصورون تصرفاتهم لو لبسوا حذائى، ثم ينسبون لى هذه التصرفات! ويعلم الله أننى لم أتصل بالمخابرات البريطانية ولا بالحكومة البريطانية ولا بأى جهة أجنبية. . . حتى أصدقائى الإنجليز حرصت على أن لا أتصل بهم فى هذه الظروف. وقد حاول المئات من كبار الصحفيين الاتصال بى، ولكنى رفضت أن أقابلهم جميعاً. لأننى أعرف أن أى تحريف فى كلامى سيسىء إلى بلادى وإلى أختى. ثم إنه من غير المعقول أن أتذكر لتاريخى الذى أعتر به، وأقف مع أعداء بلادى ضد عبد الناصر. . . . ولو فعلت ذلك لن يحترمنى الناس، ولن أحترم نفسى.

إننى أرفق مع هذا خطاباً للرئيس جمال عبد الناصر، أرجو أن يتسع وقته لقراءته. فإننى أخشى أن يذهب مئات غيرى ضحية صاحب البلاغ الكاذب. ولهذا أرجو أن يأمر الرئيس بتحقيق هذا الاتهام فوراً.

والآن تستطيع أن تغمز عينيك وتدافع عني! إننى لا زلت على أمين الذى سيستمر يدافع عن بلاده وعن جمال عبد الناصر حتى آخر قطرة من دمه.

(١) هذه هى الإشارة الثانية للأستاذ أحمد أبو الفتح فى كتابات الاستاذين مصطفى وعلى أمين. وكانت الإشارة الأولى هى قول الأستاذ مصطفى أمين فى رسالة الاعتراف التى بعث بها إلى الرئيس عبدالناصر - أن هناك مؤامرة قام بها آل أبو الفتح مع الملك سعود. وكانت هناك إشارة ثالثة من قبل فى أحد تقارير الأستاذ مصطفى أمين إلى الرئيس جمال عبد الناصر وتتضمن اعتقاده بأن الأستاذ أحمد أبو الفتح هو صاحب البلاغ الذى أدى إلى القبض على الاستاذين مصطفى وعلى أمين فى الأيام الأولى للثورة. وكانت بين آل أبو الفتح أصحاب «المصرى» وآل أمين أصحاب «أخبار اليوم» منافسة تحولت إلى عداوة، ورغم ذلك فقد بقيت بين الطرفين صلات مستمرة. والعداوات تخلق فى بعض الأحيان نوعاً من الروابط لا يقل فى تأثيره عما تخلقه الصداقات وإن اختلف اتجاه الروابط بين الحالتين.

وأحب أنؤكد لك أنني لاأحقد على صاحب البلاغ الكاذب، لا بد أنه جائع، ولهذا يريد أن ينهش لحمي . وليسامحه الله !.

وختاماً أبعث لك بقبلا تي وأشواقى، وأدعو الله أن يرعاك ويحفظك ويحميك من أكلى لحوم البشر! (١).

المخلص

« على أمين »

ثم كان خطاب الأستاذ على أمين إلى الرئيس جمال عبد الناصر على النحو التالى: (٢)

« لندن فى ٣٠ مارس ١٩٦٦ »

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

لقد ظلمتنى ! فقد علمت اليوم أن سيادتكم قلتم لأحد رؤساء الوزارات العرب « إن على أمين يعمل الآن مع المخابرات البريطانية ». كما قال أحد المتصلين بسيادتكم « إن هناك معلومات سابقة كان يعرفها على أمين، وقد وصلت إلى المخابرات البريطانية . كما أنه يكتب فى بعض الصحف الإنجليزية بدون توقيع ».

وأنا أعرفك أكثر من غيرى . ولهذا أومن بأنك ظلمتنى عن غير قصد . وأنتك عندما تعرف الحقيقة ستسارع إلى إنصافى . . . فإننى جزء من البلاد التى تحبها، ويهمك أن تطمئن على أن كل جزء فيها نظيف شريف .

(١) عدت إلى قراءة هذه العبارة أكثر من مرة فى ظروف الحملات المكثفة التى شنتها على صحف دار أخبار اليوم منذ سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٤، وفى كل مرة كنت أقرأها وأتعجب لتصاريف القدر !.

(٢) صورة للخطاب بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٢).

ولذلك يهمنى أن أؤكد لك أن كل هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة لا من قريب ولا من بعيد . فإننى لم أتصل بالمخابرات البريطانية . ولا بالحكومة البريطانية ، ولا بأى جهة أجنبية لا من بعيد ولا من مباشرة ولا بالوساطة .

كما أننى رغم الدعوات الكثيرة التى تلقيتها لم أتصل بأى وزير أو سياسى إنجليزى مع استثناء المستر مولدنج الزعيم المحافظ ووزير المالية السابق ، فقد التقيت به فى إحدى حفلات العشاء، وكان حديثنا يدور حول المعركة الانتخابية . كما التقيت فى حفلة الكوكتيل التى أقامها الشيخ حافظ وهبة بمناسبة مغادرة منصبه بأحد موظفى الخارجية البريطانية ، وحدثنى عن الاتصالات التى تجرى فى الخرطوم مع الملك فيصل بشأن اليمن، وقد حرصت أن أبلغ القنصل المصرى فوزى محبوب بهذا الحديث^(١).

المخلص

« على أمين »

وفى أول مقابلة مع جمال عبد الناصر حملت إليه خطاب الأستاذ على أمين الموجه إليه، ثم أطلعته أيضاً على خطابه الموجه لى .

وألقى جمال عبد الناصر نظرة على الخطابين ثم أعادهما - كلاهما - إلى وسكت لحظة بينما بصرى معلق به انتظاراً وترقباً .

بعد قليل سألنى :

- « هل تستطيع أن تقول لى كيف يعيش على أمين فى لندن؟ ... إنكم فى الأهرام توقفتُم عن التحويل له وهو يعيش فى فندق من فنادق الدرجة الأولى فى

(١) لم يذكر الأستاذ على أمين فى خطابه السبب الذى يدعو للتواجد فى حفلة يقيمها السفير السعودى، والأغرب أن يذكر أنه حرص على إبلاغ القنصل المصرى بتفاصيل ما سمع !!

لندن يحتل فيه جناحاً كاملاً من أربع غرف. إن هيئة الأمن القومى هنا جاءت بفاتورة للفندق عن شهر واحد من الإقامة وكانت قيمتها حوالى ثلاثة آلاف جنيه استرلينى فى الشهر . . . من أين؟!».

وقلت : «إننى أعرف أن الأستاذ على أمين ينزل فى فندق «ماى فير» وهو بالفعل من أغلى فنادق لندن، ولكن ربما أن أحداً من أصدقاء الأستاذين مصطفى وعلى أمين يستضيفه هناك».

ورد جمال عبد الناصر :

- «إن الذى يدفع فاتورة فندق بثلاثة آلاف جنيه فى الشهر لابد أن يصرف مثلها على الأقل فى غير ذلك من احتياجات حياته، فمن يستطيع أن يستضيف شخصاً آخر على هذا النحو ولقراية سنة حتى الآن . . . ثم إلى متى؟!».

ثم وضع جمال عبد الناصر حداً للحديث فى هذا الموضوع وقال :

- «لننتقل إلى موضوع آخر».



ومرت شهور.

وكانت الأمور فى مجراها العادى، ولا أقول الطبيعى.

كنت أرى بانتظام أسرة الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين، فقد كان لابد للعلاقات الإنسانية أن ترتفع على كل ما عداها - أو هكذا تصورت.

وكانت شحنات الأدوية والفاكهة والدجاج المحفوظ تصل من بيروت ثم تجد طريقها مباشرة، أو عن طريق مكتبى إلى الأستاذ مصطفى أمين فى سجنه.

وفى شهر مارس سنة ١٩٦٧ ألحت على زوجة الأستاذ على أمين فى أن أساعدها لتلحق به فى لندن هى وابنتهما وابنته الأولى من زواجه الأول.

وحاولت، ووافق الرئيس جمال عبد الناصر لنفس الاعتبارات الإنسانية ، ولكن بعض جهات الأمن وجدت من حقها أن تراجع موافقته .

كنت قد أبلغت السيد سامى شرف - شفويًا - بموافقة الرئيس على السفر لكي يتولى إخطار الجهات المختصة بها للتنفيذ، ولكن الأستاذ سامى شرف وجد من الضروري إعادة العرض، وغير الرئيس رأيه وأبلغت بالتغيير.

جاءتنى الورقة التقليدية بخط الأستاذ سامى شرف معروضة على الرئيس بالنص التالى^(١):

« أفندم

طلب الأستاذ هيكल السماح لخيرية خيرى بالسفر إلى لندن هى وابنتها.

.....

.....

أوا مر سيادتكم

« ٦٧ / ٤ / ١

ثم ملاحظة فى أسفل المذكرة برأى جهات الأمن - كما يبدو لى - كتب فيها السيد سامى شرف بخطه:

«ملحوظة :

خيرية خيرى أصبح عداؤها للنظام سافر وهى عنصر ... (كلمات لا أرى مناسباً أن أنشرها) وإذا سمحتم لى سيادتكم أن أبدى رأى فإنى أفضل بقاءها فى القاهرة... ».

(١) صورة المذكرة بخط السيد سامى شرف فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٢). والنقط التى وضعتها فى نصها تمثل عبارات رأيت أن أعطى عليها فى الوثيقة الأصلية حرصاً على معان كثيرة.

وكانت هنالك تأشيرة بخط غير خط الرئيس وبالحبر الأحمر، ويبدو أن كاتبها هو السيد سامى شرف بعد أن قبل الرئيس وجهة النظر الأخرى، وكان نص التأشيرة : « لا داعى ».

ولم أقنع وأسكت، فلقد انتهزت فرصة تالية كنت فيها مع الرئيس وأعدت فتح الموضوع . . . قلت له :

- « إن ابنة على أمين تحتاج إلى عملية جراحية فى عينها من نفس نوع العملية الجراحية التى أجريت لابنى . إن على أمين كان فى المستشفى بدلاً منى حين أجريت العملية لابنى، وأشعر من أعماق قلبى أننى يجب أن أساعد ابنته لتحصل على نفس الفرصة، وأن يتاح لها مبكراً تدارك تعقيدات قد تؤثر فى مستقبل حياتها ».

وكان جمال عبد الناصر ضعيفاً أمام مشاعر الأبوة والبنوة ، وغير رأيه للمرة الثانية فوافق على طلب السفر من جديد، وأضفت إلى الطلب رجاءً بأن تسافر ابنتا الأستاذ مصطفى أمين إلى لندن لعمهما لأن ظروفهما فى مصر مرهقة . ثم إن الابنة الكبرى تفكر أن تلتحق بمدرسة هناك لأنها تعاني من جو المدرسة هنا بعد كل مانشر عن والدها.

ووافق جمال عبد الناصر . . . تغلب الإنسان والأب فيه على رئيس الدولة .

وسافرت الأسرتان إلى لندن : زوجة الأستاذ على أمين وابنتيه . ثم ابنتى الأستاذ مصطفى أمين .



وجرت مياه كثيرة تحت الجسور بقية سنة ١٩٦٧، وجرت وقائع وسقطت مراكز وتغيرت صور.

وذاث يوم من شهر أبريل سنة ١٩٦٨ كنت مع جمال عبد الناصر فى بيته .

وقتها كان جمال عبد الناصر يخوض معركتين فى نفس الوقت : حرب الاستنزاف ضد إسرائيل . ومعركة فى الداخل لتصفية بعض مراكز القوى التى

ظهرت واستفحل خطرهما. وكان بين الذين قدموا للمحاكمة وقتها السيد «صلاح نصر» رئيس المخابرات العامة .

وتطرق الحديث بين جمال عبد الناصر وبينى بالطبع إلى التطورات المتلاحقة على كل الجبهات، وعلى غير تحسب منى أو انتظار قال جمال عبد الناصر :
- « يظهر إن صديقك مصطفى أمين يعتقد أن محاكمة صلاح نصر فرصة مواتية له .

يقول فى السجن إن صلاح نصر أوقع به لأنه كان يحس بالغيرة منه .
عندما قلت لمصطفى مرة إن تقاريره التى يكتبها لى تؤهله لمنصب مدير مخابرات أخذها جداً . كان يكتب تقارير لصلاح نصر أيضاً لكنه الآن يقول إن صلاح نصر لم يغفر له أبداً منافسته له فى الحصول على المعلومات وكتابتها فى التقارير .
مصطفى أيضاً يدعى الآن أن صلاح نصر عذبه . . . لقد سمع أن بعض حالات التعذيب وقعت، وأننا نحقق فيها وقرر إدخال نفسه فى العملية على أمل أن يجد مكاناً فى الزحام !

هو أيضاً يتهم الإسرائيليين بأنهم وراء قضيته .» .

ثم أضاف جمال عبد الناصر :

- «غريبة هذه القدرة لدى بعض الناس على أن يكذبوا حتى على أنفسهم .» .

وبدت على علامات عجب لما أسمعته، وقال لى الرئيس :

- «عندما تخرج من هنا خذ من سامى شرف صورة خطاب بعث به مصطفى أمين من السجن إلى قريية له تزوره بانتظام هناك . إن مصطفى لم يكتب الخطاب إلى قرييته وإنما كتب الخطاب لنا، فهو طبقاً للوائح السجون سوف يسلم أى خطاب يكتبه مفتوحاً إلى مأمور السجن، ومأمور السجن سوف يبعثه بالطريق الرسمى وعبر جهات كثيرة . حتى يصل إلى المرسل إليه .

خذ الخطاب واطلع عليه . . . سوف تجده شيئاً فريداً فى بابه .»

ومررت على مكتب السيد سامى شرف وأخذت نسخة من الخطاب، وكان نصه كما يلى (١):

« السيد قائد العنبر

أرجو الموافقة على إرسال هذا الخطاب إلى أسرتى .

٤ مارس سنة ١٩٦٨

ياحببتى

حدثت اليوم مفاجأة لم تخطر على بالى، ويظهر أننا الآن فى موسم المفاجآت، فقد حدث ظهر اليوم أن قيل لى أن النيابة تنتظرنى فى غرفة المدير .

وتصورت أن النيابة جاءت تحقق فى بلاغى للنائب العام عن التعذيب . ودهشت أن جميع المسجونين السياسيين استدعوا إلى دار القضاء العالى لسماع أقوالهم . بينما يحقق معى فى بلاغ التعذيب فى داخل الليمان .

وعندما ذهبت إلى غرفة المدير، طلب إلى أن أنتظر فى غرفة مجاورة ، ثم جاء الأستاذ أمين عليوة رئيس النيابة الملحق بمكتب النائب العام .

وظهر أن التحقيق بخصوص الأقوال الخطيرة التى قالها لوتز الجاسوس الإسرائيلى فى السجن عن تسرب المخابرات الإسرائيلية داخل مخابرات صلاح نصر، وكيف أن المخابرات الإسرائيلية أمرت لوتز أن يقلب على صلاح نصر! وكيف نجح فى مهمته وقبض على، وجاءته رسالة من المخابرات الإسرائيلية بعد الحكم على تقول له «براقو» .

ونذكرت أسماء جميع المسجونين الذين سمعوا أقوال لوتز .

(١) صورة لهذا الخطاب بخط الأستاذ مصطفى أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٢٤).

وقال لى رئيس النيابة إن النائب العام كلفه بالانتقال ليحقق فى أقوال لوتز، ولكنه مستعد أن يسمع أقوالى فى التعذيب، وأن بلاغ التعذيب لم يصل بعد إلى النائب العام، وقد مر أسبوع على إرساله . فقلت له إننى أريد أن أقتصر الآن على إبداء أقوالى فى تصريحات لوتز، وأن أنتظر نتيجة بلاغى لأحدث فى التعذيب بالتفصيل.

واستدعى رئيس النيابة الشهود جميعاً . وفصلونى عن الشهود، وأجلسونى فى غرفة أركان حرب . وأدلى الشهود بشهادتهم وأكدوا ما قلته .

وقال رئيس النيابة لبعض الشهود إن هذا التحقيق فى رأيه أهم من قضية انحراف المخابرات وأهم من قضايا التعذيب . وفى رأى أن هذا التحقيق يكمل صورة مخابرات صلاح نصر، ويظهر مقدار الجريمة التى ارتكبتها فى حق هذا الوطن .

وسألنى رئيس النيابة إذا كانت المعاملة فى السجن قد تحسنت كثيراً عما كانت، ودهش كثيراً عندما قلت له إنه لم يحدث أى تغيير .

ولقد علمت أنهم سيسمحون بدخول طعام لى فى أول يوم من أيام العيد (السبت) ، أو ثانى يوم من أيام العيد (الأحد) .

وطلبت من هانى أن يسمح لى بأن أراك دقيقة فى هذا اليوم . فقال إنه سيستأذن المدير فى ذلك .

إننى أكتب لك بسرعة هذا الخطاب حتى أجعلك فى الصورة دائماً لتعرفى أخبارى أولاً بأول .

ولك ألف ألف قبلة وإلى اللقاء . إننى أعتقد أن محضر التحقيق الذى تم اليوم هو محضر تاريخى، وكم أتمنى أن أحصل فى يوم من الأيام على نص هذا المحضر، ولست أعرف إذا كان المسئولون سيرون من المصلحة أن تعرف الآن هذه الحقائق الخطيرة .

ولم ينتابنى شعور بالتمنى أن أكون مطلق السراح ، خلال هذه المدة الطويلة

سوى مرتين، المرة الأولى عندما وقع العدوان فى ٥ يونيو، فقد شعرت عندما حدثت الهزيمة بالتمنى لو أننى كنت مطلق السراح، لاستطعت أن أخدم بلادى، كما خدمتها فى عدوان سنة ١٩٥٦ .

والمرة الثانية هى هذه المرة بعد التحقيق، فلقد تمنيت أن أكون مطلق السراح لأستطيع أن أكشف الستار، وأحصل على الوثائق الخاصة بالجريمة التى ارتكبها لوتز ضد بلادنا، وكيف استغل غفلة صلاح نصر وغروره وجهله لكى يدس على بلادى ما تريد المخابرات الإسرائيلية أن تدسه على المسئولين.

إننى كنت أقول لنفسى، لو كنت مطلق السراح، لاستطعت أن أتعقب لوتز فى جميع أنحاء العالم، ولاستطعت أن أحصل منه على اعتراف بخط يده، ولاستطعت أن أعرف كيف استطاع لوتز أن يفعل كل هذا الذى فعله ببلادى وبى^(١). إننى أعرف أنها مهمة شاقة، ولكنى أضعها أمانة فى عنق كل تلاميذى، وفى عنق كل أصدقائى، وفى عنق صحافة العالم. فقد كنت أحد كبار الصحفيين العالميين، وواجب صحافة العالم أن تكشف الجريمة التى ارتكبها هذا الجاسوس الإسرائيلى من أجل أن يضع واحداً من كبار الصحفيين فى الشرق الأوسط، بشهادة صحف العالم كلها، فى الليمان^(٢)!

إن هذا يدل ولا شك على عبقرية لوتز الذى قرأت فى الدبلى تلغراف^(٣) أنه يعتبر Master Spy.

(١) منذ أفرج عن الأستاذ مصطفى أمين فى شهر يناير ١٩٧٤ لم يكتب مقالاً واحداً عن الجاسوس الإسرائيلى «لوتز» ولم يطارده إلى بقعة فى الأرض ليكشف سره.

(٢) الملاحظ أن صحافة العالم كلها تقريباً لم تكتب شيئاً عن القضية ولم تتناولها واحدة منها كقضية صحافة أو كقضية حريات.

(٣) يقول الأستاذ مصطفى أمين هنا أنه يقرأ «الدبلى تلغراف» فى السجن، وهذا يتنافى مع الصورة التى رسمها - فيما بعد - لأحواله فى تلك الفترة، والحقيقة أننا كنا رتبنا لجميع ما طلبه من جرائد ومجلات مصر ولبنان وإنجلترا أن تصله بانتظام - ولم يكن هذا الخطاب خطاباً سرياً هربه من السجن، وإنما كان خطاباً سلمه بالطريق الرسمى إلى قائد العنبر!

ولكن هذا يدل أيضاً على مبلغ سذاجة وجهل صلاح نصر!

إنه من أجل أن يغطي فضائحه الشخصية ، خشية أن تصل إلى المسؤولين، لفق على هذه التهمة ، وعذبني، وامتهن إنسانيتي، ولوث وطنيتي ..

إن الله شاء أن يجعلني أعيش حتى أرى هذا اليوم، إنه جعلني أعيش حتى أشهد الحقائق تظهر واحدة بعد أخرى.

إن الله معنا.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

وإلى اللقاء .

« (إمضاء) »

وكان تعليقى على قراءة الخطاب هو أنه انعكاس لحالة اضطراب نفسى
رجل يحاول أن يهرب من الماضى ومن الواقع، وذلك يجب أن يفهم إنسانياً قبل أى اعتبار آخر!.

الفصل الرابع زائر من الريفييرا

وفى الأسبوع الثانى من شهر سبتمبر ١٩٦٨ وصل الأستاذ سعيد فريجة إلى القاهرة من « كان ». كان فى الريفييرا لقضاء عطلة صيف . وفى مغانيها الحلوة قابل الأستاذ على أمين الذى تصادف وجوده هناك ضمن مرافقى الأمير السعودى « طلال بن عبد العزيز ».

وحين لقينى « سعيد » غداة وصوله إلى القاهرة وجدته يبدأ برواية حكاية قدومه إلى القاهرة .

كانوا فى سهرة ممتعة فى « كان » . عدد من الأمراء السعوديين وأصدقائهم والجو نغم والنسيم عطر وكل شىء يوحى بالفخامة والغنى . وفوجئ بالأستاذ على أمين يسحبه من يده إلى شرفة تطل على البحر من بعيد ثم يقول له دون مقدمات « إنه يتعذب » .. « كلما رأى نعيم الحياة من حوله تذكر توأمة مصطفى فى سجن طرة » . ثم راح يبكى على كتف « سعيد » . ويظهر أن بعض حضور الحفل ليلتها أحسوا بما يجرى على الشرفة ، ويبدو على نحو أو آخر أن حديث السهرة بعد ذلك دار حوله . ولم تمض ثلاثة أيام حتى كان « سعيد فريجة » قد ركب الطائرة إلى بيروت لعدة ساعات ثم لحق بطائرة أخرى إلى القاهرة .

وكانت وجهة نظر سعيد فريجة أنه لا يساوره شك فى أن الأستاذ مصطفى أمين مذنب، لكنه مهما كان الذنب فإنه قضى حتى الآن قرابة الثلاث سنوات فى السجن ما بين التحقيق والمحاكمة وبعد الحكم . وهذا يكفى .

ولابد أن أعترف أنني كنت أرى رأيه .

وطلبنا موعداً مشتركاً من الرئيس جمال عبد الناصر ، واتفقنا على أن نحاول كل جهدنا لكي نخرج من هذا الاجتماع بنتيجة . . . على الأقل بوعده .



وكانت جلستنا مع الرئيس جمال عبد الناصر ممتدة ومثيرة .

لم يكن سعيد فريحة قد قابل جمال عبد الناصر منذ ١٩٦٧ وأحداثها الحزينة . كذلك لم يكن بالطبع قد قابله وحرب الاستنزاف يشتعل أوارها .

وتحدث جمال عبد الناصر حول ظروف سنة ١٩٦٧ ، ثم راح يتحدث عن حرب الاستنزاف وعن تصوره لمراحل المعركة الشاملة ضد إسرائيل وتقديره لها وعلى أي نحو ومتى .

وانتقل سعيد فريحة فراح يروي للرئيس كيف وصل خبر إغراق المدمرة الإسرائيلية « إيلات » بصاروخ مصرى إلى بيروت ، وماذا كانت مشاعر الناس وهم يرون مصر تقوم من ضربة وجهت إليها فى يونيو ١٩٦٧ ، فإذا هى تواصل القتال فى البر وفى البحر .

وتنبه سعيد فريحة بعد ساعة زمان تقريباً إلى أنه لم يتطرق بعد إلى الهدف من زيارته ، فانتهاز لحظة توقف فيها الكلام ثم قال :

- «سيادة الرئيس .. الحقيقة أنني أشعر بخجل إذ أثير أمامك الآن وسط مسئولياتك الكبيرة موضوعاً أتمنى لو سمحت لنا أن نعيد عرضه عليك» .

ثم دخل إلى القصة كلها ابتداء من « كان » و« الريفيرا » . . . والشرفة المطلة على البحر ودموع على أمين . . .

وابتسم جمال عبد الناصر نصف ابتسامة وقال لسعيد فريحة :

- «أحدثك عن الحرب ومعاركها والناس الذين يموتون على الجبهة وأنت تحدثني عن «الريفيرا». لم أرها فى حياتى ولا أريد أن أراها».

وقال سعيد فريحة بروح الفنان الصافية فى وجدانه :

- «سيادة الرئيس.. ما لنا ومالك . نحن لسنا مثلك مكلفين بحمل خطايا هذه الأمة».

ثم استغرق فى الضحك وهوىقول :

- « نحن قسمنا الوجود قسمين : لك التاريخ ولنا الحياة !».

وضحك جمال عبد الناصر من قلبه على القسمة غير العادلة !

وأحسست أن كلام سعيد فريحة أشاع فى جو الجلسة لمسة من المرح فتدخلت قائلاً بالحرف :

« لا أحد بيننا يجادل خطورة ما نسب إلى مصطفى أمين، لكن هناك نقطة واحدة يهمنى توضيحها.

مصطفى كان رجلاً مشتغلاً بالسياسة .

وبالنسبة لسياسى فإن العقوبة الحقيقية هى الإدانة . وأما قضاء مدة العقوبة بكاملها فقد يصبح نوعاً من الانتقام . وهنا تفترق جريمة سياسية عن جريمة عادية».

وقال جمال عبد الناصر :

-«دعنى أصحح لك أولاً . إن جريمة مصطفى أمين لم تكن جريمة سياسية . وإنما كانت جريمة وطنية . وهى على هذا النحو أسوأ من جريمة عادية».

والتقط الأستاذ سعيد فريحة الخيط فقال :

- « سيادة الرئيس.. الإدانة وحدها كافية ، وقضاء مدة العقوبة كاملة لا يقدم ولا يؤخر، ثم إن جزءاً من العقوبة جرى تطبيقه بالفعل، وعاش مصطفى حياة السجن ثلاث سنوات، وهذا يكفى».

ثم انتقل الأستاذ سعيد فريحة إلى المستوى العاطفى للمشكلة مرة أخرى وراح يستعطف جمال عبد الناصر ويرجوه ويلح عليه فى وعد بتوقييت إذا لم يكن على استعداد للبت فوراً فى المسألة .

ورد جمال عبد الناصر ، وكانت فى صوته نبرة حزم أحسست بها :

- « إن الوعد الوحيد الذى أستطيع أن أعطيه لكما هو أن أفرج عن مصطفى بعد إزالة آثار العدوان . أما قبل ذلك فمستحيل . وإذا أردت أن تعرف سبباً تضيفه إلى مآثراته وسمعته من التقارير والأشرطة والاعترافات . فإننى على استعداد أن أقول لك دون أن أكون ظالماً لأحد أن مصطفى كان من أهم مصادر المعلومات للأمريكان فى الظروف التى سبقت التدبير للعدوان . ثم هل لى أن أسألك سؤالاً وجهته من قبل لهيكل ولم أتلّق إجابة مقنعة عنه : قل لى كيف يعيش على أمين فى أوروبا يذرعها بالطول والعرض ؟! »

وللحظة بدا وكأنه لم يعد لأحدنا كلمة يقولها . وبعد هذه اللحظة الحائرة الضائعة قال سعيد فريحة : « هل نأخذ هذا وعداً .. إنك ستفرج عنه بعد إزالة آثار العدوان ؟ » وقال جمال عبد الناصر : « نعم وعد » . ثم أضاف « وساعتها تعال إلى هنا بنفسك لكى تأخذه من باب السجن إلى باب الطائرة وتذهب إلى الريفيرا ! »

وخرجنا . وعند الباب استأذناه فى زيارة للأستاذ مصطفى أمين فى سجن طرة . وأذن .



كان هذا آخر لقاء لى مع مصطفى أمين فى السجن ، وكان اليوم هو يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٦٨ .

فى الساعة العاشرة صباحاً كنا على الباب وهناك من ينتظرنا ليأخذنا إلى غرفة مأمور السجن ووراءنا اثنين من الجنود يحملان صناديق التفاح وغيره من المأكولات الفرنسية التى جاء بها سعيد فريحة من بيروت والريفيرا .

وجاء الأستاذ مصطفى أمين إلينا فى غرفة المأمور ، ثم كان عناق وقبلات وسؤال عن الأحوال والناس وأولهم على أمين . ويبدو أن الأستاذ سعيد فريحة أراد تطمين

الأستاذ مصطفى أمين فقال له: «إننا كنا أول أمس مع سيادة الرئيس وحدثناه في أمرك ووعدنا خيراً بأذن الله».

ولم أدرك إلا متأخراً أن هذه العبارة سوف تحدث أثراً تمتد إلى أبعد بكثير مما قصده الأستاذ سعيد فريحة بها.

في أوانها كان لهذه العبارة تأثير السحر في غرفة مأمور السجن.

بعدها بدأ المناخ المحيط بنا يتغير بسرعة، ولم تمض غير دقائق حتى كنا نقوم بجولة في السجن ودليلنا فيها هو الأستاذ مصطفى أمين يمشى وسطنا ومن حولنا مأمور السجن وبعض الضباط، وذهبنا إلى ورش السجن وإلى المخبز والمطبخ ثم إلى المكتبة، وكانت هي المكان الذي تقرر أن ينفذ فيه الأستاذ مصطفى أمين عقوبة السجن مع الشغل. شغله كان المكتبة. وداعبته قائلاً له: «على الأقل تقرأ بعض الكتب»، وضحكنا، فقد كنت ألومه مرات في الأزمنة الخوالي لأن قراءاته كانت مقصورة على الصحف والمجلات لا تتعداها.

وراح الأستاذ مصطفى أمين أثناء تجوالنا في السجن يقدمنا إلى بعض زملائه. وفي لحظة من اللحظات راودني الإحساس بأننا في فناء مدرسة ولسنا وسط جدران سجن.

وأخذنا الوقت أكثر من ساعتين، ثم جاء من ينبه إلى أن الزيارة تجاوزت كل القواعد المقررة. وخرجنا.

ومر على سعيد في اليوم التالي مودعاً. كان عائداً إلى بيروت وبعدها ربما إلى أوروبا. وسألني:

- «ماذا أقول لعلی؟»

وقلت له:

- «إننى لا أعرف أكثر مما تعرفه.. فلقد كنا معاً حين تحدثنا للرئيس، وكنا معاً حين التقينا».

وسألني:

- « هل ترى مناسباً أن أنقل لعلی ملاحظة الرئيس على مصادر حياته فى أوروبا؟ ».

وكان ردی :

- « إنه من الضرورى أن يعرف على أن ذلك أمر يثير تساؤلات فى مصر وكلها تساؤلات لا تخدم قضية مصطفى ولا قضيته. والمهم أن تختار الأسلوب الذى يجعله يحس بالمسألة دون أن تصدمه بها كاتهام من جمال عبدالناصر ».

وسألنى سعيد فريحة :

- « لماذا لا تكتب له خطاباً أحمله له معى؟ ».

وقلت له :

- « وهبنى أردت أن أكتب له خطاباً فماذا أقول فيه...؟ ».



صباح يوم ٢٢ سبتمبر اتصل بى جمال عبد الناصر فى مكتبى مبكراً.

تذكر - كريما ووفيا - إنه يوم ميلادى - لكنه مع ذلك كان غاضبا. قال على الفور :

- لولا أنه عيد ميلادك لما كنت اتصلت بك اليوم. الحقيقة أننى غاضب منك وأنت

تعرف أننى لا أحب أن أتصل بأحد وفى قلبى ذرة غضب»^(١).

(١) كان ذلك صحيحا إلى أبعد حد، فقد كان جمال عبد الناصر حين يغضب غضبا حقيقياً من صديق أو زميل - ينتظر حتى تهدأ مشاعره. يوما أو يومين. وكان يقول « كيف يستطيع أحد أن يرد إذا أنا ثرت عليه، وكيف يتمالك نفسه ليقول وجهة نظره فى مواجهة ثورتى. إن أى واحد فى مثل ظروفى لابد له أن يروض نفسه على الصبر. ليس من حقه أن يفعل مع إن ذلك من طبائع البشر، لكن انفعاله فى مواجهة الآخرين وفى لحظة غضب يمكن أن يحدث جراحاً لا يشفيها الزمن ». وكثيراً ما كان يردد: «كلكم لكم حق الانفجار غضباً أمام من تشاءون إلا أنا».

وتساءلت عن السبب، وراح يسألنى عما جرى فى السجن أول أمس حين ذهبت مع الأستاذ سعيد فريحة لزيارة الأستاذ مصطفى أمين. ولم ينتظر إجابتى وإنما استطرد يقول:

- «إننى عرفت ما حدث، وأنا فى دهشة من أنك تركت مصطفى يستغلك إلى هذا الحد، يطوف بك السجن كله «ويهوش» الناس باعتبارك صديقى... هل تريد أن تعرف أكثر من ذلك؟ إنه قال لبعضهم فى السجن أننى بعثت بك رسولا إليه تفاوضه فى الخروج على أساس استعمال اتصالاته فى الظروف الراهنة... هل يرضيك هذا؟».

وأعربت صادقاً عن أسفى لأن ذلك حدث، وأننى سأكون أكثر حرصاً فى مرات قادمة. وكان رده قاطعاً:

- «أخشى أن أقول لك إنه لن تكون هناك مرات قادمة. إننى أبلغت شعراوى جمعة (وزير الداخلية وقتها) بأن يرفض أى طلب تتقدم به لزيارة مصطفى أمين. ونصيحتى لك أن لا تخرج نفسك لا معى ولا مع شعراوى!»!

ثم أردف قائلاً: «انتهى الكلام فى هذا الموضوع ولننتقل إلى غيره.. كيف حالك اليوم؟.. وماذا تنوى أن تفعل؟».. وأسئلة ود ومحبة. لكن رأسى كان يدور وقلت له معاتباً: «وهل تركت لى مجالا للاحتفال بعيد ميلادى اليوم؟»

وقال ضاحكاً: «تستاهل!»!



وفى نهاية الأسبوع الثانى من أكتوبر ١٩٦٨ وجدت فى بريدى مرة أخرى خطاباً من على أمين. كان الخطاب مؤرخاً يوم ٥ أكتوبر، وكان واضحاً من سطره الأولى أنه رد فعل لزيارة سعيد فريحة الأخيرة للقاهرة. كان يحاول أن يشرح لى تفهمه للأسباب التى تمنعنى من الكتابة إليه. وكان يحاول أن يرد على السؤال المطروح حول مواعده فى لندن... إلخ.

كان الخطاب بالنص كما يلي: (١)

« لندن في ٥ أكتوبر ١٩٦٨

عزيزى هيكل

لقد حرصت خلال السنوات الماضية أن أخلق لك المبررات والظروف التى تمنعك من الرد على كل الخطابات التى أرسلتها لك (٢). وأحب أن أؤكد لك أننى قبل أن أكتب لك هذا الخطاب اختلقت لك عذراً وجيهاً لعدم وصول ردك! فلا تتعب نفسك وتعتذر عن عدم ردك، فإن العذر الذى اختلقته لك أمام نفسى أقوى من العذر الذى ستكتبه لى لو اتسع وقتك للكتابة !

طبعاً أنت تعرف أننى منذ سنوات أعمل مع محمد على حسين (٣) فى مكتبه الهندسى بلندن، فى تصدير الماكينات والمحطات الكهربائية إلى مختلف بلاد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والخليج العربى، وهى عملية تدر أرباحاً ضخمة، ولكنها لم تستطع أن تنسينى حبى الأول. ومع ذلك فقد استطعت أن أقاوم نداء حبى الأول، كل هذه السنين. وحرصت أن أبتعد كل هذه السنين عن المهنة التى أحبها وأعشقها، حتى أتفادى القيل والقال، وأقدم الطعم الدسم للذين يهوون الصيد فى الماء العكر.

(١) صورة لهذا الخطاب بخط يد الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب (وثيقة رقم ٢٥).

(٢) لم أكن أرد على خطابه لأكثر من سبب بينها حيرتى فيما يمكن أن أقوله له، ثم إن الأستاذين سعيد فريجة ومحمد أحمد محبوب كانا حلقة اتصال غير مباشرة باستمرار.

(٣) المهندس محمد على حسين زوج السيدة «مونا عبود» ابنة المليونير المصرى المعروف «أحمد عبود» (باشا) (وكانت هذه أول مرة أعرف فيها أن الأستاذ على أمين يعمل فى مكتب زوج ابنة عبود (باشا) - وإذا كان ذلك صحيحاً فلا بد أن عمله كان بالدرجة الأولى تسهيل أعمال المهندس محمد على حسين مع أصدقاء الأستاذ على أمين فى السعودية .

ولكنى فكرت أخيراً أن أضيف إلى مهنة الاتجار فى المحركات والماكينات والمحطات، مهنة طبيب الصحف والمجلات، وهى مهنة الطبيب الذى يحاول علاج الصحف والمجلات المريضة، ويكتب روصة الدواء وطريقة العلاج !

وبدأت فى بيروت، فحاولت تجديد ملحق الأنوار الأسبوعى والملحق الاقتصادى، ثم بدأت أجدد مجلة الصياد، وأعيد لها روحها القديم الذى تميزت به فى الأربعينات وأوائل الخمسينات. ورغم ضعف مستوى الصحفيين فى لبنان وفقرها المدقع فى الذين يعرفون طريقة الكتابة للمجلات، فقد استطعت أن أضع ماكيتا جديد لمجلة الصياد. واقترحت عددا من الأبواب الجديدة، كما أقنعت أصحاب الأبواب القديمة بتغيير طريقتهن فى الكتابة وفى اختيار الموضوعات التى تعجب القراء. ولم يكن من السهل تركيب موتور رولز رويس فى سيارة موريس. ولكنى استطعت بعد جهد كبير أن خلق الموتور الذى يساعد على انطلاق السيارة الموريس! وكانت مشكلتى أن موتور السيارات يقاس بعدد الخيول، لا عدد الحمير . . . ومع الأسف وجدت فى الصياد خليطاً من الاثنين! ولا بد أن يكون سعيد قد روى لك نوايرى مع محررى الصياد ودار الأنوار، وكيف أننى أثرت الفزع فى قلوبهم، حتى أن سكرتير تحرير ملحق الأنوار وهو فى حجم المرحوم كامل الشناوى، كان يخرج من مكتبى كل مرة وهو فى حجم هنرى بحرى! ولست فى حاجة أن أقول لك إن صرخاتى المشهورة فى أخبار اليوم، عادت وانطلقت بين جدران دار الصياد، واستطاعت فى حدود الإمكانيات المتواضعة أن تحدث أثرها! ولو أننى أمضيت الساعات التى قضيتها فى دار الصياد، فى دار مجلة مصرية لانهت من التجديد فى ثلاثة أسابيع، ولكنى أمضيت أربعة أسابيع فى الصياد، ولم أنته من تجديد كل صفحات المجلة، ولذلك جئت إلى لندن لاستكمال الماكيت ووضع الرتوش النهائية. وأعتقد أنه إذا نفذ سعيد كل اقتراحاتى سيتمكن صدور الصياد فى ثوب مجلة ناجحة مثيرة فى أول يناير القادم . . . وهذا هو الفرق بين القاهرة وبيروت! وهذا من بخت صحفنا ومجلاتنا المصرية، فإن إمكانيات المجلات فى الماكينات والمعدات لا يتصورها العقل، ولكن العنصر الإنسانى يكاد يكون معدوماً. ولا أعرف ما سيكون مصير هذه الصحف

بعد عشر سنوات عندما تختفى الأسماء اللامعة . ولا تترك شاباً واحداً يحل محلها . فقد لاحظت أن الشبان والشابات في لبنان يهربون من مهنة الصحافة، لأنها لا تثير احترامهم، ولا تحقق أحلامهم ولهذا لا توجد في صحافة لبنان طبقة ثانية ولا ثالثة من الصحفيين المتعلمين إن لبنان مزدحمة بالطبقة السابعة من الصحفيين، ولا يمكن أن تقوم صحافة ناجحة على اكتاف هذه الطبقة . ولهذا فإن المجال في بيروت وفي كل العواصم العربية يتسع لكل صحفي مصري شاب لا يجد عملاً في بلادنا . ولا أستبعد أن نرى اليوم الذي يغزو فيه الصحفيون المصريون صحافة لبنان والبلاد العربية ، كما غزا الصحفيون اللبنانيون الصحافة المصرية في المائة سنة التي سبقت قيام ثورة سنة ١٩٥٢ . وكل ما أتمناه أن تحاول بلادى انتهاز هذه الفرصة ، وتدريب أكبر عدد من الشبان المصريين ليحتلوا المقاعد التي ستخلو في العشر سنوات القادمة . وأصارك بأننى ألاحظ تقصيراً معيياً في هذه الناحية ، كما ألاحظ أن جريدة الأهرام وحدها هي التي قدمت عدداً من الصحفيين الشبان في العشر سنوات الماضية ^(١) . وإننى لم أقف لحظة واحدة أمام الأسماء التي تنشر في باقى الصحف والمجلات المصرية . وإننى أرجوك أن تهتم بهذا الموضوع الخطير رغم أعمالك الكثيرة المتشعبة ، وأنبهك بأن الفرصة ستضيع منا إذا لم نستعد منذ الآن لإعداد أكبر عدد من الشبان المصريين للجلوس في المقاعد الأمامية التي ستخلو في الصحافة العربية .

وقد أثارت فكرة « طبيب الصحف والمجلات » اهتماماً ضخماً في لبنان ومعظم البلاد العربية . وتلقيت عروضاً من معظم صحف ومجلات لبنان وليبيا والكويت ... بل وجاءت حكومة قطر تطلب منى أن أعد لها مشروعاً عن إصدار جريدة أسبوعية توزع في البلاد العربية ! ولست في حاجة أن أقول لك إننى استبعدت كل عرض من الصحف التي تهاجم بلادى أو تعارض سياستها . وفي نفس الوقت قررت أن لأنافس نفسى، فإذا عالج مجلة سياسية ، لن أعالج مجلة سياسية تنافسها . فإن

(١) كان بين الاتهامات التي وجهتها لى الحملات الضارية من صحف أخبار اليوم . فيما بعد . أننى لم أفتح طريقاً للشباب ، وسوف أعود إلى حقيقة هذه المسألة فيما بعد .

المريض يكشف نفسه للطبيب، وليس من الخلق الكريم أن تستفيد من معلومات حصلت عليها وأنت تعالج مريض. لتعالج مريضاً آخر يريد أن يذبح مريضك الأول!

وأحب أن أقول لك أن أحلامي لا حدود لها. وإن أمنيته أن أستفيد من تجاربي في علاج الصحف والمجلات المريضة في بعض بلاد الشرق الأوسط، في محاولة علاج بعض الصحف والمجلات الصغيرة في إنجلترا نفسها! وليس هذا غرور مني، فإن من أخطر عيوب الصحف والمجلات أن أصحابها يتصورون أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، ولهذا يفاجأون بالكارثة على غير انتظار. وأؤمن الآن أن كل جريدة ومجلة في العالم في حاجة إلى شخص غريب عنها يكشف عليها، ويحاول أن يجد أمراضها البسيطة قبل أن تستفحل وتتحول إلى أمراض لا يمكن علاجها. وهكذا ترى أنني لم أترك تفاؤلي القديم في القاهرة، بل اصطحبته معي إلى لندن، وصحبته معي وأنا أستعرض المرضى الكثيرين الذين جاءوا لاستشارتي.

ولابد أن سعيد قد حدثك عن مشروع الجريدة اليومية الذي تعده هيئة «الفتح» ببيروت. وكيف أن المليونير الفلسطيني عبد المحسن القطان كان يتصل بكبار الصحفيين في لبنان ليعرض عليهم العمل في جريدة «الفتح» الجديدة التي سيصدرها برأس مال قدره ثلاثة أرباع المليون جنيه، وأن على أمين سيشرف على إصدار هذه الجريدة. وقد تصورت عندما سمعت هذه الإشاعة لأول مرة، أن بعض الصحفيين الأنكباء أطلقوا هذه الشائعة ليثيروا الرعب في قلوب أصحاب صحف لبنان، ويحصلوا منهم على زيادة في المرتبات! ثم فوجئت بكبار المحررين في لبنان يتصلون بي ويؤكدون لي أن المليونير القطان نفسه هو الذي قال لهم هذا الكلام، وأنهم أبدوا استعدادهم للاستقالة من الصحف التي يعملون بها بعد أن عرفوا أنني سأشرف على التحرير! ووصلت الإشاعة إلى سعيد فريحة وغسان تويني وزهير عسيران وكل أصحاب الصحف في لبنان، وجاءوا يسألونني عن صحة هذا الخبر! وهنا عرفت أن المسألة جد، وأن اسمي يذكر فعلاً في المفاوضات التي يجريها عبد المحسن القطان مع الصحفيين. وأكدت لكل كبار رؤساء التحرير أنه ليس في نيتي الإشراف على تحرير أي جريدة، ولا في قبول سهم واحد في أي جريدة،

وكان عبد المحسن قد قال للصحفيين أنه قرر إهدائي عددًا ضخمًا من الأسهم فى الجريدة الجديدة ! وقلت لهم إنه يبدو لى أن هذه الجريدة ستكون مستقلة عن سياسة مصر، وأنا شخصيًا اعتبر نفسى ملتزمًا بسياسة مصر، ولهذا فانه من غير المعقول أن أساهم أو أشارك فى تحرير جريدة لا تتقيد بسياسة بلادى. وقلت لهم إن العمل الوحيد الذى أنوى أن أعمله هو أن أكون طبيبًا للصحف والمجلات، ولكنى لن أعالج أى جريدة أو مجلة تعارض سياسة بلادى، بل ولا الجريدة التى تقف على الحياد من هذه السياسة !

وأسرعت مع سعيد واتصلنا بالمستشار الصحفى فى سفارة الجمهورية العربية المتحدة ببيروت وأبلغناه هذه الشائعة ، وطلبنا منه أن يسارع بإبلاغ القاهرة بحقيقة موقفى . وحاول سعيد أن يتصل بعبد المحسن القطان ليبلغه بموقفى من الجريدة الجديدة ، ولكن القطان ترك بيروت وسافر إلى سويسرا، ولم يعد إليها حتى غادرت بيروت . وقد تصورت مع سعيد أن أحد النصابين أوهم المليونير الفلسطينى أننى فى جيبه، أو أنه اتفق معى . لأنه من غير المعقول أن رجل أعمال له مكانة مثل عبد المحسن القطان، يلفق قصة مساهمتى فى الجريدة من الألف إلى الياء .

ويظهر أننى لم أتصل بكل أصحاب صحف لبنان . فقد نشرت جريدة «بيروت المساء» أن المخابرات الأمريكية هى التى ستصدر هذه الجريدة الجديدة ، وأن صحفياً مصرياً معروفاً سيشترك فى تحرير هذه الجريدة . وقالت إن هذا الصحفى المصرى عاش فترة فى عاصمة أوروبية كمراسل لجريدة مصرية ، وأنه لا يستطيع العودة إلى بلاده بعد أن اتضح أخيراً اتصاله بالمخابرات الأمريكية ! والمقصود بهذا الصحفى بطبيعة الحال هو على أمين !

وقد قال لى بعض أولاد الحلال إن بعض الدوائر المتصلة بالسفارة المصرية فى بيروت هى التى أوجت لجريدة «بيروت المساء» إلى نشر هذا الخبر بهذه الصيغة . ولست فى حاجة أن أقول لك أن لا مانع عندى من نهش سمعتى إذا كان ذلك يحقق هدفاً من أهداف بلادى . وسأتضايق كثيراً إذا اكتشفت أن بلادى لن تستفيد مطلقاً من نهش سمعتى، وأن هذا النشر سيسبب إلى علاقة بلادى بجماعة الفتح، التى

بدأت تبذل جهداً ملموساً فى إقلاق إسرائيل. وربما كان أولاد الحلال يحاولون إثارتى ضد بلادى، ولكن هيهات أن أقع فى هذا الفخ. وهناك احتمال ثالث، وهو أن بعض سفاراتنا تتصور أنه ليس من مهمتها أن تنقل الأخبار التى تنصف المصريين فى الخارج، ولذلك تعتمد المستشار الصحفى إهمال نقل رسالتى إلى القاهرة .

ولهذا سارعت بالكتابة لك حتى تكون على بينة من الأمر، عندما ترى الخناجر تصوب إلى سمعتى مرة أخرى ^(١).

ولست فى حاجة أن أسجل لك شكرى على كل الجهود التى بذلتها، والتى تبذلها، والتى أومن بأنها ستنتهى إلى نجاح بإذن الله ^(٢).

ولك تحياتى وقبلاى وأشواقى.

المخلص

على أمين

(١) و(٢) أعدت قراءة هذه الأجزاء كثيراً فى الظروف التى طرأت فيما بعد.

الفصل الخامس

من لندن إلى طرة

فى ربيع سنة ١٩٧٠ رأى جمال عبد الناصر أن أكون وزيراً للإرشاد القومى - وزارة الإعلام الآن - إلى جانب عملى فى الأهرام . وحاولت أن أعتذر، وأرسلت له بالفعل خطاب اعتذار^(١)، ثم لم يكن فى النهاية مناص من القبول بعد أن قال لى : « إننا مقبلون على فترة بالغة الدقة ، فهناك معركة عسكرية أكبر من حدود الاستنزاف، ثم إن هناك عملاً سياسياً يسبقها ويمشى معها ثم يواصل بعدها إلى تحقيق أهدافها » .

وكنيت أعرف أن خطة « جرانيت رقم واحد » قد وضعت وعرضت للتصديق (عبور قناة السويس بخمس فرق على ثلاثة محاور)، وأنه طلب تطويرها إلى «جرانيت رقم اثنين» (العبور والوصول والتمسك بخط المضائق). وكان من كلامه يومها « أنه إذا سارت الأمور وفق تخطيطه وتقديره » فهو يتوقع المعركة فى ربيع ١٩٧١، وإذا وصلت القوات المصرية إلى المضائق فإن الحرب فى واقع الأمر تكون قد انتهت لصالح العرب، ووقتها أستطيع أن أترك المنصب الوزارى - لكنه طوال هذه

(١) قلت فى خطاب الاعتذار بالحرف : «إن الجمع بين رئاسة تحرير الأهرام ووزارة الإرشاد سوف يجعل فى يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية ما يمكن أن يحوله بحق إلى مركز قوة وتلك إساءة للنظام إذا وقعت». ثم قلت بالحرف : «إن الجمع بين الأهرام والوزارة سوف يثير حساسيات لا داعى لها بين زملاء المهنة .

النص الكامل للخطاب فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٦).

السنة يريدنى معه فى مجلس الوزراء ووزارة الإرشاد القومى، ولم يكن هناك سبيل آخر إلا القبول بما أراد.

وهكذا وجدت نفسى سنة ١٩٧٠ فى منصب اعتذرت عنه من قبل أربع مرات. سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦١ وسنة ١٩٦٧. كانت الظروف الآن مختلفة وضرورات المعركة تسبق كل الأولويات.

وبدأت أتعرف على الوزارة وعلى طبيعة عملها وعلى كبار مسئولياتها (وتلك تجربة تستحق فى يوم من الأيام أن تروى وإن لم يكن الآن موعدها).

باختصار كان بين من لقيتهم وقتها السيد « عبد الخالق شوقى » وكان مسئولا فى المخابرات العامة ومنتدبا للعمل فى وزارة الإرشاد القومى. يشغل منصب الرقيب العام، وكانت الرقابة وقتها. ولا تزال. تابعة لوزارة الإرشاد أو وزارة الإعلام.

وكان السيد « عبد الخالق شوقى » رجلا يوحى بالثقة والكفاءة. وجلست أسمع منه تفصيلا. كما فعلت مع غيره من أركان الوزارة. وسلمنى خلال الحديث مجموعة من الملفات للاطلاع، وألقيت نظرة سريعة عليها وإذا أحدها يحمل عنوان «رسائل من على أمين إلى مصطفى أمين».

وأبدت استغرابى. وكان تفسير الأستاذ عبد الخالق شوقى « أن الرسائل الواردة من الخارج تخضع. بسبب ظروف الحرب. للرقابة، وهو اختصاص وزارة الإرشاد. ثم إنهم لاحظوا فى الرقابة أن خطابات الأستاذ على أمين من الخارج إلى توأمة فى سجن طره. تحوى ما هو أكثر مما تحتويه عادة خطابات شخصية. فالأستاذ على أمين بالطبع يعرف أن هناك رقابة ومن هنا فإنه يضمن خطابه «تقارير معلومات أو آراء يريد أن تصل إلى السلطة فى مصر». وبصرف النظر عن الدوافع إلى ذلك، أو عن مدى الصدق أو القصد فى هذه التقارير، فإن الرقابة تحتفظ بصور من هذه الخطابات. قبل تسليمها للمرسل إليه. لكن تدرس باهتمام لمحاولة تقصى ما يمكن أن يكون وراءها من أهداف».

ومع مرور الأيام - ولعدة شهور فى منصب وزير الإرشاد القومى - تجمع لدى عدد لا بأس به من خطابات الأستاذ على أمين إلى توأمة. ولم تتح لى الظروف أن أطلع على صور هذه الرسائل - بالتفاصيل - تبعاً، وتراكم بعضها فوق بعض داخل ملف راح يتضخم أسبوعاً بعد أسبوع.

ووجدته فى متناول يدى ذات ليلة فى أوائل سنة ١٩٧١ - وعادت إلى ذاكرتى قصته.

كانت الأحداث قد استغرقتنا بالكامل طوال سنتى ٦٩ و ٧٠ .

قامت ثورة فى السودان ثم ثورة فى ليبيا، واشتدت حرب الاستنزاف، ثم كانت مؤتمرات للقمة فى المغرب وليبيا، ثم جاءت زيارة موسكو السرية فى أوائل سنة ١٩٧٠ وأعقبها الاتفاق على تكثيف الوجود العسكرى السوفيتى فى مصر رادعاً ضد غارات العمق وتخطيطاً لرفع أزمة الشرق الأوسط من المستوى الإقليمى بين مصر وإسرائيل إلى المستوى الدولى أيضاً بين القوتين الأعظم، ثم مبادرة روجرز، والمشكلة الحادة بين الثورة الفلسطينية وحكومة الأردن، ثم لقاءات جمال عبد الناصر فى الإسكندرية مع الملك حسين ثم مع ياسر عرفات، ثم انفجار الموقف فى عمان، ثم القمة العربية الموسعة فى فندق هيلتون النيل، ثم رحيل جمال عبد الناصر، ورئاسة أنور السادات، ثم تصميمى - بلا أدنى مجال لمعاودة النظر - على الخروج من الوزارة والتفرغ الكامل للأهرام.

خلال هذه الأحداث الهائلة لم يكن لدى أحد منا جميعاً وقتاً يشغل فيه نفسه - ولو لدقائق - بشىء آخر غير الهم العام، وأما الهم الشخصى فقد كان عليه أن ينتظر.

ثم جاءت تلك الليلة التى وجدت فيها ملف صور هذه الخطابات فى متناول يدى. كنت أرتب أوراقاً فى مكتبتى ثم شددنى عنوان ملف فى ركن، وتذكرته، ووجدتنى أمد يدى إليه مدفوعاً - أعترف - بنوع من الحنين للماضى وذكريات أيام خوال.

لقراءة سنة لم أكن قد سمعت من الأستاذين مصطفى وعلى أمين ولا سمعت
عنهما إلا إشارات عابرة إلى الأستاذ على أمين بدا بعضها غامضا، فقد أشار جمال
عبد الناصر أكثر من مرة إلى اجتماعات يحضرها في لندن مع السيد كمال أدهم
وآخرين غيره!

ولعدة ساعات رحت أقلب الصفحات وأتأمل. بدت لي هذه الخطابات إضافة
جديدة إلى القصة. ورحت وأنا أقرأها أتبين ما يشبه إيقاعات متكررة في
كل خطاب كأنها «لزمات» تتردد مع كل مقطع.

١. كل خطاب كان فيه مديح لجمال عبد الناصر وحكمته وشجاعته وزعامته
التي لا تضاهيها في العالم العربي زعامه.

٢. كل خطاب كان يحمل على الأقل جملة ثناء موجهة إلى.

٣. كل خطاب كان يحوى كلمة عن طرف سعودى فى محاولة حذرة لنفى تهمة
التعاون معهم.

٤. كل خطاب كان يسترسل فى أخبار وآراء معظمها مما تنشره الصحف
البريطانية لكنه قد يبدو معلومات جديدة فى عيون هؤلاء الذين لا يتابعون
هذه الصحف.

٥. كل خطاب يحوى مقترحات واجتهادات ليست موجهة بالتأكيد إلى الأستاذ
مصطفى أمين وإنما إلى غيره، كأنما كتابة التقارير للسلطة قد أصبحت نوعاً
من الإدمان.

٦. كل خطاب كان يتطرق إلى ذكر الأمير طلال بن عبد العزيز على نحو يشير
إلى أن الأستاذ على أمين أصبح - على نحو أو آخر - ضمن حاشية الأمير.

٧. ثم يستطرد كل خطاب بعد ذلك إلى مجموعة أخبار شخصية وحكايات
مسلية وأمانى طيبة ودعوات.



● عن جمال عبد الناصر مثلاً توقفت أمام نماذج منها:

«إن كفة العرب هي الراجحة والعالم كله يرى أن جمال عبد الناصر هو وحده الزعيم القادر على جمع كلمة العرب وحشدهم جميعاً للمعركة وأنا متفائل بسنة ١٩٧٠ فإن حالة إسرائيل الاقتصادية أصبحت سيئة للغاية، فالحرب تكلفها كثيراً ولن تستطيع الصمود».

(خطاب بتاريخ ٨ يناير ١٩٧٠)

«إن إسرائيل مذعورة من قوة جمال عبد الناصر والأخبار التي تتلقاها لندن أخيراً من إسرائيل هي أن الذعر ليس حركة تمثيلية كما تصورت لندن في أول الأمر، بل إن هناك ذعراً حقيقياً وأن سياسة إسرائيل بدأوا يقتنعون بأن الموقف العسكري قد يتحول ضدهم في أي لحظة».

(خطاب بتاريخ ١٠ مايو ١٩٧٠)

«إن إسرائيل عصبية وغيرراضية عن مبادرة روجرز لكنها ستخضع في نهاية الأمر خصوصاً بعد تساقط «الفانتوم» على الجبهة المصرية وازدياد قوة الجيش المصري والدعم السوفييتي له.

أن موافقة مصر على المبادرة وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر قد أحدث دويًا هائلًا في جميع عواصم أوروبا وفي واشنطن ولندن. وأنا لم أدهش من موقف حكومة العراق من خطاب جمال عبد الناصر، فإن المعلومات لدى من العراقيين تؤكد لي أن البكري غار من الرئيس عبد الناصر غيرة جنونية ولا يطيق سماع اسمه».

(خطاب بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٧٠)

«إن جمال عبد الناصر هو أقوى قوة في المنطقة، ولهذا ستحاول الدول الكبرى أن ترضيه. ولن تتردد واشنطن في الضغط مرة أخرى على إسرائيل بعد أن تأكدت من قوة عبد الناصر في المنطقة».

إن كل موظفى وزارة الخارجية البريطانية يؤكدون اليوم أن الرئيس عبد الناصر هو سيد الموقف فى البلاد العربية .

(خطاب بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٧٠)



● عنى توقفت أمام نماذج منها:

« إننى سعيد لتعيين هيكل وزيرا للإرشاد القومى. إن الصحافة المصرية تحتاج اليوم إلى عملية تجديد شباب وأنا واثق أن هيكل سوف ينجح وكثيراً ما دعوت له بالتوفيق. أن اختياره سوف يريح صحافة العالم التى كانت تشكو مر الشكوى من عدم تعاون الحكومة المصرية مع مراسليها ومندوبيها، وبتعيين هيكل وزيرا للإرشاد فأنا واثق أن القاهرة سوف تصبح مرة أخرى مركزاً لمراسلى صحف العالم فى الشرق الأوسط .

(خطاب بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٧٠)

« إننى أوافق هيكل على ما كتبه عن ضرورة نقل أكبر قسط ممكن من الحقيقة للشعب لتفويت الفرصة على إذاعة إسرائيل. إننى مع هيكل فى أنه ليس ضرورياً أن نقول كل شىء حتى لا يستفيد العدو من الصراحة الكاملة وإن كان من الضرورى أن نقول أكبر قدر من المعلومات .

(خطاب بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٠)

يتردد فى هوايت هول أن هيكل يفكر فى زيارة لندن والاجتماع بسير أليك هيوم وزير الخارجية والمستر هيث رئيس الوزراء، وأعتقد أن زيارة هيكل مفيدة جداً وأن لا اصطدام الآن بين مصالحننا ومصالح الإنجليز فى المنطقة .»

(خطاب بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٧٠)



● عن الإشارة للسعوديين توقفت أمام نماذج منها:

«إن الأمير فهد وصل إلى لندن للعلاج، ويظهر أن هناك خلافات كثيرة بين الأمراء وهي تنذر حسب معلوماتي بانتهاء الملكية هناك».

(خطاب بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٠)

«هل تتصور أن سعود ترك ثروة تقدر بـ ١٤٠ مليون دولار؟»

(خطاب بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٧٠)

«إن صحة الملك فيصل تتدهور والأمراء السعوديون هناك بدءوا يتهامسون في الموقف بعد وفاة الملك».



● عن ذكر الأمير طلال توقفت أمام نماذج منها:

«كنت مشغولا طوال الشهر الأخير كله، فقد كنت أبحث عن سكن لعائلة الأمير طلال يقيمون فيه أثناء وجودهم في لندن. الطلبات كثيرة ومتعارضة والأميرة لها طلبات والأمير له طلبات ولبقية الأسرة طلبات والتوفيق بين هذه الطلبات كلها مستحيل».

(خطاب بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٠)

«فوجئت أمس ببرقية مستعجلة جدا من الأميرة مونا الصلح^(١) تطلب مني أن أسأل طلال إذا كان ابنهما وليد قد أخذ المصل ضد مرض الكوليرا وتاريخ أخذ المصل! وحررت ماذا أفعل؟ إن طلال استأجر يختا يطوف به على موانئ الريفييرا ومعه أولاده. وهو لم يتصل بي تليفونيا. ولا أتوقع أن يتصل بي. وأنا لا أعرف اسم اليخت حتى أكلف البوليس بالبحث عنه! وزوجة الأمير مريضة في لندن، ولا تذكر إذا كان وليد قد أخذ المصل! ومربية الأولاد الإنجليزية في برمنجهام، وليس عندها

(١) إحدى بنات السياسي اللبناني رياض الصلح، وكانت متزوجة من الأمير طلال ثم طلقت منه.

تليفون! وحصلت على عنوانها فى برمنجهام وأرسلت لها برقية عاجلة أطلب منها الاتصال بى على الفور. ولا أستبعد أن تصلها البرقية إلا فى ساعة متأخرة من الليل، فإن الإنجليز عادة يتركون منازلهم فى أيام الأحد ويتجهون إلى الريف أو إلى الساحل! وطلبت الأميرة على وجه السرعة فى بيروت لأستفهم منها عن سبب هذه البرقية الغريبة؟ هل تشك فى أن ابنها مريض بالكوليرا؟ أو أنها تريد أن تعطيه المصل وتريد أن تتأكد من أنه لم يحقق به! إننى أنتظر الآن مكالمتها التليفونية وقد لأجدها فى بيتها... فإن معظم سكان بيروت يذهبون إلى الجبل فى عطلة الأسبوع! ثم إننى حائر! إن مونا تسرف فى الكذب! فإذا قالت لى أن وليد مريض بالكوليرا، هل أصدقها وأخطر طلال؟»

(خطاب بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٧٠)



ولم أتوقف بعد ذلك عند نماذج. عندما وصلت إلى آخر خطاب فى الملف. وكان توقيته بعد رحيل جمال عبد الناصر. وجدته يعطى صورة كاملة لكل شىء^(١).

كان تاريخه ١١ أكتوبر ١٩٧٠، وكان نصه كما يلى:

«أخى العزيز..»

إننى فى بعض الأيام أستيقظ من نومى، وأتصور أن وفاة جمال عبد الناصر كان مجرد كابوس رأيتُه أثناء نومى! ثم أكتشف أن ما تمنيت أن يكون كابوساً هو حقيقة

(١) رأيت مناسبا نشر خطاب كامل من هذه الخطابات بعد أن قيل لى إن الأستاذ مصطفى أمين نشر كتابا عن مجموعة المراسلات المتبادلة بينه وبين توأمه فى تلك الظروف، وللقرء أن يقارنوا الأصول الحقيقية. بما يمكن أن يكون الأستاذ مصطفى أمين قد نشره بأثر رجعى. -!- من هذه المراسلات. وأعتذر مقدما عن بعض ما فى هذا الخطاب، لكن الحقيقة أولى بأن تراعى قبل أى شىء عداها. ومن الغريب أن هذا الخطاب الذى بدأ بالفرع من كابوس رحيل عبدالناصر ما لبث أن تطرق إلى أحاديث عن الجنس!

وصورة الخطاب بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب.

مرة . وأقزع من الفراغ الضخم الذى تواجهه بلادى، وأحاول أن أبحث عن طريقة نسد بها بعض هذا الفراغ .

والمهم الآن هو كيف نحتفظ بزعامة الدول العربية . لا شك أن بعض زعماء الدول العربية سيتصورون أن من الممكن أن تنتقل هذه الزعامة إلى بغداد أو دمشق أو الجزائر . ولكن هذا التصور قصير العمر، فإن زعامة العرب تحتاج إلى قاعدة ضخمة، وأضخم قاعدة هى مصر . ومع ذلك فإنه يهمنى أن لا نضيع الوقت فى الدخول فى معارك مع السذج الذين يتصورون أن فى استطاعتهم أن ينتزعوا الزعامة من القاهرة . وأفضل أن نحاول أن نكسب كل الدول العربية وندعم علاقتنا بها . فالملك فيصل رجل مريض، وقد كان يحقد على الرئيس عبد الناصر حقداً شخصياً . ومع ذلك فإننى أعتقد أن من الممكن كسبه بتحسين العلاقات بينه وبين أنور السادات . وتنفيذ الاتفاقات التى تمت بين عبد الناصر و بينه ولم تعلن بسبب أزمة الأردن . وفى مقدمة هذه الاتفاقات السماح للسعوديين بالسفر إلى القاهرة وتسديد تعويض الأملاك المصادرة بالسماح بشراء بضائع مصرية بإيراداتها وتصديرها إلى السعودية . ويهمنى أن نحاول إضافة اتفاق جديد وهو عودة العمال والموظفين المصريين للعمل فى السعودية . لقد كان الموظفون والعمال المصريون يحولون إلى القاهرة ٤٠ مليون جنيه استرليني كل عام . كما أن السعوديين كانوا يصرفون عشرات الملايين . ومن رأى أن نحاول إعادة الحال تدريجياً إلى ما كان عليه، وبذلك توفر للخزانة المصرية رصيذا ضخما من العملة الصعبة .

والدولة العربية الوحيدة القادرة على حماية استقلال الكويت من مطامع العراق هى مصر . ومن مصلحة الكويت أن تدعم علاقتها بمصر، ومع ذلك فإن من رأى أن تحاول القاهرة أن تبدأ هذه الخطوة ، وأن تشعر الكويت بتأييد القاهرة المطلق لها . ولقد بدأت الكويت تتخوف من تسلل الفلسطينيين إلى الكويت، وبدأت تحاول «ركن» الفلسطينيين الذين كانوا يشغلون مراكز حساسة . والكويت فى أشد الحاجة إلى عمال وموظفين وخبراء، ومن واجبنا أن نسارع بكسب ثقة حاكم الكويت حتى يعود إلى فتح أبوابه لنا .

ويهمنى أن نحافظ على علاقاتنا القوية بجماعة الفتح. وقد خرجت من معارك الأردن جريحة وهى فى حاجة إلى مساعدتنا ومساندتنا. وأعتقد أن ذلك فى استطاعتنا الآن. كما أنه يجب أن نطمئن الملك حسين. وهذا الأطمئنان سيزيل شكوك الملوك العرب نحونا يا نا.

ولقد أحاط عبد الناصر كل من القذافى والنميرى برعايته واهتمامه. ولا يجوز أن يتصور أحدهما أن هذه الرعاية قد تأثرت بوفاة عبد الناصر. يجب أن نتصل بهما باستمرار، وأن نستشيرهما وأن نشعرهما بأننا نعتبرهما شركاء لا مجرد أصدقاء. كما يجب أن نقوى علاقتنا بإيران. وأن ندعم صداقتنا بحكام الخليج العربى، ونعيد الاطمئنان إلى قلوبهم. فإن عددا منهم يتصور أننا نتآمر على خلعه ونشجع أعداءه على الخلاص منه.

كما يجب أن نشجع صائب سلام. فهو فى حاجة إلى تأييد القاهرة. كما أن رئيس الجمهورية فرنجية فى حاجة إلى مساندتنا.

وأعتقد أنه من الممكن وضع سياسة لكسب بوميديان والملك حسين وحتى بورقيبة المريض.

يبقى بعد ذلك العراق وسوريا. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أتصور أن فى استطاعتنا كسب الحكم الحالى فى البلدين. فلقد تحول حزب البعث فى السنوات الأخيرة إلى عصابة . . . وليس من السهل التفاهم مع عصابة. ومع ذلك فلا يجوز إهمالهما. إن المصلحة تقتضى أن نحاول كسبهما، أو على الأقل تهدئة كراهيتهما لمصر والمصريين. وإننى أحس بأن النظام فى سوريا والعراق لن يعيش طويلاً . . . ومع ذلك أرى مهادنة النظامين وعدم الدخول فى معارك سياسية معهما. بل إن من رأى أن نصبر عليهما إذا تطاولا علينا، ونحاول أن نضمد كل جرح قبل أن يستفحل. وليس هذا سهلاً، فإن بعض تصرفات البعث تحرق الأعصاب، ولكننا فى حاجة اليوم إلى وضع كل أعصابنا فى فريجدير.

ويهمنى أن نحافظ على ثقة الاتحاد السوفيتى بنا، ولكنى أرى فى نفس الوقت أن

مشكلتنا مع إسرائيل تقتضى تحسين علاقتنا بالولايات المتحدة . وهذا أيضاً يحتاج إلى قوة أعصاب، فإن السياسة الأمريكية ترتكب حماقات غريبة ، تدل على ازدياد جهلهم بالشرق الأوسط . وآخر حماقة هي ما نشرته جريدة النيويورك تيمس من أن الولايات المتحدة اتفقت فى وقت من الأوقات مع إسرائيل على ضرب الدبابات السورية التى دخلت الأردن! ولو أن هذا حدث لطار الملك حسين فى دقائق وطار مع كل مصالح أمريكا فى المنطقة . ومع هذه الحماقات فإننى أرى أن من الممكن تحسين علاقاتنا مع الولايات المتحدة حتى تضغط على إسرائيل وتضطرها إلى قبول حل يرضاه العرب .

كما يجب أن ندعم علاقاتنا بفرنسا وبريطانيا . . . وأن نبحث جدياً فى إعادة العلاقات مع ألمانيا الغربية .

فإننا اليوم فى حاجة إلى بناء عدد كبير من الكبارى بيننا وبين جميع الدول حتى نحاصر إسرائيل، ونحول بعض أعدائنا إلى أصدقاء، والباقي إلى محايدين . وهذا يتطلب نشاطاً دبلوماسياً ضخماً، وهذا النشاط يتطلب تعزيز سفاراتنا فى الخارج بعدد من الكفايات، وتحريك عدد من المصريين بين عواصم العالم .

وفى حاجة أيضاً إلى كسب عدد من كبار الصحفيين، حتى نحافظ على مركزنا فى رأى العام العالمى . وهذا يحتاج إلى إعداد ضخمة، وإلى تنظيم واسع النطاق . يجب أن يعرف العالم أن الكارثة أدمت قلوبنا، ولكنها لم تكسر عمودنا الفقرى . وإننا لا نزال نقف على أقدامنا . وهذه الاقتراحات هى مجرد الحجر الأساسى للبناء الذى علينا جميعاً أن نشترك فى إقامته . . . وعملية البناء ليست سهلة ولكنها ممكنة .

ومع أننى أدعو بلادى إلى ضبط أعصابها مع حكومتى البعث فى سوريا والعراق، إلا أننى لم أستطع أن أتحكم فى أعصابى منذ أيام لما هاجم راديو بغداد «أبو عمار» زعيم الفتح واتهمه صراحة بأنه «خائن» لأنه وضع يده فى يد الملك حسين! والسرفى هذه الحملة هو إصرار الأردن ولبنان على اعتبار «الفتح» هى الهيئة الرسمية الوحيدة للفدائيين وعدم الاعتراف بغيرها، وشعور بعث العراق أن باقى الدول العربية ستركز تأييدها على «الفتح» فى المستقبل . وهذا الاتهام الرخيص

الذى توجهه بغداد إلى الفتح الغرض منه بذر بذور الفتنة من جديد بين الفدائيين، ولن يكسب أحد من هذه الحملة سوى إسرائيل. ومع ذلك فإننى أعود وأرجو بلادى أن تضبط أعصابها، وتحاول أن تخرج بغداد بحلمها وتسامحها. فإنه ليس من مصلحتنا فى الوقت الحاضر الدخول فى معارك مع أى دولة عربية.

وقد لاحظت أن محاولات إنشاء دولة فلسطينية على الضفة الغربية لنهر الأردن عادت من جديد، وأن بعض أهالى المناطق المحتلة لا يطيقون البقاء تحت حكم الملك حسين. ولا أعرف مصير هذه الحركة، وإن كان الصحفيون الذين عادوا من هذه المناطق يؤكدون لى أن أغلبية الفلسطينيين يؤيدون الآن هذه الحركة، وإن كان العقلاء فيهم يرون أنها ليست من مصلحة الفلسطينيين. وإننى لا أتوقع صداماً جديداً فى الوقت الحاضر بين الفدائيين الفلسطينيين وحكومة الأردن، وإن كنت لأستبعد حدوث محاولات اغتيال فردية، فإن مرارة الفدائيين لا حدود لها، خصوصاً بعد أن فرقع الملك حسين الوهم الذى كان يساورهم بأن فى استطاعتهم السيطرة على الأردن ومعظم الدول العربية.

ومع ذلك فإنه يهمنى أن تحتضن بلادى جماعة الفتح، وتعيد لهم ثقتهم بأنفسهم دون غرورهم، فلقد أظهرت هذه الجماعة فى مناسبات كثيرة شجاعة وجرأة ونغصت حياة إسرائيل. ونحن فى حاجة إلى هذه الجماعة على أن تتعاون معنا ولا تتصور أن فى استطاعتها أن تنفرد باتخاذ القرارات. ولقد جرب الفدائيون تأييد سوريا والعراق، وعرفوا قيمته. وعرفوا أن القاهرة وحدها هى السند الذى يستطيعون الاعتماد عليه.

انتهى إضراب حمالى الصحف الذين كانوا يقومون بنقل صحف لندن إلى الباعة ومحلات بيع الصحف، بعد أن تم الاتفاق على زيادة أجورهم بنسبة ٣٠٪، وعادت الصحف إلى الظهور فى الشوارع والأوتوبيسات والبيوت. ولكن فليت ستريت يعانى أزمة شديدة، فقد ثبت أن هناك ١٢ جريدة تظهر فى لندن، وأن واحدة منها فقط هى التى تربح! وقد قررت جريدة التيمس رفع سعرها من ٩ بنسات إلى شلن! وكان ثمن الجريدة قبل الحرب بنسين فقط.. وهكذا ارتفع سعرها ٦ مرات فى

الثلاثين سنة الأخيرة ! وسترفع الجارديان سعرها أيضاً ، والمتوقع أن تتبعها باقى الصحف . وسيؤدى هذا الرفع إلى إنخفاض فى التوزيع ، وإلى اختفاء بعض الصحف اليومية . ويقول الخبراء إن آخر صحيفة اختفت وهى النيوز كرونكل منذ عشر سنوات ، وأنه قد جاء الوقت لاختفاء صحف أخرى ! والجريدتان المنتظر اختفاءهما هما الديلى ميل والديلى سكتش . وقد كان من المتوقع اختفاء الجريدتين منذ أكثر من عامين ، ولكن أرباح الشركة التى تصدر الديلى ميل من الجريدة المسائية الايفننج نيوز قد مكنتها من إرجاء غلق الميل ، واستطاعت النيوز أوف دى ورلد أن تغطى خسائر الديلى سكتش ، ولكن يظهر أن الشركتين ضاقتا بالخسائر فقررتا إغلاق الجريدتين .

والسرفى هذه الأزمة هو ارتفاع الأجور عاماً بعد عام ، وعجز الحكومات عن وقف الزيادات بسبب الإضرابات المستمرة . وقد ارتفعت تكاليف المعيشة فى إنجلترا ارتفاعاً ضخماً فى السنوات الأخيرة ، وارتفعت مع أسعار الغذاء أسعار المواصلات وإيجار الشقق والمساكن ! وأضرب أخيراً عمال نقل القمامة والمجارى ، وتهددت إنجلترا بأزمة صحية خطيرة لتوقف محطات المجارى ، وإلقاء المجارى فى الأنهر . . . فماتت الأسماك وأصبحت مياه الأنهر ملوثة . وقد أعدت حكومة المحافظين قانوناً يقلم أظافر نقابات العمال ، ويمنع بدء الإضراب إلا بعد إعطاء مهلة لا تقل عن شهرين . وقامت قيامة العمال ، ولكن الشعب البريطانى بدأ يضيق بهذه الإضرابات ، وأعتقد أنه سيقف بجانب الحكومة ضد تهديدات العمال . وارتفاع الأجور يهدد الاقتصاد البريطانى ويرفع أسعار الصادرات الإنجليزية فى الأسواق العالمية . وإذا لم تتدارك حكومة المحافظين هذا الخطر ، فستصاب إنجلترا بنكسة اقتصادية ضخمة .

ولا تزال جريدة «السان» تحاول اصطياذ عدد من القراء والقارئات الجدد بنشر المقالات المثيرة ومقتطفات من الكتب المصادرة ! والكتاب الذى تنشره «السان» الآن هو كتاب أمريكى جديد اسمه The Sensuous Woman ألفته زوجة أمريكية شابة اسمها «جوان جاريتى» وفيه نصائح للمرأة كيف تثير زوجها أو عشيقها حتى ينام

معها! وتقول المؤلفة أن الرجل بغريزته لا يستطيع أن يكتفى بامرأة واحدة ، وأن من السذاجة أن تحاول المرأة تغيير الرجل . ولذلك عليها أن تشعره دائماً أنها عدة نساء لا امرأة واحدة ! والمؤلفة تنصح المرأة كيف ترقد فى فراشها وكيف تثير الرجل، وكيف تجدد فى طريقة النوم مع زوجها! وكيف تستعد للنوم مع الرجل الذى تحبه . إنها تنصحها أن تغير فرش فراشها، وأن ترش عليه رائحتها المفضلة ، وأن تطفىء الأنوار، وأن تضىء شمعة واحدة ، وأن تدير الأسطوانة التى تثير زوجها . وتنصحها قبل أن تدخل فراشها أن تأخذ حماماً ساخناً حتى تريح أعصابها، وتنصحها أن تتلوى فى فراشها، وأن تضع نقطاً من رائحتها المفضلة بين ثدييها، وعلى بطنها! وهى تحذرها من أن تدخل فراشها بنظارتها إذا كانت ضعيفة النظر! وهى ترى أن المرأة يجب أن تفتح عينيها وهى تنام مع الرجل لترى ملامح وجهه، ولذلك فهى تنصح المرأة التى لا تستطيع أن ترى بالعين المجردة أن تضع عدسات فى عينيها وهى تنام مع زوجها أو حبيبها! وتروى المؤلفة تجارب مئات من النساء، وكيف تغلبن على مشاكل الجنس، وكيف استعدن الرجل الذى كاد يفلت منهن! وتقول المؤلفة أن بعض الرجال يحلمون أثناء العملية الجنسية بامرأة أخرى فيوهم الزوج نفسه أنه ينام مع ريتا هيوارث لا مع زوجته، أو مع بريجيت برودو أو إيفا جاردنر . . . والمرأة السعيدة هى التى تكتشف عشيقة الخيال، وتحاول أن تقلدها وهى فى أحضان الرجل الذى تحبه!

وهى تنصح الزوجة أن تستيقظ من نومها دائماً ربع ساعة قبل استيقاظ زوجها، وتغسل وجهها جيداً، ثم تجمله بقليل من الكريم والروج، وتمشط شعرها، وترسم على وجهها ابتسامة عريضة ، حتى يستقبل الزوج فى الصباح وجهها جميلاً باسماء . . . فإن الوجه «العكر» يقلب مزاج الرجل طوال اليوم!

سيصدر جورج براون مذكراته فى كتاب يظهر فى السوق فى الربيع القادم . وسأرسل لك نسخة من الكتاب بمجرد ظهوره . وقد بدأت جريدة الصنداي تيمس هذا الأسبوع فى نشر فصول طويلة من هذه المذكرات . وقد بدأت بالفصل الذى يروى فيه جورج براون تفاصيل خلافه مع هارولد ويلسون . وقال إن ويلسون

حاول أن يستأثر بسلطات الحكم، وأن تكون له نفس سلطات رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ولا يستشير وزراءه فى القرارات المهمة . وقال إنه اتخذ قرار غلق البورصة عام ١٩٦٨ دون الرجوع إلى الوزراء . . . وأنه ذهب إلى الملكة وحصل على موافقتها ولم يهتم بدعوة الوزراء. وأن الوزراء علموا بهذا أثناء وجودهم فى مجلس العموم، واجتمعوا فى غرفة جورج براون واحتجوا على هذا التصرف، واتصل جورج براون بهارولد ويلسون وطلب منه الحضور إلى غرفته لسماع رأى وزرائه فوافق على الحضور، ثم عاد ورفض الحضور واتهم جورج براون أنه يتآمر عليه، فأمسك الوزير مايكل ستيوارت بسماعة التليفون، ولام ويلسون على تصرفاته، فدعا ويلسون الوزراء للاجتماع به فى داوننج ستريت. وفى الاجتماع اتهم ويلسون جورج براون بأنه يدبر إخراجهم من الحكم. وهنا قال براون « يبدو واضحاً أنك تريد استقالتى. وإذا كانت هذه هى طريقتك فى إدارة الحكم، فهذه هى استقالتى ».

وانسحب جورج براون من الاجتماع. وقال إنه انتظر حتى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالى على أمل أن يتصل به رئيس الوزراء ويسوى الأزمة ، ولكن ويلسون لم يتصل به، فكتب استقالته وأرسلها له، وبعد ساعة تلقى خطاباً بقبول الاستقالة !

وقال براون إن عددًا من الوزراء كانوا يريدون الاستقالة معه احتجاجاً على تصرف رئيس الوزراء، ولكنه أقنعهم بالعدول عن هذا رأى، لأن هذه الاستقالات كانت ستهز حزب العمال هزاً عنيفاً، ويقول جورج براون إنه فكر فى الاستقالة قبل ذلك عدة مرات، ولكنه كان يعدل دائماً عن الاستقالة حتى لايهز سفينة الحكم.

وصل إلى هنا طلال ليدخل ابنه وليد فى أحد مستشفيات لندن. فقد كسر وليد ساقه وذراعه، وتركته أمه وسافرت إلى باريس! وقد طار صباح اليوم لزيارة شقيقه فيصل الذى أجرى عملية «فتق»، وسيعود بعد ظهر اليوم، لأنه لا يطيق جنيف! وينتظر أن يصل من إسبانيا مساء اليوم بسام لقضاء يومين فى لندن. وقد سمعت أن سعيد فى طريقه إلى القاهرة .

وقد دعانى سعيد أن أسافر إلى بيروت منذ عشرة أيام، ولكنى رأيت إرجاء السفر فى الوقت الحاضر، وسأنتظر حتى يعود سعيد من القاهرة .

وقد قال لى أحد أصدقاء بسام الذى عاد أخيراً من بيروت أن الأعداد التى صدرت من جريدة الأنوار بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر قد ارتفع توزيعها إلى أكثر من مائة ألف نسخة . وقد بدأت تهبط بعد الأيام الأولى . ولذلك فإن من رأى أن الأنوار فى حاجة إلى مجهود إخبارى وإلى مزيد من الجهد الصحفى وخصوصاً أنها لن تضطر إلى تأييد حكومة فرنجية على طول الخط، بينما أن « النهار » ستضطر إلى تأييدها . ولا شك أن جريدة « النهار » قد كسبت كثيراً من معارضتها لحكومة رشيد كرامى ولشارل حلو، وخاصة الصور الكاريكاتورية الممتازة التى كان يسخر فيها رسام النهار من شارل حلو . ولهذا فإننى أعتقد أن أمام « الأنوار » فرصة ممتازة لزيادة توزيعها، وتثبيت مركزها فى سوق لبنان، خصوصاً بعد أن أغلقت الأردن فى وجهها بسبب تأييدها للفدائيين ضد الملك حسين .

وإننى أتوقع تطورات فى الصحافة العربية ، فإننى أتوقع مثلاً أن تنجح القاهرة قريباً فى إقناع الملك فيصل بفتح أسواق السعودية أمام الصحف المصرية . وأتوقع أن تتحسن العلاقات بين الأنوار والملك حسين . فإن الوقت قد حان لإعادة فتح الأبواب المغلقة، وخصوصاً إذا نجحت القاهرة فى تحسين علاقاتها بالملك فيصل، وغسل الشكوك التى تملأ صدره .

وإننى أحس كما قلت لك فى خطاب سابق أن عمر البعث قصير فى سوريا والعراق، ولذلك لا أستبعد أن تدخل صحفنا المصرية من جديد إلى سوريا والعراق خلال العام القادم .

فإننى متفائل أن بلادى ستنجح فى تضييد جروح المنطقة ، وفى فتح الأبواب التى أغلقت فى وجوهنا بسبب غيرة بعض الحكام وقصر نظرهم، وخوفهم من تأثير صحف القاهرة على شعوب بلادهم . وأعتقد أن فى استطاعتنا أن نزيل هذه المخاوف تدريجياً، إذا تحكمتنا فى أعصابنا، وإذا أحسنّا لعب الورق الذى فى يدنا .

مضت مدة طويلة لم أسمع فيها أخبارك، إننى أريد أن أطمئن على صحتك وعلى روحك المعنوية ، وأرجو أن أسمع قريباً أن متاعبكم قد انتهت، وأن الابتسامة قد عادت إلى شفئك. كنت أتمنى أن تكون بجانبى فى هذه اللحظات الدقيقة التى تمر بها بلادنا. كنت أتمنى أن نمشى جنباً إلى جنب فى الصالون نفكر فى بلادنا ومتاعبها وأزماتها، وكيف نساعدنا على أن تضمد جراح قلبها، وتقف على قدميها من جديد. كنت أتمنى أن نساوهم فى تجميع الرأى العام العالمى حولها وفى كسب عدد من كبار الصحفيين إلى جانب قضيتها العادلة . كنت أتمنى أن نفكر لها ونحلم لها. وإننى أحس أن هذا اليوم قريب. وأحس أن بلادى ستستعين قريباً بكل القادرين على الدفاع عنها وشرح عدالة قضايها.

إن رتيبة فى صحة جيدة ، وروحها المعنوية مرتفعة ، ويبدو أنك استطعت أن تقنع نللى بفكرة إكمال دراستها فى إنجلترا. وخيرية وفاطمة ومونا يبعثن لك بقبلاتهن وأشواقهن، وأرجو أن تراك خيرية فى أحسن حال عندما تلتقى بك فى إجازة عيد الميلاد.

إننى أفتقدك كثيراً . . . وأفكر فىك فى كل ساعات الليل والنهار، وأتطلع إلى السماء وأقول « يا رب »، وأؤمن أن صلواتى تصل إلى السماء، وأن فراقنا لن يطول. لقد أيقظتنى خيرية أمس عند الفجر لتقول لى إنها حلمت أنه أطلق سراحك، إن قلبى يحدثنى أن هذا الحلم سيتحقق عن قريب، وأن أشعة الفجر ستبدد الظلام الطويل الذى عشناه كل هذه السنين.

فإلى لقاء قريب بإذن الله.

والآن تعال أضمك إلى صدرى وأمطرك بقبلاتى وأتطلع معك إلى السماء.

على «

الفصل السادس

أسئلة كثيرة وسؤال كبير!

وأغلقت الملف الكبير الذى يضم خطابات على أمين إلى مصطفى أمين، وتواردت على خواطرى صور، ولا أقول ذكريات. لأن الذكريات شريط سريع منسجم لا تظهر فيه مشاهد بعينها محددة بشخوصها مستقلة عما عداها، وإنما هى حالة تناسب فيها الحركة والمشاهد والملاح، وتتحول إلى رؤى تطوف بالقلب وبالأعصاب أكثر مما تمر أمام العين وقرب الأذن . . . حالة تتلاشى فيها المادة وتتحول إلى رائحة تعيد فى عالم الحواس عبق دنيا بأسرها كانت ثم مضت . . .

الصور شىء آخر غير الذكريات.

مشاهد بعينها تبقى وكأنما لحظة من الزمان تجمدت فيها، وليس من الضرورى أن تكون هناك علاقة بين مشهد وآخر ولا رابطة معينة بالضرورة بين شخص وشخص. انفتحت عدسة فالتقطت كل ما كان أمامها مجرد أنه كان هناك. وربما تناقضت الصورة مع الصورة وتصادم المشهد مع المشهد. وليس هذا هو الحال مع الذكريات.

ليلتها، تلك الليلة التى سهرت فيها أقرأ خطابات لندن إلى طره، كان ما حولى ينتمى إلى عالم الصور أكثر من عالم الذكريات.

ما كل هذا الذى قرأته؟ والذى قرأته ورأيت ولمسته قبله؟ وقبله؟.

ماذا يعنى هذا كله؟ وما القصد منه؟ وماذا وراءه؟ وماذا بعده؟

وأين الصدق وأين الزيف؟ . . . وأين فيه المتعمد المقصود، وأين العفوى التلقائى؟

ثم اختزلت الأسئلة كلها فى سؤال واحد:

- هل قرأ « جمال عبد الناصر » هذه الرسائل؟ وماذا كان تعليقه؟ وما الذى استنتجه منها؟

كنت أرجح أنه قرأها كما قرأتها، وربما سبقنى فى أنه قرأها قبلى فى أوانها، فقد كان يقرأ كل شىء فى أوانه، وكان له جلد غريب على المتابعة^(١)، وتذكرت أنه كان فى وضع يسمح له أن يرى جانبى الطريق بين لندن وطره وبالعكس... كان اختصاصى كوزير للإرشاد أن ألتقى ما هو قادم من لندن. وكان الاختصاص فى تلقى ما هو صادر عن طره عائداً إلى مصلحة السجون ووزارة الداخلية، وإن كنت عرفت من بعيد أن مصطفى كان يضيق صدره أحياناً برسائل على. يكتب له من لندن والريفييرا وإسبانيا، ثم يقول له فى نهاية كل خطاب إنه « يحس بقدوم الفجر»، ويصرخ مصطفى فى ردوده بأنه لا يرى فجراً ولا « هباب»! ولم أعرف ولا سعيت لأعرف أكثر. وكان مكتبى مصب وزارة واحدة... وأما مكتب جمال عبد الناصر فكان مصب كل الوزارات.

وإذن فقد كان أمامه أن يرى كل شىء إذا كان يريد أن يراه... ولكن هل رأى؟ ثم ماذا؟ وكيف؟ وهل؟ إلى آخره... أسئلة كثيرة دون إجابة مؤكدة!



ثم جاءتني الظروف ذات يوم - فيما بعد - بما تصورته للوهلة الأولى إجابة، ثم راح بمزيد من التفكير يتحول إلى سؤال أكبر من كل الأسئلة!

بمحض المصادفات - فيما بعد بسنوات - جاءت إلى مكتبى ورقة لفتت نظرى على الفور لأنها تحمل فى أعلاها تأشيرة بخط جمال عبد الناصر، كنت فى ذلك الوقت أجمع المواد لكتاب « عبد الناصر والعالم » وأحاول تعقب كل تأشيرة كتبها بيده.

(١) قلت مرة فيما بعد أن من مشاكل مصر - بين عهدي عبد الناصر والسادات - رئيس كان يقرأ حتى بعض ما لا يستحق القراءة، ثم رئيس بعده لا يقرأ حتى ما لا بد له أن يقرأه.

كانت الورقة مذكرة بخط السيد سامى شرف تاريخها ٣ / ٦ / ٧٠ ، وعليها
كتب السيد سامى شرف بخطه ما يلى بالحرف (١):

« رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

سكرتارية الرئيس للمعلومات

أقدم

هناك بعض الخواطر وردت على ذهني نتيجة استقراء بعض التحركات
والتصريحات فى الفترة الأخيرة يمكن أن أخرج منها باستنتاج أن هناك شيئاً يدبر ضد
ج . ع . م (الجمهورية العربية المتحدة) ويمكن إجمالاً إيجاز هذه التحركات فى الآتى:

(واستطرد السيد سامى شرف فساق ثمانية مظاهر أوصلته إلى استنتاجه.
وأوثر أن لا أنقل منها شيئاً. حتى الآن ورغم مرور السنين - لأن الصالح الوطنى
يقتضى الحفاظ على سريتها . . . ثم استطرد).

وطبعاً هناك بند أساسى كان من المفروض أن يتصدر القائمة وهو الولايات
المتحدة وإسرائيل وتخطيطهما الموحد والموجه أساساً ضد مصر.

وعلى ضوء هذه الخواطر السريعة أقترح أن تتخذ كافة الإجراءات الوقائية المشددة
بالنسبة للأوضاع فى الداخل، ويمكن إذا أذنتم سيادتكم أن يعقد اجتماع من بعض
المسؤولين فى قطاعات الأمن لوضع تقدير موقف كامل وخطة لمواجهة أى احتمالات.

برجاء التفضل بالنظر.

(إمضاء)

سامى

(١) صورة للمذكرة بخط السيد سامى شرف فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٨).

فى أعلى المذكرة كانت تأشيرة جمال عبد الناصر وبخط يده، نصها بالحرف (١):
«سامى

لقد تقابل على أمين فى روما مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له إن
الوضع فى مصر سينتهى آخرسنة ٧٠ .

جمال «

لأول وهلة تصورت أن التأشيرة تجيب عن أسئلتى كلها بجملة واحدة :
لابد أنه قرأ كل شىء، ولكنه لم يصدق ما يقول به ظاهر الكلمات .
وأعدت القراءة والتدقيق .
وكشفت النظرة الثانية عن أشياء لم تظهر للوهلة الأولى .
غريبة !

إن مذكرة السيد سامى شرف لم يرد فيها - من قريب أو من بعيد - ذكر لعللى
أمين، فما الذى استدعى الاسم إلى تفكير جمال عبد الناصر فى صدها؟! .
ملاحظة أخرى:

تاريخ المذكرة هو ٣ يونيو ٧٠ وتأشيرة جمال عبد الناصر بخطه عليها بتاريخ
٢٨ يونيو ٧٠ - ولم تكن عادته أن يتأخر فى إبداء رأيه فى موضوع يعرض عليه
خمسة وعشرون يوماً !

وتذكرت . . . كان أيامها فى « ليبيا » يحضر احتفالات الجلاء عن قاعدة «
هوليس» الأمريكية .

لابد أن المذكرة دخلت إلى مكتبه قبل سفره بيوم أو يومين ولم يطلع عليها، وحين
عاد من ليبيا - وكان يستعد للسفر بعدها إلى الاتحاد السوفيتى - حرص على أن يبت
فى كل ورقة وجدها على مكتبه .

(١) تأشيرة الرئيس جمال عبد الناصر فى الركن الأعلى الأيسر من المذكرة وبخط يده ظاهرة فى الوثيقة
رقم ٢٨ فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب .

ورحت أقرأ تأشيرته أحاول استيعاب كل حرف فيها:

«لقد تقابل على أمين فى روما^(١) مع أحد المصريين المقيمين فى ليبيا وقال له إن الوضع فى مصر سينتهى آخر سنة ٧٠ .

جمال»

كنت معه فى ليبيا وصحبته بعدها إلى موسكو!

ولكن من هو المصرى المقيم فى ليبيا الذى نقل إليه ما سمع من على أمين؟

تذكرت أنه قابل كثيرين . . . كثيرين.

من منهم؟ لم أستطع أن أحدد ، لكنه من الواضح أن جمال عبد الناصر أخذ الكلام جداً فبقى عالقاً فى ذهنه حتى استقر على صورة تأشيرة بخط يده استدعتها مذكرة معروضة عليه.

ماذا سمع من هذا المصرى غير ذلك؟ وما الذى جعل على أمين يفضى إليه بما أفضى؟ وفى أى سياق وأى مناخ؟ وقصداً أو زلة لسان؟ وما هى بقية التفاصيل؟ الخطير فى الموضوع أن «الوضع فى مصر انتهى» فعلاً «آخر سنة ٧٠» !.

كان رحيل جمال عبد الناصر يوماً فاصلاً فى هذه الحقبة من التاريخ العربى الحديث، ولعلنى أقول إنه كان هو اليوم الفاصل!

ما الذى كان يعرفه الأستاذ على أمين؟ وكيف وصل إليه؟ وممن؟

وثارت الأسئلة عواصف. وأحسست بقشعريرة !

(١) يتضح من التأشيرة أن جمال عبد الناصر كتبها فى البداية «لقد تقابل على أمين مع أحد المصريين . . . إلخ»، ويظهر أنه أراد أن تكون تأشيرته أكثر تحديداً، فقد عاد فيما يبدو ورسم خطأ كتب فوقه «من روما»، وللسرعة فيما أظن نسى حرف «الواو» فى وسط كلمة «روما» .

الجزء الرابع

سنوات السادات

«وكانت مصر أول من أصبتم

فلم تحص الجراح ولا الكلاما

إذا كان الرماة رماة سوء

أحلوا غير مرماها السهاما»

(من قصيدة لأحمد شوقي)

الفصل الأول

الخلافات مع السادات

ليس هذا هو مجال الحديث عن خلافاتي مع الرئيس السادات، لكنى أرى أن التعرض لبعض رءوس الموضوعات ضرورى لسياق القصة الرئيسية فى هذا الكتاب.

فى الشهور الأولى من رئاسته بدا لى أن آراءنا قد تتوافق وأن تعاونى إلى أقصى الحدود معه قد يكون مفيداً، خصوصاً وأنتى كنت أتمنى أن يستمر الجهد المصرى ويتواصل حتى يتحقق هدفه الأكبر فى ذلك الوقت وهو إزالة آثار العدوان.

وكان من جانبه يرى أنتى واقف بوضوح لا لبس فيه إلى جانبه.

بعد نصف ساعة على رحيل جمال عبد الناصر غادرنا غرفة النوم حيث كان جسده مسجى على سريره ونزلنا إلى الصالون فى الدور الأول من بيته نحاول أن نتدبر كيف نتصرف بعده.

وبرغم الأحزان المروعة التى كانت تعتصر قلوبنا جميعاً ، فقد كانت هناك مسئولية شعب وأمة ولا بد من التفكير فيها قبل الغرق فى طوفان الدموع.

وكنا فى غرفة الصالون الصغير مجموعة متباينة المواقف والأهداف، لكن مفاجأة ومأساة الرحيل رفعت الكل -إنصافاً للتاريخ- إلى مستوى يستحق التسجيل.

كان هناك السادة أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد أحمد واللواء الليثى ناصف وأنا.

وكان أنور السادات هو نائب رئيس الجمهورية، وبشكل ما كان عليه أن يطرح موضوع البحث فقال: «ماذا نفعل الآن؟».



وكانت هناك فترة صمت ثقيل، وأحسست أنني أستطيع أن أتكلم، فقد كنت أمام الكل من أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر، ثم أنني كنت من أبعد الناس عن صراعات السلطة، فالكل يعرف أنني أحصر طموحي كله في إطار مهنتي.

شعرت أنني أستطيع أن أتكلم دون حساسيات.

وقلت:

- «إن أهم شيء الآن هو الاستمرار وأن نحاول قدر ما نستطيع ملء الفراغ بعده».

ثم قلت:

- «لا بد أن نختار رئيساً يتولى السلطة - ولو مؤقتاً - على الفور، ولا بد في اختيار هذا الرئيس أن نتبع قاعدة موضوعة سلفاً، فليس الوقت ملائماً لوضع قواعد جديدة ولا هو وقت فتح الباب لصراعات بين الأفراد.

وإذا اتفقنا على ذلك فإن القاعدة الوحيدة التي أعتقد أنها تحكم موقفنا هي الاحتكام للدستور.

(ومعنى ذلك واضح وهو أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية للمدة التي قررها الدستور - وهي ستين يوماً - حتى ترشح الهيئات السياسية والدستورية من تشاء للرئاسة ثم تطرح اسمه للاستفتاء العام).

والشيء الآخر الذي أراه ضرورياً بعد ذلك أن نتصرف خطوة خطوة حتى لا نفتح الباب لمساومات وصفقات قد تكون خطيرة في أثرها. إن جمال عبد الناصر كان يشغل ثلاث مناصب رئيسية: رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكي ورئاسة الوزراء. وإذا فتحنا ثلاثة أبواب الآن فقد نجد أنفسنا أمام مأزق متشابكة،

ولذلك فإننى أقترح أن تكون هناك « خطوة واحدة فى الوقت الواحد ». وقلت بالإنجليزية 'one step at a time' .

وإذن ننتهى من انتخابات رئيس الجمهورية، ثم يجىء دور اختيار رئيس الوزراء، ثم يختار التنظيم السياسى رئيسه».

وأحسست أن أنور السادات استراح لما قلت. وللإنصاف فإن أحداً لم يعارض. كان الكل على مستوى المسئولية فى تلك اللحظة الحرجة.

وواصلت كلامى باقتراح أن ننقل الآن إلى مكان آخر وأن نعقد اجتماعاً مشتركاً للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الوزراء، ومن هناك يعلن نبأ رحيل عبد الناصر على الأمة ثم تتخذ القرارات المطلوبة.

وكان الجثمان قد انتقل من الدور الثانى واستقر فى سيارة الإسعاف الخاصة برئاسة الجمهورية، وسارت عرباتنا وراءه فى موكب جنازى صامت يخنقه الألم إلى قصر القبة، ودعى أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء.

وكنت قد أعددت بيان إعلان الرحيل، واتصلت - كوزير للإرشاد - بأحد كبار المسئولين معى فى وزارة الإرشاد - وهو الدكتور عبد الملك عودة - أطلب إليه أن يوقف إذاعة البرامج العادية فى الراديو والتليفزيون وأن تتحول جميع المحطات الى إذاعة القرآن الكريم.

وأدركت مصر أن شيئاً قد جرى، وأمسكت قلبها تنتظر مع خوف وقلق.

وقرأت البيان على المجلس المشترك وأقره من فيه، واقترح أنور السادات أن أتوجه إلى مبنى التليفزيون لإذاعته، وقلت - والقول مسجل بصوتى فى أرشيف مجلس الوزراء، لأن نظام التسجيل كان قد اعتمد رسمياً من سنوات بدلاً من محاضر مكتوبة - قلت:

- «إننى أقترح أن يتولى السيد أنور السادات بنفسه إذاعة البيان لكى يعرف الناس أن انتقال السلطة قد تم بسلام. وإننى أتذكر من السوابق أن ظهور الرئيس

جونسون بعد اغتيال الرئيس كيندى ليعلن بنفسه وفاة سلفه وتوليه السلطة بعده كان مسألة بالغة الأهمية فى طمأنة الشعب الأمريكى إلى أن المسئولية الأولى فى الدولة انتقلت بثبات إلى مكانها السليم».

ووافق الكل، وقام الرئيس السادات معى وتركنا الاجتماع مستمراً يناقش قضية هامة طرحت من أجل كفالة الاستمرار وهى: «هل يتولى الرئيس المؤقت سلطته لستين يوماً أم نختاره مرشحاً على الفور ونعرض اسمه للاستفتاء العام؟» وكان واضحاً أن الاتجاه الراجح يميل إلى الرأى الثانى من منطق تأكيد الاستمرار. وربما كانت هناك تصورات أخرى.

ووصلنا - الرئيس السادات وأنا - إلى مبنى التليفزيون وتوجهنا إلى مكتبى حتى يتم إعداد الاستديو الذى يذاع منه النبأ الصاعق. واكتشف الرئيس السادات أنه نسى نظارته على مائدة الاجتماعات فى قصر القبة، وسألته إذا كانت نظارتي تنفعه وجربها، وبالفعل ظهر بها وهو يقرأ البيان. واعتذرت عن مرافقته إلى الاستديو، وكان رأبى أنه لا بد له أن يظهر وحده على الشاشة، وانتظرت حتى فرغ منه وعاد إلى مكتبى. وغادرنا معاً مبنى التليفزيون - هو عائد إلى قصر القبة وأنا إلى الأهرام.



كانت الجنازة يوم أول أكتوبر ١٩٧٠. ويوم الثالث من أكتوبر كتبت للرئيس السادات استقالتى من الوزارة وبعثت بها إليه، وحاول ملحا إقناعى بالعدول عنها، وسهرنا ليلة حتى قرب الفجر فى مقره المؤقت فى ذلك الوقت - قصر العروبة.

كانت وجهة نظره أنه فى حاجة إلىّ، ثم من ناحية أخرى «ماذا يقول الرأى العام إذا عرف أن أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر استقال بعد ثلاثة أيام من رئاسة «أنور السادات». وكانت وجهة نظرى «أننى موجود تحت تصرفه. وأنا لا أستقيل إلا من الوزارة ولكنى باق فى الأهرام، وهناك فى حقيقة الأمر مكانى الطبيعى».

وأضفت: «أننى ألمح من بعيد صراعات سلطة، فإن الكل بدأ يفريق من الصدمة.

وفى الأهرام أستطيع أن أكون بعيداً عن الصراعات، ثم إننى من هناك أستطيع - أكثر مما أستطيع فى الوزارة - أن أشارك فى حوار الحوادث والتطورات طليق اليد ومتحرراً»

ونزل عند رأى بعد أن لمس إصرارى عليه، واشترط أن أبقى حتى أدير حملته الانتخابية للاستفتاء. وقبلت شريطة أن يكتب ردا على استقالتي من الوزارة وأن ينشر خطاب استقالتي ورده عليها يوم ظهور نتيجة الاستفتاء، واتفقنا.

وغداة ظهور نتيجة الاستفتاء وإعلانها دعانى - وكان فى قصر الطاهرة - يسألنى فيمن يتولى رئاسة الوزارة، وقال لى :

- «كنت تقول خطوة واحدة فى الوقت الواحد، وكنت معك. والآن جاء وقت الخطوة الثانية، وهناك زحام على رئاسة الوزارة».

وراح يعد أمامى أسماء المرشحين... الذين رشحوا أنفسهم أو الذين رشحهم آخرون.

وقلت له :

- «إن رأى أن الأصلح لرئاسة الوزارة الآن هو الدكتور محمود فوزى».

وأبدى اسغرابه وقال :

- «إن فوزى بعث إلى باستقالته من اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى فى نفس اليوم الذى قدمت أنت لى فيه استقالتك، إلى درجة أننى تصورت أنكما - بما أعرفه من الصداقة التى تجمعكما - قررتما تنسيق مواقفكما».

وأكدت له أن ذلك لم يحدث ، وأن الدكتور فوزى وأنا لم ننسق شيئاً، بل إننى لم أعرف قبل الآن - ومنه - أن الدكتور فوزى قدم استقالته.

وسألنى : «لماذا فوزى لرئاسة الوزارة فى هذه الظروف؟»

وقلت :

- «لعدة أسباب أولها أن «البلد» خائف الآن من احتمالات صراع السلطة، ووجود «مدنى محترم» مثل الدكتور محمود فوزى على رأس الوزارة علامة تدعو إلى الطمأنينة.

ثم إن الدكتور محمود فوزى وجه معروف لأصدقائنا فى الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز والعالم الآسيوى الأفريقى - وهذا مهم.

وأخيرا فإن الدكتور فوزى سوف يكون «رئيس مجلس». فهو بطبعه لا يحب الانفراد برأى ولا يفرض على غيره بسلطة المنصب قراراً - أى أنه سوف «يدير» ولا «يتسلط». فإذا كانت معه مجموعة قوية من نواب رئيس الوزراء للصناعة والزراعة والاقتصاد - فإنه يستطيع بإدارة مستنيرة أن يأخذ منهم أحسن ما لديهم.

وقال أنور السادات بحماسة: «صح... براقو يا محمد».

ثم استدرك: «لكن من الذى يقنع فوزى وأنت تعلم عزوفة وحرصه على الابتعاد»؟

ثم أجاب عن سؤاله: «ليس عندى غيرك... اذهب إليه واعرض عليه باسمى رئاسة الوزارة ولا تجيء إلى هنا إلا ومعك موافقته».

واتصلت بالدكتور فوزى فى بيته قرب البدرشين أقول له إنى فى الطريق إليه. وركبت سيارتى ومعى أحد البارزين من زملائى بوزارة الإرشاد فى ذلك الوقت وهو الدكتور أسامة الباز^(١)، وتوجهنا إلى بيت الدكتور فوزى.

لا أريد أن أشرد بالطول والعرض فى وقائع ليس هذا مجالها، ولكنى أردت أن أدلل على درجة القرب بيننا فى تلك الأيام.

□

(١) المستشار السياسى للرئيس حسنى مبارك الآن.

وكان من بين اقتراحاتى عليه وقتها أن ينتهى من تصفية موضوع الحراسات مرة واحدة وإلى الأبد.

كان عبد الناصر قد بدأ خطوات فى هذا الطريق، وبقيت خطوات أخرى تصورتها لكى يتم طى صفحة من صفحات الماضى وإغلاقها، ووافق، وجئته فى المرة التالية ومعى الدكتور جمال العطيفى - المستشار القانونى للأهرام أيامها - حتى يتولى وضع مشروع قانون لتصفية الحراسات.

وبعد أيام من إعلان مشروع القانون الذى أعده جمال العطيفى لإلغاء الحراسات وصل الأستاذ سعيد فريحة إلى القاهرة يقول لى: «إن كثيرين من أصدقائه يرون أن الفرصة الآن سانحة لإعادة طرح موضوع الأستاذ مصطفى أمين على الرئيس الجديد وخصوصاً أنه بدأ يتجه إلى التخفيف بدليل إلغاء الحراسات».

ومع أنى لم أجد صلة مباشرة بين موضوع إنهاء الحراسات وبين موضوع الأستاذ مصطفى أمين فلم يكن هناك بأساً من المحاولة... لن نخسر شيئاً بإثارة الموضوع، وعلى الأقل نكون سجلنا لدى الرئيس الجديد تذكرة وطلباً.

ورفعت سماعة التليفون أتصل بالرئيس السادات، وكان فى بيته بالجيزة، أقول له «إن سعيد فريحة معى ويريد مقابله» - وكانت إجابته على الفور ليست لدى الآن ارتباطات.. هات سعيد معك وتعالوا إلى هنا فوراً».

وذهبنا.. وكان الرئيس متشوقاً إلى أن يسمع أخباراً عن العالم العربى، وببيروت يومئذ خير مركز للتسمع على ما يجرى فى المنطقة كلها. وراح سعيد يحكى ويحكى. ثم تذكر الموضوع الذى جاء من أجله فأدار دفة الحديث إلى شئون مصر فى عصر أنور السادات، ثم قال له: «يا سيادة الرئيس.. إنك الآن تبدأ صفحة جديدة بعفو عام، فهل نطمح أن يشمل هذا العفو قضية مصطفى أمين؟»

ولم أتوقع أن يكون رد الفعل لدى الرئيس السادات على النحو الذى وقع، فقد انتفض فى كرسيه وقال:

- «جرى أيه يا سعيد.. عفو عام يشمل مصطفى أمين؟.. أنا لا أعفو عن

الجواسيس!»!

وفوجئ سعيد وسأل:

- «ولكن يا سيادة الرئيس ما وقع فيه مصطفى نوع من الخطأ، ونحن لا نجادل فيه....»

وقاطعه الرئيس السادات:

- «لم يكن نوعاً من الخطأ... كان تجسساً.. بالعربي الفصيح تجسس.. ولو لم أكن واثقاً من الموضوع مائة في المائة لأفرجت عنه من أول يوم. أنا أعرف تاريخ مصطفى حتى من قبل القبض عليه. وأنا بنفسى حذرت «جمال» وحذرت هذا الأستاذ الجالس هنا..»

قالها وأشار إلىّ وسألنى: «ألم يحدث؟»

وقلت بحيرة: «الحقيقة أننى لا أنكر».

وراح الرئيس السادات يذكرنى بيوم حذرنى فيه، ولم تسعفنى الذاكرة، وحسم الموضوع - بنبرة حزم بدت غريبة علىّ - قائلاً:

- «سعيد اقفل هذا الموضوع ولا تفتحه معى أبداً!»

وتحول مجرى الحديث. وخرجنا من بيت الرئيس السادات فى الجيزة إلى بيتى بالقرب منه ماشين على الأقدام. فقد كان سعيد ضيفنا على الغداء فى ذلك اليوم. ومشينا فى الشارع ساكتين، ثم قطع سعيد سكوته وقال لى:

- «ياويلي... شوها العنف!»

ثم استطرد:

- «مع جمال عبد الناصر كنا نستطيع أن نتناقش.. وهذا الرجل قفل الباب على الفور!»



ومرت شهور.. ومرت بعد الشهور سنون.. وطرأت على علاقتى بالرئيس السادات مشاكل، وظهرت بيننا خلافات تعقد بعضها ووجدنا له حلاً، واستحکم بعضها الآخر بغير حل..

اختلفنا فيما قاله عن سنة ١٩٧١ باعتبارها «سنة الحسم» - كما قال. ولم أرها كذلك لأكثر من سبب. وحتى إذا كانت كذلك فلم يكن ينبغى الإعلان!

واختلفنا فى الطريقة التى عالج بها مظاهرات الطلبة فى أواخر سنة ١٩٧١ ولم أكن أرى أن العنف هو وسيلة الحوار مع الشباب.

واختلفنا فى علاج موضوع الفتنة الطائفية، فقد كان يرى تفجير المشكلة. وكنت أراها مشكلة لا تصلح فيها سياسة الصدمات الكهربائية، وإنما لا بد من علاج حذر لأسبابها وعوارضها، ولجذورها قبل الفروع.

واختلفنا فى موضوع الوحدة مع ليبيا. وكنت من أنصارها. أراها مختلفة عن تجربة الوحدة مع سوريا بسبب عنصر الاتصال الجغرافى والسكانى. وكنت أراها عمقا للمعركة بثلاثة آلاف ميل على شاطئ البحر الأبيض. كما أنى كنت أرى أن الثروة السائلة الليبية تتكامل مع الإمكانيات البشرية والطاقة الإنتاجية المصرية. وكان يتهمنى بالانحياز لمعمر القذافى، وهو يعلم أننى لم أضع قدما فى ليبيا منذ سنة ١٩٧٠، حين زرتها لآخر مرة فى صحبة جمال عبد الناصر.

(وفيما بعد ودفعنا لآى تأويل اعتذرت عن أى اتصال بالرئيس القذافى منذ سنة ١٩٧٣ حتى رأيت لآخر مرة فى مكتبى بالأهرام - وحتى هذه اللحظة التى أكتب فيها هذه السطور، رغم دعوات مستمرة وإلحاح لم ينقطع).

ثم اختلفنا فى الطريقة التى راح يجرى بها اتصالات خفية مع الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق قناة اتصال خلفية.

واختلفنا حول الصورة الجديدة لعلاقاته مع بعض العناصر فى المملكة العربية السعودية.

واختلفنا حول الطريقة التى جرى بها إخراج الخبراء السوفييت من مصر.

واختلفنا حين اعتذرت عن إجراء مفاوضات سرية مع كيسنجر، لأن موقفنا من التفاوض وقتها لم يكن قويا فى تقديرى، وكذلك لأن هدفه من التفاوض لم يكن واضحا أمامى.

واختلفنا فى قرار بنقل ثمانين صحفيا إلى وظائف فى مصلحة الاستعلامات

وبينهم بعض أبرز أصحاب القلم (وبينهم من أسرة الأهرام الأستاذ أحمد بهاء الدين والدكتور يوسف إدريس والدكتور لويس عوض والأستاذ مكرم محمد أحمد والأستاذ زكريا نيل والسيدة أمينة شفيق، إلى جانب رئيس قسم المعلومات فى الأهرام الأستاذ محمد حمدى) - واعتذرت عن تنفيذ القرار فيما يتعلق بالأهرام ووضعت أمامه استقالتي.

وفى هذا كله كنت أحرص على أن يظل الخلاف فى حدوده... فهو رئيس الدولة وصاحى القرار - ولى الحق أن أبدى رأى - ولكنه المسئول وحده أولاً وأخيراً.

ثم جاء الخلاف الأكبر حول الإدارة السياسية لحرب أكتوبر. وكنت أرى نتائج الحرب تضيق واحدة بعد واحدة. ورحت أكتب رأى بصراحة لا لبس فيها فى مجموعة مقالات امتدت من أكتوبر ١٩٧٣ إلى أول فبراير ١٩٧٤ (١).

وفى أواخر شهر ديسمبر ١٩٧٣ طلب أن نلتقى، والتقىنا فى نادى الرماة عند سفح الأهرامات، وهناك قال لى «إن مقالاتى تحدث بليلة فى رأى العام العربى كله» (٢)، وأنا لم أعد صحفياً وإنما أصبحت سياسياً، ولا بد أن أترك الصحافة إلى السياسة» (٣). ثم خيرنى بين العمل فى الوزارة (نائباً لرئيس الوزراء) أو فى الرئاسة (مستشاراً للرئيس لشئون الأمن القومى).

(١) صدرت هذه المقالات فى مجموعة واحدة على شكل كتاب فيما بعد تحت عنوان «عند مفترق الطريق».

(٢) كان الرئيس السادات قد غضب أشد الغضب من مقال كتبه بعنوان «أسلوب التفاوض الإسرائيلى»، وكان المقال فى الواقع نقداً مرّاً لأسلوب التفاوض المصرى، وقد قرأ الرئيس السادات هذا المقال فى طائرة كانت نقله إلى السعودية، وعاد من رحلته وقد بلغت ثورته مداها.

(٣) كان من رأيه أنه ليس من حق الصحفى أن يناقش القرار السياسى فتلك مسئولية الرئاسة، وكان رأى أن حرية الصحافة فى صميمها هى مناقشة طريقة صنع القرار إلى جانب نتائج القرار.

وحين أشرت له - أثناء حديثنا - إلى نماذج مما يكتبه الصحفيون من أوروبا وأمريكا من أمثال «وليم ريس موج» فى التيمس «وجيمس رستون» فى النيويورك تيمس و«بن برادلى» فى الواشنطن بوست - كان رده «أنا لسنا مثل أوروبا وأمريكا». وفيما بعد وأثناء اعتقالى رأس اجتماعاً للمجلس الأعلى للصحافة - الذى أنشأه وتحدث عن «الصحفيين الذين يريدون تقليد الصحافة الأمريكية ويتصورون أن بإمكانهم أن يفعلوا فى مصر ما فعلته «الواشنطن بوست» حين قادت حملة ضد الرئيس الأمريكى السابق ريتشارد نيكسون - حول فضيحة ووترجيت - أدت إلى خروجه من البيت الأبيض!!

وكان ردى « أنه يستطيع أن يقرر أنه لم يعد يريد بقائى فى الأهرام، ولكنى وحدى أقرر ماذا أفعل بعد ذلك».

واعتبر أننى أريد أن أملى عليه آرائى وأفرض تصوراتى. ثم انتهينا من مشادة حامية وقد ترك لى «الفرصة للتفكير»!



وفى هذا المناخ تلقيت مكالمة تليفونية من بيروت. وكان التليفون من الأستاذ على أمين الذى قال لى إنه يفكر فى القدوم إلى القاهرة.

وبعد عدة أيام كان بالفعل فى القاهرة، وكان قادماً لزيارتى فى الأهرام.

الفصل الثانى

عودة الغائب

كنت سعيدا بعودة الغائب إلى وطنه، وكنت أشعر دائما - ولا زلت - أن كل إنسان لا يجد سلامه خارج وطنه، وكثيرا ما كتبت أقول إننى «لا أتصور لنفسى عملا ولا بيتا ولا قبرا خارج مصر»، والتزمت بذلك القول مسلكا وعقيدة حتى فى ظروف أحسست فيها أن المخاطر تحيط بى من كل جانب وأن خطر السجن على الأقل ينتظرنى. وكنت أتصور أن ذلك الشعور ليس حكراً على وإنما هو مشاع بين كل المصريين. وينسحب القول بالتأكيد على غير المصريين من أمم الأرض بالنسبة لأوطانهم.

وعندما عاد الأستاذ حسين أبو الفتاح^(١) فى سنة ١٩٧٣ إلى مصر بعد غياب طويل - أحسست أن كل حكايات الماضى بما فيها «حركة مصر الحرة» و«إذاعة مصر الحرة» التى كانت موجهة إلى الشعب المصرى وقت عدوان السويس - قد شحبت من ذاكرتى ولم يبق أمامى إلا إنسان وصحفى عائد أخيرا إلى حيث ينتمى. وهكذا رحبت به فى الأهرام ، وطلقت به كل مكتب فيها ، وقدمت إليه جيلا من الشباب الجديد، إلى جانب من كان يعرفهم من قبل من الشيوخ!

وكان شعورى أكثر بالنسبة لعودة الأستاذ على أمين. ففى حين كانت علاقتى من بعيد بآل أبو الفتاح - فإن علاقتى بآل أمين كانت قريبة خصوصا مع الأستاذ على أمين.

(١) شقيق الأستاذين محمود أبو الفتاح وأحمد أبو الفتاح.

وكانت أحاسيسى مختلفة وأنا فى انتظاره حتى تجىء سيارتى التى أرسلتها إليه لتقله إلى الأهرام.

كانت الأيام والحوادث قد غطت على ما جرى سنة ١٩٦٥.

ومن ناحية أخرى فقد كنت أحس أن أسرة تائهة فى أقاصى الأرض آن لها أن تستقر بصرف النظر عما حدث فى الماضى.

(وبالتفكير الريفى التقليدى فقد كنت أرى أن بناتهما كبرن. وكانت أولى بنات الأستاذ مصطفى أمين عملت معى فى الأهرام (إدارة الحاسبات الإلكترونية) وتزوجت زميلا لها. لكن غيرها قد جاء دوره فهناك ثلاث باقيات، ابنتان لعلى أمين والابنة الثانية لمصطفى).

وكنت أعلم أنه متشوق ليرى مبنى الأهرام الجديد.

كتب إلى فى ٢١ فبراير ١٩٦٩ خطابا قال فيه^(١):

«لقد تتبعت بإعجاب كل ما كتبته عن دار الأهرام الجديدة، وما كتبه المحررون. ولقد شاركتك بقلبي فى فرحك وفخرك، ورغم تواضعك فقد أحسست وأنا أقرأ وصف الدار أنك بذلت مجهودا فوق طاقة البشر. فلك خالص تهنئتى. وختاما أبعث لك بقبلاتى.

على

ثم عاد إلى نفس الموضوع فى خطاب آخر بتاريخ ١٠ مارس ١٩٧٠ - قال فيه:

«إننى أسمع العجب عن مبنى الأهرام الجديد. وإنى أحتفظ بنسخ الأهرام التى وصفت المبنى الجديد. وأرجو أن أراه فى يوم من الأيام. ولك قبلاتى وأشواقى.

المخلص

على

(١) صور من النصوص بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب (وثيقة رقم ٢٩).

ووصل على أمين إلى مكتبى، وكان لقاءً بعد فراق تسع سنوات حافلة!



كان فرحى بقاء الأستاذ على أمين حقيقيا، وأشهد أننى شعرت بنفس الشيء من جانبه.

وجلسنا ساعة نتحدث فى شئون الماضى وشجونه، وحين قادتنا الشئون والشجون إلى توءمه الأستاذ مصطفى أمين فإننا اتفقنا على أن نتكلم فيه تفصيلا فيما بعد.

وكنت قد رتبت له أن يتناول الغداء معنا فى الأهرام، ودعوت عددا كبيرا من الصحفيين الشبان والقدامى إلى الغداء معه، وأراد أولا أن يطوف «بالعجب العجائب» الذى سمع عنه كثيرا وانتظر طويلا حتى يراه.

وبدأنا جولة فى الأهرام من القاع إلى السطح.

عنابر المطابع والجمع والتجهيز والتوزيع.. أدوار التحرير والتصوير وصلاتها وأقسامها المتعددة.. مراكز الدراسات والأبحاث المختلفة التى كنا نعتبرها مصانع أجيال جديدة من الصحفيين أكثر عمقا وأوسع دراية بتطوير المهنة.. أدوار العقول الإلكترونية والمكتبات والمراجع.

وحين وصلنا إلى الدور الأخير حيث صالات الاستقبال والمطاعم، كان الأستاذ على أمين لا يخفى انبهاره بما رأى، ويشهد أنه فاق خياله، وتفوق على كثير مما أتيج له أن يشاهده فى أوروبا وأمريكا. وحين جلس معنا إلى الغداء كان حديثه كله عنى وعن أيامنا الحلوة زمان!

وبعد الغداء عدنا إلى مكتبى لفنجان قهوة، وهناك أعدنا فتح حديث مصطفى، وقال لى الأستاذ على أمين:

«إنه يريد أن نجرب مسعى مركزا للإفراج عن مصطفى، ثم يأخذه معه ويسافران سويا إلى لندن سنة أو سنتين حتى تهدأ الأمور وبعدها... من يعرف؟!».

وكان تقديره - كما قال لى - إنه على استعداد للبقاء فى القاهرة شهرا أو شهرين،
والمهم أن نصل إلى نتيجة.

ثم سألتنى الأستاذ على أمين: «أين يستطيع أن يذهب طول نهاره؟ إن جو
الصحافة المصرية أوحشه، وهو لا يتصور أن يقضى طول يومه أثناء فترة إقامته
فى القاهرة فى فندق أونا».

وقلت على الفور: «إن الأهرام تحت تصرفه. وسوف أخصص له مكتبا بجوار
مكتبى يجلس فيه كما يشاء ويستقبل فيه من يشاء».

وقام مرة أخرى يقبلنى متهدجا بالتأثر. لم يتغير شىء من الطفل الكبير الذى
عرفته منذ سنوات طويلة!



ومضت أيام والأستاذ على أمين معى فى الأهرام. سيارتى تأتى به كل صباح،
ومكتبى مفتوح له فى أى وقت يشاء، وهو فى دهشة من نظام العمل الذى أدخلته
ويريد أن يحضر معى أكبر عدد ممكن من اجتماعات التحرير.

ويوم ١٨ يناير بالتحديد دخل مكتبى وفى يده أوراق، وقال وهو يتقدم نحوى
«مفاجأة لك.. هذه «فكرة» عدت أكتبها من جديد وهذا هو المقال الأول منها، قل لى
رأيك فيه».

وكانت بالفعل مفاجأة.. فلم يكن رأى قد استقر بعد على قرار. وعلى أية حال
فقد أخذت منه الأوراق ورحت أقرأ، وكان النص الذى كتبه فيها بخط يده كما يلى^(١):

«إننى سعيد بانتقالى إلى مبنى الأهرام.

لأنه فى رأى الطبعة الفاخرة من أخبار اليوم!

فقد تدارك هيك كل الأخطاء المطبعية التى وقعت فى الطبعة الأولى كما استبدل

(١) صورة من نص المقال بخط الأستاذ على أمين فى الملحق الوثائقى فى نهاية هذا الكتاب (وثيقة
رقم ٢٠).

الورق الشعبى بورق ستانيه فاخر، والغلاف المتواضع بغلاف سميك كان بالأمس وقفا على أمريكا وأوروبا.

الغلاف الذى رأيته ممتاز... الطباعة فى مستوى عالمى.

ولكنى لم أنته بعد من تقليب صفحات الكتاب، لأعرف ما هى الأبواب التى حذفها من الكتاب القديم، وما هى الأبواب التى أضافها فى الطبعة الجديدة.

لاحظت أن هيكل احتفظ بفكرة تجنيد الأسماء اللامعة، فجمع حوله ألع رجال الفكر والأدب والفن والسياسة والاقتصاد.

لم أصدق ما ادعاه خصومه من أنه قلد خوفو وهو يبنى الأهرام الجديد. لم أصدق أنه حطم جبال المقطم التى كانت حصون مصر وقلاعها، وكسر أحجارها الجرانيت ونقلها إلى ميناء هاوس ليبنى بها هرما يتفرج عليه السواح الأجانب.

فإن هرم هيكل الذى رأيته يتألف من عقول تنبض ولا يتألف من أحجار صامته.

وهى ليست قاعدة فاخرة لتمثال هيكل... وإنما هى مصانع للفكر والمعرفة.

وإننى سعيد بأن هيكل اتبع أسلوب مدرسة أخبار اليوم مع محرريها وأغدق عليهم المرتبات، ووفر لهم مكاتب فاخرة لم يحلم بمثلها أنطون الجميل باشا.

ولكن أخبار اليوم كانت لا توفر لكتابها المرتبات الضخمة فحسب!

كانت توفر لكل منهم الحرية الكاملة لمعارضة أصحاب الجريدة. كان كبار المحررين يعارضون على صفحات أخبار اليوم آراء أصحاب الدار. كانوا يناصرون أحيانا من يلقون القنابل على أخبار اليوم ويحاولون إشعال النار فيها.

كنت أحارب فكرة الحزب الواحد، وكان هيكل يؤيدها. وكان مصطفى أمين يؤيد معاهدة صدقى بيفن ويلعنها... وكان كامل الشناوى يرفض هذه المعاهدة ويلعن من يطالبون بتوقيعها. وكان للحزب الوطنى عمود خاص فى آخر لحظة يعارض فيه أخبار اليوم واتجاهاتها.

كانت الخلافات بين المحررين ورؤساء التحرير تنشر فى صحف الدار ولا تحبس فى الحجرات المغلقة.

ولكنى لا أجد مثل هذا الخلاف على صفحات الأهرام!

فهل نجح هيكل فيما فشلنا فيه، أو على الأصح ما لم نسع إليه؟ هل استطاع الساحر أن يسحر عقول مفكرى الأهرام، أو أن سحرة الأهرام استطاعوا أن يسحروا عقل هيكل فلم يختلف مرة واحدة مع واحد منهم؟

أو أن الساحر الحقيقى هو الرقيب الذى يشطب كل رأى يختلف مع رأى الحاكم! ولقد بدأ هيكل أخيرا يختلف مع بعض آراء الحكام^(١)، وينشر آراء لا أوافق عليها شخصيا، ولكنى أعجب بها لشجاعته.

لماذا تقتصر هذه الشجاعة على هيكل؟

لماذا خاف باقى الكتاب... وتشجع هيكل؟

هل أصبحت الحرية تمنح بتأشيرة على جواز المرور فلا ينتقل الكاتب إلى مرحلة الحرية إلا إذا وافقت سلطات الأمن؟

أو أن المفكرين رءوا رأس الطير الطائر.. فخافوا على رؤوسهم؟

لقد كنت أسمع فى السنوات الماضية آراء جريئة جدا لبعض المفكرين.

قرأت مقالات لهم لم تر النور.

ثم عشت مأساة حرمان بعضهم من الكتابة... وقد اشتركت فى حملة الدفاع عنهم واستنكار كسر أقلامهم، رغم أن عددا منهم ضربنى بالخناجر فى ظهرى... أو أغمض عينيه والدماء تسيل من قلبى!

(١) الخلاف المفتوح وقتها حول الاتفاقات مع إسرائيل، والعلاقات الجديدة مع الولايات المتحدة، والانصياع لسياسة عناصر عربية تقليدية هى بطبيعتها وظروفها أبعد ما تكون عن فهم حقائق صراعات العصر وقوانينها وضرورتها.

كنت أتتبع الجهود الضخمة التي يبذلها هيكل لرفع هذا الظلم... ولكن الأقلام الكبيرة أصيبت بالسكتة القلبية!

بل هذه الأقلام أدارت ظهرها لكل ظلم وقع على صحفى.

نحن الذين نحول الحكام إلى طغاة!



كان على أمين واقفا إلى جوارى وأنا جالس إلى مكتبى أقرأ ما كتب.

وتوقفت عن القراءة وسألنى بطريقته:

- «هيه.. هيه.. ما رأيك؟».

وقلت له: «اجلس أمامى ودعنا نتكلم بهدوء». وبدأت على ملامحه مسحة من خيبة الأمل. وجلس.

واستطردت:

- «دعنا نفكر بمنطق».

أولا - إننى أريدك أن تعود للكتابة، والأهرام بيتك على أى حال.

وثانيا - إن هذا الموضوع لا يقتصر عليك وعلى فقط... أنا أملك أن أستقبلك فى الأهرام وأن أدعوك إلى مكتبى فيه وأن أتمتع بصحبتك طول النهار - لكن الكتابة للناس بعد كل ما حدث تقتضى تمهيدا لا بد أن نتبين فيه رأى جهات أخرى، ولا أستطيع أن أبت فيه وحدى... على الأقل لا بد من استئذان الرئيس.

وثالثا - فأنت عائد إلى مصر بعد غياب طويل، وإذا كتبت للناس فلا بد أن تقضى بينهم فى مصر فترة تستطيع فيها أن تتحسس اهتماماتهم وقضاياهم.

هذا كله من الناحية العامة.

وتبقى ناحية شخصية:

إننى سعيد وفخور بما كتبتة عنى، ولكنى أخشى إذا أنا نشرته الآن أن يسىء أحد فهم معناه وقصده خصوصا وأنا رئيس تحرير الأهرام، ثم أنت تعرف بعض أصدقائك القدامى وكيف يفكرون وماذا يقولون ويفعلون!».

ثم استطردت :

- «دعنا ننتظر بضعة أيام ثم نرى. إننى سأكون مشغولا مع ميتران^(١) فى الأيام القادمة، وسوف أقابل الرئيس دون شك أكثر من مرة فى الأسبوع القادم. منها مرة على الأقل أقدم له فيها ميتران. وسأنتهز فرصة أحدثه فيها عن أمر عودتك للكتابة».

ثم قلت له :

«إننى أريد أن أشرح لك نقطة التبست عليك فيما لاحظته على الأهرام من عدم ظهور الخلافات بين محرريه على ظاهر صفحاته».

قلت له :

- «ليس هناك سحر ولا ساحر... لم أسحر عقول أحد ولا أظن أن أحدا سحر عقلى كما تصورت».

إننى ببساطة أطبق هنا فى الأهرام ما استقرت عليه الصحافة الحديثة فى العالم. اختلفت الصحافة الآن عما كانت عليه فى العصر الحرفى السابق. هى الآن مؤسسة لها سياسة يقررها مجلس تحرير.

ما نتفق على تأييده نؤيده، وما نتفق على معارضته نعارضه، وتصدر آراؤنا كلها معبرة عن رأى جريدة.

عندما قررنا مثلا أن ندعو إلى سيادة القانون ناقشنا واستقر رأينا وكلفنا جمال العطيفى أن يكتب فى هذا الموضوع. عندما قررنا أن ننقد سياسة الثقافة فى مصر ناقشنا واستقر رأينا على أن يكتب الدكتور لويس عوض.

(١) كان الرئيس الفرنسى الحالى فرانسوا ميتران أيامها رئيسا للحزب الاشتراكى ، وقد دعوته إلى مصر وقبل الدعوة ، وجاء لزيارة استغرقت عشرة أيام.

فى النهاية هى مؤسسة لها موقف من القضايا والتطورات .

وهى تبدى رأيها فيه كمؤسسة لها سياسة . تؤيد ما تراه مستحقا للتأييد وتعارض ما تراه مستحقا للمعارضة ، ويحدث ذلك نتيجة حوار تشهده - كما خبرت بنفسك - قاعة اجتماعات مجلس التحرير - وكثير منه يظهر على الصفحات ، ولكن بأسلوب الحوار وليس بأسلوب المشادة أو الخناقة - كما كان يحدث فى الماضى ، وحين كان كل محرر «دكانا» صغيرا يفكر ويتحرك من موقع معزول عن غيره ومعزول عن المجرى الرئيسى للأحداث .

وسألنى الأستاذ على أمين : «هل أريده أن يشطب هذه الجملة؟» - وقلت : بالعكس .. إن المقال «كله على بعضه» يرضى كبريائى ، وأنا لا أتصور أن يكتب عنى أحد بأحسن مما كتبه هو . وحتى النقطة التى حاولت شرحها له عن «الخلاف والساحر والسحر» تعطينا الفرصة عندما ننشر أن نعلق موضحين أسباب التباين بين القديم والجديد» .

وأخذته معى لنصعد إلى الدور الأخير فى الأهرام نتغدى معا ، ومعنا عدد من مفكرى وكتاب الأهرام !

الفصل الثالث

حكايات الإفراج!

كان التوتر يزداد فى العلاقة ما بين الرئيس أنور السادات وبينى مع كل يوم، بل كل ساعة تقريبا.

وكان الخلاف قد استحكم منذ زيارة كيسنجر للقاهرة يوم ٧ نوفمبر ومحادثاته السرية مع الرئيس السادات.

ومع أننى لم أعلم فى حينه بما توصل إليه الاثنان من نتائج فى هذه المحادثات إلا أن بعض آثارها الظاهرة راحت تثير قلقى ومخاوفى.

ولقد وجدت أوراق التفاوض تخرج من أيدينا واحدة بعد أخرى بلا ثمن ولا مقابل. وتكررت لقاءتنا عنيفة وعاصفة، ثم قررت أن أبتعد تماما عن الاشتراك فيما يجرى وأن أحدد موقفى بما أكتبه فى مقالاتى، ولتكن النتائج ما تكون.

وأخطرت الرئيس برأى فى الخيار الذى عرضه على ما بين العمل فى الرئاسة - مستشارا للأمن القومى - أو العمل فى الوزارة - نائبا لرئيس الوزراء - وقلت إننى شاكر له كرمه، ولكنى أوتر - مادام قد رأى أن أترك الأهرام - أن أتفرغ لكتبى ولدى منها ما يشغلنى سنوات طويلة.

وكنت أريد أن تتم زيارة فرانسوا ميتران بسلام، وبعدها يكون لكل حادث حديث.

وهكذا فى تلك الأيام فإننى كنت ألقاه ولا أتعدى حدودا رسمتها لنفسى، وهى

أن لا أسأل عما يجرى وإنما أستمع فقط إلى ما يقول وأبدى رأى فى حدود ما هو مطلوب منى... لا أتجاوزه.

وقابلته يوم ٢١ يناير قبل أن يصل ميتران بيوم واحد.

وقال لى فيما قال يومها: «إنه قرر الإفراج عن بعض قادة الطيران الذين حوكموا بعد سنة ١٩٦٧، وبينهم الفريق صدقى محمود».

وقال: «إن حسنى (يقصد الرئيس حسنى مبارك الذى كان قائد سلاح الطيران أثناء حرب أكتوبر) جاءنى وقال لى إن «الأولاد» فى الطيران يطلبون من سيادتك مكرمة لن ينسوها وهى الإفراج عن صدقى محمود فهم يعتبرونه أستاذهم وعلى أى حال فإنهم فى حرب أكتوبر سددوا كل ديون الطيران من حرب سنة ١٩٦٧ - ووافقت ولا تتصور سعادة حسنى وسعادة الأولاد فى الطيران».

وقلت: «الحقيقة أن قائد الطيران - وشبابه - يستحقون أن يجابوا إلى ما طلبوه».

وقال: «سأجيبهم... أبلغتهم فعلا».



وانتقل بالحديث إلى موضوع آخر، فقد راح يبدى إعجابه بـ «هنرى كيسنجر» ويلومنى على شكوكى فيه، وبين ما قاله يومها: «إن هذا الرجل - يقصد كيسنجر - هو الشخص الوحيد فى العالم الذى يستطيع أن يقول لهذه المرأة - يقصد جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل - «اخرجى» فلا تستطيع أن ترد له أمرا».

وكان لى رأى مختلف عبرت عنه وبوضوح ولكن باقتضاب.

وأبدى ضيقه، وسألته سؤالا مباشرا وهو «أننى قرأت فى بعض التقارير الصحفية أن كيسنجر أقنعه بإرسال خطاب مكتوب منه إلى جولدا مائير وهذا - لو صح - خطير؟».

ورد على الفور: «أنا لم أكتب لها خطابا، هى التى بعثت إلى برسائل شخصية عديدة مع «هنرى»».

واستطرد: «طلباتها لا تنتهى هذه المرأة ، ولكنى لن أعطيها الفرصة لتراوغ...
إننى أطاوعها فيما تطلبه حتى أجعل من الصعب عليها أن ترفض ما أطلبه..»
وواصل كلامه:

- الآن تريد منى أن أفرج عن كل المسجونين «عندى» من جواسيس إسرائيل...
غريبة أنها تلح بشدة على «الولد» مزراحى - لا بد أنه كان مهما جدا بالنسبة لهم...
تصور هى أيضا تريد أن تأخذ جثث «الأولاد» الصهاينة الذين قتلوا لورد موين سنة
١٩٤٥ فى القاهرة... ركبت رأسها مع هنرى وصممت عليهم..
ولم أكن أقاطعه فاستمر:

- «طبعا «هنرى» استغل الفرصة بالمرّة وطلب منى هو الآخر أن أفرج عن عدد
من الأشخاص حكم عليهم فى قضايا تجسس لصالح المخابرات الأمريكية..
على أى حال لن «أوجع رأسى» بهؤلاء جميعا، سوف «أعطيهم لهم» وأخلص
نفسى».

ثم - على غير انتظار أو توقع - فاجأنى بسؤال:
- «ما رأيك فى الإفراج عن مصطفى أمين؟»^(١) ألم تطلب منى أكثر من مرة أن
أفرج عنه؟».

ويبدو أن علامات دهشة بدت على ملامحى فقد استطرد بالحرف:
- «لماذا تشعل حواجبك من الدهشة هكذا... إنهم يطلبونه وأنا أريد أن
أجاملهم فيه».

(١) سجلت مجمل وقائع هذا الحوار مع الرئيس السادات رسميا فى محاضر التحقيق الذى أجراه معى
المدعى الاشتراكى بعد قرار الرئيس السادات باعتقالى ضمن اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ المشهورة،
وقد حرصت على نكرها فى التحقيق وفى مواجهة السلطة لكى لا يكون هناك مجال للتباس. وعلى أية
حال فإن برقيات كيسنجر - ذلك الوقت - فى الإلحاح على الإفراج عن جواسيس المخابرات المركزية وعن
جواسيس إسرائيل - موجودة - ولدىّ على الأقل واحدة منها، ولأنها تتضمن أشياء أخرى خاصة
بترتيبات اتفاق فك الاشتباك الأول، فإننى تحررت من نشرها حتى لا أجد قانون الوثائق يطبق على!

وتساءلت:

«من هم؟».

وقال:

- «كثيرون... الأمير سلطان طلبه منى وكمال أدهم أيضاً».

وسكت لحظة ثم استطرد:

- «...ولماذا لا أجمال الأمريكان فيه؟».

قلت:

«الأمر لك بالطبع. وإن كنت أخشى من أن الإفراج عنه فى هذا الإطار الذى كنت تتكلم فيه - إساءة إليه... لماذا لا تجعل فاصل أسبوع أو أسبوعين بين الإفراج عنه وبين الإفراج عن كل هؤلاء الذين طلبتهم جولدا مائير وطلبهم هنرى كيسنجر...».

ثم قلت:

«إننى جئت الآن وكان فى نيتى أن أنقل إليك رسالة من على أمين يرجوك فيها الإفراج عن توءمه، وهو على استعداد لأن يأخذه من باب السجن إلى باب طائرة تذهب بهما إلى أى مكان خارج مصر».

وقال بسرعة:

- «عال»... يأخذه «ويغوروا»!

ولاحظ أننى لم أكن مستريحاً لمجرى المناقشة فنظر إلى بنصف ابتسامة ونصف

عين وقال:

«أنت تدعى أنك تفهم فى السياسة، وأنا أقول لك العكس. لو أنك كنت تفهم فى السياسة لوافقتنى على ما قلت بالعكس.. من الأفضل الإفراج عن مصطفى ضمن

هذه الصفقة حتى لا يتجاسر يوما ويفتح فمه، وإذا فتحه فإننا نقدر أن نضربه
بـ « (١) ».

ولم يكن لدى ما أقوله!



ورأيت على أمين في الأهرام في اليوم التالي، ولحت إلى أن مصطفى قد يفرج
عنه قريباً، وفوجئت به يقول:

- «إننى سوف أقابله غداً فى طره».

ثم أخبرنى بشكل غامض أنه التقى أمس مع بعض أقرء أسرة الرئيس السادات
وأنة كان فى بيت الأستاذ محمود أبو وافية^(٢) - صهر الرئيس - إلى الساعة الثانية
صباحاً.

وقلت له بالإنجليزية: «GOOD FOR YOU» (خير لك)!

ولم أقل أكثر، فقد أدركت أن مسالك خلفية قد انفتحت وراحت الحركة تدب فيها،
ولم أر أن ذلك من شأنى.

(١) طبق الرئيس السادات فيما بعد نظرياته، فحين أحس بعد عودة الأستاذ مصطفى أمين إلى الكتابة وبعد
وراثته لباب «فكرة» من توهمه - أنه خرج همسة عن الخط فيما يكتبه! - أصدر أمراً بالتليفون بوقفه عن
الكتابة ورفع اسمه من قوائم تلقى التبرعات فى دار أخبار اليوم، وظل قرار الوقف نافذاً حتى ليلة
زفاف ابنة الرئيس السادات الصغرى إلى نجل المهندس عثمان أحمد عثمان، وفى مهرجان الفرح جاء
بعض أفراد الأسرة وحواشيهم بالأستاذ مصطفى أمين فدخل وسط الموائد وانحنى يهنئ الرئيس
السادات الذى ظل جالساً، ثم أشار بيده بما يعنى أن عفوه صدر وعاد الأستاذ مصطفى أمين يكتب
باب «فكرة» من جديد. ولكن اسمه لم يعد إلى قوائم التبرعات وتلقيها إلا بعد حادث المنصة! ومن بعد
هذا الحادث - بشهور - وليس قبله بيوم واحد - ارتفع الستار عن دور جديد فى القصة: دور الدفاع عن
الديمقراطية!

وكان المسرح كله قد تغير بما فى ذلك المخرج والمشهد وحتى المتفرجون!

(٢) فى تلك الأيام كان بيت الأستاذ محمود أبو وافية قد تحول إلى سهرة سياسية كل ليلة تتقرر فيها أشياء
وتترتب أمور.

واستغرقتنى زيارة «فرانسوا ميتران» وإن لم تمنعنى من متابعة ما يجرى، وكان أهمه الإفراج عن الذين أصرت جولدا وكيسنجر على الإفراج عنهم من الأشخاص والجثث.

وفى يوم ٢٧ يناير أصدر الرئيس السادات قرارا بالإفراج الصحى عن الأستاذ مصطفى أمين.

وفكرت طويلا كيف ننشر الخبر وبماذا نعلق عليه؟ وكتبت بنفس تعليق الأهرام فى العدد الذى صدر صباح يوم ٢٨ يناير، وكان نصه:

«إن الصحافة المصرية تتلقى القرار بالإفراج عن الأستاذ مصطفى أمين بعرفان بالجميل عميق. وذلك لأنه لا جدال فى أن الدور الذى قام به الأستاذان مصطفى أمين وعلى أمين هو حلقة فى حياة وتطور مهنة الصحافة فى مصر. وهذه المهنة قدمت ومازالت تقدم لهذا الوطن وهذه الأمة جهداً عظيماً أسهم ويساهم بطريقة مؤثرة فى تشكيل فكرها وحركتها».

ثم رأيت أن أمر على بيت الأستاذ مصطفى أمين أهنته بالإفراج عنه، ومررت عليه واستقبلنى بالأحضان، لكن شعورا داخليا جعلنى أحس أنها أحضان «ميكانيكية» ولم أجد الأستاذ على أمين معه وسألته عنه، وإذا هو يقول لى:

- «إن على «تضايق» عندما قرأ تعليق الأهرام اليوم، فقد تحدثت عن دورنا فى الصحافة بالفعل الماضى».

ولم أدخل فى جدل.

دقائق لمجاملات عادية، ثم خرجت أتركه لغيرى ممن بدعوا يتوافدون على بيته!



ومساء يوم ٣١ يناير صحبت فرانسوا ميتران إلى مطار القاهرة مودعا، ثم عدت إلى الأهرام فى الليل، ثم قصدت بيتى، وهناك أبلغت أن الرئيس السادات أصدر

قراراً بتعيينى مستشاراً له «وتعيين الدكتور عبد القادر حاتم رئيساً لمجلس الأهرام».

وصباح أول فبراير دعوت الدكتور عبد القادر حاتم إلى الأهرام لى يتسلم كل شىء فيه. وكان رأى أن من اللائق بالأهرام وى أن يتم انتقال متحضر.

وهكذا جمعت مجلس الإدارة ومجلس النقابة ومجلس التحرير وقدمت لهم الدكتور حاتم باعتباره المسئول الجديد، ثم سلمته تقريراً من العقل الإليكترونى عن اقتصاديات الأهرام وتوزيعه وأرباحه.

ثم غادرت المبنى لآخر مرة فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عارفاً أننى لن أعود إليه مرة أخرى مهما حدث أو يحدث، فأنا لا أومن بأن التجارب قابلة للتكرار ولا أن التاريخ يعيد نفسه!

وسألتنى وكالات الأنباء العالمية فأصدرت تصريحاً مقتضباً يقول «إننى استعملت حقى فى إبداء رأى على صفحات الأهرام، ثم استعمل الرئيس السادات سلطته فى إبعادى عنه، وهكذا فإن كلا منا مارس ما لديه».

واتصل بى السيد عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها - رقيقاً ومتفضلاً - يبلغنى أنه أعد لى جناحاً من خمس غرف فى قصر عابدين ويسألنى متى أنوى الحضور، وإذا كانت لى طلبات فيما يتعلق بمكتبى وما إذا كنت أريد انتداب سكرتارية لى من الأهرام للعمل معى فى رئاسة الجمهورية؟

وقلت له: «إننى لن أذهب إلى عابدين».

وقال: «ولكن سيادة الرئيس أصدر قراراً».

وقلت: «هذا حقه، ويبقى بعده حقى أن أقبل أو لا أقبل».

وتقاطر على بيتى بعد الظهر عدد من كبار المسئولين بينهم أصدقاء لى وأصدقاء للرئيس السادات - يحاولون إبقاء الجسور مفتوحة وأول فتحها أن أذهب غداً إلى عابدين.

وبقيت على رأىي .

وبعث إلى الرئيس السادات بواسطة صديق مشترك للطرفين ما يكاد أن يكون تحذيرا نهائيا .

كان ذلك صباح يوم ٢ فبراير .

«إذا لم أستجب وأنفذ القرار وأتسلم عملى فى عابدين، فهو إذن خصام إلى الأبد» .
«إنه صبر علىّ وقد خالفته كثيرا وعارضته حوارا وكتابة، وأردت أن أفرض عليه آرائى، وقد قبل منى أكثر مما قبل من غيرى، لكن علىّ فى النهاية أن أدرك أنه الرئيس، وأنه هو وحده صاحب الحق فى القرار» .

«إن كثيرين قبلى خرجوا من الصحف ثم عادوا إليها، وهذا يمكن أن يحدث لى، والكل يعرف أننى لا أتحمل فراق الأهرام بعد أن فعلت له كل ما فعلت» .

«إن الرئيس غاضب ، ويقول إنك حولت فى كتاباتك «هزيمة سنة ١٩٥٦» إلى نصر، بينما أنت تصف حرب أكتوبر بأنها نصف انتصار» .

وسمعت كله دون تعليق حتى جاءت الملاحظة الأخيرة، فقلت :

- «إننى أرجو أن يفهم الرئيس أن الحرب ليست معارك دبابات ومدافع ، وإنما هى صدام إرادات، ونتيجة الحرب معلقة بالهدف السياسى الذى من أجله دارت المعارك، إذا كان الهدف - بعد توقف المعارك - مع طرف فإنه المنتصر، وإذا لم يكن معه فهو المهزوم» .

إن حرب السويس انتهت وقناة السويس - جائزة الحرب - فى يد مصر وسيطرتها عليها كاملة، بل إن مصر استعادت سيناء وقطاع غزة وبغير شروط على السيادة .

ومن هنا فإن السويس انتصار لا شك فيه .

إننا بذلنا فى حرب أكتوبر جهدا عظيما لا تسمح لنا الظروف بمثله مرة أخرى،

وحرام أن يذهب هذا الجهد دون أن يحقق جوائزه السياسية التي هي الفارق بين النصر والهزيمة.

إن الجيش انتصر لا شك، ولكن الشك يراودنى فى قدرة السياسة - وفق ما أراه يحدث أمامى - على تحقيق أهداف الحرب... على انتزاع الجوائز السياسية من قلب المعارك.

لن تستطيع مصر لسنوات طويلة أن تحشد مثل هذا الجهد.

ولن يتاح للطرف العربى مرة أخرى بسهولة أن يبنى هذا التحالف العظيم الذى أدهش العالم.

خوفى هو على تضحيات الرجال والنساء والأطفال أن تذهب كلها هباء فى مناورات ضاعت فيها الإستراتيجية وسط ألعاب ومناورات التكتيك!!
قولوا للرئيس أن يعيد قراءة كتاب «كلاوزفيتز» المشهور «عن الحرب».



ومساء نفس اليوم أصدر الرئيس أنور السادات قرار بتعيين الأستاذ على أمين مديرا لتحرير الأهرام.

وطبقا لسجلات الأهرام، فإن الأستاذ على أمين حين دخل مكتبه الجديد طلب ثلاث مكالمات تليفونية مع الخارج:

منها اثنتان للملكة العربية السعودية: واحدة للرياض وثانية لجدة

(كانت الثالثة للندن).

الفصل الرابع

إذن ما هو القصد؟

كان الأسبوع الأول من فبراير ١٩٧٤ بحراً هائجاً فى حياتى . من ناحية كانت صحف العالم تعتبر خروجى من الأهرام موضوعاً رئيسياً، وفى يوم واحد كانت افتتاحيات أربعة من الصحف الكبرى تركّز عليه : «الموند» و«التيمس» و«الواشنطن بوست» و«الدى فيلت» - وكان ذلك يثير غضب الرئيس السادات وحفيظته، وهو ما كنت أريد أن أتجنبه .

وكانت هناك روايات تتناقلها برقيات وكالات الأنباء، بينها أن هنرى كيسنجر كان سبباً رئيسياً فى أسباب خروجى من الأهرام لأنه احتج على معارضتى نية لاتفاق فك الارتباط . وبالفعل فقد رأيت رسالتى احتجاج فى برقيات شفرية بعث بها كيسنجر إلى الرئيس السادات . واحدة من بكين وكان يزورها، والثانية من وطن بعد أن عاد إليها . وفيما بعد لمح اثنان من الكتّاب السياسيين - أحدهما أمريكى إسرائيلى هو «آموس برلموتر»^(١) وثانيهما هو «إدوارد شيهان»^(٢) - إلى أن كيسنجر كان له دور^(٣) . ولم يضايقنى ذلك ، وإنما تذكرت مؤتمراً صحفياً للرئيس السادات^(٤) قال فيه بنفسه إن «بادجرونى» الرئيس السوفىيتى طلب منه سنة ١٩٧١ إخراجى من الأهرام لأننى معاد للسوفىيت .

(١) و(٢) مقال «برلموتر» فى مجلة الشؤون الخارجية، وكتاب «إدوارد شيهان» عن الاتصالات السرية لمفاوضات فك الاشتباك . وكلاهما نشر فى صيف ١٩٧٦ .

(٣) لم يؤثر ذلك فى علاقتى بعد ذلك بهنرى كيسنجر ، فقد اعتبرت أننا كنا طرفين فى صراع على مصالح متناقضة . كان هو يفكر ويتكلم لما يراه صالحاً للولايات المتحدة، وكنت أنا على الطرف النقيض بالطبع .

(٤) مؤتمر صحفى للرئيس السادات فى مبنى الاتحاد الاشتراكى العربى فى يوم ١٨ يوليو ١٩٧٢ . وقد حضره كل رؤساء تحرير الصحف المصرية فى ذلك الوقت .

ولم أشعر فى شىء من ذلك - مهما كانت درجة الصدق فيه - ما يؤثر فى أو فى نظرتى للأمور: لا اعتراض بادجورنى علىّ يؤثر فى إيمانى بأهمية العلاقات العربية السوفيتية - ولا اعتراض كيسنجر علىّ يؤثر فى اعتقادى بأن مقاطعة الولايات المتحدة خطأ وخطر!

وفى نفس الوقت راحت الأنباء تربط اسمى بعروض لإنشاء دور صحفية خارج مصر. ولكن بعض هذا صحيح، ولكنى كنت قد استبعدت ذلك الخيار تماما من قائمة ما هو متاح أمامى وغدا وبعد غد!

وكان هناك طوفان من الزوار يتدفقون على بيتى بفيض من المشاعر، وما زلت حتى اليوم أشعر بالعرفان حيالهم.

ثم كانت هناك أسرة «الأهرام» وقد أحاطت بى كأنها درع فولاذ يريد أن يصد عنى أى سهم طائش بل أى ريشة طائرة، وكنت أبذل جهدا فوق العادة حتى لا يحدث تصرف عاطفى أو كلمة عفوية تزيد تعقيد الأمور.

وكانت الأمور تتعقد فى الأهرام بصرف النظر عن أية محاولات للتهئية - فإن الأستاذ على أمين - الذى تولى إدارة التحرير - راح يتصرف باندفاع.

كان فى حاجة - كما حاولت أن أشرح له يوم أن كان ضيفى قبل أيام - إلى أن يعطى نفسه فرصة ليتعرف على تطورات ضخمة حدثت فى غيابه، وكان فى حاجة إلى أن يتسوعب، وكان فى حاجة إلى أن يعرف أن الجريدة فى الصحافة الحديثة مؤسسة، وفى كل الأحوال فإن الأهرام فى السبعينيات كان تركيبة تختلف تماما عن تركيبة أخبار اليوم فى الخمسينيات.

ولم يكن ذلك شأنى ولا شغلت نفسى به، لكن بواذر صدام تلبث أن ظهرت بينه وبين كل من فى الأهرام - هؤلاء الذين شاركوا فى بنائه من جديد معى وعلى قاعدة مؤسسية.

وأراد الرئيس السادات أن يقطع ويحسم وأن يظهر تأييده للوضع الجديد فى الأهرام - بصرف النظر عن آراء ومواقف كل العاملين فيه - فأصدر فى ٨ فبراير ١٩٧٤ قرار بتعيين الأستاذ على أمين رئيسا لتحرير الأهرام.

ولم يهدأ الصدام، بل انفجر حتى اضطر الرئيس السادات اضطراراً فى شهر مايو من نفس السنة - أى بعد أسابيع قليلة - أن ينقل الأستاذ على أمين من الأهرام ويعيده إلى أخبار اليوم رئيساً لمجلس إدارتها ومعه الأستاذ مصطفى أمين رئيساً للتحريير.

وبدأت رياح الخماسين تهب حملة عشواء على جمال عبد الناصر وعصره - ابتداء من اتهامه بقتل الدكتور أنور المفتى لأنه اكتشف «جنونه»! إلى «كارثة» «السد العالى» و«مصائب» «التصنيع» و«نكبات» «القطاع العام» و«استعمار» الاتحاد السوفييتى لمصر و«السفاهة» فى مساندة حركات التحرر فى العالم العربى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى آخره! ثم الصورة المخيفة التى رسمت لقضايا الحريات وبدأت مصر فيها وكأنها جزء لا يتجزأ من عصر النازى^(١).



كنت بعد الأسبوع الأول من شهر فبراير - أسبوع البحر الهائج من حولى - قد قررت بسرعة أن أبتعد إلى جزيرة نائية.

لم أكن أريد أن أكون طرفاً فى شىء مما رأيت يهدر أمامى متدفقاً كحمم البركان. كان رأى أن تترك البراكين كلها تنفجر على هواها وتفرغ المحبوس فى صدرها من اللهب، حتى تهدأ وتخمد وتتحول كل النيران إلى رماد وكتل صخر جامد وبقايا دمار.

مثل ذلك يحدث فى التاريخ وإزاء كل تحول كبير ابتداءً من أديان السماء (الردة بعد الإسلام) إلى ثورات الأرض (عودة البوربون بعد الثورة الفرنسية).

(١) كانت هناك بالتأكيد تجاوزات فى استعمال السلطة، ولكن الذى تصدى لهذه التجاوزات كان هو الأهرام وليس أى صحيفة مصرية أخرى، كنت أنا الذى كتبت عن «زوار الفجر» وعن المجتمع المفتوح وعن سيادة القانون وعن مراكز القوى وفى نقد قرارات الاعتقالات والحراسات والفصل - رغم أن بعضها كانت له دواعيه الاجتماعية - وكان الدكتور جمال العطيفى هو الذى كتب عن سيادة القانون، وكان الأستاذ توفيق الحكيم هو الذى كتب قصة «بنك القلق» (عن المخابرات)، وكان الأستاذ نجيب محفوظ هو الذى كتب «ثرثرة على النيل» (عن الاتحاد الاشتراكى) - ولم نكتب جميعاً ذلك كله «بعد»، ولكننا كتبناه «أثناء» - وسوف أكون سعيداً إذا أبرز أى من هؤلاء الذين يتكلمون اليوم مقالاً كتبه ونشر أو مقالاً وحذفته الرقابة - عن أى من هذه الموضوعات!

ولم يكن بى خوف على الحقيقة... فى يوم من الأيام سوف تشرق الشمس، ثم إن حركات التغيير الإنسانى كلها لم تتأكد إلا بمحاولة نفيها.

كانت الجزيرة النائية التى عزلت نفسى فيها وابتعدت هى مكتبى فى بيتى. وركزت جهدى على كتابة «الطريق إلى رمضان»، وكان كتابا عن مصر فى أعقاب سنة ١٩٦٧ إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وكانت الأصوات والأصدااء تصلنى عما يجرى خارج مكتبى، وبالذات فى كواليس السياسة والصحافة، ولم أسمع لنفسى أن أنشغل به كثيراً. وكان بعض أصدقائى بيدون دهشتهم مما ظهر لهم وكأنه نوع من اللامبالاة، ولم يقنعهم قولى إننى أمام لحظة انحسار تاريخى لا بد لها أن تأخذ مداها. ثم إن اعتراضها نوع من الحمق أولى منه التذرع بالصبر حتى تفرغ السحب شحناتها من البرق والمطر، ثم تشرق الشمس وينجلي وجه الحق والحقيقة.

وراحت الحملة لا تلوى على شئ.

وجاءنى الشباب من ابن جمال عبد الناصر - أبنائهم بالطبيعة فعلا أو أبنائهم بالتاريخ فكراً - يسلون فى زهول: «هل يعقل هذا الذى يكتب الآن عن جمال عبدالناصر؟»

وكان ردى:

- «إنكم لم تروا بعد شيئاً. ما هو قادم أكثر مما رأيناه. وعليكم أن تتذكروا ما حدث لغير جمال عبد الناصر فى تواريخ غير مصر من الأمم. تذكروا ما حدث «لأوليفر كروميل» مثلاً. كان قد قاد أول ثورة فى أوروبا ضد الملكية وهو رأس الملك. وحين دارت العجلة ومات كرومويل وعادت الملكية إلى إنجلترا أصر ابن الملك العائد إلى العرش بعد انتكاسة الثورة - على تنفيذ حكم الإعدام على كرومويل، ولكن كرومويل كان قد مات. وهكذا بأمر الملك الجديد حفر قبر كرومويل وأخرج هيكله العظمى وعلق من حبل مشنقة».

وقلت:

- «إن أحداً لم يفعل هذا حتى اليوم... ومع ذلك فأنا لا أستبعد حدوثه فى يوم من الأيام».

وقلت:

- «احتفظوا بثقتكم فى الشعب المصرى، فهو فيما يجرى الآن ضحية، لا دخل له بما يحدث. وربما ينزعج منه، وربما يتأثر به البعض، لكن التاريخ لا يتوقف عند لحظة بعينها وإنما هو حياة مستمرة حية وإلى الأبد!

إن المستهدف ليس جمال عبد الناصر، ولكن المستهدف هو مصر. يريدون تغيير دورها ومسار هذا الدور على الأقل - أو يريدون تغيير شخصية مصر وطبيعة هذه الشخصية إذا أمكن^(١). وتلك كلها مستحيلات. دور أى شعب حقيقة جغرافيا وشخصية هذا الشعب حقيقة تاريخ - وتلك قضايا أكبر وأبقى من لحظات بعينها^(٢).



ومضت أيام وأسابيع...

ثم فوجئت بمجلة «الحوادث» اللبنانية - التى تصدر فى لندن - تبدأ فى نشر سلسلة من التحقيقات عنوانها «ماذا فعل الطريد هيكى بالشريد على أمين». وجمعت سلسلة التحقيقات فى ملف واحد وضعته فى أحد الأدراج واعتبرت الأم من جانبى منتهياً.

كنت أعرف أن مجلة «الحوادث» فى ذلك الوقت تنطق بلسان جماعات معينة فى العالم العربى.. جماعات لها اتجاهات ومصالح وارتباطات لا أريد الآن أن أخوض فيها لسبب واحد وهو أن صاحبها الأستاذ «سليم اللوزى» لقى مصرعه فى ظروف مأساوية تثير غضبا حقيقيا فى نفس أى إنسان، بصرف النظر عن أى اعتبار. لكن بعض ما حوته السلسلة لفت نظرى، وكان واضحا أن مصدره الأستاذ مصطفى أمين.

(١) ظهر بالتجربة أن الهدف هو فتح مصر للنهب من الداخل باسم «الانفتاح». وفرض الاستسلام عليها فى الخارج باسم «السلام»!

(٢) من سوء الحظ أن بعض أدباء مصر كانوا يطمحون فى الحصول على جائزة «نوبل» للأدب، وهذا طموح مشروع وربما كان بينهم من يستحق فعلاً. لكن سوء الحظ يجيء من اعتقاد ترسخ لديهم بأن «اليهود» وحدهم هم الذين يقدرّون على إعطاء الضوء الأخضر، وكان أن انزلق بعض هؤلاء الأدباء دون روية إلى ما تصوره كفيلا بلغت أنظار القادرين على تزكيتهم أمام لجنة جوائز «نوبل»!

بينه - على سبيل المثال - أنتى كنت وراء قانون تنظيم الصحافة لكى أسيطر على المهنة .

وبينه أنتى قمت «بنفى» على أمين إلى لندن .

وبينه أنتى تخليت عن مصطفى أمين وعلى أمين بعد القضية ولم أقف معهما .

وبينه أنتى كنت أزوره فى السجن لمجرد أن أتشفى فيه .

وبينه أنتى وجدت عملا فى الأهرام لابنته لكى أتظاهر أمام الناس لا أكثر ولا أقل .
ثم زاد العيار مع قرب نهاية السلسلة .

فإذا أنا تواطأت على الأستاذين مصطفى وعلى أمين .

وإذا أنا الذى لفقت التهمة للأستاذ مصطفى أمين .

ثم إذا أنا عارضت الإفراج عنه طول الوقت وآخره مع الرئيس السادات رغم أنه كان مقتنعا طول الوقت ببراءة الأستاذ مصطفى أمين .

ولم أغضب ولم أثر ، (فقد كنت أعرف الحقيقة - ومعرفة الحقيقة دائما مبعث ثقة وسند سلام للنفس والضمير) . ولكن الذى غضب وثار هو الأستاذ سعيد فريحة .
كان شاهدا على كل ما حدث ، بل وكان شريكا فيه ، ووجد ذلك اللبناى الذى تتمثل فيه صلابة الجبل وتسيل منه عذوبة ينابيعه الصافية - أنه لا يستطيع أن يسكت على الحق أو يكتم شهادته .

وكتب فى الصفحة الأولى من «الأنوار» تفاصيل ما رآه بعينه :

دفاعى عن مصطفى أمين أمام جمال عبد الناصر وأمام أنور السادات وتفاصيل مل قلت أمامهما والحجج التى سقتها وإلحاحى فى الإفراج عنه . وذهابى إلى السجن ومعى الأدوية والفيتامينات وصناديق التفاح وعلب الدجاج . والمشاكل الكبرى التى تعرضت لها فى ذلك الوقت حتى كادت بعض الشبهات أن تلحق بى أنا الآخر ...
وغير ذلك كثير !

واتهم سعيد فريحة بأنه ينافقنى ، ورد على التهمة بحزم :

- «إننى أعرف مصطفى قبل أن أعرف هيكل بخمسة عشر عاما ، وإذا كان الأمر

نفاقا فلماذا أنافق رجلا يلتزم بيته ولا أنافق هؤلاء الذين يسيطرون على مواقع القوة والنفوذ؟»!

ثم استبد به الغضب حتى نشر فى الأنوار رسما كاريكاتوريا «للخيانة» و«الغدر» - توأمين لهما ملامح لا يخطئ أحد فى التعرف على أصحابهما^(١)!



وجاءنى كثيرون يطلبون منى أن أرد. بل إن الأستاذ سعيد فريحة أبلغنى أنه يضع كل إمكانيات داره تحت تصرفى لكى أكتب الحقيقة التى كان شاهداً عليها. واعتذرت.

وحيثما جاء الأستاذ فريحة بعد ذلك فى زيارة للقاهرة مر على مكتبى، وكان فى حالة تأزم نفسى جعلتنى أشفق عليه. وسألنى سعيد:

- «هل تتصور أنهم يؤكدون أن الرئيس السادات قال لهم إنك عارضت فى الإفراج عن مصطفى حين أخبرك به؟».

ورويت له تفاصيل ما حدث. لقد رأى هو بنفسه إلحاحى على الرئيس السادات فى الإفراج عن مصطفى.

وقد حدث فعلاً فى يناير ١٩٧٤. أننى ناقشت الرئيس السادات فى توقيت الإفراج عن مصطفى لكى لا يبدو خروجه ضمن صفقة الإفراج عن جواسيس لأن هذا يسىء إليه مدى العمر إذ يثبت عليه التهمة نهائياً.

وأردفت ذلك بتعليق أنور السادات على رأىى.

وسألنى سعيد:

- «هل كذب عليهم وروى القصة محرفة أم هم الآن يكذبون عليه؟».

(١) كنت أريد أن أستشهد هنا بنصوص ما كتبه الأستاذ سعيد فريحة، ومن سوء الحظ أن ظروف الحرب فى بيروت وتخزين أرشيف صحف دار الصياد كله لم يسمح لى بالحصول على النصوص الكاملة، وهى أقوى ألف مرة من تلخيصى السريع لها هنا.

وقلت له: «لا شأن لى بمن كذب فيهم على الآخر ومن لم يكذب. ومع ذلك فأنا أخولك حق أن تسأل الرئيس السادات حين تقابله!

حين تقابله أسأله الأسئلة المحددة التالية:

● هل أصبح الآن يعتقد فجأة أن جمال عبد الناصر وافق على تقديم الأستاذ مصطفى أمين للمحاكمة ظلماً وتجنياً؟ ولماذا يلفق له تهمة إذا كان قد ضاق به؟ ومع ذلك فلماذا يضيق به، وقد كانت كل مقالات الأستاذين مصطفى أمين وعلى أمين منذ أول يوم فى الثورة وحتى يوم اعتقال الأستاذ مصطفى أمين - تمجيدياً كلها وإلى درجة التآليه - مع الأسف! - هل حدث أو لم يحدث؟!

● هل يذكر ما قاله أمامك وأمامى من أنه مقتنع بالتهمة الموجهة إلى مصطفى أمين بنسبة مائة فى المائة، وأنه كان يعرف «حقيقته» من قبل أن تظهر القضية - هل حدث - وكان أمامك - أو لم يحدث؟!

● إذا كان مقتنعاً ببراءة مصطفى طوال الوقت كما ينقلون عنه، فلماذا تأخر فى الإفراج عنه من يوم توليه السلطة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى يناير ١٩٧٤، وكيف طاوعه قلبه وهو الحاكم أن يترك فى السجن بريئاً لأربع سنوات؟ ربما يقول إنه حتى حوادث مايو ١٩٧١ لم يكن حاكماً! لكنه بعدها أصبح حاكماً بالثلث - حدث أو لم يحدث؟!

● لماذا كان إفراجه عن مصطفى فى هذه الظروف - مع «مзраحي» ومع غيره من المسجونين بتهم التعاون مع المخابرات المركزية، وحتى مع رفات عظام قتلة لورد موين - بناء على طلب «جولدا» وإلحاح «كيسنجر»، كما قال؟ - حدث أو لم يحدث؟!

● ثم لماذا كان إفراجه عن مصطفى إفراجاً صحيحاً ولم يكن عفواً؟ - حدث أو لم يحدث؟!

ثم أضفت:

- «قل لمصطفى إذا كان حريصاً على تنظيف سمعته فإن عليه فى أقل القليل أن يطلب إعادة المحاكمة، ومع ذلك فهذا كله لا يخصنى ولا يعنينى».

ورد سعيد فريحة :

- «إننى لن أقول شيئاً... ولا أريد أن أقابله»

وفيما بعد توسط الأمير طلال بن عبد العزيز بين الطرفين فالتقيا، لكن العلاقات ظلت متوترة وما فى القلب فى القلب - حتى رحل سعيد فريحة من عالمنا إلى ملكوت السماء.



وفى أواخر سنة ١٩٧٤ والنصف الأول من ١٩٧٥ توقفت الحملة، فقد عادت الصلات بين الرئيس السادات وبينى، وأمسك الآخرون أعصابهم.

فى خريف ١٩٧٤ اتصل بى الرئيس السادات فجأة وبغير مقدمات يقول لى إنه يريد أن يرانى، وحدد لى موعداً فى استراحة الهرم، وذهبت إليه.

كان مؤتمر القمة العربية فى الرباط على وشك أن يعقد، وكان هنرى كيسنجر يطوف أرجاء المنطقة يحاول تحقيق مرحلة ثانية من فك الاشتباك بين القوات. سألتنى الرئيس السادات رأى، وعرضت أمامه الموقف كما أراه. وسألتنى «ما هى خططى فى العمل؟» وقلت له إننى أوشك على الفراغ من كتاب عن حرب أكتوبر، وبعده فإنى أفكر فى كتابة مقالات لمجموعة من الصحف العربية تريد نشرها؟

وقال لى الرئيس السادات :

- «إننى لم أسألك عما تريد أن تفعله لنفسك. وإنما عما تستطيع أن تفعله معى؟»

وقلت إننى تحت تصرفه فيما يريد بعد أن أفرغ من كتابى وأعده نهائياً للنشر.

وقال لى :

- «إننى أردتك مستشاراً وأصدرت قراراً بذلك وأنت الذى لم تستجب».

ورددت أنكره «بأننى تحت أمره إلا فيما يختص بالمناصب والمراكز الرسمية والصحفية إلى آخره».

وراح يحاول إقناعى بتغيير رأى.

وقلت :«ياسيادة الرئيس.. دعنا نؤجل كل هذا الآن. لقد ابتعدت أنا عن الصورة

من فبراير ١٩٧٤ حتى الآن - أكتوبر. دعني أطلب منك منصباً واحداً وعدني أن تعطيني لي».

وقال بلهجته المألوفة: «إنني لا أعطى وعدا على بياض».

وقلت: «إنني أعدده أن لا أبالغ في طلباتي».

وقال: «اطلب».

وقلت: «مكان ومكانة الصديق».

وتظاهر بالغضب وقال: «هذه محاولة للهرب».

وقلت: «دعنا نجرب من جديد، لقد ابتعدنا ستة شهور لم نلتق فيها، وكان لي موقف من بعض ما حدث، وكان لك موقف، فاذا سمحت لي بمكان ومكانة الصديق فإنني أستطيع أن أعود للتعرف على مجرى الأحداث، وقد نستطيع أن نصل إلى تفاهم أعمق».

وأشهد أنه كان ودودا في قبوله لرأىي.

وهكذا عدت إلى الاقتراب منه. ورحت أراه بانتظام. ورحنا نتكلم في كل شيء.



في تلك الفترة تابعت عن قرب محادثاته مع هنري كيسنجر في أسوان، وكانت المحاولة الأولى في المرحلة الثانية من فك الاشتباك، ولم تنجح، وأتصور أن مناقشاتي مع الرئيس في مخاطر ما كانت تعرضه إسرائيل في ذلك الوقت كان لها أثر في موقفه. وكان رأىي أنه أقوى بغير اتفاق منه باتفاق سيئ، وتفهم وقبل.

وتوليت كتابة خطابة في مجلس الشعب الذي شرح فيه أسباب فشل الاتفاق.

وقدمت له في إطار مشروع هذا الخطاب اقتراح فتح قناة السويس. بقرار مصري. وبإرادة مصرية. وكنت أتصور أن ذلك يقلل من تلهفه على الوصول لاتفاق، فقد كان يريد دخل قناة السويس ودخل بترول سيناء. وقلت له: «بهذا

الاقتراح تستطيع بغير اتفاق أن تحصل على نصف ما تريد دون حاجة إلى شروط
مجحفة»^(١).

وقبل رأيي كاملاً. وحين رأى أثر فتح قناة السويس على العالم كله كان بالغ
السعادة. وكنا نلتقى كل يوم.

ثم كتبت خطابه أمام مجلس الشعب عن إعادة تنظيم العمل الداخلى، وكان يريد
إسناد رئاسة الوزارة للسيد ممدوح سالم. وفى يوم ١٠ أبريل سنة ١٩٧٥ دعانى
إلى العشاء معه فى استراحة القناطر يعرض علىّ منصب نائب رئيس الوزراء
للإعلام مع السيد ممدوح سالم. وحين حاولت إبداء اعتذارى كان بين الأسباب التى
ساقها لإقناعى قوله:

- «تصور نفسك بعد كل ما كتبوه عنك عائداً نائباً لرئيس الوزراء للإعلام. سوف
تدخل عليهم راكباً حصاناً أبيض، وتستطيع أن تضع أصبعك فى عين من تشاء!»!
ورجوته أن يترك لى فرصة للتفكير.

ودعانى السيد ممدوح سالم إلى مكتبه فى وزارة الداخلية فى اليوم التالى ١١ أبريل
١٩٧٥ يعرض علىّ المنصب رسمياً. واعتذرت له، وكان بين ما قلت من أسباب اعتذارى:
«إن لى آراءً مختلفة بشأن اتفاقيات فض الاشتباك والعلاقات مع الولايات
المتحدة». (وأفضت فى التفاصيل).

«ثم إننى أرى حملة واسعة على جمال عبد الناصر، وأعتقد أنها ظلم تاريخى ولا
أستطيع أن أشارك أو أسكت على هذه الحملة. فإذا أردت أن أتدخل فيها بالتراضى
مع بعض رؤساء التحرير الحاليين ممن يقودون الحملة اصطدمت بما أعرفه من
اتجاهاتهم ومصادر وحيهم، وإذا استعملت سلطة الرقابة فقد سقطت كصحفى وما
أسهل وقتها أن يقال إننى تنكرت للمهنة ووقفت ضد حريتها.

(١) كان الرئيس السادات فى تلك الأيام يشبه صحراء سيناء بقطعة من العظم يحيط بها بعض اللحم.
واللحم هو قناة السويس والبتروىل. وكان تعبيره بالنص: «إننى أريد أن أمصص اللحم وأترك لهم
العظام إلى حين نصل إلى تسوية شاملة».

والحقيقة إننى لا أعتبر ما يجرى حرية، وإنما أعتبر معظمه قصداً مقصوداً وتنفيذاً لأغراض فى نفس يعقوب».

وقال لى السيد ممدوح سالم:

- «تصرف مع من تشاء كما تشاء. لك مطلق الصلاحية فى إعادة ترتيب أمور الصحافة»^(١).

وقلت: «إننى لا أريد أن أتصرف مع أحد».

ثم قلت:

- «إننى كبشر تستهوينى فكرة أن أعود وأضع أصبعى فى بعض العيون، لكن هذا الذى يستهوينى للحظة ربما يدعونى إلى الندم عمراً.. وفى كل الأحوال فأنا أفضل أن أبقى مع الرئيس فى مكان ومكانة الصديق لا أكثر ولا أقل».



ومع الأسف لم أستطع أن أبقى طويلاً لا فى المكان ولا فى المكانة.

كانت المحادثات تجرى حثيثة للعودة إلى محادثات فك الارتباط (وكان أسوأ اتفاق جرى، بل لعله كان التمهيد الحقيقى لزيارة القدس).

ومن ناحية أخرى ظهر كتاب «الطريق إلى رمضان». واعتبر الرئيس السادات أننى لم أعطه حقه، وكان هذا حكماً بناه على بعض ما نشرته الصحف من أجزاء الكتاب. ورجوته أن ينتظر حتى يرى الكتاب كله، وطلب منى أن أجيئه أنا بالكتاب، وقلت إننى لا أستطيع لأنه فى المطبعة، وهو على أى حال يملك من الوسائل ما يسمح له أن يجيء بنسخة.

وأطلت عوامل التحريض برأسها مرة أخرى، وإذا الرئيس السادات فى كل خطبه يتهمنى بتزييف التاريخ.

(١) لكى تكون دقة النقل كاملة فإن السيد ممدوح سالم سألنى بعد لحظة «ألا يمكن تسوية الخلافات بينك وبين «فلان»؟». وذكر اسم صحفى مقرب من الرئيس السادات. وقلت له إنه ليس هناك «موضوع» لخلاف أعرفه، والقضية بالنسبة لى أكبر من أى شخص بالذات وأكثر تعقيداً.
(بقية تفاصيل أسباب اعتذارى نشرتها مجلة «المصور» بتاريخ ١٩ مارس ١٩٨٢).

ثم رأى أن يتصل بى مرة ليطلب الى أن أكتب فى الدفاع عن اتفاق فك الارتباط الثانى. وسألته أن يسمح لى بالاطلاع على ملاحقه السرية، ورفض قائلاً: «إنه لا توجد ملاحق سرية». وقلت «إننى قرأت لاسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل تصريحاً أشار فيه إلى وجود ملاحق سرية». وسألنى بحدة «وهل تصدقنى أو تصدق رابين؟» وقلت «بالطبع أصدقك».

وقال: «إننى لا أريدك أن تدافع عنى.. لا أريد من أحد أن يدافع عنى. ولكن الدفاع المطلوب هو عن مصر التى يهاجمها ويتهم عليها السوريون والفلسطينيون والعراقيون وغيرهم».

وقلت:

- «إن هؤلاء جميعاً فيما أظن يركزون هجومهم على الاتفاق وليس على مصر»
ونقد صبره فقال:

- «إننى لا أريد فلسفة... هل ستكتب أم لا؟»

ولم يكن هناك مفر من مواجهته. فقد وضع الأمر بحيث لم يعد هناك إلا جواب واحد.
وهكذا قلت:

- «إننى أرجو أن يعفينى الرئيس من الكتابة».

وتصاعد غضبه وأفلتت أعصابه فقال:

- «إن شا الله ما كتبت».

وأغلق «سماعة التليفون» من جانبه.

وكان واضحاً أن كل الخطوط قد تعطلت فى علاقاتنا.



وعادت رياح الخماسين تهب أكثر ضراوة وسخونة.

بدأت إحدى الصحف السعودية فى لندن تنشر سلسلة مقالات لأحد الصحفيين المقربين من الاستاذين مصطفى وعلى أمين. وكان مصطفى قد تناول أمره فى رسالة الاعتراف إلى جمال عبد الناصر قائلاً إنه كان يعمل فى مخابرات صلاح نصر.

كانت سلسلة المقالات الجديدة^(١) تتهمنى - أنا - بالعمل مع المخابرات الأمريكية، وتستشهد فى ذلك بأن مجلة «الحوادث»^(٢) - وصاحبها الأستاذ سليم اللوزى - نشرت أن الزعيم السوفيتى «نيكيتا خروشوف» واجهنى فى إحدى مقابلاتنا بأننى أخذت من جريدة «الواشنطن بوست» مبالغ فى مقابل مقالات، وأن هذه المبالغ - وكانت بمئات ألوف الدولارات - لا تتناسب مع قيمة ما كتبت، ولم يكن لهذا معنى إلا أن هذه المبالغ كانت مكافأة لى على خدمات غير صحفية - وبعدها فإن خروشوف طلب منى أن أغادر الاتحاد السوفيتى فوراً.

ثم إن رجل المخابرات المركزية الأمريكية المعروف «مايلز كوبلاند» كتب عن دورى هذا فى كتبه التى نشرها.

وفى ذلك الوقت كان الأستاذ مصطفى أمين - وفى غمرة الحملة على جمال عبدالناصر - قد رفع قضية على السيد صلاح نصر يتهمه فيها بتعذيبه أثناء سجنه، وقال الأستاذ مصطفى أمين فى عريضة دعواه «إنه ذكر لى فى حينه كما إنه ذكر لمحاميه الأستاذ محمد عبد الله أنه عذب فى السجن».

واستدعتنى المحكمة للشهادة. وحاولت أن أعذر. ثم عاقبتنى المحكمة بغرامة ثلاثين جنيهاً إذا لم أحضر فى جلسة تالية، وكان هذا إنذاراً أول يلىه أن تخلفى عن الشهادة قد يعرضنى للسجن ثلاثة شهور بتهمة إهانة المحكمة وذهبت.

وحلفت اليمين، ثم قلت تحت القسم إن الأستاذ مصطفى أمين لم يخبرنى على الإطلاق عندما رأيت أول مرة فى سجن الاستئناف بأنه عذب.

والأغرب من ذلك فى وقائع هذه المحاكمة أن الأستاذ محمد عبد الله الذى كان محامياً للأستاذ مصطفى أمين فى قضية التخابر - كان بمحض الصدفة محامياً عن أحد المتهمين فى قضية تعذيب الأستاذ مصطفى أمين.

وتحرك ضمير المحامى الشيخ - وهو من أعلام القانون فى مصر - فطلب التنازل عن صفته كمحام عن أحد المتهمين لى يتمكن من الإدلاء بشهادته، ثم وقف أمام

(١) أعيد نشرها فى مصر صفحات كاملة من أخبار اليوم أثناء الحملة التى شنت على بعد نشر كتابى «خريف الغضب» فى ربيع سنة ١٩٨٢.

(٢) مجلة «الحوادث» مرة ثانية - وثالثة!

المحكمة يشهد بأنه - بوصفه كان محاميا للأستاذ مصطفى أمين - قابله في السجن وهو يعد مذكرات الدفاع والمرافعة وسمع منه كل شيء ولم يسمع منه على الإطلاق أنه تعرض لأى تعذيب!

ويومها لقيت الأستاذ محمد عبد الله فى ردهة المحكمة بعد انتهاء الجلسة وكان يخطب كفا بكف ويردد عبارة: «ليه؟ ليه؟!» ثم يرد نفسه عن إضافة كلمة واحدة.

□

وفى اليوم التالى لجلسات المحاكمة فوجئت بمحامى الأستاذ مصطفى أمين يطعن فى شهادتى أمام المحكمة، ثم يقدم ما نشرته مجلة الحوادث عنى. وفى اليوم التالى ذهبت إلى المحكمة ودخلت غرفة المداولة وجلست أكثر من ساعتين مع أعضاء هيئتها الثلاثة أشرح لهم الحقيقة^(١). قلت:

- «إننى أولا لا أدفع عن نفسى ما نشرته مجلة الحوادث بالإشارة إلى ثقة جمال عبد الناصر فى، وفى الحقيقة أنه فى ذروة صراعه مع الولايات المتحدة الأمريكية لم يكتف بأن يتركنى فى الأهرام رئيسا لتحريره ومجلس إدارته، وإنما أضاف إلى وزارة الإرشاد وعضوية مجلس الأمن القومى، والقيام بأعمال وزير الخارجية فى نفس الوقت.

لن أدفع بذلك.

سوف أناقش أولا مسألة خروشوف. ومقالات اللواشنطن بوست.

أولا: لم أكتب فى حياتى كلها مقالا للواشنطن بوست ولم أتقاض منها بالتالى سنتا واحدا.

وثانيا: فيما يتعلق بخروشوف فربما يتذكر الناس أنه دعانى فى مايو سنة

(١) كان تشكيل هيئة المحكمة على النحو التالى: المستشار أنور مرزوق رئيسا والمستشار محمد مصطفى حسن عضو يمين والمستشار عبد المعطى ناصر عضو يسار.

١٩٦٤ إلى بيته فى يالتا لكى أرافقه طوال رحلته من يالتا إلى الإسكندرية - خمسة أيام بالبحر - حتى يستطيع أن يسألنى فيما يريد ويتعرف منى على عالم عربى وإسلامى وأفريقى، يوشك أن يزوره لأول مرة بزيارته لمصر لحضور الاحتفال بإتمام بناء المرحلة الأولى من السد العالى.

بعدها لم أر خروشوف لأنه فى أكتوبر من نفس السنة - سقط من السلطة - فمتى إذا كانت تلك الواقعة التى نشرتها الحوادث.

ثم انتقلت إلى مناقشة كتابات مايلز كوبلاند. قلت:

«أولا - مرة أخرى - فإن مايلز كوبلاند ليس بالرجل الذى ينقل عنه أو تعتمد شهادته. فقد كان موظفا فى المخابرات المركزية الأمريكية، ثم طرد منها وحاول استغلال صلاته بالعالم العربى ليفتح مكتب استشارات فى بيروت. وفى هذه الفترة كتب إلى جمال عبد الناصر أكثر من ثلاثين خطابا وتقريراً يحاول فيها إقناعه باستعمال خدماته وخبراته، ويطلب فى مقابل ذلك مكافأة. ولم يرد جمال عبدالناصر على واحد منها.

وهذا هو ملف كامل بهذه الخطابات.

وثانيا - مرة أخرى - فهذه هى الكتب التى أخرجها مايلز كوبلاند حتى الآن. كتابان أولهما عنوانه «لعبة الأمم» والثانى عنوانه «بلا خنجر ولا عباءة».

فى الكتاب الأول نكر اسمى فى معرض صداقتى لعبد الناصر مرة واحدة فى كل الكتاب.

وفى الكتاب الثانى لم يأت نكر لى على الإطلاق.

وتركت لهيئة المحكمة كتابى مايلز كوبلاند، ومازالا هناك حتى الآن!



وكانت علاقتى مع الرئيس السادات تزداد توترا كل يوم.

رحت منذ سنة ١٩٧٥ أكتب من مصر مقالات منتظمة تنشرها مجموعة من الصحف العربية خارج مصر.

كانت أولها سلسلة ظهرت فى كتاب عنوانها «لمصر لا لعبد الناصر».

ثم تبعتها سلاسل أخرى كانت بينها مجموعة مقالات عن المبادرة صدرت فى شكل كتاب تحت عنوان «حديث المبادرة».

وبدأ الرئيس السادات يعد «قانون العيب»، وبدأ بعض مستشارى مجلس الدولة المكلفين بمراجعة صياغة القانون - يسمونه «قانون هيكل».

وحاول فى هذه الفترة أن يدفعنى إلى الهجرة من مصر. وخاف كثيرون من أصدقائى. ولم أهاجر، بل ولسنة كاملة لم أسافر من مصر على الإطلاق حتى أكون تحت تصرف أى قانون، حتى ولو كان مفصلا من أجلى!

وقرر الرئيس السادات سنة ١٩٧٨ أن الفرصة قد واثته ليضرب، وأحالنى إلى المدعى الاشتراكى ومنعنى من السفر. وجرى التحقيق معى صيفا بأكمله والصحف تكتب قبل كل جلسة أنه يحقق معى «لأننى أسأت إلى مصر فيما كتبت خارجها».

ولم أسئ إلى مصر علم الله بحرف - وإنما كنت أنتقد سياسة رئيسها وأعتبرها هى التى تسىء إلى مصر (١).

(١) أثناء هذا التحقيق - لأول مرة - معى أمام المدعى الاشتراكى - وكان وقتها أنور حبيب - سألتنى عن موقفى من التجاوزات التى حدثت فى عصر جمال عبد الناصر، وقدمت له مجموعة تضم أكثر من عشرين مقالا فى نقد ما حدث كتبت كلها ونشرت وجمال عبد الناصر موجود. وأمام الله - والرجل فى رحاب الله - لا أذكر أن صدره ضاق مرة بشيء كتبتة. مرة واحدة فى تاريخ علاقاتنا كلها عاتبنى على مقال نشرته بعنوان «هل تحقق التغيير؟» وكان ملخص المقال «أنه إذا لم يكن النظام قادرا على أن يغير فإنه لابد أن يتغير. وتلك طبائع التطور».

وأثناء هذا التحقيق، وكان يجريه المستشار أنور حبيب بنفسه - ومعه اثنان من مساعديه فى ذلك الوقت هما المستشار عبد الرحيم نافع والمستشار أحمد سمير سامى - قلت له فى إحدى الجلسات :- «لاتسجل أرجوك سؤالا سوف أطرحه عليك إذا أذنت لى: أين كان الرئيس السادات حين حدثت هذه التجاوزات؟ لقد كان رئيسا لمجلس الأمة، فهل أثارها أو سمح لأحد من أعضاء المجلس الذى يملك حق مراقبة تصرفات السلطة التنفيذية - بإثارتها مرة؟».

وفى نفس هذا التحقيق سئلت فيما كتبت فى إحدى مقالات سلسلة نشرتها خارج مصر بعنوان «لمصر لا لعبد الناصر». وقد طالبت فيها بتحقيق كامل عن كل ما حدث من تجاوزات فى عصر جمال عبد الناصر وتحديد المسئوليات فيه وعقاب المسئولين عنه - وقلت فى المقال إننى أقبل تحقيقا يجريه اتحاد المحامين العرب أو أية جهة مستقلة. والغريب أن السؤال الذى وجه لى كان : «أليس معنى هذا =

وانتهى التحقيق، وانتظرت التصرف فيه، لكنهم تركوه معلقا. وقررت نشر محاضرة كاملة فى كتاب بعنوان «وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى الاشتراكى فى مصر».



وخلال هذا كله كانت حملة التحريض على مستمرة.

ثم كان أن شملتني اعتقالات ٥ سبتمبر الشهيرة سنة ١٩٨١ - ولم تظهر كلمة دفاع واحدة عن الحرية - بل حدث العكس مع الأسف - وقتها رغم أن ضربة القمع شملت كل القوى السياسية فى مصر!

وأثناء التحقيق معى أمام المدعى الاشتراكى - للمرة الثانية - بينما أنا رهن الاعتقال، وقعت حادثة غريبة.

أثناء التحقيق معى كان المستشار «ناجى إسحاق» - الذى اختص بالتحقيق مع اثنين من المعتقلين فقط وبالتحديد - الأستاذ فؤاد سراج الدين وأنا - يمسك بورقة تتضمن تقرير إدارة المباحث العامة عن نشاطى الذى استوجب اعتقالى والتحقيق معى.

وسألته: «هل أستطيع أن أطلع على هذا التقرير؟».

وكان غيرى ممن سبقونى إلى التحقيق أمامه أو أمام غيره من المستشارين قد سمح لهم بالاطلاع على تقارير المباحث أو المخابرات التى تصف نشاطهم المعادى.

وقال المستشار «ناجى إسحاق» إنه لا يمانع فى اطلاعى على التقرير.

قال لى:

«لا يوجد أمامى شىء يخصك فى تقارير المخابرات. وإنما هناك هذا التقرير من المباحث».

وناوله لى.

= أنك تدعو إلى تدخل أجنبى فى شئون مصر الداخلية؟ - وقلت إن عبد الناصر قضية عربية تهم الأمة كلها ثم إننى لا أطمئن - مع الأسف - إلى تحقيق يجرى «محليا» فى إطار الظروف القائمة الآن. (لمزيد من تفاصيل هذا التحقيق يراجع كتابى «وقائع تحقيق سياسى أمام المدعى الاشتراكى فى مصر»).

وألقيت نظرة على الصفحة الأولى منه .

كلها تهم لا أدفعها ، بل على العكس أعترف بها . كتبت كذا فى جريدة كذا يوم كذا أعارض كامب دافيد . وكتبت كذا فى جريدة كذا أعارض التطبيع . وكتبت كذا فى جريدة كذا يوم كذا انتقدت سياسات الرئيس السادات الداخلية (أولها منهج تنفيذ سياسة الانفتاح) والعربية (العزلة عن بقية الأمة الواحدة) والخارجية (الانحياز المطلق للولايات المتحدة الأمريكية) .

وكانت تلك آرائى أقولها وأرددها وأكتبها وألح فى كتابتها وأتحمل مسئوليتها بالطبع دون تردد أو خشية .. ثم هو كلامى عليه اسمى وفيه أسلوبى ومجملة قناعتى . ثم انتقلت إلى الصفحة الثانية .

كان فيها بند واحد !

وراء هذا البند قصة .

فقد كان الرئيس السادات يكره أشد ما يكره صحفيا بريطانيا هو «دافيد هيرست» مراسل جريدة «الجارديان» البريطانية فى مصر . وكان «دافيد هيرست» قد كتب مجموعة من المقالات عن أوضاع مصر الداخلية ضايق الرئيس السادات وأوغرت صدره .

ولسبب لا أعرفه حتى هذه اللحظة ، كان الرئيس يظن أننى أعطيت لدافيد هيرست ما كتبه فى مقالاته من معلومات ، وهاجمنى فى إحدى المرات علنا بسبب هذا الظن .

وكتبت مقالا ضمن ما كنت أكتب أيامها . تطرقت فيه إلى هذه القصة ، ثم قلت «إننى لم أقابل دافيد هيرست فى حياتى إلا مرة واحدة . وكانت بعد . وليس قبل . مقالاته عن الرئيس السادات» . وهذا أمر يمكن التحقق منه بتقارير أجهزة الأمن التى أعلم أنها كانت تتابع كل حركة لى وكل سكرة .

والآن - فى هذه اللحظة - وفى التحقيق أمام المستشار ناجى إسحاق - وأنا ألقى نظرة على الورقة الثانية والبند الوحيد فيها - تقرير المباحث ضدى - كان ما قرأته مذهلا .

كان المكتوب بالنص :

«إن الأستاذ هيكل على صلة بدافيد هيرست المعروف بعدائه لمصر عن طريق صديق مقرب منه وهو الأستاذ محمد سيد أحمد».

ثم بعدها بالنص أيضا:

«إن المعلومات الواردة في هذا البند مصدرها الأستاذ مصطفى أمين».

وفتحت فمى من الدهشة وأردت أن أسجل بشهادة شهود ما قرأت.

كان يحضر معى فى التحقيق رسميا محامى الأستاذ الكبير والصديق الكبير المستشار «ممتاز نصار». وكان يحضره أيضا زميلى الأستاذ «صلاح جلال» نقيب الصحفيين.

وناولت التقرير للمستشار «ممتاز نصار» ورجوته أن يقرأ هذه الفقرة. ثم ناولته للأستاذ «صلاح جلال» وقلت له «وأنت كنقيب للصحفيين أرجوك أن تطلع على هذه الفقرة وتذكرها».

وقال المستشار ناجى إسحاق:

- «وهل نحن سألناك فى هذا أو اعتبرناها تهمة؟ وإن فما هى قيمتها؟».

ولم يكن للإنصاف قد سألنى فيها. ولم يكن ما يعنينى فيها كونها تهمة توجه أو لا توجه لى، وإنما كان يعنينى فيها شىء آخر!

ثم جرى ما جرى على منصة الاستعراضات العسكرية فى مدينة نصر ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١.



وخرجنا جميعا من السجن بعد ثلاثة شهور.

خرجنا من قصر رئاسة الجمهورية، وبعد لقاء مع الرئيس الجديد الذى قال لكل يومها:

«أريد أن ننسى ما حدث. وأريد صفحة جديدة. وأريد تعاون كل القوى فى مصر».

وساد الجو لبعض الوقت هدوء مشوب بالحدر. كما يقولون!

وكتبت «خريف الغضب». ولم يكن غضبا على أنور السادات لأنه وضعنى فى السجن. ولكنى كنت أريد أن أشرح للعالم ما حدث فى مصر خلال خريف عاصف سنة ١٩٨١. وكيف تطورت قضايا اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية ودينية، لكى تصنع صاعقة البرق التى رأتها الدنيا على شاشات التليفزيون ظهر يوم ٦ أكتوبر.

ولم تكن فى الكتاب كلمة إساءة واحدة إلى إنسان. وإنما كان عرضا وتحليلا لشخصيات وتيارات وسياسات واتجاهات وقوى فى الداخل والخارج.

لكن البعض تصوروا أن ظهور الكتاب فرصة سنحت أخيرا لتصفية كل الحسابات مرة واحدة. واستغلت عبارات فى الكتاب مبتورة. ومحاولات للغوص فى أعماق النفس أخرجت من سياقها ومن مضمونها وبعيدا عن هدفها^(١). ثم راحت الطاحونة تدور.

لثلاثة أشهر أو أربعة عاصفة لا تهدأ. بالكلمات والرسوم. حلقات بعد حلقات يوما بعد يوم كأن صواعق السماء كلها انقضت مرة واحدة.

ولم يقتصر الأمر على الكتابة والنشر، وإنما كان الجهد منظما لحملة تشويش وتشويه.

قيل لأحد كبار القانونيين مثلا - وقد كتب ونشر ما قيل له - إننى كنت وراء ضرر أصابة. ولم أعرف الرجل فى حياتى ولا تشرفت بلاقائه. وكان موقفى منه على عكس ما نقل إليه، وفضلا عن اهتمامى العام به لقيمه العلمية - والإنسانية باعتباره مواطنا - فقد كان قريبا لصديق كبير لى هو «على الشمسى» (باشا).

(١) منطق استقصاء الجذور لتحليل شخصية تاريخية معترف به، وقد استعمله كثيرون من المؤرخين المصريين والعرب قبل أن يضع «فرويد» أسس علم النفس الحديث. ويكفى مراجعة تراجم «المقرئى» و«ابن إياس» و«السخاوى» و«الجبرتى» وغيرهم - بل إن الدكتور «طه حسين» فى كتابه عن شاعر العربية الأعظم «أبو الطيب المتنبى» خصص الفصل الأول منه لإثبات أنه كان مولودا «غير شرعى» وأن عقده نتيجة لضياح نسبه هى المكون الرئيسى لشخصيته والمؤثر الأكبر على توجهاته!

وقيل لأحد الزملاء الصحفيين إنه دعى مرة لمنصب صحفى هام عن طريقى
وأنتى لم أبلغه بالدعوة الموجهة إليه ، وهكذا ضاعت الفرصة منه ، وقد كتب ونشر
ما قيل له ، ومن ذلك عرفت لأول مرة حكاية أنه كانت هناك دعوة له !

وقيل لكثيرين إننى كنت وراء اضطهاد تعرضت له «العائلات» (هكذا) فى مصر ،
بينما كان مكتبى فى يوم من الأيام ملجأ لكل «عائلة» لها ما تريد أن ترفع صوتها به .
(ولا أريد أن أستشهد بأحد ، لأن الاستشهاد بأحد فى هذا الصدد قد يصبح نوعا من
المن عليه لا يجوز لى ولا يليق به !)^(١) .

ولم يجرى صحفى عربى إلى مصر . أو كاتب أو مفكر - إلا وقصوا عليه حكايات
أنتى حجبت الكل - عنوة - ولا أعرف كيف ؟ - حتى أصبح «الكاتب الأوحى» ! وكان
العجب يبلغ من السامعين مبلغه لأن السجلات أمامه تشهد بالعكس على طول
الخط !^(٢) .

(١) أعفانى أحد كرام الناس - وهو رجل لم أقابله منذ سنوات - من كل حرج . وهذا الرجل هو السيد «محمد
أحمد فرغلى» (باشا) ، وكان من أبرز نجوم الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر قبل الثورة وكان
يلقب بـ «ملك القطن» . فقد أصدر أخيرا كتابا يحوى مذكراته بعنوان «عشت حياتى بين هؤلاء» - تضمن
فصلا عن تجربته معى . وقد امتد هذا الفصل على مساحة عشر صفحات كاملة من ١٨٧ - ١٩٦ ، وقد
روى فيها تفصيلا كيف «وقفت معه ومع مئات غيره فى ظروف صعبة دون انتظار حتى كلمة شكر» .
وأثار صدور الكتاب اهتماما كبيرا فى مصر ، لأن صاحبه وإن كان بين الذين أضرروا بالقرارات
الاشتراكية إلا أنه حاول أن يرتفع فوق مصالحه الشخصية .

(٢) لقد كنت أنا - أقولها بتواضع وبفخر - الذى تعاقد للأهرام مع صفوة من أقلام مصر وأحسن صحفييها
(الأسماء كلها بترتيب الحروف الأبجدية) .

من الأدباء والفنانين : الأستاذ توفيق الحكيم ، الدكتور حسين فوزى ، الدكتور زكى نجيب محمود ،
الأستاذ صلاح جاهين . الأستاذ صلاح طاهر ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (كتبت فيه من قبل ولكنها
انقطعت عنه سنوات حتى دعوتها للعودة) . الدكتور كلوفيس مقصود ، الأستاذ كمال الملاخ ، الدكتور
لويس عوض ، الأستاذ محمد يوسف (ومعه مساعده أميل كرم وأنطون البير) . الأستاذ محمود
درويش ، الأستاذ محيى الدين حسين ، الأستاذ معين بسيسو ، الأستاذ نجيب محفوظ ، الدكتور يوسف
إدريس ، الأستاذ يوسف فرنسيس .

ومن الصحفيين والكتاب : الأستاذ أحمد بهاء الدين ، الأستاذ أحمد بهجت ، الدكتور جمال العطيفى ،
الدكتور حسين مؤنس ، الأستاذ خالد محمد خالد ، الدكتور سامى منصور ، الأستاذ صلاح الدين
حافظ ، الأستاذ على حمدي الجمال ، الدكتور عبد الوهاب المسيرى ، الأستاذ لطفى الخولى ، الدكتور
لطفى عبد العظيم ، الأستاذ محمد سيد أحمد ، الأستاذ مكرم محمد أحمد . =

= وفى إطار المراكز المتخصصة فى الأهرام لعت - بصرف النظر عن البريق السياسى - أسماء الدكتور عبد المنعم القيسونى (عضوا فى مجلس الإدارة ومحررا اقتصاديا للأهرام). والدكتور مصطفى خليل (مشرفا على وحدة دراسات البترول فى مركز الدراسات الاستراتيجية). والدكتور إبراهيم سعد الدين، والأستاذ أبو سيف يوسف، والدكتور إسماعيل صبرى عبد الله، والدكتور عبد الرزاق حسن، والدكتور فؤاد مرسى (فى مجال الكتابة الاقتصادية)، والدكتور بطرس غالى، والدكتور عبد الملك عودة (فى مجال الدراسات السياسية الاقتصادية)

وفى مجالات الكتابة عن التاريخ السياسى برزت على صفحات الأهرام (وبصرف النظر عن المناصب السياسية أو العلمية) أسماء حسن يوسف (باشا) . والدكتور محمد أنيس، والدكتور يونان لبيب رزق.

ثم اللواء حسن البدرى (محررا عسكريا للأهرام). والدكتور محمود أمين (محررا الشؤون البترول). وفى هذا الإطار برز جيل واعد من الكتاب السياسيين: الأستاذ جميل مطر، الأستاذ حاتم صادق، الدكتور سعد الدين إبراهيم، الأستاذ سميح صادق، الأستاذ سيد ياسين، الدكتور على الدين هلال، الدكتور مجدى حماد.

ومن جيل الصحفيين الذين حملوا ويحملون الآن أكبر المسئوليات فى الصحافة المصرية الأساتذة. إبراهيم عمر، إبراهيم نافع، أحمد عادل، أحمد نافع، إحسان بكر، آدم النواوى، إسماعيل البقرى، آمال بكير، أمينة شفيق، إنجى رشدى . بهيرة مختار، تهانى حافظ، جلال الجويلى، حامد عبدالعزيز، حسن أبو العينين، حسن الشرقاوى، حسن سلومة، حسن فؤاد، حسنى جندى، حسين غانم، حمدى فؤاد، حميدة موافى، خيرى عزيز، رائد العطار، رجب البنا، رجب محمود، زغلول عبد المطلب، زكريا نيل، سامى رياض، سامى فريد، سامى متولى، سعيد عبد الغنى، سعيد فريد، سلامة أحمد سلامة، سليم مباشر، سمير صبحى، سميرة غبريال، سناء البيسى، السيد جاد، شويكار على، صلاح جلال، صلاح منتصر، صلاح هلال، صبرى سويلم، عباس مبروك، عبد الحميد سرايا، عبد الملك خليل، عبد المنعم عثمان، عبد الوهاب مطاوع، عبده مباشر، عدلى جلال، عزت السعدنى، غادة شهنذر، فائقة عبده، فاروق جويده، فاروق كمال، فتحى العشرى، فريد مجدى، فهمى هويدى، فوزى وفائى، فؤاد سعد، كمال مصطفى، كمال نجيب، لبيب السباعى، ليس الطحاوى، ليليان مرقص، ليلى القبانى، ماجدة مهنا، ماهر الذهبى، محمد الليثى، محمد حقى، محمد حمدى، محمد زايد، محمد سلماوى، محمد صالح، محمد عبد المنعم، محمد عيسى، محمود أحمد، محمود سامى، محمود عطا الله، محمود عبد العزيز حسين، محمود عبد العزيز محمود، محمود كامل، محمود مراد، مرسى عطا الله، مصطفى البرادعى، مصطفى الضمرانى، مصطفى سامى، مكرم حنين، معدوح طه، نادية عبد الحميد، نبيهة الأصفهاني، نوال المحلاوى، نوال حسن، هدايت عبد النبى، وجدى رياض، يوسف صباغ.. وغير هؤلاء جميعا عشرات وعشرات

ولم أقض على أحد منهم رأى ولا حاولت أن أصوغ الشباب بينهم على مثالى، وإنما تركت الكل يعبر عن نفسه والكل ينمو وفق استعداداته، بل إن بعضهم تحت ضغط الظروف - وربما غواياتها - اضطر فى بعض الأحيان إلى أن يهاجمنى وعلى صفحات الأهرام، ولأنى كنت أحاول أن أفهم فقد استطعت أن أعذر. ومعاتباً. وليس مغاضباً. رحت أردد فيما بينى وبين نفسى فى تلك الأيام بيتين =

= من الشعر القديم يقول فيهما البدوى العاشق

«هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

يكلفها الغيران شتمى وما بـها هوانى ولكن للمليك استذلت

(ولقد كان رأى أن الصحافة الحديثة ليست كتاباً وصحفيين ومخبرين فقط ، ولكنها مجالات كثيرة - لولا أننى أقصر الحديث هنا على دعوى «الواحدة» .

وكنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث عن مراكز الأهرام المتخصصة، فلأول مرة شهدت مصر مركزاً للدراسات السياسية والاستراتيجية، ومراكز مستقلة لمتابعة قضية فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى، ومركزاً لتوثيق تاريخ مصر المعاصر، ومركزاً للدراسات الصحفية كان مصنعاً لإعداد شباب المهنة الجديد.

وكنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث عن مدرسة جديدة فى إدارة الصحف ظهرت وازدهرت تلك الأيام فى الأهرام . وكنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث عن آلاف من عمال الأهرام يمثلون شيئاً مختلفاً فى طاقة العمل المصرية (كانوا أقل من ثلاثمائة حين دخلت الأهرام وتركته هناك قرابة ستة آلاف، كثيرون منهم أتاحت لهم فرصة التدريب خارج مصر، بل إن بعضهم أضاف فى إنجلترا نفسها تحسينات تكاد تصل إلى درجة الاختراع على بعض الآلات التى ذهبوا يتدربون عليها) وكنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث كيف استطاع الأهرام فى ذلك الوقت أن يسبق إلى عصر الكمبيوتر، وكيف أن الذين علوا فيه أو تخرجوا منه هم الذين يتولون اليوم زمام القيادة فى هذا القطاع على مستوى مصر كلها.

ولم أكن وحدي الذى وضع الأهرام - فى تلك الحقبة - ضمن أعظم عشرة صحف فى العالم - طبقاً لمعهد الصحافة الدولية - وإنما كان هؤلاء جميعاً - وتلك على أية حال قصة أخرى).

وكنت أنا - أيام مسئوليتى عن أخبار اليوم - الذى أعدت جلال الحماصى مشرفاً على تحرير أخبار اليوم، وعينت إحسان عبد القدوس رئيساً لتحرير مجلة أخبار اليوم، وعينت يوسف السباعى رئيساً لتحرير آخر ساعة - وكانت هذه أحسن الاختيارات التى وجدتتها فى السوق لأعطى أخبار اليوم الفرصة لمنافسة الأهرام . ولقد ظل هذا الوضع قائماً قرابة سنتين، ثم كنت أنا الذى طلبت الإعفاء من مسئولية أخبار اليوم عندما اكتمل مبنى الأهرام الجديد ووجدت نفسى أمام مسئوليات الانتقال إليه وما تفرضه من ضرورات إعادة تنظيم العمل على أسس تلائم نقطة تحول أساسية فى الصحافة المصرية (بالإضافة إلى سبب آخر لا أرى داعياً لذكره الآن) - وقد قبل طلبى - وإلى جانب ذلك فلقد كانت جريدة الجمهورية هى جريدة التنظيم الطليعى فى الاتحاد الاشتراكى، وفيها كانت قيادات الصف الأول كله تكتب، ومعظم ما كتب كان فى معارضة آرائى واعتبار ما أقوله مروقاً على خط الاتحاد الاشتراكى . وكانت هناك دور صحيفة أخرى لها رؤساء تحريرها ولها محرريها - دار الهلال على سبيل المثال - وروز اليوسف - وهكذا فإننى طوال هذه السنين كلها لم أتجاوز حدود الصحيفة التى كنت رأس تحريرها وهى «الأهرام»، وحتى عندما عينت رئيساً لمجلس إدارتها فإننى اعتبرت ذلك «قرار سياسة» وليس «قرار مهنة» ولهذا لم أضع اسمى مرة واحدة على «الأهرام» كرئيس لمجلس الإدارة - وإن فى الصحافة لم تكن فى ذلك الوقت «صحفياً واحداً» - ومع ذلك فإن هذا «الصحفى الواحد» ترك لهم مكانه فى الصحافة المصرية منذ أكثر من عشر سنوات - وإن ماذا؟ وإن من؟ وإن أين؟ وأسئلة أخرى كثيرة!!

ولقد تمنيت مرات لو طاوعنى الحياء - أو لعلها الكبرياء - فأنشر بعضا من رسائل أصحاب هذه الحكايات إلى بخط أيديهم يشهدون فيها ويشيدون، فلم يكن هناك بينهم - وبدون استثناء - واحدا لم أقف معه ولم أفتح طريقا أمامه بحكم صلات الزمالة - لكنى كنت أراجع نفسى وأردها حتى عن مجرد الوقوف أمام طواحين هواء فضلا عن معارك معها!).



وبعض الأحيان كنت أسائل نفسى وألح فى سؤالها:

- «لماذا؟ لماذا وإلى هذه الدرجة؟»

وهل يمكن أن يبلغ ضعف الذاكرة - !- ببعض الناس إلى هذا الحد؟

هل نسى كل ما فعلته وما تحملت مسئوليته وما أقدمت عليه دون أن ألتفت ورائى أو أمامى؟

هل نسى كل ما شهدوا الى به، وآخره ما كتبه الأستاذ على أمين فى «فكرة» قبل أيام من انفجار خلافى مع الرئيس السادات وخروجى من الأهرام؟

هو الذى كتب بخط يده يقول «كنت أتتبع الجهود الضخمة التى يبذلها هيكل لرفع الظلم، ولكن الأقلام الكبيرة أصيبت بالخرس». كان هو الذى كتب وكنت أنا الذى قررت أن لا أنشر.

وقيل لى مرات إن خطيئتى الكبرى أن الأهرام نجح عالميا - وكذلك كتاباتى فى الدنيا الواسعة بعد خروجى من الأهرام - وأن هذا النجاح فى حد ذاته جريمة لا تغتفر! ولم أقبل هذا التفسير، فلم أكن صانع الأهرام الحديث وحدى، ثم أليس من سنن الطبيعة أن يقدم كل جيل إضافة إلى ما صنعه أجيال سبقت؟

ومع ذلك فلقد كان لابد أن يكون هناك تفسير.

ولم أكن أطلب من أحد أن يرد لى جميلا، ولكنى - أيضا - لم أكن أتوقع جزاء «سنمار».

ومرات حاولت أن أعزى نفسى: لقد كان ذنبى أنتى ابتعدت عن كل سلطة، أو لم يحدث ذلك لغيرى؟

ألم يتحول الملك فاروق - على نفس هذا النمط - من الوطنى الأول والعامل الأول
والفدائى الأول لكى يصبح بعد نزوله عن عرش مصر وخروجه منها - أفاقا ولصا
وهاتك أعراض؟ - على نفس المكان من صحف أخبار اليوم.

ألم يتحول مصطفى النحاس - على نفس هذا النمط - وهو الذى كان - على الأقل
طوال حقبة الثلاثينيات - رمزا للمقاومة المصرية ضد الاحتلال وضد القصر - إلى
خائن وفاسد والعوبة فى يدى زوجته؟ - على نفس صفحات أخبار اليوم.

ألم يتحول جمال عبد الناصر وهو رمز حركة الحرية والتحرر والعدل
الاجتماعى - إلى طاغية وجلاد - بعد أن تأكد رحيله إلى رحاب الله؟ - بنفس الأقسام
وإن اختلفت ألوان الحبر!!

وأنا بالقطع لا أريد أن أقارن نفسى بالملك فاروق، ولا أتجاوز فأضع نفسى على
نفس الدرجة مع مصطفى النحاس، ولا أتجاسر على مقام جمال عبد الناصر.

وإذا كان قد حدث لهؤلاء ما حدث - فلماذا لا يحدث لى نفس الشىء؟

وكنت أراجع نفسى، بل وألومها لأنها تتجاوز - بالخيلاء - حدودها!

ثم تفتحت عيناي على حل بسيط لكل هذه المفارقات.

«ذنبي أننى كنت شاهدا أتيح له أن يرى ويسمع كل شىء، وكان فى موقع يمكنه
من هذا، والذين يخشون الحقيقة لا بد لهم أن يتخلصوا من شهودها».

هناك كثيرون لم يروا ولم يقرأوا... أجيال جديدة لم تكن معنا منذ البداية.

هناك كثيرون رأوا وقرأوا... لكن الذاكرة تضعف مع الأيام، ثم لا يظل فى
الأذهان إلا ماتراه العيون وتسمعه الأذان لحظتها.

ثم إن هناك من رأوا وقرأوا.. لكنهم يعتقدون بالحكمة القائلة بأنه إذا كان الكلام
من فضة فإن السكوت من ذهب - خصوصا إذا كان فيه ما يزعج أصحاب السلطان!

وإذن فقد كانت ذنوبى أننى ابتعدت عن أية سلطة، ثم إننى كنت شاهدا رأى
معظم جوانب الصورة، ثم إننى قادر على الكلام فى يوم من الأيام.

وأعترف - ويشهد على ذلك كل من قابلنى فى هذه الفترة الحافلة بالصخب والضجيج - أننى كنت أتابع ما يكتب وينشر وكأننى أتابع ظاهرة لا تتصل بى ولا تمت الى بسبب .

كانت الحملة^(١) على وجه اليقين أكبر بكثير من حجم الكتاب .

وكان رأى أن الكتاب تعلقة للحملة .

وأما العلة الحقيقية فيها فقد كانت لها أهداف أخرى :

إرغامى على اتخاذ موقف الدفاع عن نفسى .

أو إغراقى فى الصمت إلى الأبد حتى لا أتكلم .

أو إضعاف مصداقية ما أقول إذا ما قررت يوما أن أحكى ما رأته عيناي وسمعته أذناي .

ولم يكن الخوف فقط من فتح ملفات ما جرى فى الصحافة المصرية .

وربما أعيد التذكير بما قلت فى بداية هذا الكتاب ، من أن الصحافة فى أى بلد هى جزء من الحياة السياسية فيه ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك .

وفى العالم الثالث عموما ، فإن السياسة ليست مجرد صراع مصالح اجتماعية وتيارات فكرية ورؤى مستقبلية ، وإنما هى مع الأسف أيضا - وهذه طبائع التطور ومراحلها - حروب دامية من أجل البقاء . ومعارك ظاهرة وخفية . ومطامع ومؤامرات .

ثم هى أيضا مخططات قوى عظمى تلعب بمصائر ومقادير شعوب وتحاول فرض سيطرتها على الآخرين وترويض همهم وإفقادهم الثقة بكل شىء حتى يصبحوا على استعداد للقبول بأى شىء ، ثم إعادة تشكيل أفكارهم وأحلامهم بوسائل عديدة تبدأ بالكلمة والصورة وتنتهى بالمدفع والدبابة !

(١) بدأت الحملة بدعوى كتابى «خريف الغضب» فى جريدة الشرق الأوسط ، وهى الصحيفة التى تشتري من الأستاذ مصطفى أمين بابة اليومى «فكرة» وتنشره فى نفس الوقت مع الأخبار . وجريدة الشرق الأوسط جريدة سعودية تصدر فى لندن ، وكان السيد «كمال أدهم» هو ممولها وصاحب حصة الأغلبية فيها حتى باع حصته أخيرا إلى أحد الأمراء السعوديين .

الوثائق

1970 24 450 00

گزنی مہلی

[illegible]

وثيقة رقم (٣)

صفحة من أول خطاب للأستاذ علي أمين من لندن بخط يده - بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٦٥

وزارة الخارجية

مكتب الوزير

العدد ٧/٢٢ ١٩٥٤

مقابلة

السفير الأمريكي ستراتسيل :

- استدعيته الساعة ١٥٣٠ اليوم وأبلغته بموضوع القضاة القبض على مصطفى أمين يوم ٢٠ يوليو في الاسكندرية أثناء تقديمه تقريراً لمستربروس أوديل Bruce T. Odell الطلق بالسفارة الأمريكية .
- وأنه تبين لنا من التحقيق الأول ومن الأوراق التي ضبطت أن ستراوديل قد وجه أسئلة بخط يده الى مصطفى أمين وأن المعلومات التي قدمها له الأخير كانت تتضمن معلومات سياسية وعسكرية تهم أمن الدولة وسلامتها .
- كما أبلغته أنه قد تم الافراج عن ستراوديل بعد التحقق من صفته الدبلوماسية .
- ذكر السفير أنه علم بالحادث ليلة أمس وكان أوديل في إجازة ، وأنه قابل صبيحة اليوم وهم منه أن تواجد به منزل مصطفى أمين بالاسكندرية كان بغرض الزيارة .
- أوضح له أن زيارة الطلق الأمريكي لمصطفى أمين لم تكن زيارة عادية حيث أن مصطفى أمين كان يقدم له تقارير أسبوعية .
- ذكر السفير بأنه قد صدم بالحادث ، ورجا ألا يترك أي أثر على العلاقات بين البلدين التي يعمل على تدعيمها .
- وذكر أنه سبق بإجراء تحقيق في الموضوع .
- وأضاف أن بعض وكالات الانباء الأمريكية طمت بالموضوع ، وفي اعتقاده أنه قد تصلها معلومات عن استدعائه لوزارة الخارجية كما يحتمل أن توجه اليه أسئلة بخصوص استدعائه هذا . وأن إجابته ستكون في هذه الحالة أن وزير الخارجية أبلغته بالحادث .
- وافقت على هذه الإجابة ، ثم ذكرت له أن أمثال مصطفى أمين لا يمكن أن يكونوا مصدر معلومات دقيقة ، وإنما يخلق هؤلاء بعض القصص والروايات من أجل المتاجرة بها .
- وأخفت أن السيد الرئيس عندما يتحدث الى الشعب فإنه يتحدث بصراحة تامسة عن مشاكلنا الداخلية وعن سياستنا الخارجية ولذا فإن أي جهد يبذل للحصول على

وثيقة رقم (٥)

صورة من تقرير السيد محمود رياض عن مقابله للسفير الأمريكي المستر «لوشويس باتل» بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥ .

وزارة الخارجية

مكتب الوزير

القاهرة في ... سنة ١٩٥٥

(٢)

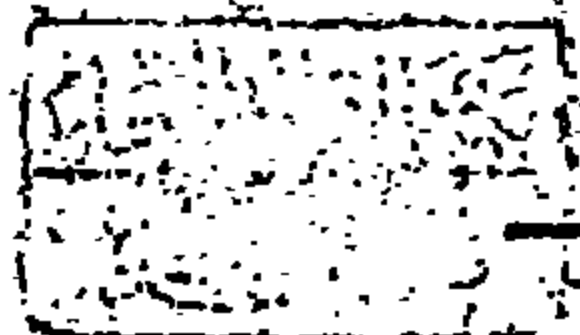
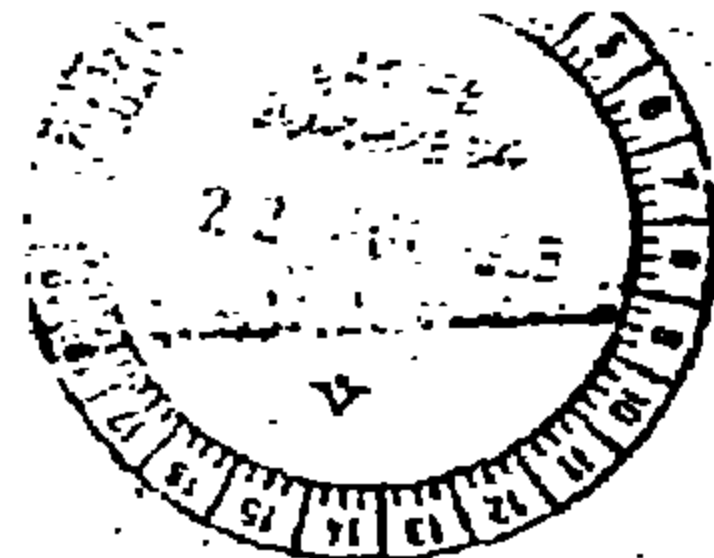
- ما يسمى بالمعلومات السرية هو جهد ضائع .
- كان السفير في حالة ضيق واضطراب ، وكرر أكثر من مرة رجاءه الا يتسبب هذا الحادث في خلق ثوتر في العلاقات بين البلدين .

وزير الخارجية

(محمود رياض)

التوزيع :

٤١٨٧ السيد / سامي شرف سكرتير السيد الرئيس للمعلومات
مكتب السيد رئيس الوزراء
مكتب السيد نائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية
السيد السفير الوكيل أحمد حسن القيسي
السيد السفير الوكيل أحمد فريد أبو شادي
السيد السفير الوكيل محمد حسن الزيات
السيد مدير ادارة أمريكا الشمالية
السيد مدير الادارة العامة للأبحاث
السيد سفير الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن



مستعمل للعلامة

٧٢٨

٧٢٨ ٧٢٨

٧٢٨

السيد / ماضي عيسى - بيروت

السيد عبد الحميد غالب (بيروت)

مستعمل للعلامة

أرجو ابلاغ الاخ محسن لورا بالمعلومات التالية لا مانع من استغلالها على اوسع نطاق وخصوصا (٠) بخصوص التبرع على مصلحة أمين (٠) مراتب من المظلمات العامة من مدة طويلة كان يملكها اجمالا -

التي مع مثل المظلمات الاممية في القاهرة كان يملكها طائر التبرع - كما ان يملكها (٠) -

من هذه المظلمات بسيطة له (٠) كان يملكها طائر التبرع - كما ان يملكها طائر التبرع -

الاممية (٠) اتفق ان جميع التبرعات التي لديها يملكها طائر التبرع الاممية في مصلحة الدولة

وكذلك التبرعات التي كانت تصدر اليه من المظلمات الاممية كما ان يملكها طائر التبرع (٠) كان يملكها

الاممية كان يملكها طائر التبرع من الرئيس في حين ان الرئيس لا يملكها طائر التبرع -

مستعمل (٠) وكان اتجاه هذا الكلام التبرع الى الرئيس في حين ان يملكها طائر التبرع -

E E (٠) هذه القضية بالكلية منذ ان بدأت من مدة بسيطة (٠) توجب بغير الاخ محسن

للظهور للاطلاع على التظلمات - بعد نشر المعلومات الواردة في هذا التبرع -

السيد / ماضي عيسى - بيروت
 رئيس مكتب مقرر نائب القائد الاممي
 (البي)

وثيقة رقم (٦)

صورة برفقية شفوية مرسلة من السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات إلى السفير
 عبد الحميد غالب سفير مصر في لبنان - بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥



جمهورية العربية المتحدة
مكتب وزير الخارجية

تصريح

اتسم

بأنه قد وردت في إندونيسيا - حيث أنشئت
في ذلك - أن تكون مع ذلك الكفاية
الفرق - أنه هناك هناك كل من جديد في
المرحلة بعدة بعض الشيء أنه وهو أنه
في ذلك العمل هو الذي ليس هو العمل
فيما بينه وبين أنه أن يكون في ذلك
بأنه أنه تمس به أنه في ذلك العمل
في ذلك العمل في ذلك العمل في ذلك العمل
في ذلك العمل في ذلك العمل في ذلك العمل

المر

١٩٦٥/٧/٢٤

وثيقة رقم (٧)

صورة من مذكرة السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات بخط يده
مقدمة للرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٦٥

SECRET

Foreign Office and Whitehall Distribution

EGYPT AND SUDAN

21st February, 1952

Section 1

JE 1018/79

ARCHIVES

**NEGOTIATIONS AND INTRIGUES PRECEDING THE RECENT
CHANGE OF GOVERNMENT IN EGYPT**

Sir R. Stevenson to Mr. Eden. (Received 21st February)

(No. 45. Secret)
Sir,

*Cairo,
19th February, 1952*

5. Shortly after 8 p.m. a member of this embassy received a telephone call from Ali Amin, who with his brother, Mustapha Amin, is co-proprietor of the newspaper, *Akhbar el Yom*, and a staunch opponent of the Wafd. Ali Amin asked whether there was any truth in reports of large-scale troop movements in the Canal Zone. He was informed that the member of the embassy concerned had no specific information, but had no doubt that the military authorities were preparing to intervene if there were further outrages against British lives and property. No one could expect the British Army to stand aside whilst British women were murdered. Ali Amin asked what would be the position "if there was a change"—a change of Government being understood. He was told that, if a new Government showed itself capable of restoring law and order and protecting British lives and property, no question of military intervention would arise. If an account given by Mustapha Amin is to be believed, this telephone call had considerable influence on events. Mustapha Amin was at the time in the office at the Palace of the Assistant Chief of the Royal Cabinet. On hearing from his brother, Ali, of the comment of this embassy, Mustapha Amin informed the King of the rumours of troop movements, attributing these movements to a B.B.C. announcement and informed His Majesty of his brother's conversation with this embassy, no doubt transmitting it in the form of a direct statement that troops would move if there were no change of Government. According to Mustapha Amin, the King was disconcerted by these reports and ordered Amr Pasha to enquire

وثيقة رقم (٩)

صورة من تقرير السفير البريطاني في القاهرة إلى وزير الخارجية البريطانية

بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٢

from me whether it was true that British troops were on the move. Amr Pasha replied with, if this part of the story is true, considerable wisdom that he should not take such action since if I confirmed these reports the King would find himself faced with something tantamount to an official ultimatum.

6. The debate around the King raged fiercely but Haidar Pasha was insistent and the King gave way. He telephoned to Aly Maher Pasha to say that he had changed his mind and must first invite Nahas Pasha to form a Government. He would renew his invitation to Aly Maher if, as seemed likely, Nahas Pasha refused. Aly Maher Pasha accepted this situation.

7. Shortly afterwards Aly Maher Pasha informed the King that he had reconsidered the position and would agree to form a Government only if no previous invitation had been issued to Nahas Pasha. According to Mustapha Amin, Aly Maher changed his mind in response to the urgent representations of the Amin brothers, one of whom, Mustapha, remained in the Palace, while the other, Ali, had proceeded to Aly Maher's house in an ambulance, the only vehicle which could proceed without difficulty during the period of curfew. It is in fact possible that the Amins played a considerable part in stiffening Aly Maher. If so, there is substance in the popular comment that this is the first Egyptian Government ever to be born in an ambulance.

8. After Aly Maher's reconsideration the debate resumed in the Palace on the possibility of British intervention. Haidar Pasha said that the Amins' information must be false since his intelligence officers had reported no signs of a British move on Cairo. Mustapha Amin, encouraged by Amr Pasha, continued, according to his own account, his war of nerves and put through another call to this embassy at about 9.15 p.m. in the presence of the assembled disputants. He received an entirely non-committal reply from a second member of the embassy, but the call in any case was only for effect. Shortly after 10 p.m. Afifi Pasha was at last able to see the King alone and persuaded him that an immediate change of Government was essential. The official carrying the Royal rescripts was accordingly despatched shortly before 11 p.m.

RALPH SKRINE STEVENSON.

(1011/22/52G)

SECRET



BRITISH EMBASSY,

CAIRO.

E 1018/80

19th February, 1952

Dear Department,

JE 1018/79

Please refer to our despatch No. 45 of 19th February about the inside story of the recent change of government.

2. Mustapha Amin, who is the main source of information contained in that despatch, has also given us the following account of a meeting held on 28th January to decide the Wafd's policy.

3. According to Mustapha Amin, this meeting was attended by Nahas, Serag El Dine, Kerim Tabet and Abboud Pasha. Kerim Tabet, as the Wafd's expert in handling the King, advised that what would most please the King would be a display of loyalty. If, despite dismissal, Nahas made a public show of his loyalty to the King by co-operating willingly with Aly Maher then his attitude would contrast favourably with that of the "opposition politicians" who had refused to join Aly Maher's cabinet "because the King had not invited them to lunch". The King was still favourably disposed towards the Wafd and if they played their cards well Tabet saw no reason why they should not be back in office within two months. Nahas accepted this advice and at his meeting with Aly Maher pledged the support of the Wafd provided :-

- (a) there were no dismissals of Wafdist officials;
- (b) no legal proceedings were taken against the Wafd;
- (c) Parliament was not dissolved;
- (d) Martial Law was terminated at an early date.

This account squares with the subsequent public pronouncements of both Aly Maher and Nahas and we think it is probably accurate. This does not, of course, mean that either Aly Maher or the Wafd are not capable each of double-crossing the other at the first opportunity, and the indications are already that the honeymoon has come to an end and that the Wafd will now oppose the Government.

4. Aly Maher's present stock answer to journalists when questioned on the dissolution of Parliament is that, if collaboration between Government and Palace were to

/fail....

African Department,
Foreign Office,
London,
S.W.1.

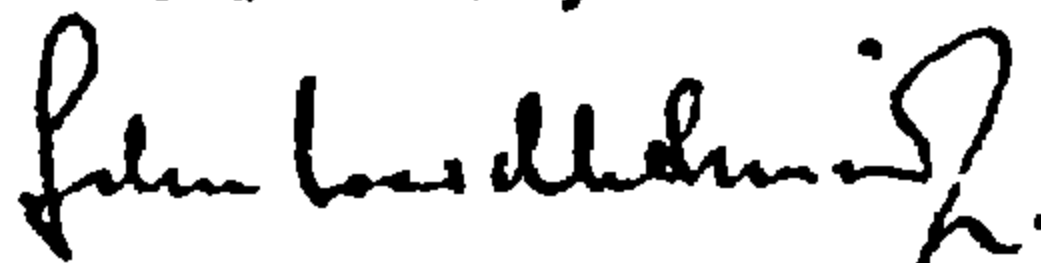
وثيقة رقم (١٠)

صورة من مذكرة السفارة البريطانية في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية

بتاريخ ١٩ فبراير ١٩٥٢

fail, he would take the "necessary constitutional steps" which, in fact, can only mean dissolution. There have already been dismissals of Wafdist officials although in some cases, e.g. the Rector of Al Azhar, even the Wafd might be diffident in admitting that the Rector dismissed by Aly Maher Pasha was a Wafdist official. Whether legal proceedings will be taken against prominent Wafdists either under the Illegal Gains Law or for responsibility for 26th January, is still a burning but entirely open question. It is at present equally uncertain whether martial law will be lifted at the end of the two months' period for which, officially, it was introduced. The Wafd have already given public notice that they will launch a campaign for its lifting.

Yours ever,



HEAD OF CHANCERY.



مذكرة داخلية

الموضوع

مخبر (م) من مديرية أمن القاهرة، في شأن (م)

الذي كلفه بمهمة الاستعلام عن (م) / (م) / (م)

سيادة الدكتور المبرور الناصر

مخبر (م) من مديرية أمن القاهرة، في شأن (م)

ما شرفه احرارهم والشعب بالسلامة، وذلك في

الوقت من الاستعلام عن (م) / (م) / (م)

والمرء الذي في (م) / (م) / (م)

المرء، في (م) / (م) / (م)

منذ ١٩ / ١٢ / ١٩٦٥، في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

المست من (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

في (م) / (م) / (م)

وثيقة رقم (١١)

صورة من مذكرة داخلية من السكرتارية المالية لإدارة تحرير الأهرام

بتاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٥

القاهرة في ٢٥ / ١٠ / ١٩٦٥

مؤسسة
الأهرام

مذكرة داخلية

الماء في مدينة مصر الجديدة

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

السيد مدير إدارة الشؤون المالية والإدارية

وثيقة رقم (١٢)

صورة من مذكرة داخلية من السكرتارية المالية لإدارة تحرير الأهرام

بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥

TELECOMMUNICATIONS ORGANISATION
RADIOCOMMUNICATIONS ADMINISTRATION

الهيئة العامة للإتصالات
إدارة الاتصالات اللاسلكية

الرجاء عدم إلقاء القبض على أي شخص في حالة أية شكوى
PLEASE DO NOT TAKE ANY ACTION IN CASE OF ANY COMPLAINT

OFFICE STAMP

١٩٦٥/١٠/٢٧

رقم الملف
File No.
رقم الوثيقة
Document No.
تاريخ الوثيقة
Date of Document
ملاحظات
Remarks

١٦١

٩٦٥/١٠/٢٧

NNNN
ZCZC TLNCR113 LGW240 STCB2
LONDON LB 18 1640
48

LT
HEIKAL ALAHRAM CAIRO

DELIGHTED WITH AMALGAMATION (STOP) EXTREMELY
HAPPY TO SEE YOU FULLFILLING MY GREAT DREAM (STOP)
THIS WONDERFUL STEP FILLS ME WITH UNLIMITED OPTIMISM FOR
THE FUTURE OF THE EGYPTIAN PRESS (STOP) GOD BLESS YOU
AND ALL WHO WILL COOPERATE WITH YOU
ALI

وثيقة رقم (١٢)
صورة من برقية بعث بها الأستاذ علي أمين من لندن
بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٦٥

أمر إحالة
إلى محكمة أمن الدولة العليا
في الحادية رقم (١٠) سنة ٦٥
عليها

نحن / صلاح نصار رئيس سياسة أمن الدولة العليا
بعد الاطلاع على القضية وما تم فيها من تحقيقات ...
نتهم :
مصطفى أمين يوسف سن ٥٢ مصطفى مولود بالقاهرة ومقيم بها
(محبوس) برقم ٨ شارع صلاح الدين بالزمالك
لأنه من عدة من شهر أكتوبر سنة ١٩٦٤ حتى ١٩٦٥/٧/٢١ بالجمهورية العربية
المتحدة

- أولا : تخالف مع أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية بقصد الاضرار بالمركز
الحربي والسياسي والدبلوماسي والاقتصادي للدولة. وذلك بأن اتفق مع
أشخاص يعملون لمصلحة دولة أجنبية على أن يمددهم بأخبار ومعلومات عن
القوات المسلحة العربية والأوضاع السياسية والدبلوماسية والاقتصادية
للدولة في الداخل والخارج والاتجاهات السياسية للبلاد وعلاقاتها
بمختلف الدول وما تزمعه بشأنها. وقد أمددهم بمعلومات وأخبار
أمكنه الحصول عليها ونسب بعضها كذبا للسيد/ رئيس الجمهورية.
- ثانيا : سلم لأشخاص يعمل لمصلحة دولة أجنبية أسراراً خاصة بالدفاع عن البلاد
وذلك بأن سلم "مندوب الدولة الأجنبية سالفة الذكر" معلومات حربية
وسياسية ودبلوماسية واقتصادية معتبرة من أسرار الدفاع عن البلاد
ويجب ألا يعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صلة في ذلك. ومعلومات متعلقة
بالشئون العسكرية للقوات المسلحة العربية لم يمدد اذن كتابي من
القيادة العامة للقوات المسلحة بشرها أو ادعتها. وقد وقعت
الحريصة في زمن حربي.
- ثالثا : قام بعملية من عمليات النقد الأجنبي بأن أجرى نقاصة منظوية على
تحويل نقد أجنبي للخارج اذ دفع مبلغ عشرين ألف جنيه بالنقد
المصري لأجنبي لقبض مقابلها بالنقد الأجنبي بالخارج وذلك على
خلاف الشروط والأوضاع المقررة عن غير طريق المصارف المرخص لها.
- رابعا : اشترك بطريق الاتعاق والمساعدة مع أحسن غير مقيم بالجمهورية
العربية المتحدة في التعامل بالنقد المصري الموضح في التهمة
سالفة الذكر. وذلك على خلاف الشروط والأوضاع المقررة قانونا.

وثيقة رقم (١٤)

نص أمر الإحالة في قضية الأستاذ مصطفى أمين إلى محكمة أمن الدولة العليا

بملاء عليه

يكون المتهم قد ارتكب الجنايتين المنصوص عليهما في المواد ٧٧ د
فقرة ١ و ٢ و ٤ و ٨٠ ٨٥ فقرة ١ و ٢ و ٨٥ فقرة ب و ج من قانون العقوبات
والجنتة المنصوص عليها من المادتين ١ و ٩ من القانون رقم ٨ لسنة ١٩٤٧
المعدل والقرار الوزاري رقم ٥١ لسنة ١٩٤٧ الصادر من وزير المالية .

لذلك

وبعد الاطلاع على المادة الثانية من قرار رئيس الجمهورية العربية
المتحدة بالقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤

بأمر :

أولا : بإحالة القضية الى محكمة أمن الدولة العليا لمحاكمة المتهم
طبقا للمواد سالفة الذكر .

ثانيا : بتدب المحامي صاحب الدور للدفاع عن المتهم .

ثالثا : استمرار حبس المتهم .

ومرفق بهذا الأمر قائمة ملحوظات النيابة في القضية .

رئيس النيابة

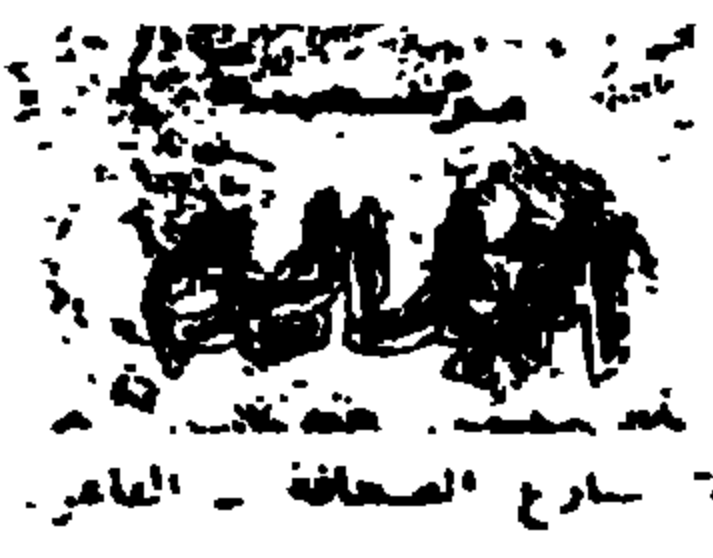
أمن الدولة العليا

تحريرا في ١٠/١٩٦٥

(The following information was obtained from the records of the FBI, New York City Office, dated 7-10-68.)

وثيقة رقم (١٥)

صورة من مذكرة بخط يدي موجهة إلى الدكتور قاسم فرحات المدير العام لإدارة أخبار اليوم



۳- در معرکه و در زمانه باو - لا اقبال را
و اقبال را به اقبال - اقبال را به اقبال
نویسند اقبال را به اقبال را به اقبال

اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال
اقبال را به اقبال را به اقبال را به اقبال

۴- در معرکه و در زمانه باو - لا اقبال را
و اقبال را به اقبال - اقبال را به اقبال
نویسند اقبال را به اقبال را به اقبال

فردی که از این دنیا - رفت خود به - عوالمی دروغ پیچیده
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
فردی که از این دنیا - رفت خود به - عوالمی دروغ پیچیده

و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی

و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی

و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی
و این دنیا را در عوالمی از عوالمی و این دنیا را در عوالمی

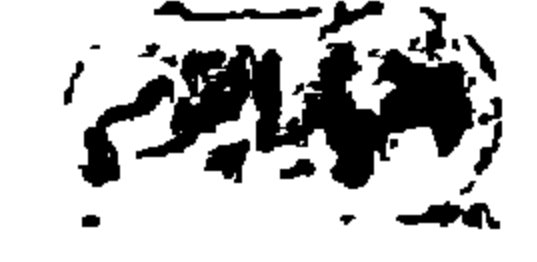
وہو، یہ دیکھ کر مجھے خود بخود آرزو ہوئی۔

تتم الخبر بدم ، تحت حجاب علة وعتق ، مدر
منا في ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~
~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~ ~~منا~~

[illegible]

م. فا. ح

Lee



القاهرة في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٥

السيد رئيس مجلس الإدارة

مؤسسة أخبار اليوم

بين مصلحة الضرائب ومؤسسة أخبار اليوم نزاع قديم عن المدوات من ١٩٥٠ الى ٢٢ مايو

سنة ١٩٦٠ وهو تاريخ التنظيم .

وتقدر المصلحة الضرائب المطلوبة بنحو ٤٠٠.٠٠٠ جنيه بخلاف ضريبة الايراد المسمية

وهي ضريبة شخصية لا تلتزم بها المؤسسة .

ويرجع هذا الخلاف في معظمه الى عنصرين رئيسيين :

جنيته

١٥٩٤٣٩٦

اولهما خلاقات محاسبية استجبت فروقا في الارباح المقدرة قدرها

وثانيهما مبالغ واردة باسم صاحبي الدار ومرحلة لرأس المال أو الى

٨٣٣٣٠٢

المعهد والامانات جملتها

وقد تحددت جلسة يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٥ لكي تصدر لجنة الطعن قرارها في هذه

الخلاقات ما قد يرتب التزامات على المؤسسة لا قبل لها بمواجهتها . ولذلك أقترح السعي لسدى

المصلحة قبل هذا التاريخ لتشكيل لجنة مشتركة تصع حلا لهذا الخلاف يحقق المصلحة العامة .

المشرف العام

(م)

السيد ابوالنجا

وثيقة رقم (١٦)

صورة من مذكرة المشرف العام على إدارة أخبار اليوم وبتوقيعه

بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٦٥



انتم

اے بھائی! یہ ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے۔
اے بھائی! یہ ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے
میں سے کہا ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے کہ اگر تم نے

اے بھائی! یہ ہے کہ میں نے تم سے کہا ہے۔

اے بھائی!

۱۱/۱۰

وثیقة رقم (۱۷)

صورة مذكرة بخط يد السيد سامي شرف مرفوعة إلى الرئيس جمال عبد الناصر

بتاريخ ۷ نوفمبر ۱۹۶۵

محمد عبد الله محمد
عمام
القاهرة ٣٤ شارع طلعت حرب باشا
(سليمان باشا سابقا)
تليفون ٤٦١٦٤ ٢

السيد الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل

رئيس مجلس إدارة مؤسسة اخبار اليوم

بعد التحية :

أتشرف بأن أبدى أن مولتى السيدة سميرة محمد احمد
جدة، الناصرتين رتيبة أمين ، عنية أمين - بنتى الأستاذ مصطفى أمين
لم تتسلم منذ اعتقاله نفقات الناصرتين وقد استحق له مرتب ستة شهور
لـ. الدار بواقع خمسمائة جنيه شهريا ، وقد وافق الأستاذ مصطفى
أمين على صرف هذا المرتب سواء منه المتجدد أو المتجدد الى مولتى
للائفاق، على ناهرتيه وشئونهما . فارجو التفضل بالأمر بصرف مرتب
الأستاذ مصطفى أمين اعتبارا من مرتب شهر يوليو حتى تاريخه وما يستجد
الى مولتى .

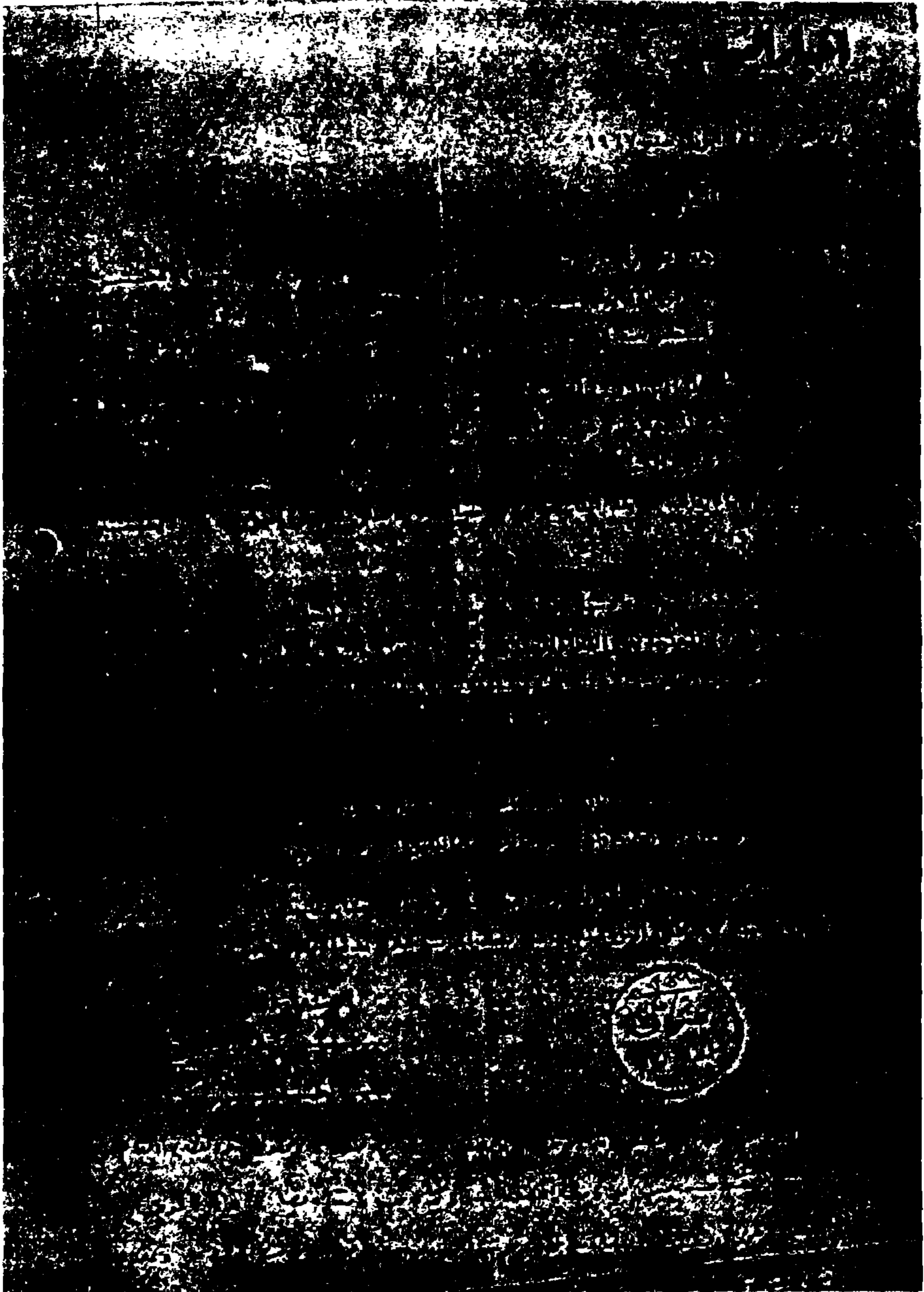
مع قبول عظيم الاحترام والشكر .

كرم عبد الله

المحامى

وثيقة رقم (١٨)

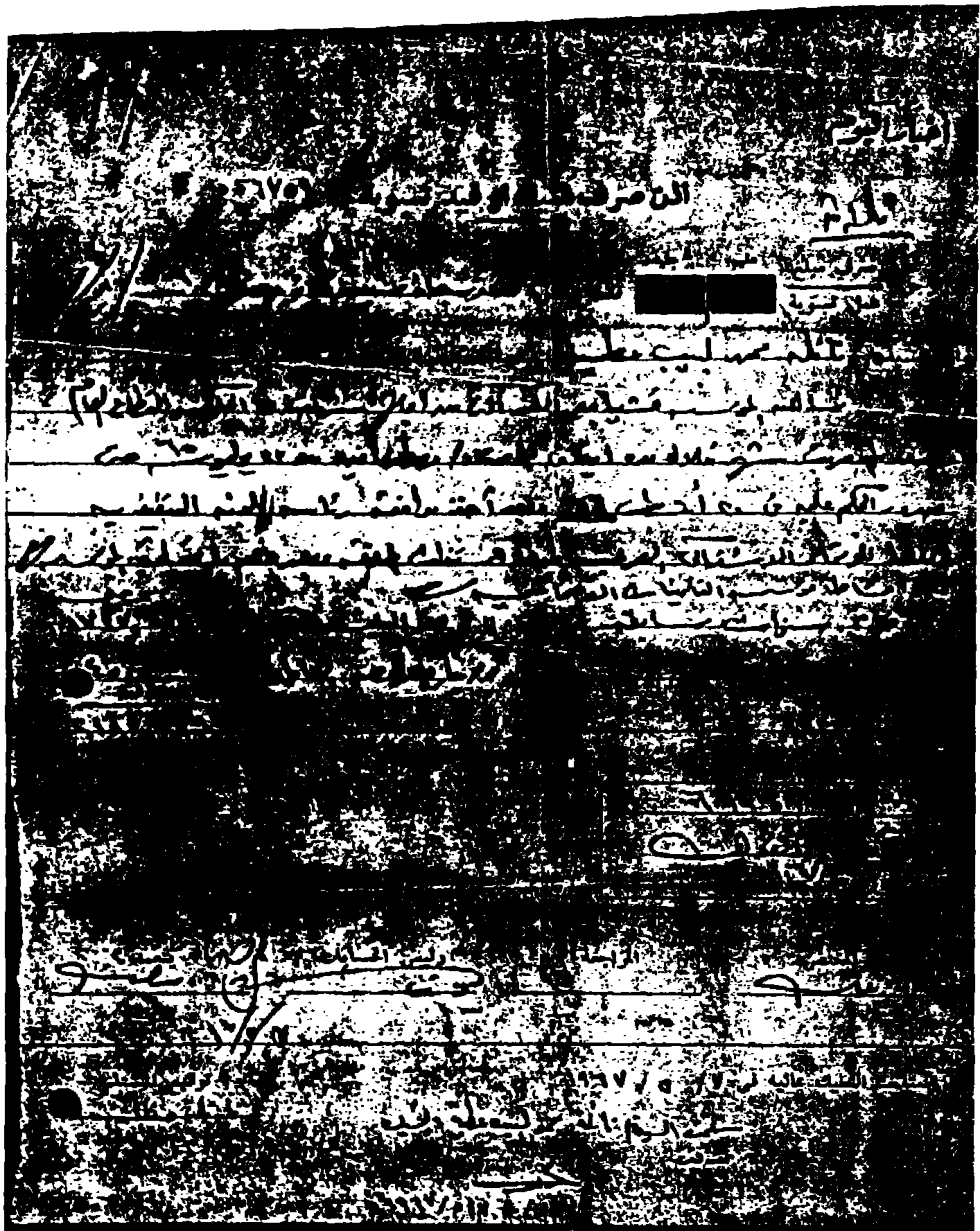
صورة من خطاب الأستاذ محمد عبد الله المحامى على أوراق مكتبه وبتوقيعه



وثيقة رقم (١٩)

صورة من مذكرة كتبها المستشار الفني لدار أخبار اليوم وعليها تأشيرة بخط يدى -

والمذكرة بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٦٧، وتأشيرتى بتاريخ ٢ مايو ١٩٦٧



وثيقة رقم (٢٠)

صورة من إذن صرف شيك إلى الزوجة السابقة للأستاذ مصطفى أمين

لقد تم في ٢٠ مارس ١٩٦٦

مؤتمر الرئيس جمال عبد الناصر

لقد أتممت في وقت مبكر اليوم ان سياتيكم قدتم لوجه رؤساء المخابرات العلم
" ان هذا هو العمل الذي مع المخابرات البريطانية " . كما ناك ام- القليله بياتكم " ان
هناك معلومات سابقة كان يدور على انه ، وقد وصلت الى المخابرات البريطانية ، كما انه
يقترب من يومه الصبح الانجليزي بدون توقيع "

والا انتم انتم في ذلك . فاني هذا من الجور التي تمثله ، وانتم
في ما قدمه انتم في ... فاني هذا من الجور التي تمثله ، وانتم
ان تمثله ، وانتم في كل يوم في ذلك . فاني هذا من الجور التي تمثله ، وانتم

والله يعلم ان اؤكد لكم ان كل هذه الاطلاعات لراسي لا هي (الهيئة)
لوجه قريب ولوجه جيد . فاني لم اتصل بالمخابرات البريطانية ، ولا بالمكتب البريطاني
ولم اكن في اجبة لوجه جيد ولوجه مباشرة ولا بالاساطير .

كما انتم ، رغم المعلومات الكثيرة التي تلقيتم لم اتصل بها من وزير اريسي اجلة
مع انتشار المعلومات الزعيم الحافظ ووزير الملاية السليم ، فانه القيت
في ان احمد هفوت السار ، وكان حديثا يروى حول المدة الانتخابية
لما القيت في هذه المدة التي . اتاح لي حافط وجهي بجانب مشاركة
سما باسم مدقن الخارجية البريطانية ، وحديثي مع الاتصالات التي تجري في
الترطم مع المدة يعمل شأن الية ، وقد حربت ان المبع القتل المدة فزده
كثير بهذا الحديث .

المرفق

على اسم

وثيقة رقم (٢٢)

صورة خطاب بخط يد الأستاذ علي أمين موجه عن طريقى إلى الرئيس جمال عبد الناصر

بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٦٦



انتم

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً
والعلماء قادة للناس

[Redacted]

ادامبر سيا رستم

سك

١٧/٤

لراي

مكرم

فدية غدي اجمع بياكي لتقام سائر ادم غفر
[Redacted] رازا سمحتكم ك سيا رستم ادم انيس راي خاني اقول
تجاء صها في لقا صرة تحت [Redacted]

وثيقة رقم (٢٣)

صورة من مذكرة من سكرتير الرئيس للمعلومات تناقض رجاء تقدمت به للرئيس عبد الناصر
شفويا ووافق عليه بشأن سفر زوجة الأستاذ على أمين مع ابنتها لكي تلحقا به.
وفي المفكرة بند آخر لا يتصل بهذا الموضوع، ولكي لا أسوء إلى أحد فقد سمحت لنفسى أن أعطى
عليه بخط أسود - إلى جانب فقرة أخرى تخص زوجة الأستاذ على أمين - لأنني لا أريد أيضاً أن
أسوء إلى أحد

30, Clarges Street,
Flat "8",
London, W.1.

لندن ٥ أكتوبر ١٩٦٨

عزيزي صديقي

لقد علمت بعدة المرات الماضية ان أعمامك لله ابراراً وانظروا التي تمسك به
المرء به كل الخصال التي ارسل الله. راجع ان اذكر لك اني قبل ان آتي لك هذا
الكتاب اخلت لك ذرة رطل لسم ومرك رطل انما تتعب نفسك وقتدرك به
سم رطله انما الفذ الذي اخلت لك انما نفس اماره مع الفذ الذي سجد
ك لداشع وقيل للكتابة ا

فما انما ترون اني قد سرت اعمل مع كرمه هيب في مكتبتي الذي يخدم
في نسيان الآيات والكتاب الذي انما يخدم في الوسط وشكك انما
راجلهم الذي هو على يد اربعة اعمام ، ولما لم تسمع ان انسي في
الاول. رجع. فلهذا قد استعنت ان اقام نداء هو الاول. كل هذه النية
وحرصت ان اجد كل هذه النية في الفذ التي اجد والمثل في انما
القبل والناك. دافتم الظم الاسم للذي يرون اليه في الاراء الذي
ولكن قدت اجد ان اجد ان نية التجار في المركات والآيات والكتاب
نية حب الصن والميلوت. وهي نية الحب الذي يحاول الخروج الصن والكتاب
النية. كيف روت امداد والنية الخروج ا

وسات في سوت ، فذلك نية نية الله الانوار الوبرى والحمد للوقت
ثم بدأت اجد ميله الجار ، واجهه في رطل الذي نية في الاربيات
دادا في النيات. وروى صفة سوت الصبي في نيات ، وفيها البغ في
الذي يرونه لنية آيات المولت. فلهذا استعنت ان اضع باية جدي لجه
اليد ، وانه في رطل في الابدان الجديدة ، كما انني اصاح الابدان القديمة
شبهه ليهنم في الآيات في ايجاد المصداق التي آتت الفار. ولم يسم به

.....

.....

ولما سارت بالكتابة لك هذا كقولك في نية. في الفار ، فذا نية. الفار
قصص في سوت. ردة اخرى ا

ولست في حاجة ان اسجل لك نية في كل جهود التي تبتلي ، والتي تبذل
والتي ارمي بانها نية في نجات مازن الله.

ولك نجات وتبلا في داشران .

انديك
١٩٦٨

وثيقة رقم (٢٥)

صورة من خطاب من الأستاذ علي أمين من لندن وبخط يده

بتاريخ ٥ أكتوبر ١٩٦٨

سيادة الرئيس

ان المفاجأة التي تلقيتها ظهر اليوم بترشيحي وزيرا للإرشاد القومي كانت مفاجأة كبيرة، كما أنها كانت شرفا كبيرا، ذلك أنها كانت شاهد ثقة أعتر بها والآخر أن مصدرها هو ذلك الزعيم والقائد الذي تتجسد فيه الوطنية المصرية في مرحلة من أهم مراحل التاريخ وأحفلها فغلا عن أنه الزعيم والقائد الذي تتمثل فيه كل آماني التقدم الاجتماعي وآمال الوحدة العربية.

وإذا أدنتم لي - يا سيادة الرئيس - فإني أرجو أن أفهم تحت نظركم بعضا من الظروف الخاصة التي تدعوني إلى أن أتمس منكم معاودة بحث الأمر فيما يتعلق بي، وهذه الظروف كما يلي :

١- ان الصحافة هي مهنة منذ ثمانية وعشرين عاما، ولم أعرف لنفسي في حياتي عملا غيرها لدرجة أستطيع أن أقول معها باخلاص أن هذه المهنة هي حياتي ذاتها.

٢- انني عن طريق هذه المهنة خدمت وطني بقدر ما وعنتي الجهد، ومن خلال خدمتي لوطني فقد حاضرت خدمتي للثورة التي كان لكم فضل قيادتها والتي سوف يذكر التاريخ لها - مهما كان أو يكن - أنها نقلت مصر إلى القرن العشرين بآماله وإنكاره وآفاقه الواحة.

٣- لقد استقرت أفكاري وأهدافي منذ وقت طويل على أن مستقبلنا هو العمل الصحفي وحده، وقد بلغ ذلك في يقيني مبلغ المبدأ، وذلك احساس أنتم أكثر من بقدره بحكم الصافي وإيمانكم العميق.

٤- انكم تعرفون ما يعنيه الأهرام بالنسبة لي، كما أنكم تعرفون ما يؤديه الأهرام في مجال الخدمة العامة، ولقد فعل الأهرام ما فعل وحقق ما حقق بفضل رعايتكم له، وأصبح في النهاية مركزا من مراكز التقدم في وطننا وفي العالم العربي، وأنا أشعر - وقد يكون في ذلك غرور أتمس منكم اغتفاره لي - أن وجودي في الأهرام في هذه المرحلة ضروري لاستمرار دوره، وحتى لو لم يكن ذلك صحيحا ما لي أحب أن أتصوره، كما أنني بصدق لا أستطيع أن أجعل لنفسي عملا أحبه خارج الأهرام، ولقد أحسست في الساعات الأخيرة أن كل من في الأهرام يشاركني هذا الشعور، وصدقني - يا سيدي الرئيس - أنه كان هناك من حاضرا لتبنياتي والدموع في عيونهم.

٥- ان قراركم الكريم الذي يسمح لي استثناء بأن أجمع بين الوزارة وبين العمل في الأهرام يلقى على ما لا أستطيع تحمله وأعترف مقدما أن جهدي كله سوف يميل إلى جانب الأهرام وليس ذلك انصافا لمسئولية أخرى، وفغلا عن ذلك فإن الجمع له معاذير لعدة أسباب :

لأن هناك تعارضا بالطبيعة بين العملين ... الصحافة والوزارة.

ثم لأن الجمع بين رئاسة تحرير الأهرام ووزارة الإرشاد سوف يجعل في يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية ما يمكن أن يحوله بحق إلى مركز قوة وتلك اساءة إلى النظام إذا وقعت.

وثيقة رقم (٢٦)

نص الخطاب الذي وجهته إلى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٦ أبريل ١٩٧٠ معتذرا عن قبول منصب وزير الإرشاد الذي أسند إلي بجانب عملي في الأهرام

وأخيرا فإن الجمع سوف يشير حساسيات لا داعي لها بين زملاء المهنة .
 خصوصا اذا ظهر انحيازي للأهرام . وسوف يحدث ذلك بقلوبنا بحكم طبعي به
 وانتمائى اليه وشعورى بالآلفة مع كل شئ فيه حتى أحجاره الصماء .

٦- ان هناك مشكلة سوف تعرض لى على الفور وهى مشكلة مقالى الأسبوعى
 بمراجعة وقد أصبح هذا المقال جزءا لا يتجزأ من كيانى كما أنه ارتباط وثيق
 بملحة القلم مع مئات الألوف من قراء الأهرام فى مصر، وسوف يزداد اللبس بين
 آرائى وآراء الحكومة ، وهو لیس يقع بالفعل بغير وزارة فكيف اذا أضيفت له
 الوزارة ؟

اننى - يا سيادة الرئيس - لا أستطيع أن أكف عن الكتابة لأنها حركة
 التنفيس بالنسبة للكاتب .

ولنفرض أنى وأطت الكتابة فانى أترك لسيادتكم تصور مدى التعقيدات
 التى يمكن أن يمنعها ذلك .

٧- ان الوزارة تتطلب استعدادا آخر لا أظنه يتوفر لى كما أن مهامها
 محاطة بظروف لا أظننى أهلا لها ، وليكن ذلك تهيبا ، لكن لكل انسان حدوده وطاقاته
 ومن الخير أن يعلم كل انسان بأن له حدودا وطاقات لا يستطيع تجاوزها .

سيادة الرئيس

اننى أجد نفسى أمام خيار صعب وألتمس منكم أن تجنبونى مشاقبه .
 انه ليس خيارا بين عملين وانما هو أبعد من ذلك بكثير .

سيادة الرئيس

اننى أعرف مشاعركم نحوى ، وسوف أبقي طول العمر مطوقا بملفكم وبرعايتكم
 لى ولعملى . ويكفينى للتاريخ أن يقال عنى أننى أدبت دورى فى الخدمة العامة
 للوطن تحت راياتك المنتصرة بإذن الله .

وثقبلوا يا سيدى الرئيس تحية من أعماق القلب ، وسلمت وعشت لوطن منحت
 من حبه واخلاصك وجهادك ما هو كثير كثير .

وسلمت وعشت - يا سيدى الرئيس - لكل الذين يؤمنون بقيادتك وبسدورك
 التاريخى وبقدرك الذى هو قدر مصر .

محمد حسنين هيكل

١٩٧٠/٤/٢٦

30 CLARGES STREET
FLAT 2.
LONDON W.1

٤- لندن في ١١ أكتوبر ١٩٣٠

إلى العزيز

التي هي بعد الأيام السبعة في لندن ، وانضممت إلى وفد جمال عبد الناصر
كان يرد كاديس رأيت انك قد أتت ان تأتي ان يكون كاديس
هو عين مرة . وانزعج من الزحف الضخم الذي تراجع يوردي ، واحذر
... ان اجتمع مع طريفة ... في هذا الزحف .

... والهم الآن هو كيف نحتل بزعماء الدول العربية . لاسف ان بعد
... نحتاج الى قاعدة أخرى . ولله هذا القدر . فبعد ذلك نحتاج الى
... نحتاج الى قاعدة أخرى ، وانضممت قاعدة هو مصر ... مع ذلك فانه بين ان لا

نضع الوقت في الدخول في حارة مع الزحف الذي يتقدمون ان ننتقل
... ان يتقدموا الى القاهرة . وانظر ان نحاول ان نكتب كل الدول العربية
... ونحضر ... في القاهرة نعلم انهم يريدون ان يكونوا في القاهرة ...
... مع ذلك فانه ان في القاهرة ان في القاهرة ...

... في القاهرة ... وتبين اننا انتم ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...

... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...

... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...
... في القاهرة ... في القاهرة ... في القاهرة ...

وثيقة رقم (٢٧)

صورة صفحة من خطاب من الأستاذ علي أمين في لندن إلى الأستاذ مصطفى أمين
وهو أول خطاب منه إلى توأمه بعد رحيل جمال عبد الناصر

وزارة الخارجية
 مكتب السكرتير العام
 ١٩٧٠
 السيد الرئيس
 السيد الرئيس
 السيد الرئيس

هناك بصفة الخياط وردت مع ذهني نشيخ استقام
 بصف بركات، وتعديات في الفترة من فترة بركة
 اخرج من استنتاج في هناك شمس يدبر فيه
 مع مع مدته اجمالاً ايجاز هذه بركات في فترة

١-
 ٢-
 ٣-
 ٤-
 ٥-
 ٦-
 ٧-
 ٨-

ربما هناك في السك كانه في فترة انه يقدر بقائه
 وهو في فترة في السك في فترة في فترة في فترة

في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة
 في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة
 في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة
 في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة

في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة

في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة

في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة في فترة

وثيقة رقم (٢٨)

صورة من مذكرة بخط السيد سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات وهي مقدمة للرئيس جمال عبدالناصر بتاريخ ٢ يونيو ١٩٧٠. وأهم ما في الوثيقة هو تأشيرة الرئيس جمال عبدالناصر وبخط يده على الطرف الأعلى الأيسر منها - وقد كتب الرئيس عليها ما نصه : «سامي لقد تقابل على أمين في روما مع أحد المصريين المقيمين في ليبيا وقال له إن الوضع في مصر سينتهي آخر سنة ٧٠ - جمال».

لقد تتبعنا بالتحليل ما كنا عليه دار الأهرام الجديدة ، وما قبله الممردون - ولقد شأركنا
بذلك في نزهة ذمرك . ودرتم تراصه ، فقد اصبحت وانا اتركهم من الدار ، انهم
بدلت جهوداً - فدم لنا البصر .. ملكه فاعلمتني

ونحن يا ابيته له جيلوتي
على

.....
.....

انني اسمع النبي نعمة بين الأهرام - الجديد - وانني احفظ نسخ الأهرام
التي وصفت النبي الجديد . وارجو ان اراه في يوم من الأيام
وله قبولي واشراوتي

الله

هـ

وثيقة رقم (٢٩)

فقرات من خطابات بخط يد الأستاذ علي أمين من لندن عن مبنى الأهرام الجديد

قرأت مقالاتهم لم تكلفهم في الذكر .
 ثم كنت تأخذهم هناك بينهم في الكتابة ... وقد استركت في
 هذه الدفاتر في الاستنساخ ... كسر انهم ، رغم ان يدور
 منهم طبع فحين كانا جيران في قلوبهم ... وصفهم ادراكهم في راحة
 قلوبهم في تلك !

كنت اتبعهم في الجهد الصافي الذي يشهد على انهم ... رؤس
 الاندوم آلهة اصت بالكتابة الصلبة
 بهذه الاندوم اذ ان ظهورها في انهم ربح في صحتها

الفهرست

المقدمة ٧

الجزء الأول (الأضواء والظلال)

الفصل الأول : بداية طريق ٢١
الفصل الثاني : البحث عن المتاعب ٣٣
الفصل الثالث : الثورة وبعدها ٤٤
الفصل الرابع : الانتقال إلى الأهرام ٦٣
الفصل الخامس : تنظيم الصحافة ... وقصة ٦٨
الفصل السادس : المشاكل تظهر ٧٤
الفصل السابع : ١٩٦٥ السنة الحافلة ٨٤
الفصل الثامن : الظلال الزاحفة ٩٤
الفصل التاسع : صاعقة تنقض ١٠٦
الفصل العاشر : تأملات في الماضي والحاضر ١٢٨

الجزء الثاني (الاعتراف)

الفصل الأول : الرسالة الوثيقة ١٤٧
الفصل الثاني : خواطر واحتمالات ٢١٧

الجزء الثالث (ملفات شخصية)

الفصل الأول : في مواجهة التفاصيل ٢٤٣
الفصل الثاني : لقاء في السجن ٢٥٩
الفصل الثالث : المسرحية تنتقل إلى لندن ٢٨١
الفصل الرابع : زائر من الريفييرا ٢٩٦
الفصل الخامس : من لندن إلى طرة ٣٠٩
الفصل السادس : أسئلة كثيرة وسؤال كبير ٣٢٦

الجزء الرابع (سنوات السادات)

الفصل الأول : العلاقات مع السادات ٣٣٣
الفصل الثاني : عودة الغائب ٣٤٤
الفصل الثالث : حكايات الافراج ٣٥٣
الفصل الرابع : إذن ما هو القصد ؟ ٣٦٢
وثائق ٣٩١



عُمر من الكتب

لا أعرف أهو تحيز رجل لما ألف وعرف، أو أنه حكم فى الموضوع، بصرف
النظر عن متغيرات العصور.

لكنى على شبه اقتناع بأن الكتاب المطبوع على ورق له العمر الطويل، وأنه
الحاضر على الدوام، مهما اشتد من حوله الزحام.

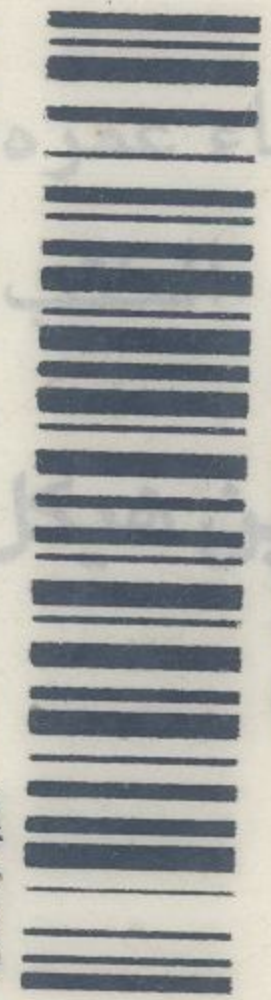
بمعنى أن الكلمة المكتوبة على الورق باقية، والكلمة المسموعة على الإذاعة
والتليفزيون عابرة، والكلمة المكهربة على الكمبيوتر فوارة، وهى مثل كل
فوران متلاشية.

أى أن الكلمة المكتوبة على الورق بناء صلب: حجر أو معدن، وهكذا كل
بناء، وأما غيرها فهو صيحة متغيرة - خاطفة، ولامعة، وبارقة.

وبالنسبة لكاتب - على الورق وبالحبر - فإن كتابته هى
وهكذا فإن هذه المجموعة فى نهاية المطاف: عمر

محمد

Bibliotheca Alexandrina



0429270



6 221102 013031

دار الشروق